العتبة العباسية المقدسة

ذاكرة الأرشيف الوثائقي

مجلة فصلية وثائقية مصورة تعنى بالتراث والتوثيق تصدر عن العتبة العباسية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العدد الرابع والعشرون - السنة السادسة (١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م) - الإعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٧٥٧

٢٤

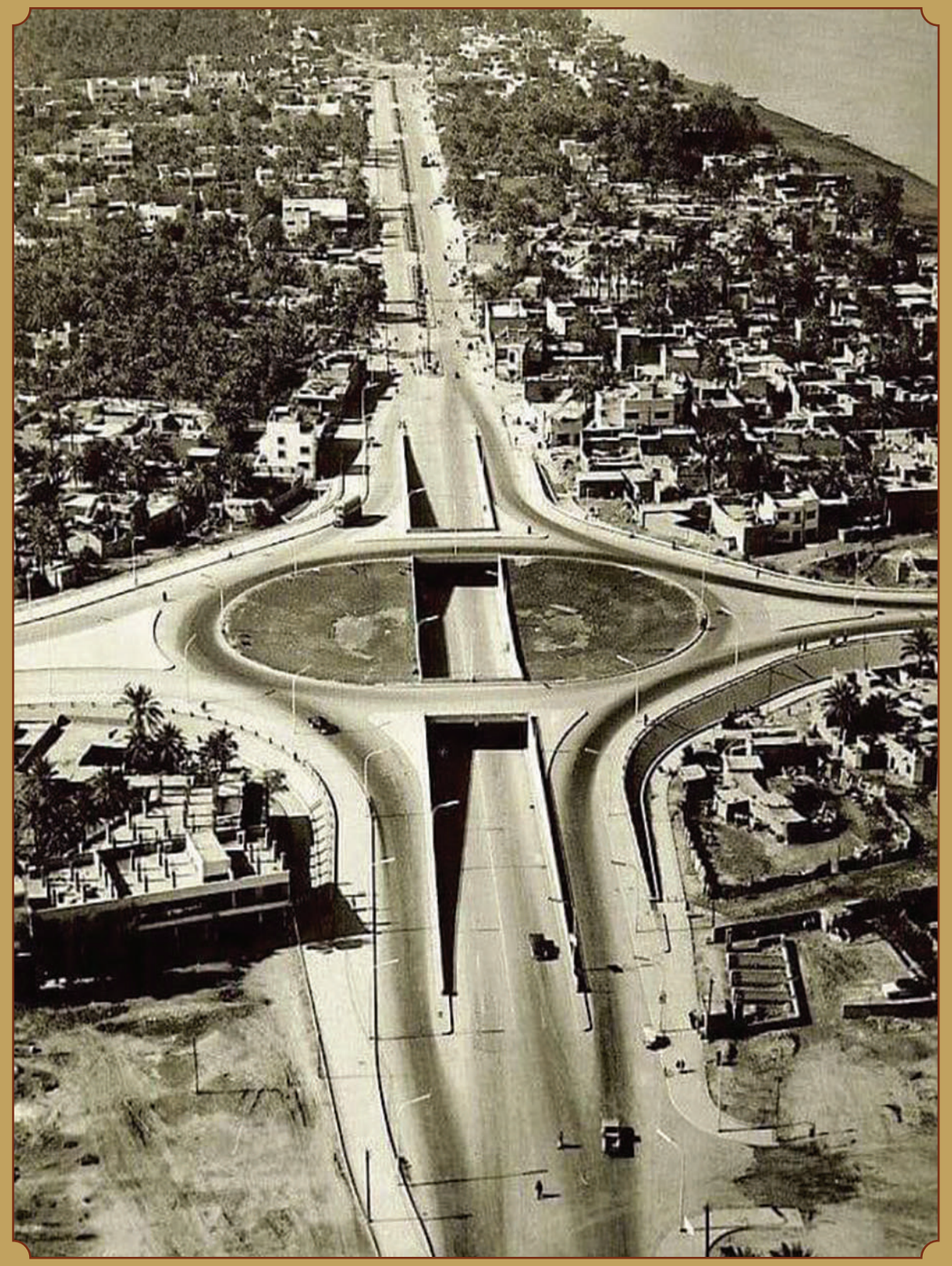

بغداد ـ الكرادة من جهة نفق الجسر المعلق في الستينيات من القرن الماضي

الطبگة ..كانت واسطة النقل المائية بين منطقة العشار ومركز مدينة البصرة والتنومة في السبعينيات من القرن الماضي

ذاكرة الأرشيف الوثائقي

مجلة فصلية وثائقية مصورة تعنى بالتراث والتوثيق تصدر عن العتبة العباسية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

ذاكرة الأرشيف الوثائقي

مجلّة فصليّة وثائقيّة مُصوّرة تُعنى بالتُّراث والتّوثيق

تصدر عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة

المُشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصّافي

رئيس التّحرير

عقيل عبد الحسين عيسى

مُدير التّحرير

حسن علي الجوادي

كربلاء المقدسة، شارع العلقمي، (مجمع الإمام الصادق عليه السلام - ط ٧)

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز الدراسات والمراجعة العلمية

مركز الدراسات والمراجعة العلمية

اسم المجلة:	ذاكرة الأرشيف الوثائقي العدد (٢٤).
الناشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
مراجعة:	مركز الدراسات والمراجعة العلمية.
المطبعة:	دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.
التدقيق اللغوي:	مصطفى كامل محمود - أحمد كاظم الحسناوي.
التصميم والإخراج الطباعي:	حيدر مهدي.
السنة:	٢٠٢٣م.
عدد النسخ:	٢٥٠ نسخة.

أثر روابط النصوص

في تحقيق المخطوطات

م.م. مهدي محمد علي

م.د. مظفر حسين علي

المقدمة:

يتناول هذا البحث ظاهرة الاتصال بين المخطوطات، والعلاقة بين النصوص المؤلفة. وأطلقنا على العلاقة بين مصادر التأليف من حيث الأصول والفروع (روابط النصوص الخارجية)، والعلاقة بين نسخ المخطوط الواحد (روابط النصوص الداخليّة). والتي هي علاقات التأليف، حيث تكون لها جذور كالعائلة منها الأصول ومنها الفروع، إذن المؤلّفات عبارة عن علاقات مترابطة في منظومة واحدة نجد فيها ما هو سابق وما هو لاحق، وما هو أساسي وما هو تابع. ويمكن أن تأخذ هذه العلاقات أشكالاً ونماذج متعددة سواء بين الأوعية التي هي نسخ المخطوطات (الروابط الداخليّة) أم بين نصوص المؤلّفات (الروابط الخارجية). فالروابط بين نصوص المخطوطات هي: الداخليّة تكون بين نسخ المخطوط الواحد، والخارجية بين المخطوطات المتناقلة بعضها من بعض.

إذن الروابط الداخليّة هي العلاقات بين نسخ مخطوطة لكتاب واحد، تتدرج من نسخ بعيدة إلى نسخ وسطى، إلى نسخ رُوجِعَت على الأصل إلى نسخ أصلية بخطّ المؤلّف أو بإشرافه المباشر. إلى جانب المخطوطات المساعدة والقريبة منه مثل: الشروح المختصرات، الحواشي، المختارات، النقول الكبيرة من النص، كلّ ذلك لإتاحة الوصول إلى أفضل القراءات القريبة من النص الأصلي عند تحقيق المخطوط. كذلك العلاقات بين مؤلّفات مؤلف واحد، مثل استشهاد المؤلّف بمؤلّفاته السابقة أو أشكال التكامل بين بعض مؤلّفاته، أو التدرج في مستويات متعددة كالمطول، والوسيط، والوجيز... إلخ.

إنَّ الهدف من الروابط بين أجزاء نص معين، هو تمهيدٌ لاسترجاع النص الكامل وإعادة بنائه وتركيبه، بعد أن تشعب وتشتت في مؤلّفات أخرى عن

طريق النقول الكبيرة أو الإدماج الكامل في نصوص أخرى وعلاقة النص بالمؤلّفات التابعة له كالتلخيصات والـشروح، أو المرتبطة به كالتذييلات والـردود.. إلخ. أو بالمؤلّفات السابقة عليه، التي كانت محركة له ومتسببة في وجوده، حتّى ولو كانت علاقة في إطار الخصومة الفكرية العلاقات التي تظهرها القياسات الببليوجرافية، والتي تربط المؤلّفات بالمنابع المشتركة التي تستقي منها أو تستشهد بها(١).

الروابط الخارجية هي العلاقة بين عدّة كتب لنسخ مختلفة يتمّ من خلالها الوصول للنص المفقود أو جزء منه فالنصوص المترجمة من قبل أكثر من شخص واحد، ممكن جمعها للوصول إلى النص الأصلي. كذلك النظم وطرقه وشروحه ممكن الوصول للنص عن طريق إرجاعها إلى أصولها التي تيسر الوصول إلى النص الأصلي، وكذلك الرواية والاقتباس ممكن جمعها للوصول إلى النص الأصلي.

Abstract:

The research aims communication between manuscripts and approach establishing the origin of manuscript. Which we reach to number one from many manuscripts of publication. we give the relationship between bibliography of any book outside connection, and the relationship with copy manuscripts are inside connection. The authorship communicates effect manuscripts which have based like

(١) كمال عرفات نبهان: عبقرية التأليف العربي وعلاقات النصوص والاتصال العلمي، مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية، مصر، ٢٠٠٧م، ص٥٢.

big family. Finally, all manuscripts have connected with one system we find previous, followed, organic and added. These relationships take more than shapes and samples which it is copy manuscripts.

الملخص:

يهدف هذا البحث للوصول إلى علاقات الاتصال بين المخطوطات وطريقة تأصيل النسخ المخطوطة، والتي توصلنا إلى نسخة نعتَمِدُها نسخة أصلية أقرب ما يكون إلى نسخة المؤلّف. وأطلقنا على العلاقة بين مصادر التأليف من حيث الأصول والفروع روابط النصوص الخارجية، والعلاقة بين نسخ المخطوط الواحد روابط النصوص الداخليّة. وعلاقات التأليف وأثرها في تحقيق المخطوطات والتي تكون لها جذور كالعائلة منها الأصول ومنها الفروع، إذن المؤلّفات عبارة عن علاقات مترابطة في منظومة واحدة نجد فيها ما هو سابق وما هو لاحق وما هو أساسي وما هو تابع ويمكن أن تأخذ هذه العلاقات أشكالاً ونماذج متعددة، سواء بين الأوعية التي هي نسخ المخطوطات، أو بين نصوص المؤلّفات.

التمهيد:

النص هو العلامات أو الكلمات المدونة خطياً والتي تعكس مخيّلة ومفهوم ووجهة نظر الكاتب للنص أو مؤلّفه، ويرتبط بالوظيفة القائمة أو المتوقعة للنص، ذلك التصور الشائع «النص هو كيان مغلق» ويُعَدُّ ذلك التصور أكثر أهميّة والتصاقاً بالنص الديني المقدس، فهو في كلّ الثقافات نص مغلق، يشكل نظاماً تُنسب إليه الأصالة والنهائية نهائية التشكّل ونهائية الدلالة، وهو غير خاضع لفعاليات التاريخ التغيُّريَّة، ولذلك فإنَّ النص المقدس يُعَدُّ ظاهرة

كتابية. ويشار إلى النص أيضاً بكلمة (المتن)، وهو صلب الكلام لتمييزه عن أي إضافات خارجة عن النص كالحواشي وغيرها. إذن النص كبنية مرتبط بثلاثة أمور هي: المؤلف، النص، القارئ. وفي هذه الحالة يمكن القول إنَّ النص بقدر ما يكون مغلقاً كبنية من الكلمات أو العلامات، فإنه يكون قابلاً للتفتح عن طريق التفسير وتشكيل المعنى، أي إنَّ النص ثابت والتفسير متحرك، وفي حالة النص الديني المقدس، فإنَّ النص الالهي والتفسير بشري[١].

يشكل التأليف النصّي في بعض جوانبه نشاطاً حيوياً يشبه تجديد الخلايا في الكائن الحي، مع الاحتفاظ بصفاته الأساسية في بعض الأحيان، أو إدماجه في دورة تالية من دورات الطبيعة، واستخدام عناصره في تكوين جديد.

فبغير التأليف النصي، كان كثير من النصوص الأساسية في الثقافة العربية والإسلامية ستلقى مصيراً حتمياً هو الاندثار والتعطيل والانقطاع، أو ما يمكن أن يسمّى تَشَيُّخَ النص وتقادمه، وصعوبة استعماله وتحركه من خلال إفهام الأجيال التالية على فرض بقائه المادي وعدم ضياعه.

وتحقيق قوانين تحسين السلالة من خلال امتزاج العناصر المتباعدة والجديدة في التأليف النصي، فقد تزاوجت كتب أرسطو وغيره بثقافة الفلاسفة والعلماء العرب المسلمين، عندما اشتغلوا شرحاً وتلخيصاً وتعليقاً ونقداً... وخضع كثير من النصوص للتصفية والانتقاء عن طريق التهذيب، ويبدو التهذيب عملاً ومسؤولية هائلة يتحملها المهذب تجاه الأجيال التالية، وبدونه كان بعض النصوص القديمة سيطالعنا بهيئة غريبة موحشة لغةً ومضموناً، وربما وصلنا مختلاً أو مشوهاً أو مفسداً، وقد لعب هذا التأليف النصّي دوراً مهمّاً في تقريب كثير من النصوص إلى أجيال بعيدة تالية، وإلى جانب التهذيب لعب التأليف

(١) المرجع نفسه: ٨٦.

النصي دوراً في تقريب كثير من النصوص إلى أجيال تالية، من خلال الشرح والنقد والتعليق، وإعادة الترتيب والتلخيص، والنظم، والمُفتَّحة (أي إعداد مفاتيح النصوص كالأطراف والكشافات والإدماج... إلخ).

اهتم بعض الباحثين في عصور مختلفة وبمجالات موضوعية متعددة، بإظهار العلاقات بين النصوص بشكل أو بآخر، ومن أهم هذه المجالات: يعد كتاب «الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدّثين وأسماء كتبهم لمحمد بن إسحاق النديم، المعروف بابن يعقوب الوراق وهو المصدر الرئيسي لمعرفة أخبار الأدب والعلم في القرون الأربعة الأولى للهجرة، الذي بدأ في تأليفه سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م، وهو يولي اهتماماً خاصاً إلى النسخ التي وجدها بخطوط مؤلفيها، وكذلك إلى المكتبات الشخصية والنسخ المتميزة الموجودة فيها. وهناك الكثيرون ممن ذكر أو اطلع أو اقتنى النسخ التي بخطوط مؤلفيها، أمثال ذلك ما ذكره النديم وياقوت الحموي، وما ذكره الصفدي وغيرهم.

كذلك كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة لعلّ فكرة الربط بين النص أو الكتاب، وما قد يتبعه من توابع ومكملات، أو يسبقه من أصول وركائز، تتجلى في أنضج صورها في العرض الببلوجرافي الذي اتَّبعه حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في كتابه كشف الظنون، فهو يذكر المتن (النص)، ثمَّ يُلحقه بمتعلقاته، وتشمل هذه المتعلقات حسب تعبير حاجي خليفة (كل ما يرتبط بالنص مثل شرح، تلخيص، ذيل، استدراك، نقص، تأييد، ترجمة... إلخ)[1]، وفي كشف الظنون، يبدو لهذا المنهج التكميلي في ذكر النصوص الأصلية وتوابعها، أكثر اكتمالاً ممّا نجده في بقية الكتب.

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون: مقدمة المؤلف.

روابط النصوص وأثرها في تحقيق المخطوطات:

لعلّ بحثنا يهتم بأثر الروابط في تحقيق المخطوطات، حيث أشار المستشرق الألماني برجستراسر في محاضراته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣١-١٩٣٢، إلى أنَّ فكرة ملكية الكتاب لمؤلفه لم تكن معروفة في ذلك الزمن، وأن الكتاب كان يتسلسل في سلسلة من الروايات، وقد يذوب فيه تأليف جديد لأحد الرواة[١].

ومثال على ذلك قيام المستشرق شاخت بوضع جدولٍ يوضح فيه العلاقة بين مجموعة من النصوص وفق معايير ببلوجرافية لحسم الخلاف بين هذه النصوص:

١- كتاب في فن الحيل/ لأبي يوسف (ت ١٨٢هـ) رواه عنه الشيباني.
٢- كتاب المخارج في الحيل/ للشيباني (ت ١٨٩هـ) اقتبس فيه بعض كتاب أبي يوسف وزاد عليه، ولذلك أصبح منسوباً للشيباني.
٣- رواية قصيرة لكتاب الحيل للشيباني/ رواها الخصاف (ت ٢٦١هـ).
٤- رواية مطولة لكتاب الحيل للشيباني زاد فيها الخصاف من مصادر أخرى ومن بينها كتاب أبي يوسف.

وقد نشر شاخت كتابي الشيباني والخصاف، ورتب جدولاً يوضح تعلق الروايات بعضها ببعض.

(١) برجستراسر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري (القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م)، ص٣٤.

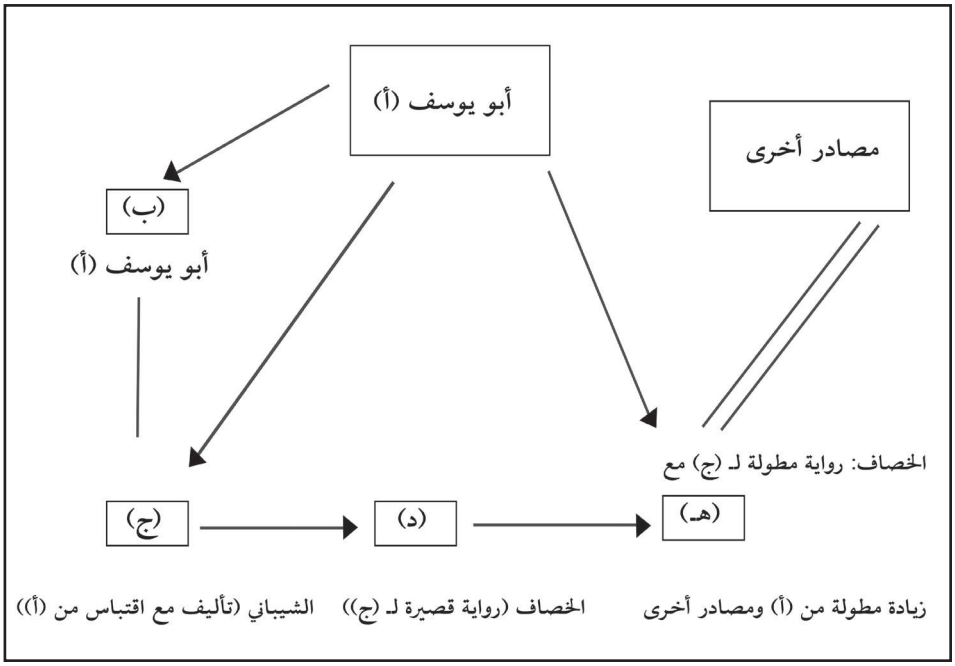

جدول شاخت

الروابط الداخليّة:

من الواضح أنَّ هنالك عدة طرق في تأصيل النُّسخ معتمدة منذ زمن بعيد على أقدار النُّسخ. فقد عرف العلماء المسلمون منذ بدايات التدوين تفاوت أقدار النسخ المختلفة للكتب، وقدَّروا أهميّة هذه النُّسخ وفقاً لمعايير مازالت هي المعايير التي يرجع إليها المحققون اليوم عند نقد النصوص القديمة ونشرها، وتتراوح هذه المعايير بين قدم النسخة، وصحتها، أو مقابلتها بغيرها.

والقِدَم يعني أن تكون النسخة أصلاً قد كتبها المؤلّف بخطه، أو عليها خطه، أو قرأت عليه، أو تكون قد طالعها بعض العلماء وقُوبلت على نسخ معتبرة، كما أن بعض النُّسخ تستمد قيمتها من كونها قد كتبها عالم شهير بخطه، أو تَمَلَّكَها أحدُ العُلماء، أو تداولها أكثر من عالم وَوجِدَت عليها سماعاتٌ أو قراءات أو إجازات تفيد ذلك، وفي كلّ الأحوال فقد كان لقدَمِ النُّسخة نوعٌ من الضّمان

لصحتها واعتمادها[١].

وقد أفاد العلماء المتقدمون من هذه النسخ، إضافة إلى ضبطها وتحريرها معلومات كثيرة عن تاريخ تأليفها، أو تواريخ وَفَيَات مؤلّفيها من خلال تاريخ الفراغ من كتابة النُّسخة، الذي يطلق عليه حرد المتن (Colophon) أو تقييد الختام، وكذلك بما عليها من إجازات وسماعات وقراءات وتقييدات[٢].

طريقة تأصيل النسخ:

هي طريقة جديدة في دراسة النُّسخ المخطوطة، تقوم على الاختلافات والفروق بينها، وتوصل بصورة علمية إلى فهم مراحل تطور كتابة النص، وإثبات أو نفي وجود علاقة بين النسخ. حيث يُسَمُّون هذه الطريقة في الغرب لدى محققي المخطوطات اللاتينية واليونانية «طريقة النواقص المهمّة» وهي طريقة علمية يمكن بواسطتها تأصيل النُّسخ تمهيداً لإخراج نص أقرب ما يكون إلى الصورة التي وضعه صاحبه عليها[٣]. أي هي دراسة علمية رقمية مقارنة، سعياً إلى فهم مراحل تطور كتابة النص، وإثبات أو نفي وجود علاقة بينها.

طريقة إحصاء الاختلافات بين النُّسَخ:

أ- النواقص: وهي اختلافات لا دخل لإرادة الناسخ وتفكيره فيها ومنها:

النواقص المهملة: وهي الجمل التي تتضمّن أكثر من كلمتين.

نقص كلمات: نقص كلمة أو كلمتين.

(١) أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات (القاهرة – الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م)، ص٩٥.

(٢) مجلّة معهد المخطوطات العربية: مجلّد ٤٣، ج٢، رجب ١٤٢٠هـ/ نوفمبر ١٩٩٩ م، القاهرة، ص٤٣.

(٣) مصطفى موالدي: مجلّة معهد المخطوطات العربية، مج٣٦، ج١، ج٢، ذو الحجة ١٤١٢ هـ، يناير ١٩٩٢م، القاهرة، ص١٦٩.

نقص الأحـرف: نقص أحـرف الأشكال الهندسية أو الأحـرف الخاصّة بالبراهين الرياضيّة أو غيرها.

الأخطاء: كتابة كلمة بدلاً من كلمة أخرى، وهي نتيجة القراءة الخاطئة أو جهل الناسخ.

ب- **الإضافات**: وهي اختلافات ناتجة عن تدخل الناسخ متعمداً ومنها:

١- الإضافات المهمّة وهي إضافات من قبل الناسخ وقد تكون توضيحية.

٢- إضافات أقل أهميّة وهي ناتجة عن تدخل الناسخ المتواضع والمحدود بكلمة أو كلمتين.

٣- فروقات: إضافة كلمات أو مفاهيم صحيحة ولكنّها مختلفة عن نسخة الأصل.

٤- الانعكاس: انعكاس ترتيب الكلمات أو الحروف.

٥- الخط: وهو أخطاء إملائية.

جـ- **النواقص المهمّة**: بعد تسجيل الاختلافات بين النسخ، نبحث عن علاقة كلّ نسخة مع النسخ الأخرى، وذلك اعتماداً على طريقة «النواقص المهمّة» التي تركز على المبادئ العامّة التالية:

١- النسخة التي تتضمّن نواقص مهمّة وهذه النواقص لا توجد في أية نسخة أخرى لا يمكننا اعتبارها أصلاً وحيداً لأية نسخة أخرى.

٢- إذا كانت هناك جملة ناقصة في إحدى النسخ، وهذه النسخة تُعَدُّ نسخة من نسخ عائلة واحدة، وجب أن تكون تلك الجملة ناقصة في جميع نسخ العائلة.

٣- النسخ التي ينقصها جمل، وهذه الجمل ناقصة من نسخ تنتمي إلى عائلات أو مجموعات مختلفة، يجب اعتبارها نسخاً كُتِبَت أو نُسِخَت من عدة أصول في نفس الوقت أو بالتوالي.

ولتطبيق طريقة النواقص المهمّة نضع جدولاً لإحصاء النواقص الموجودة

في كلّ نسخة مع مقارنتها بالنسخ الأخرى.

السطر الأول	١. عدد النواقص المشتركة					
السطر الثاني	٢. عدد النواقص الخاصّة بالنسخة المدروسة					
السطر الثالث	٣. عدد النواقص الخاصّة بالنسخة المقارنة					
السطر الرابع	١+٢					
السطر الخامس	١+٣					
السطر السادس	العلاقة					

١- يتضمّن السطر الأوّل عدد النواقص المشتركة بين النُّسخة المختارة مع بقية النسخ.

٢- يتضمّن السطر الثاني عدد النواقص الخاصّة بالنُّسخة المختارة مع مقارنتها مع بقية النُّسخ.

٣- يتضمّن السطر الثالث عدد النواقص في بقية النُّسخ بعد مقارنتها مع المختارة.

٤- يتضمّن السطر الرابع عدد النواقص الكلي للنسخة المختارة.

٥- يتضمّن السطر الخامس عدد النواقص الكلي للنسخ المقارنة.

٦- يتضمّن السطر السادس القرار المتضمّن العلاقة بين النسخة المختارة والنسخ المقارنة. ثمَّ النتائج والتوصيات، وهكذا مع بقية النسخ.

الروابط الخارجية:

- دراسة المصادر:

ثمَّة دراسة معاصرة، قام بها باحثون من مجالات متعددة استخدموا فيها مناهج أقرب إلى القياسات الببلوجرافية، حيث تقوم على دراسة واحد من

المؤلّفين، ومُؤَلَّفاته، ومصادر مُؤَلَّفاته. ومن أمثلة هذه الدراسات:

١- دراسة عن النويري وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، ومصادره الأدبيَّة[١].

٢- دراسة مؤلّفات ابن حجر العسقلاني التي قاربت الثلاثمائة، ومصادر كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة»، وشروحه وتعليقاته ومختصراته والبحوث المعاصرة حوله[٢].

٣- دراسة فؤاد سزكين لمصادر البخاري[٣].

٤- دراسة فؤاد سزكين لمصادر الأغاني للأصفهاني[٤].

٥- دراسة سليمان إسحاق عطية حول كشف الظنون لحاجي خليفة، وتتبع ترجماته وذيوله ومختصراته[٥].

- ببليوجرام المؤلّف الواحد:

في مخطط بياني لعلاقات الاقتباس والاستشهاد والإحالات التي استخدمها ابن قتيبة في بعض مُؤَلَّفاته نقلاً عن مُؤَلَّفاته الأخرى نجد نموذجاً لعلاقات التأليف لدى المؤلّف الواحد.

(١) أمينة محمد: جمال النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، مصادره الأدبية وآراؤه النقدية، القاهرة، دار ثابت، ١٩٨٤م، ص١٤٧-١٦٦.

(٢) شاكر محمود عبد المنعم: ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب الإصابة، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م، ١:٣، ص٥، ١٤.

(٣) فؤاد سزكين: محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية (معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية جامعة فرانكفورد، ١٩٨٤)، ص١٤٥-١٤٧

(٤) المرجع نفسه.

(٥) سليمان إسحاق عطية: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (القاهرة، مكتبة الانجلو)، ص٤٧-٥٤.

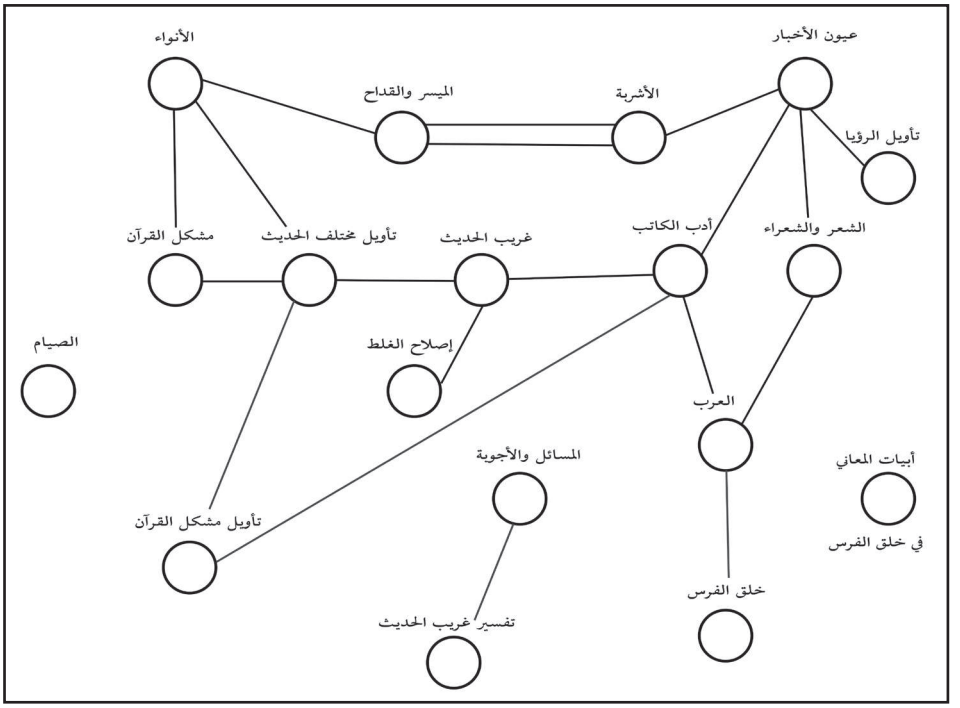

مخطط العلاقات والاقتباسات بين مؤلّفات ابن قتيبة

ومن خلال هذا الإطار يتاح للببلوجرافي ربط النصوص بأصولها السابقة وتوابعها اللاحقة من النصوص في إطار تصنيف محدد لعلاقات التأليف، ومخطط ببلوجرافي أكثر شمولاً وعمقاً في مجال البحث العلمي. ومثال ذلك مفتاح السعادة لطاش كبري زادة، وكشف الظنون لحاجي خليفة.

وعندما يتمّ تطوير نماذج اتصالية للتأليف، ومخططات وهياكل تشمل ما يمكن استقراؤه من علاقات، فسوف يصبح في الإمكان تصوير شبكة العلاقات المتبادلة بين النصوص، ومدى تكاملها وتواصلها كأبنية معرفية عبر مئات السنين.

اتصال النصوص:

– الاستدراك: تصحيح للأخطاء وإضافة للنص من الداخل، أي في داخل

نطاقه ومجاله، وهو يضيف نواقص كما من المفروض أن توجد داخل النص الأصلي حسب تقدير المستدرك.

– التذييل: إضافة ومتابعة للنص من الخارج أي بعد النقطة التي يتوقف عندها النص. ولا يمنع ذلك من أن نجد كثيراً من المُؤلَّفات يختلط فيها الاستدراك والتذييل، وربما أشكال أخرى أيضاً، فتلك هي طبيعة التأليف النصي على وجه الخصوص.

وليست الذيول أعمالاً تابعة تماماً للنصوص الأصلية التي ترتبط بها، فهي في الغالب مستقلة (تالية) والأفضل أن نعتبرها (مرتبطة) بالنصوص الأصلية أو السابقة. ومن أجل تحديد الصورة المثالية للذيول التي تتمثل فيها الخصائص الكاملة للتذييل، فإنه يُعَدُّ بالتحديد:

أ- تالياً لعمل سابق.

ب- مستقلاً عنه.

جـ- يكمله من الخارج.

فهو يبدأ من النقطة التي توقف عندها النص السابق، فإذا كان النص المذيل عليه في مجال التراجم مثلاً، تتوقف تغطيته عند تاريخ معيّن يمثّل (تاريخ الإغلاق) وهو متمثل في المخطط التالي:

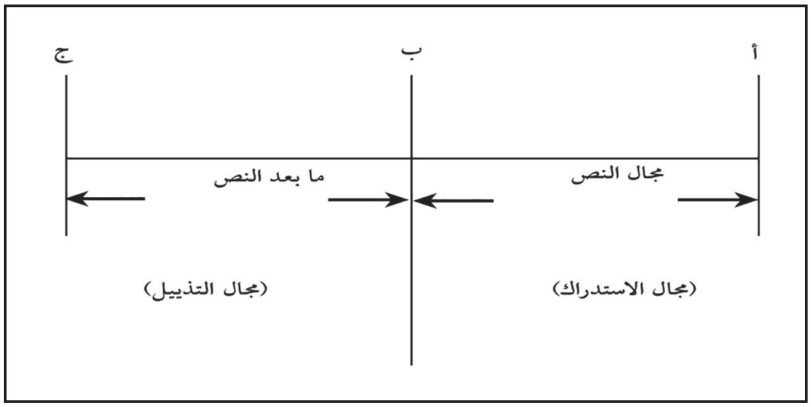

مخطط اتجاه الاستدراك واتجاه التذييل

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن تاريخ أو نقطة القطع، هي تاريخ نقطة توقف وإغلاق النص الأصلي، أما بداية الذيل، فيمكن تسميتها تاريخ أو نقطة الوصل أو تاريخ الافتتاح، والمفروض نظرياً أن الذيل لا يتداخل مع النص السابق في تغطيته، ولا يكرر معالجة الفترة الزمنية أو المسائل التي عالجها النص السابق، وهذا ما يمكن أن يكون الصورة المثلى لما نسميه (اتصال النصوص) حيث يُعَدُّ التذييل امتداداً للتأليف بعد النص السابق.

- التذييل المتداخل: هذا النوع من الذيول يستدرك على بعض ما فات النص الأصلي، ثمّ يتابع التغطية بعد نقطة الإغلاق التي توقف عندها[١].
- أشباه الذيول: توصف بعض الكتب بأنها كالذيل على نص معين، ويبدو أن مؤلّفها لم يوضّح مقصده من الذيل، ونجد مثالاً في الحديث عن كتاب: (دمية القصر وعصرة أهل العصر) للباخرزي (ت ٤٦٧هـ). فقد ذكر ابن خلكان: أن البيهقي (ت ٥٦٥هـ) وضع كتاباً سماه (وشاح الدمية) وهو كالذيل عليه[٢].
- الحلقات: هناك كثير من المؤلّفات يُكمل بعضها بعضاً بشكل أو بآخر، وقد يكون التلامس بين حدودها واضحاً أحياناً، رغم أنَّ مؤلّفيها لم يلتزموا في الأصل بأن يذيلوا على نصوص سابقة.
- إدماج النصوص: هو ذلك العمل التأليفي المزجي الذي يُعاد فيه تركيب وحدات النصوص، لإظهار بنية جديدة وتركيب متجانس لنص جديد، يغني وجوده عن الاستعمال المتفرق لنصوص كانت منفصلة مستقلة من قبل.
- استخراج النص: يُقصَدُ بالاستخراج استعادة كتابات أو أقوال لشخص ما كانت مبددة ومنتشرة في كتابٍ واحدٍ أو عدة كتب أخرى، ويمكن أن

(١) ينظر: كمال عرفات نبهان: عبقرية التأليف العربي، ص٢٥٣-٢٦٠.
(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١: ص٧٦١.

يتناول الاستخراج ما يلي:

١- نصاً قديماً أو أجزاء من النص القديم: فثمة نصوص كانت مُدوَّنة في صور مؤلَّفات كتبها صاحبها أو سَجَّلها تلاميذه، ولكنَّها بمرور الزمن انتشرت فصوصاً وانتشرت نصوصاً في مؤلّفات أخرى لمؤلفين آخرين، وفي صورة نُقُول أو استشهادات، ويمكن أن يطلق على هذه الحالة تصدع النص أو تشتته.

٢- أقوالاً وفتاوى واجتهادات: رُوِيَت عن صاحبها متفرقة ولكنّه لم يُسَجِّلها في نص مكتوب من قبل – وربما لا يعرف أنَّه ألّف كتاباً على الإطلاق – ولم يكن له إطار تدريسي أو تلامذة يدوّنون أقواله في مؤلّفات، ولكن ما رُوِيَ عنه يمثّل فكراً متميزاً، ومن النماذج البارزة في هذا المجال، استخراج وتجميع فقه عمر بن الخطاب من أقواله واجتهاداته المتفرقة في نصوص، ومؤلّفات كثيرة تُروى عنه[1]، وقد استُخْرِجَت بهذه الطريقة نصوص متعددة كانت في حكم المفقودة.

- الفرق بين استخراج النص وتحقيقه:

يختلف الجهد العلمي في استخراج النص عن فن آخر من فنون التأليف الذي يدور حول النص، فالتحقيق يقصد به إعادة إظهار النص الأصلي لأثر أدبي معين، بالاستعانة بمخطوط أو عدة مخطوطات لنسخ موجودة بالفعل للنص، حيث يبدأ محقّق النص من مرحلة تسمّى مرحلة التحقيق الابتدائي، لتشمل جمع النُّسخ المخطوطة المختلفة للكتاب، ومعرفة تاريخها ومقابلة بعضها ببعض، وذكر كلّ الاختلافات بينها واختيار الأقرب منها للصواب.

فالمحقق هنا لا ينقب عن شتات النص في مؤلّفات متعددة كما يحدث عند استخراج النص، وإنما يحاول أن يُكوّن ما يسمّى بشجرة العائلة التي تضمّ كلّ

(١) كمال عرفات نبهان: عبقرية التأليف العربي: ص٣٥٣.

النُّسخ الموجودة من مخطوطات لكتاب معيّن من أجل الوصول إلى الأصول الأولية والاقتراب بقدر الإمكان من النموذج الأصلي للكتاب، وإذا ما تعددت واختلفت النصوص، فالمحقق يحاول أن يجد نصاً حاسماً ليعتمد عليه.

الروابط المشتركة بين الداخليّة والخارجية:

حدث أحياناً أن تفككت مكونات نص واحد إلى عدة مختصرات كما حدث العكس عندما اجتمعت عدة نصوص طويلة في مختصر واحد، وفيما يلي بعض جهود المؤلفين في هذا المجال:

١- قد يعمد المؤلّف إلى واحد من كتبه، فيخرج منه عدة مختصرات كلّ منها في موضوع معيّن مثلما فعل الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام، فقد اختصر منه مختصرات منها (العبر) و(سير أعلام النبلاء) و(طبقات القرّاء) وغير ذلك[١].

٢- قد يقوم المؤلّف بتلخيص عدة أعمال له ويجمع كلّ التلخيصات في نص واحد.

٣- قد يقوم شخص غير المؤلف، بتلخيص عدة أعمال لمؤلف معين، ويجمع تلخيصاته في نص واحد.

٤- قد يحظى النص الواحد بعدة تلخيصات يقوم بها أشخاص مختلفون في عصور وبيئات ومن أمثلة ذلك (تاريخ الإسلام) للذهبي، فقد حدث له الاختصاران التاليان:

أ. مختصر تاريخ الإسلام للذهبي: الغزي (ت ٧٩٢هـ).

ب. مختصر تاريخ الإسلام للذهبي: ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

٥- قد تلخص عدّة أعمال لمؤلّفين متعددين في موضوع معين، وتوضع التلخيصات في كتاب واحد، مع احتفاظ كلّ تلخيص بهويته واستقلاله

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١: ص٢٩٥.

وتمثيله للنص الأصلي.

٦- قد يحدث تلخيص مزجي لعدة أعمال، لعدة مؤلّفين، وتستوي التلخيصات في نص واحد، ينسب إلى مؤلّف التلخيص. وكان ذلك يتمّ ضمن هدف محدد يعبر عنه إبراهيم بن وهب وجمعته في مواضع منه ما فرقوه ليخفَّ بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والإيضاح فهمه[١] وقد نتج عن ذلك كثير من المؤلّفات.

البناء على النص:

يُعَدُّ البناء على النص شكلاً ثالثاً من أشكال التأليف التكميلي، الذي شمل من قبل الاستدراك والتذييل. والبناء هذا هو طريقة من التأليف لجأ إليها بعض المؤلّفين، عندما اتخذوا نصاً معيناً كأساس لبناء كتاب جديدٍ عليه.

فهو احتواء النص الجديد لنص سابق، مع تنمية وتطوير وإضافة يقوم بها مؤلّف النص الجديد، ويشمل ذلك أساساً إضافة معلومات وبيانات جديدة، كما يشمل تطويراً أو تغييراً في طريقة عرض المعلومات أو تنظيم الوحدات المعرفية، في حالة الكتب المرجعية كالمعاجم وغيرها.

ويتفق هذا مع نظرة القدماء إلى النصوص كركائز للتواصل العلمي والتأليفي، وأسس البناء الجديد. فذلك جانب ما شهدناه من حرص في بعض الأحيان على الاحتفاظ ببعض النصوص والإبقاء عليها. ومحاولة تكملة نواقصها من الداخل بتأليف المستدركات، أو السعي إلى مواصلة التكملة من خارجها[٢].

ولقد سبق وصف الاستدراك بأنه يمثّل في التأليف العربي ظاهرة (تكامل النصوص)، ووصف التذييل بأنه يمثّل ظاهرة (اتصال النصوص)، أما البناء

(١) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، (دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٨٣م)، ص٩٣.
(٢) كمال عرفات نبهان: عبقرية التأليف العربي، ص٢٨٠.

على النص، فهو يمثّل ظاهرة ثالثة هي (تنمية النصوص).

فالنص القديم يندمج في كيان جديد، مضافاً إليه رصيد ضخم من المعلومات، وكأنه طبعة جديدة من النص القديم، يتمّ إعدادها أحياناً بعد وفاة المؤلّف الأصلي بقرون عديدة. فمن المعروف في الخصائص المثلى للذيل، أنه يلامس النص الأصلي عند نقطة انتهائه ثمّ يكمله لما ينقصه من الداخل، ولكن بعض الذيول تجاوز دوره، وأصبح يلتهم النص الأصلي كلّه ويحتويه ثمّ يضيف إليه، ولا يمكن أن نعتبر النص الجديد استدراكاً أو تذييلاً بل هو بناء جديد على النص القديم، ومعنى ذلك أن البناء على النص قد يشمل ضمن أبعاده الواسعة، أشكالاً من الاستدراكات والتذييل.

النتائج:

من خلال كلّ ما تقدم توصّلنا إلى عدة نتائج منها:

١- للوصول إلى النسخة الأم في تحقيق المخطوطات يتطلب دراسة علمية جديدة لنسخ المخطوط الواحد وهي دراسة تأصيل النسخ مع الأخذ بمناهج التحقيق المتعارف عليها.

٢- إذا كان النص أو جزء من النص مفقوداً فعلى المحقّق الرجوع إلى الأصول والفروع لتحقيق النص الكامل كما أراد له مؤلّفه.

٣- إنَّ العلاقة بين مؤلّفات المؤلّف الواحد يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وعلى محمل الجد من قبل المحققين.

٤- المؤلّفات المترابطة كالشروح والتذييل والمختصرات والإدماج وغيرها مهمّة في تحقيق النصوص.

المصدر: مجلّة آداب الفراهيدي: مج١٤، ع٥١، أيلول ٢٠٢٢م، القسم الثاني.

أدوات كتابة المخطوطات وطرق حمايتها

دراسة في مقتنيات

العتبتين الحسينية والعباسية المشرّفتين

أ.م.د. غالب ياسين فرحان

م.م. إسراء نجم عبد الرضا

المستخلص:

تُعد المخطوطات مادة علمية للدراسات والبحوث بهدف التعرف على الحضارات السابقة، وعلى علومها، وفنونها، وصناعتها بين أفراد تلك الأزمنة، وإنّ تهيئة هذه الدراسة؛ لمعرفة المسائل المهمّة المرتبطة بكتابة المخطوطات. وبالنظر لظهور وتطور صناعة الورق اليدوي في الورش وأيضاً صناعة الأغطية الخشبية، والكارتونية، والجلدية عند معالجي المخطوطات لذلك نجد أن تاريخ هذه الصناعات والفنون هي قيد البحث والمراجعة عند أصحاب الصناعات والحرف عن طريق المخطوطات.

إن قلّة المصادر التي تتكلم عن أدوات المخطوطات جعلنا نعتمد في بحثنا هذا بشكل كامل على الزيارات الميدانية لخزنة المخطوطات في العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية للحصول على المعلومات، وما يهم أن نبينه أنّ بحثنا هذا ميداني في مقتنيات الخزانات والمتاحف الملحقة بالعتبتين؛ لذا جاءت مصادره قليلة جداً بل أننا أوجدنا مصدراً لواقع مخطوطات العراق وطرق كتابتها وما كتبت عليها آنذاك في المدة الممتدة من القرن العاشر حتّى القرن الثالث عشر للهجرة.

Abstract:

Manuscripts are a scientific material for studies and research in order to identify the previous civilizations and their sciences, arts and crafts among the members of those times, and the preparation of such a study is an effort to know the necessary and important issues associated with the tools of writing manuscripts. In view of the emergence

and development of hand-made paper industry in the workshops, as well as the manufacture of wood, cardboard and leather coverings in manuscript processors, we find that the history of these industries and the arts are under review and review by the owners of industries and crafts through manuscripts.

The lack of resources that speak about the tools of the manuscripts made us rely in this research on the full field visits to the treasury of manuscripts in the walls of the holy Husseiniya and Abbasid to obtain information, and what is important to show that this research field in the holdings of reservoirs and museums attached to the thresholds. We have established a source for the reality of the

manuscripts of Iraq and the methods of writing and its time in the period from the tenth century to the thirteenth century of migration.

المقدمة:

بالنظر لدور وتأثير العلماء المسلمين في اتساع وتطور وإكمال العلوم المختلفة كالرياضيات والنجوم، والطب والكيمياء والأدب العربي والعلوم الإسلامية بشهادة آثارهم العلمية الباقية في مجال المخطوطات وبالنظر لخبرة اصحاب الفن والصناعة المسلمين في تصميم الكتب وانتاج ونسخ مخطوطات من القرن الثاني الهجري فصاعدا بالأخص القرن الثالث والرابع الى القرن الثالث عشر الهجري

حيث من المنتظر أن تكون هناك مكانة خاصّة عند العلماء المسلمين حول البحوث المختلفة في معرفة الكتاب ومعرفة المخطوطات والارتباط الوثيق مع الآثار العلمية والمخطوطات المتبقية لعلمائنا، إنّ انشاء فهرس للكتب في القرن الرابع والخامس الهجري كفهرس ابن نديم وفهرس الشيخ الطوسي وفهرس النجاشي في القرون الماضية.... الخ من الفهارس القديمة يُعد الأساس في معرفة المؤلّفات القديمة. بالنظر لتشتت المخطوطات العربية في الدول المختلفة في العالم واتساع علوم الكتاب ونقل المعلومات واتساع مراكز المعلوماتية وتأسيس المكتبات الرقمية، من الضروري تهيئة بحوث حول معرفة المخطوطات والكتب الخطية بصورة علمية والاستفادة من بنوك المعلومات ومجالات الضمان الرقمي، في هذا المجال يجب تدريب اشخاص متخصصين في الجامعات ليستطيعوا أن يساهموا بالسرعة الممكنة وبذل الجهد لأجل تهيئة وتعريف المخطوطات الموجودة في المراكز المتعددة في داخل وخارج الدولة.

إن هذه الدراسة، هي جهد في سبيل معرفة المسائل الضرورية والمهمّة المرتبطة بادوات كتابة المخطوطات، والمحافظة عليها.

وتعد المخطوطات مادة علمية للدراسات والبحوث بهدف التعرف على الحضارات السابقة والعلوم والفنون والصناعة بين افراد تلك الأزمنة يشير الانتاج الفيزيائي للكتاب بشكل مخطوط بيد العلماء لكل بلد وفحوى موضوعات المخطوط، في التاريخ العلمي والثقافي وأيضا تاريخ العلوم الأخرى عند كلّ دولة. بالنظر لظهور وتطور صناعة الورق اليدوي في الورش وايضا صناعة الأغطية الخشبية والكارتونية والجلدية عند معالجي المخطوطات، فإن تاريخ هذه الصناعات والفنون هي قيد البحث والمراجعة عند أصحاب الصناعات والحرف عن طريق المخطوطات. ويمكن القول إن المدارس

العراقية، ولا سيّما جامعة كربلاء، بالأخص كلية التربية قسم التاريخ الإسلامي كانوا يمتلكون موضعاً خاصاً بين المحققين في البحث عن أهميّة المخطوطات، وأدوات كتابة المخطوطات، ومعالجة وتصميم المخطوطات وفهارسها. فمن الضروري المحافظة وحماية هذه الوثائق الباعثة للفخر، ليتمكن الباحثون من الاستفادة من هذه الوثائق بقيمة تاريخيه في بحوثهم المختلفة.

إن قلة المصادر التي تتكلم عن أدوات المخطوطات جعلتنا نعتمد في البحث بشكل كامل على الزيارات الميدانية لخزينة المخطوطات في العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية للحصول على المعلومات، واعتمدنا على محاضرات البروفيسور الدكتور زمان عبيد وناس وهو من الأساتذة المحققين للمخطوطات في جامعة كربلاء، وله أثر واضح في التحقيق، وكونه أنجز دراسة عن أدوات كتابة المخطوطات في مؤتمر علمي، وما يهم ان نبينه ان بحثنا هذا ميداني في مقتنيات الخزانات والمتاحف الملحقة بالعتبتين؛ لذا جاءت مصادره قليلة جداً، بل أننا أوجدنا مصدراً لواقع مخطوطات العراق وطرق كتابتها وما كتبت عليها آنذاك في المدة الممتدة من القرن العاشر حتّى القرن الثالث عشر للهجرة.

المبحث الأول: أدوات كتابة المخطوط

المخطوطات بمعناها الواسع هي أعلى انتاج علمي وفكري انطلق في مرحلة التدوين قبل ظهور فن الطباعة والمطابع، وتعدّ المخطوطات الارث الحضاري الذي يعكس ثقافة الامة، إن أوجه علم المخطوطات الخاص بالمهارة والمعرفة يتمّ من خلالها عرض المخطوطات ووصفها من جوانب مختلفة. إن الباحث أو المختص في علم المخطوطات يكون ذا خبرة في وصف المخطوطات، والاعتراف بمضمون المخطوطات وميزات أخرى مثل نوع الخط ونوع الورق وتاريخ

النسخ والزخارف وغيرها من المواد والصفات المادية المميزة للمخطوطات. وقد وضع المصنفون تعريفاً لمصطلح علم المخطوطات، يتناول المظهر والسمات المادية للمخطوطة، الذي يتصف بالنشاط العملي والتجريبي. وفي الواقع إن المتغير من المعلومات لنسخ عديدة ضمن مخطوطة محددة، تغطي قضايا من قبيل نوع الربط والورق، ونوع الخط، وتاريخ ومكان الكتابة، والكاتب، فضلاً عن عدد أوراق الصفحة، والهوامش وترتيب، الطبعة والتدقيق حيث توجد لكل نسخة من المخطوطة ميزات خاصّة تختلف بين مخطوط وآخر. كما إن طريقة جمع نسخ عديدة من عنوان مخطوطة معينة لمكتبات كبيرة تتبع هذا التعريف أيضاً حيث تبيّن الاختلافات والميزات لكل مخطوط مقارنة بمثيلتها، وهذه الطريقة ساعدت الباقين في معالجة ما يصيب المخطوط في طمس أو تلف والذي يقع فيه أي كاتب من الكتاب.

أدوات الكتابة:

تعد صناعة الورق من الصناعات المهمّة في تاريخ امتنا إذ لعبت دوراً مهماً في ايقاظ البشرية، لتدوين علومها وآدابها وفنونها، ولقد أشارت المصادر القديمة إلى أن الطين كان أوّل مادة استخدمت في الكتابة، وتوالت الأحقاب التاريخية وبمواكبة التطور اكتشفت المعادن فظهر النحاس، الذي استخدم في الكتابة والنقوش وتلاه الحجر وهو أبقى من الطين؛ لأنه أثقل وزناً فكان العزوف عنه سريعاً، ثمّ كتب بالخشب وورق الشجر، ثمّ دبغت الجلود فكتب الناس عليها.

أولاً: الجلود والرقوق[1]: هي الأكثر استخداماً في كتابات العرب قبل البعثة، وكذلك بعد البعثة وأن ثمنها العالي حد من استعمالاتها، وانحصر

(١) الرقوق: هي عادة تأخذ من جلود الحيوانات بعد أن تجرى عليها عمليات كيميائية حيث تدبغ بالنورة. للمزيد ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة رقق، ج٣، ص٢٤٣.

استخدام الجلود في نسخ القرآن، والوثائق الرسمية، والعقود، وصعوبة الكتابة على الجلود كان أمراً واضحاً قبل الدباغة الكوفية التي استطاعت هذه الدباغة تحسين طرق معالجتها للجلود وكانت تدبغ الجلود بالتمر من أجل إضافة مرونة لها[١].

ثانياً: القرطاس: هو الصحيفة التي يكتب بها، ويعرفه ابن منظور بقوله: القرطاس معروف يتخذ من البردي ويكون بمصر، والقرطاس والقراطيس والقرطيس هي الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، وهي من أدوات الكتابة قديماً[٢].

ثالثاً: الكاغد أو الورق: الكاغد بفتح الغين لفظة فارسية عربت، تتواشج معانيه مع لفظة قرطاس والورق عند الفيروز آبادي، والكاغد يتخذ صفة البياض ويصنع من أدم أو قطن أو كتان، والورق من أوراق الشجر والكتّان، وعلى ما يبدو أن مسألة الاستخدام اليومي للورق أصبح يأخذ المعنى الأعمق للاصطلاحين فالكاغد هو الأسبق في التداول والاستخدام، وعند العراقيين يعنون به الورق الأسمر حصراً، ويعود الفضل في معرفة صناعة الورق إلى الصين، وكان الورق الصيني قد عرفة التجار العرب واستوردوا منه كما موضح في الشكل في صورة رقم ١ و٢).

(١) خير الله سعيد: الوراقة والوراقون، ط١، الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ٢٠١١م، مج٢، ج٣، ص١٥-١٩.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة قرطس.

صورة رقم (١)

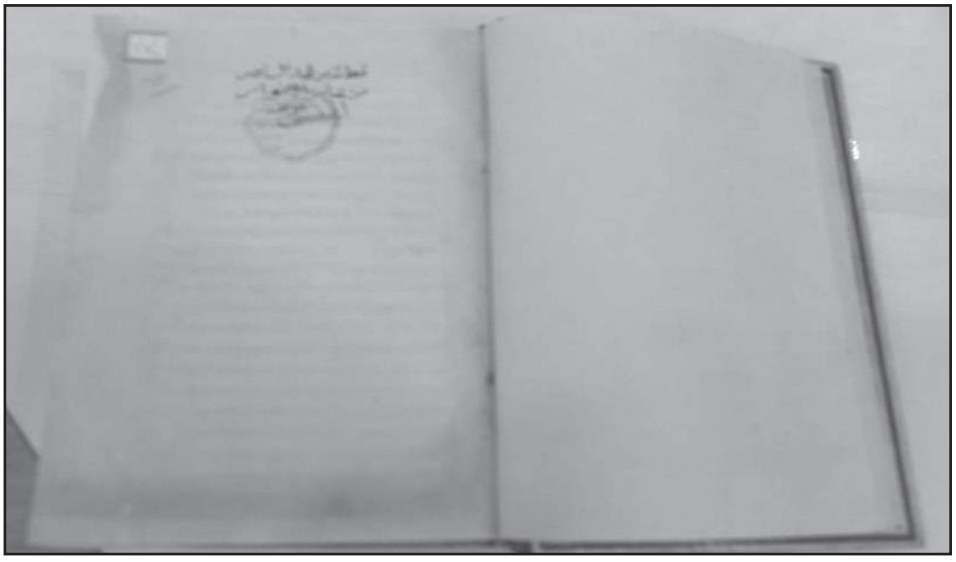

صورة رقم (٢)

كما كان لمدينة سمرقند الفضل الأكبر في صناعة الورق الإسلامي إذ كانت مدينة إسلامية صنع فيها الورق[١].

رابعاً: الورق البغدادي: يمكن تحديد الفترة التي ظهرت فيها صناعة الورق في بغداد في العصر العباسي فقد أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي (ت ١٩٣هـ)، مصنعاً للورق في بغداد ولما تسلم أخوه جعفر بن يحيى الوزارة في أيام الرشيد

(١) خير الله سعيد: الوراقة والوراقون، ج٣، ص٢٦.

أحل الورق محل الرّق في دواوين الدولة، لانتشار حركة الكتابة والترجمة بشكل واسع في العصر العباسي، ويعد الورق البغدادي من أجود أنواع الأوراق آنذاك؛ بسبب ادخال مادة القنب الأبيض في صناعته ممّا زاد من جودة الورق، وانتقلت صناعة الورق الى بلاد الشام، أنشئت فيها معامل صنعت انواعاً نفيسة من الورق، ثمّ انتشرت صناعة الورق في جميع الأمصار الإسلامية وبجودة عالية[١].

وتختلف المخطوطات في الدرجة الأولى في لون أوراقها، فهناك أنواع مختلفة من أوراق المخطوطات في البلدان الشرقية والغربية استنادا إلى خصائصها. على سبيل المثال ذكر ابن النديم ستة أنواع من الأوراق فمنها الفرعونية والسليمانية والجعفرية والطاهرية والنوحية والطلحية. وكانت الأنواع المعروفة تسمّى باسم الخراساني وذكرت الأخبار القديمة من عصر ابن النديم (القرن الرابع الهجري) إلى عصر القلقشندي (القرن التاسع الهجري) في كثير من الأحيان أن الأنواع المختلفة من الأوراق الخاصّة بهم كان يتمّ انتاجها باستثناء الوصف الجزئي والمحدود حول ملامح هذه الأوراق، وهناك مواد أخرى تحدد هيكلية الأنواع المختلفة من الأوراق في الكتابات القديمة التي كانت مكتوبة ويمكننا أن نستشهد حول ذلك من خلال وصف أنواع الأوراق، في النصوص التاريخية المختلفة «من فهرس ابن النديم الى صبح الأعشى بوساطة القلقشندي والنصوص المكتوبة في وقت لاحق»[٢] إذ ذكرت خصيصتين من الملامح العامّة من أجل التمييز بين الأوراق:

١- القوة والمتانة.

٢- نعومة الورقة من السطح جنباً الى جنب الألياف في الورقة ولون الورق: أبيض أو أسمر.

(١) خير الله سعيد: موسوعة الوراقة والورّاقين، ج٣، ص٣٣.

(٢) المصدر السابق: ص٩-٣٦.

واستناداً الى الخبرات التي اكتسبها العاملون لسنوات عدة في مجال المخطوطات؛ فضلاً عن تجارب في المخطوطات، وأيضاً المعلومات حول الخصائص العامّة للأوراق المختلفة التي كانت منتشرة في مختلف الموارد الأدبية أو التاريخية والتي تبيّن ملامح بعض الأنواع من الأوراق إذ كانت تستخدم معظمها في فنون زخرفة المخطوطات.

خامساً: أنواع الأقلام وتطورها: يرجع استخدام الأقلام في الكتابة إلى العصر السومري القديم إذ كانوا يستخدمون الحديد والخشب ويضغطون به على الطين فترسم الحروف أو الخطوط، وكان للقلم عندهم أشكال، مثلث ومربع، وثقيل وخفيف وغيرها من الأشكال.

وذكر اسم القلم بالقرآن الكريم إذ قال تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[1]، وإن القلم قبل بريه يسمّى قصبة ولا يسمّى قلماً حتّى يبرى وتصنع الأقلام من مواد عديدة منها القلم الصخري الذي يصنع من الصخور، والقلم الحديدي الذي يشبه الريشة كما في صورة رقم (٣).

صورة رقم (٣)

(١) سورة القلم: الآية (١).

قلم القصبة: ويكثر في المناطق الزراعية وقرب الأنهار أي في المناطق التي يكثر فيها القصب وصنعت بعض الأقلام من عظام الحيوانات كما استخدم العرب المسلمون الريشة (ريشة الطاووس) في الكتابة بعد اكتشاف الأحبار، وفي صدر الإسلام استخدم العرب المسلمون القلم في كتاباتهم في بداية الأمر عن طريق حرق عود الشجر وبعد اطفاء رأسه أسود ثمّ خلطه بالصمغ العربي حتّى يصبح مطوعاً للكتابة به على الأدم. ولكن هذه الطريقة تحمل مساوئ كثيرة؛ إذ يمكن محو ما يكتب بسهولة. كما في (الصورة رقم ٤).

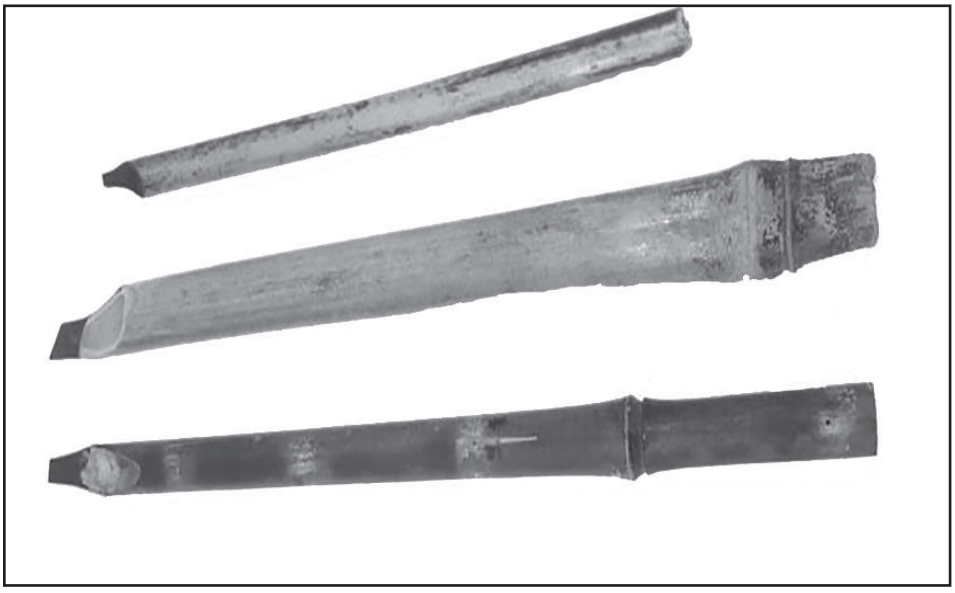

صورة رقم (٤)

سادساً: أنواع الأحبار وصناعتها: الحبر هو مادة سائلة ملونة تستخدم في الكتابة على أسطح مختلفة مثل البردي والورق والرق، واستخدم الحبر، لتوثيق الأحداث المختلفة وكذلك لتطبيق التصاميم الفنية منذ أقدم العصور[١] والحبر أو المداد هو سائل يحتوي على مواد ملونة، أو صبغة تستخدم في الكتابة على

(١) د. مراد فوزي محمد ومها أحمد علي: جزء من محاضرة في ترميم المخطوطات، كلية الآثار، جامعة القاهرة.

مسطحات مختلفة من الورق، أما المواد الملونة فهي عبارة عن جزيئات ملونة قابلة للذوبان في الوسيط وتكون حبراً جاهزاً كما في الصورة رقم (٥).

صورة رقم (٥) أحبار سائلة

أما المادة الأساسية التي كان يستخدمها العرب في الكتابة فهو خلط الصمغ العربي بالمادة الملونة أو الحبر الكاربوني، أو الحديدي من أجل تثبيت الكتابة في المادة الحاملة (الورق والرق) كما في الصورة رقم (٦).

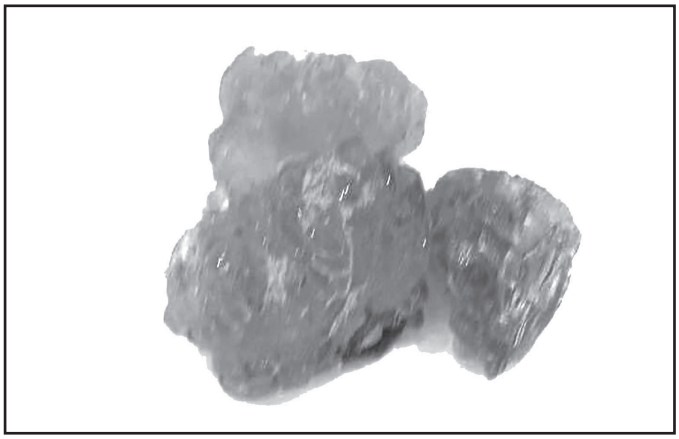

صورة رقم (٦) الصمغ العربي

ومن أشهر أنواع الأحبار:

١. الحبر الكاربوني: وهو أقدم أنواع الأحبار التي استخدمت في الكتابة،

استخدمه العراقيون القدماء والمصريون على الورق الكاغد، والكارتون، وورق البردي، ويتكون من: مادة سوداء هي عبارة عن السناج، أو الهباب اللمبة، أو مسحوق الفحم، أو العظام، ورابطة وهي الصمغ العربي ومادة مذيبة وهي الماء في الغالب كما في الصورة رقم (٧)، ومن عيوبه بعد أن يجف يميل إلى الانفصال على شكل قشور، كما يتأثر بالجو والرطوبة، ولا يتأثر بالضوء.

صورة رقم (٧) الحبر الكاربوني

٢. الحبر الحديدي: استخدم هذا الحبر في العصور الإسلامية بسبب سهولة استخدامه فهو يتكون من (جوز شجرة البلوط، أو ورق البلوط، أو لحاء السنط) ومحلول كبريتات الحديدوز وهي مادة توجد في الطبيعة على هيئة ملح. يضاف اليه الماء، أو الخل كمادة مذيبة ويكون في بداية الأمر أسود لكن بعد فترة يميل لونه الى البني نتيجة الأكسدة، ويمكن دمجه بالحبر الكاربوني. وهو مقاوم للتعفن والبكتيريا، لكن يتسبب في تآكل الأسطح؛ بسبب

حامض الكبريت[١].

٣. كما استخدمت الأحبار الملونة الحمراء، والخضراء، والصفراء، والزرقاء، والبيضاء، والذهبية، في تلوين المخطوطات منذ أقدم العصور الإسلامية عن طريق تحضير عجينة ملونة مثل مادة الخشب، يضاف إليها الصمغ العربي ويكون اللون الأحمر، وبمرور الوقت يصبح بنياً محمراً، أو أحمر قرمزياً ويحضر من طحن الاجسام الجافة من حشرة القرمز، أما اللون الازرق وهو صبغة طبيعية يمكن استخراجها من نبات النيلة هندية الأصل، إضافة الى خلط بعض المعادن للحصول على الوان مختلفة تدمج مع الصمغ العربي وتستخدم في الكتابة كما في الصورة رقم (٨).

صورة رقم (٨)

٤. استخدام الذهب في الكتابة من خلط مسحوق الذهب وبعض الأحماض، أو المواد الملونة، أو الصبغ مثل الزعفران، أو استخدام شرائح الذهب الرقيق[٢] وهناك مصفاة معدنية مخروطية الشكل تصفي الأحبار والألوان

(١) خير الله سعيد: الوراقة والورّاقين، ج٣، ص١٨٩.

(٢) مقابلة مع الخبير في الأحبار والايبرو الأستاذ مناف لطيف التميمي في دار المخطوطات للعتبة

كما في الصورة رقم (٩).

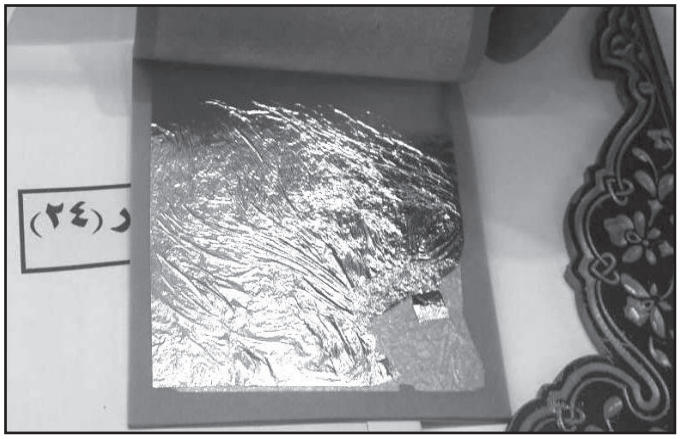

صورة رقم (٩)

سابعاً: المحبرة: وهي قوارير من الخزف، أو الخشب، وتصنع من الفخار، أو الزجاج، أو تصنع من الذهب والفضة، أو من المعادن توضع داخل محفظة معدنية يوضع فيها الحبر في أثناء الكتابة. كما في الصورة رقم (١٠ و١١ و١٢).

صورة رقم (١٠)

الحسينية المقدسة.

صورة رقم (١١)

صورة رقم (١٢)

ثامناً: الليقة: إناء صغير توضع فيه قطعة من الحديد أو الكتان يضع الكاتب فيه القلم بعد إخراجه من المحبرة؛ لتسحب قطعة الكتان الفائض من الحبر قبل الكتابة وهي ثلاثة أنواع احدهما مصنوعة من الحجر، والثانية من الفخار المزجج والثالثة من المعدن داخل حافظة زجاجية كما في الصورة رقم (١٣).

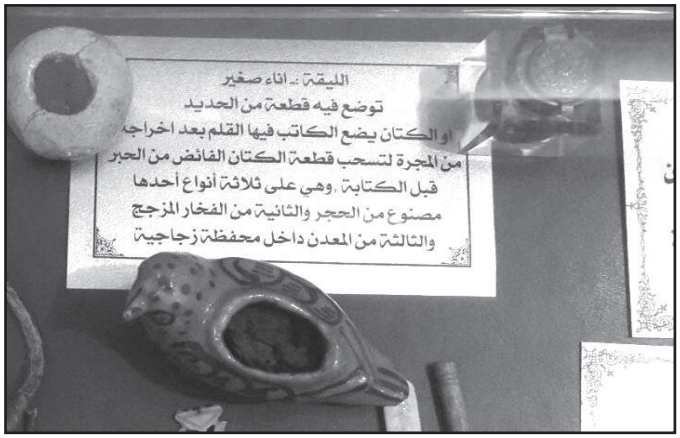

صورة رقم (١٣)

تاسعاً: المقلمة: وهي المكان الذي تحفظ فيه الأقلام المصنوعة إما من الخشب المطلي باللاكية[١]، أو من النحاس ومطعمة بالأحجار الكريمة من مقاصف ومثاقب، ودبوس، ومطرقة تستعمل غالباً في تجليد المخطوط كما في (الصورة رقم ١٤ و١٥).

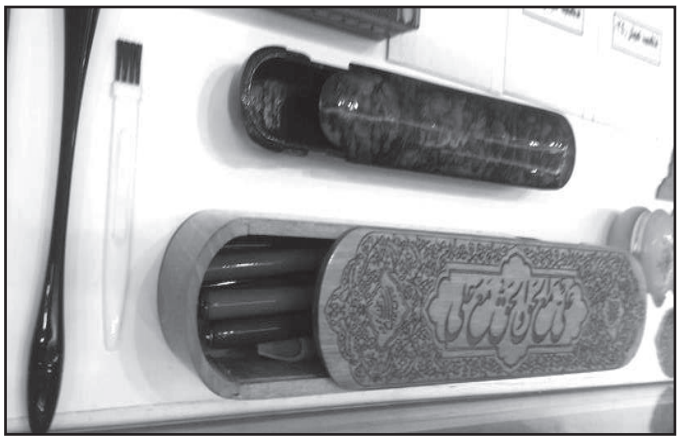

صورة رقم (١٤)

(١) اللاكية: عبارة عن طبقة يتمّ دهان الخشب والخزف والمعادن بها، ويتميز اللاكية بأنه طبقة عازلة ويضيف لمعان ورونق للأخشاب أو المعادن المدهونة به، كما أنه يستخدم في عزل الأسلاك الكهربائية.

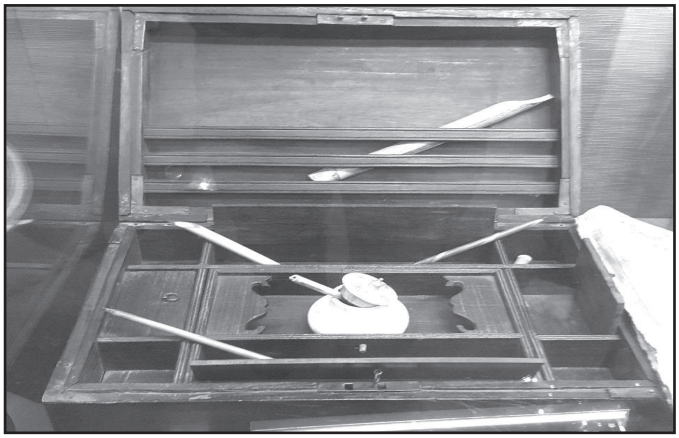

صورة رقم (١٥)

عاشراً: الملاعق والملاقط: وهذه الملاعق تستخدم في تحديد كمية الحبر وهي أيضاً خاصّة بمواد الكتابة وتصنع غالباً من المعدن. كما في (الصورة رقم ١٦ و١٧)، وتستخدم بعض الأحجار الكريمة لدعك وتذهيب المخطوط ليكون براقاً، وتحتوي على (محك آلة لفحص الذهب، ومقط أو براية، آلة لقطع الأقلام)[١].

صورة رقم (١٦)

(١) خير الله سعيد: الوراقة والورّاقين، ج٣، ص١٧٢.

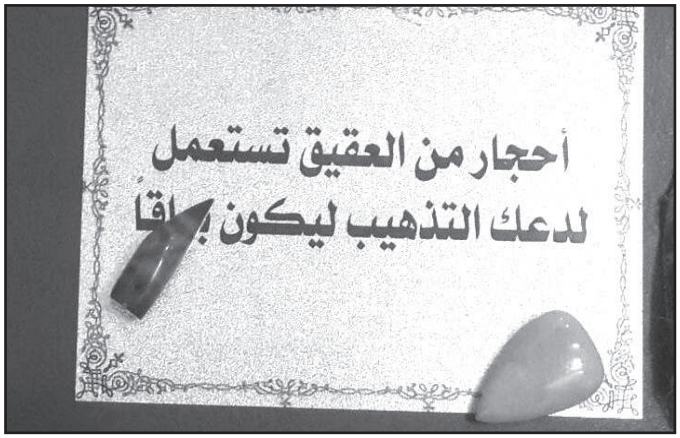

صورة رقم (١٧)

المبحث الثاني: حماية المخطوطات والمحافظة عليها وترميمها

يتم المحافظة على المخطوطات كالكتب الخطية الثمينة في المكتبات؛ لأنها من النفائس وترجع الى العصور القديمة ويتفرد المختصون بهذا الشأن في الجوانب الفنية الخاصّة في المخطوطات كانت المخطوطات منذ القدم تصان ويتمّ المحافظة عليها عن طريق خزنها في المكتبات الملكية في مجموعات منفصلة، أو عن طريق تسليمها إلى الاشخاص المختصين. عادة تكون المخطوطات القديمة بالية وهشة بسبب مهاجمتها من قبل حشرات مختلفة، أو تعرضها لأشعة الشمس أو الرطوبة. توجد أيضاً بعض أجزاء المخطوطة من الأوراق ممزقة، أو مشتتة، أو مفقودة. ومع ذلك، لكل ورقة من المخطوطة قيمة فريدة من نوعها ذاتيا. ينبغي المحافظة على المخطوطات في أكداس خاصّة والكثير منها بحاجة إلى الترميم. إن ترميم المخطوطات بصورة دقيقة، والمحافظة عليها، ومعالجتها وأيضاً المحافظة على التهوية الجيدة في أماكن الخزن في ظروف درجة حرارة ورطوبة سليمة، فضلاً عن كمية الضوء المناسب، كلّها عوامل تساعد في عدم تعرض المخطوطات لظروف ميكانيكية، وكيمياوية معينة وتحافظ على إعداد

المخطوطة ومعالجتها بشكل جيد ينبغي المحافظة على هذا التراث من النفائس جراء تعرضها لأية اضرار محتملة أو خطر معيّن وذلك من خلال أنواع مختلفة من الأنشطة العملية والعلمية تجد أكثر الأنشطة وضوحا في المكتبات التالفة حيث تجري هناك جهود؛ لإحياء المخطوطات والمحافظة عليها منعا لأي تدهور قد يحصل.

الأنشطة الأخرى توجد في المكتبات الشخصية التي قد تتعرض لأسوء الظروف؛ بسبب عدم تهيئة مكان مناسب وظروف مناسبة لحفظ المخطوطات. إن أفضل خيار لمعالجة ذلك هو نقل هذه المخطوطات من المكتبات الشخصية إلى المكتبات الكبيرة والعامّة المجهزة بظروف الحماية ويمكن أيضاً في حالة عدم رغبة شخص معيّن بنقل مكتبته الشخصية إلى العامّة، اقراض مخطوطاته بالاتفاق مع المكتبات العامّة لغرض الحفظ والحماية المناسبة. ولذلك هنالك جهود كبيرة وفعالة من قبل المكتبات الكبيرة؛ لصيانة مخطوطات المكتبات الشخصية.

ومن الجهود الأخرى عمل وإنتاج نسخة من المخطوطات على شكل أفلام مايكرو فلم لعمل نسخ احتياطي دائم لها، وأيضا توظيف المعدات والاجهزة الرقمية الحديثة ذات الجودة العالية في المسح الضوئي باستخدام (ماسحات الكتب) وخزن الصور في أرشيف رقمي وتقديمها إلى الباحثين عن طريق نسخها في أقراص مدمجة بصورة عامّة يجب فحص المخطوطة لمرة واحدة في السنة على الاقل (خاصّة المخطوطات الثمينة والفريدة من نوعها) إذ بمرور الوقت تصبح معظم الصفحات في هذه المخطوطات ممزقة أو مكسورة وباهتة الحبر. وإن التصوير المتكرر لأوراق المخطوطة قد يسبب أضراراً في المخطوط.

المحافظة والحماية:

وكما ذكر من قبل، ومن خلال العودة الى تاريخ المخطوطات في القرنين

الثالث والرابع والقرنين الثالث عشر والرابع عشر من الهجرة (القرن التاسع والعاشر والقرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد)، كلّ واحد من العناصر المشتركة كان مزدهرا، بدءا من الورق والحبر إذ يغطي كلّ المخطوطة ومن الواضح أن تكون متهالكة؛ بسبب مرور السنين عليها. يمكن منع المزيد من الضرر من خلال تحديد عوامل التدهور والتفكير في الحلول المناسبة لإصلاح الاضرار السابقة باستخدام الاساليب العلمية والتقنية والادوات اللازمة وهي مسؤولية كبيرة من الضروري الحفاظ عليها من خلال ما يلي:

أولاً: خزن المخطوطات في ظروف ملائمة تستوفي درجات الحرارة، والرطوبة، وخالية من أي معايير التلوث.

ثانياً: ينبغي أن تؤخذ بعض القياسات للحفاظ على المخطوطات التي تعرضت للتلف وحتّى الأوراق التي على وشك أن تتحلل وتتحول الى مسحوق. وبعض هذه القياسات هي كالآتي:

أ. قبل القيام بأي شيء فإنه من الضروري تعقيم المخطوطات بغازات ومواد كيميائية مناسبة. وبهذه الطريقة سنتخلص من جميع أنواع الآفات، والعفن، الموجودة من بين الأوراق إذ يتمّ إزالتها وتصبح الأوراق أكثر قدرة على المقاومة بشكل دائم.

ب. انتاج نسخ احتياطية: فمن الضروري إعداد نسخة رقمية احتياطية لكل المخطوطات. ويمكن ذلك من خلال التقاط الصور للمخطوطات على شكل ميكروفلم، أو الصور، أو المسح الضوئي. إذ يتمّ تخزين النسخ الرقمية وتنظيمها في الذاكرة الرقمية، واخيراً يتمّ الحصول على مكتبة رقمية من المخطوطات يمكن استرجاع المعلومات منها بسهولة.

جـ. صيانة المخطوطات ويقصد بها الأوراق المعطوبة، أو غطاؤها، أو اربطتها. إذ يتمّ صيانة النصوص، والهوامش من الأوراق التالفة بالطرق الآتية:

– الصيانة بطريقة علمية وتقنية ونوعية لكل صفحة من صفحات المخطوط وهي من الطرق المهمّة والفريدة من نوعها.

– الصيانة العامّة العادية للكتب الخطية فضلاً عن ذلك ربط أوراق المخطوط بشكل يعزز ويكمل المخطوط من التلف وتغطى بعد ذلك.

د. توفير الظروف الملائمة للمحافظة عليها بعد صيانة المخطوطات إذ ينبغي المحافظة عليها في الأماكن المناسبة:

أولاً: تكون خالية من أنواع مختلفة من الجراثيم والآفات.

ثانياً: لا تسمح بزراعة الجراثيم في الأوراق بحيث تصبح أكثر قدرة على المقاومة في تلك البيئة، ولذلك ينبغي أن تكون مخازن المخطوطات:

– مطهرة ويتمّ ذلك بشكل دوري باستخدام غازات مناسبة للقضاء على الآفات والجراثيم.

– إخضاعها لنظام درجة الحرارة المحكمة (بين ١٩ الى ٢١درجة مئوية) وانتظام الرطوبة النسبية (بين ٥٠ الى ٦٠ بالمئة)[١].

صورة رقم (١٨)

(١) دراسة ميدانية داخل مختبرات صيانة المخطوطات في العتبة الحسينية والعباسية المقدستين ومقابلة الخبير في ترميم المخطوطات الأستاذ حسام عبد الله صاحب مرمم مخطوطات في مركز الامام الحسين عليه السلام للمخطوطات.

صورة رقم (١٩)

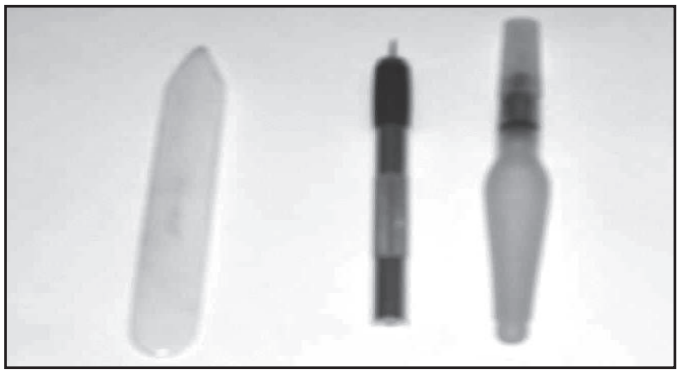

صورة رقم (٢٠) أدوات الترميم

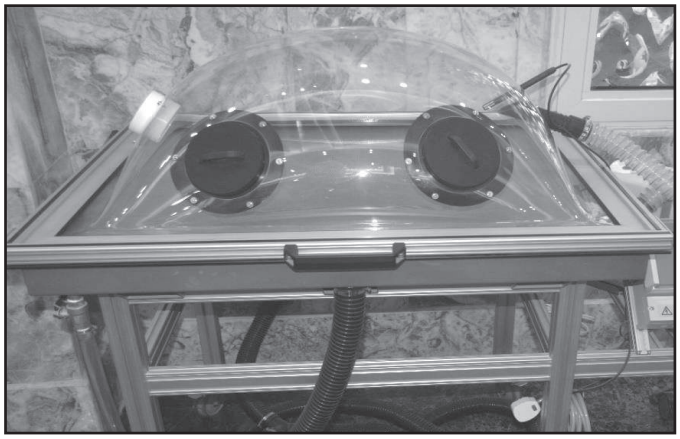

صورة رقم (٢١) جهاز الترميم

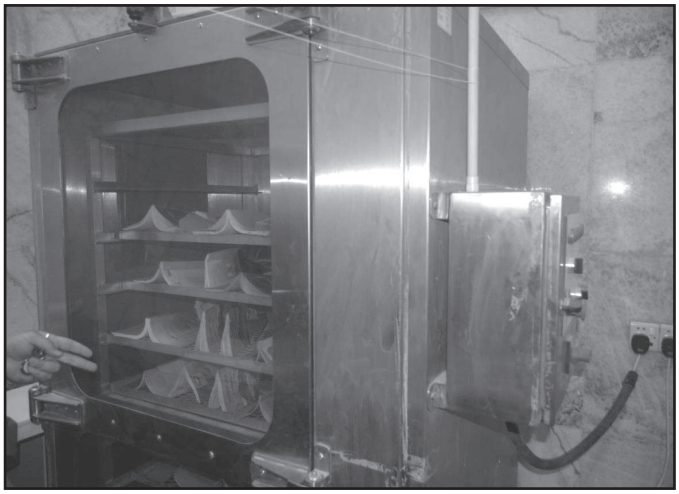

صورة رقم (٢٢) جهاز المعالجة من البكتريا والحشرات

المبحث الثالث

(الأغطية) والأنواع المختلفة من توثيق المخطوطات

بعد أن كتبت الأعمال العلمية للعلماء على الأوراق، والتي كانت ضعيفة مقابل الكوارث الطبيعية وبمرور الوقت حيث كانت تحتاج إلى حماية بغطاء أكثر تحملاً، لحفظ الاوراق. وقد اجتمع كلّ ذلك بحاجة مهمّة من قبيل جعل التوثيق بصورة وطيدة وصلبة، وجلد رقيق وقوي من جلود الحيوانات أو الكراتين المستخدمة في ذلك. ولذلك تمّ الانتهاء من فن صنع ملازم المخطوطات، وجعلها مغطاة بشكل جيد؛ لأن التوثيق والمحافظة على أوراق المخطوطة من الاضرار المحتملة ضرورية جداً، بمرور الوقت، ابتكر الفنانون مهاراتهم وفنهم بحيث أدى إلى انتاج قيمة يعمل عليها في الأنماط الفنية المختلفة. بعض هذه الاعمال هي توفير مجموعة من المخطوطات الثمينة في جميع أنحاء العالم حيث جلبت للمتاحف جمالاً في ذلك استخدمت مصطلحات خاصّة لأغلفة الكتب، كما أن بعض الفنانين قاموا بتغييرها وقد استخدم مصطلح الملازم، أو

الأغطية. وأهم شروط الاغطية هي: حالة القماش، ومحتواه والعمود، فضلاً عن الغطاء وممّا يشار إليه أن أفضل معايير تصنيف توثيق المخطوطات هي طبيعتها وجوهرها. ولكن البعض منها من المحتمل أن ينقسم على فرعين:

صورة رقم (٢٣) أدوات التغليف

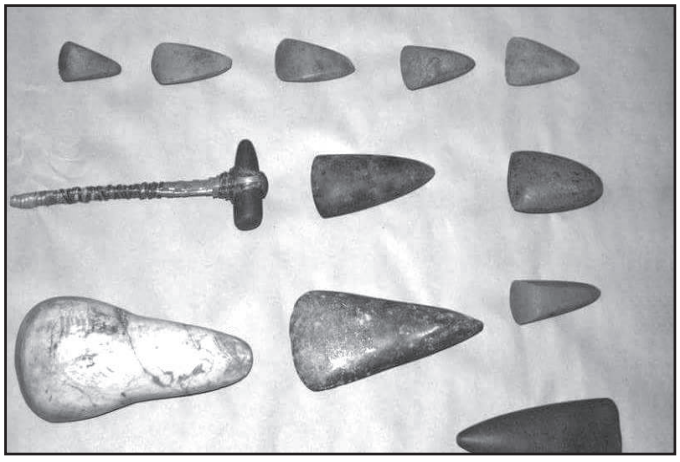

صورة رقم (٢٤) أدوات التغليف

صورة رقم (٢٥) قابضة للتغليف

الخشب: يكون مصنوعاً من الخشب المغلف الرقيق، بدلاً عن غطاء الورنيش والصبغ والنفط. واستخدم هذا النوع غالباً في تغطية القرآن الكريم.

الكرتون: يتكون من الورق المقوى الصنع إذ يغطى ملفوفاً بالجلود والقماش، والصبغ والنفط من أجل زيادة المتانة.

الجلود: وهو مصطلح عام يغطى من الجلود المصنوعة من الحيوانات المدبوغة. وتشمل الجلود:

١- جلد الماعز (تيماج): وهو جلد الماعز المدبوغ وتستخدم أكثر من غيرها في الأغطية الجلدية بشكل كبير.

٢- الصوف (ميشن): استخدم الصوف في حالات نادرة ضمن أغلفة الكتب، حيث تكون أغطيتها مصنوعة من الصوف المدبوغ هذا النوع من الجلود لين جداً وهذا هو السبب في بعض الاحيان لقلة استخدامها. يتمّ تثبيت الحواف للتوثيق أحياناً بشكل ملفوف مع جلود الماعز.

٣- سغري: قوي جداً ويدوم ويكون مصنوعاً من الجلد المدبوغ لارداف الحيوانات الأربعة من الساق ولاسيّما الحمير والخيول. وهذه الأغطية تكون بديلا عن السطوح الحبيبية.

القماش: ظهر في العصر الصفوي على بعض أغلفة الكتب، ويستخدم في تغليف الورق المقوى وتوثيقه. ويستخدم أحياناً مع بعض الجلود المستخدمة لجعل العمود والزوايا أكثر وثاقة وقوة. وينقسم القماش الى أنواع مختلفة استناداً إلى الجوهر والنوعية كما يلي:

المخملية: تستخدم في التوثيقات وهي قطعة قماش مخملية ملتفة على غطاء الورق المقوى. فقد اشيع هذا النوع في القرن الثالث عشر الهجري.

المنقط (قلمكار): في هذا النوع تمّ استخدام النسيج المنقط لالتفاف الغطاء وتوجد زخارف خاصّة محفورة على القماش معظمها من أنماط خشبية ملونة. كان هذا الأسلوب يستخدم غالباً في أصفهان.

الترمة: كانت تستخدم في العصر القاجاري نوع من شعر في يزد وكشمير أو مصنوع من الحرير والصوف زينت مع البايسلي بأنماط وخطوط عريضة؛ للالتفاف على توثيقات الهوامش من الدواوين وكتب العبادة.

الورق: عرف في العصر القاجاري واستخدمت فيها ورقة للالتفاف على توثيقات الورق المقوى. ومع ذلك فإن الورقة تكون فضفاضة حتّى أنهم اضطروا إلى تشديد العمود أو الجلود.

الفرنجي: بعد ظهور الطباعة والصناعة، استخدم الصقيل والجص لاغلفة الكتب إذ كان يلتف على الورق المقوى ويغطي بعض المخطوطات. ومع ذلك استخدمها البعض لصنع العمود والزوايا.

السخت والمعرج: منذ أن ظهر فن التجليد المتقدم (القرن التاسع الهجري)

كان المسلمون يستغلون السخت بشكل جميل وقيم من خلال توثيقات التفاف الأوراق من الكتب. جعل هذا النوع من التجليد منذ البداية بتصميم مؤاتي لأنماط مصغّرة في شكل الزخارف مثل التذهيب، التأشير، اللاكي، سرترنج، ترنج، إلخ من خلال الجلود الداكنة والمنفصلة، ثمّ تمّ التقيد بالأشكال المنفصلة للجلود. يستخدم الناس نموذج اصفهان للاشارة إلى توثيقات الظلام. هذا هو السبب في تسمية هذا النوع في بعض الاحيان بعد فصل الزخارف فإنها كانت تلحق بأماكن مناسبة في غطاء المخطوط إذ كانت قطعا قبل ذلك. بعد القيام بذلك، لم يتبق فضاء، أو فجوة ملصوقة بين الجلود الملونة والجسم الرئيسي لربط الجلود. لذلك إذا كان غلاف الكتاب يفصل الزخارف بواسطة القواطع ولصقها بجوار بعضها البعض مثل أغلفة الأوردة إذ يسمّى عادة تطبيق غلاف الكتاب (الفسيفساء) المعرج وهذه التقنية تكون في الطبقة الداخليّة من الغطاء بسبب هشاشة الجزء الخارجي. ومن هذه الأدوات كما في الصورة رقم (١٤ و١٥).

غطاء الورنيش: ظهر في القرن التاسع الهجري وكان ضمن بعض التوثيقات المعروفة باسم غطاء الورنيش. في هذه التوثيقات يوجد طلاء وإضاءة كانت تستخدم للمزيد من الفنون؛ لاتساعها. لعمل غطاء الورنيش يجب اولاً تزيين داخل وخارج الأغطية مع مختلف أنواع الأصباغ، ترك التذهيب والأحجار الملونة ثمّ استخدام الزخارف الملونة مثل التذهيب والورود والنمنم وسرترنج والترنج وغيرها من اللوحات على السطح من الورق المقوى والقماش وألواح الخشب، أو قطعة من الجلود واخيراً أنها تحمي توثيقات مناسبة للطلاء ومثيلاتها الشائعة مثل الورنيش.

صورة رقم (٢٦) أدوات تغليف ونقش

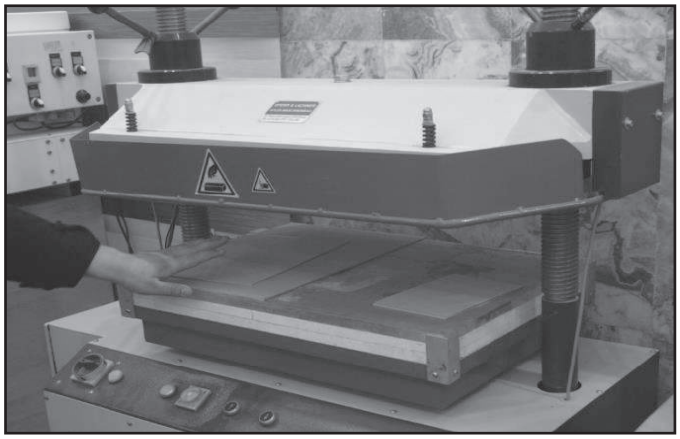

صورة رقم (٢٧) جهاز التغليف

الخلاصة:

إن الهدف من هذا البحث هو معرفة الأدوات التي يكتب بها المخطوط ولا تقتصر على الأوراق والأحبار فقط وإنما على بقية الأدوات مثل المقص، والدبوس، والمعالق المعدنية، وكل ما يحتاج إليه كاتب المخطوط من أدوات من أجل انجاز كتاب ذي قيمة علمية وأدبية يعمل على إحياء التراث العربي الإسلامي.

وكانت المخطوطات منذ القدم تصان وتتم المحافظة عليها عن طريق خزنها في المكتبات الملكية في مجموعات منفصلة، أو عن طريق تسليمها الى الأشخاص المختصين. وعادة تكون المخطوطات القديمة بالية وهشة بسبب مهاجمتها من قبل حشرات مختلفة أو تعرضها لأشعة الشمس أو الرطوبة وتوجد أيضاً بعض أجزاء المخطوطة من الأوراق ممزقة، أو مشتتة، أو مفقودة. ومع ذلك، لكل ورقة من المخطوطة قيمة فريدة من نوعها ذاتيا. لذا يجب معرفة كيفيّة المحافظة على المخطوطات ووضعها في أماكن ومكتبات مجهزة بأحدث التقنيات من أجل صيانة المخطوطات وترميم التالف منها. وسعيا من الدول التي عرفت بكثرة مخطوطاتها كالعراق ومصر وبلاد الشام نجد أن الكثير من المكتبات قاموا باستحداث طريقة نقل صور المخطوطة وحفظها على شكل مايكروفيلم لتكون هذه الأفلام بديلاً عن اخراج المخطوط وتعرضه لأشعة التصوير أو غيرها.

المصدر: مجلّة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية: العدد (٣)، أيلول ٢٠١٨م.

الأزياء التراثية

بين الهويّة وتأثير الحداثة

رانيين شعبان

مقدّمة:

إن مفهوم التراث من أهم المفاهيم التي تشير إلى تاريخ الأمم والشعوب، ويعني مجمل ما وصلت إليه تلك الشعوب والأمم على مختلف الصعد، والفنون على اختلاف أنواعها، هي ضمن المكوّنات التراثية للشعوب التي تؤكد تاريخها، وينعكس على حاضرها ويرسم مستقبلها، ويعزّز روح الجماعة، والانسجام، والترابط بينها.

المحافظة على التراث عمل جماعي، يجب تفعيل مختلف الأطراف المعنية به سواء على مستوى الأفراد أم الحكومات أم الهيئات التعليمية، أم مؤسسات المجتمع المدني.

من أهم المكوّنات التراثية للشعوب الأزياء، والفنون المعمارية التشكيلية والموسيقى الشعبية، وأنواع الرقص المختلفة، واللهجات، والحرف اليدوية وغيرها؛ ما يتطلب الحفاظ عليها بصفتها مكوّنات تراثية متجسدة على أرض الواقع.

الأزياء التي نتناولها في هذا البحث تكتسب قيمة استثنائية بين جميع الموروثات؛ لأنها لدى الشعوب جزء من الهويّة الأم، وعلامة تميّز العصور والأصول، كما أنها جزء أخاذ من الذاكرة الثقافية للشعوب، وسجل يحفظ بين طياته عادات الأمة وتراثها، ويستدلّ بها على كثير من المؤشّرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمنزلة الاجتماعيّة.

إنّ الأزياء هي الوسيلة الأهم في كشف تراث الشعوب بمختلف الأزمان، وهي المعبر الحقيقي عن مراحل التاريخ المهمّة لحياة الأقوام، وتمثل الزمان والمكان والهوية والثقافة، وهي نتاج حضاري يتميّز بالأصالة والتنوّع، ويختلف نظراً للجغرافيا والأصول والمنابت، والعقيدة والجماعات والأقلّيّات والمناطقيّة

والارتباطات الاجتماعية.

الأزياء التراثية في الأردن، موضوع دراستنا هذه تتنوّع تبعاً للمناطق والعادات والتقاليد والطبقية، ومن بينها أزياء الشركس، الذين هاجروا من بلاد جبال القفقاس إلى الأردن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

تتميّز أزياء الشركس بالجاذبية والدقة والحرفية، وهي جزء أصيل من تراثهم الذي يحرصون عليه، لكن التنافس التجاري بين المُصممين والشركات والدول اجتاح عالم الأزياء، التي خضعت بدورها لكثير من التغيير بما فيها أزياء الشركس التقليديّة، التي باتت مهددة بالانقراض، وفقدان هويّة الزي التقليدي جراء تفضيل الناس الموضة الجديدة.

تحوّل العالم اليوم إلى قرية صغيرة صيغت فيها علاقة جديدة للإنسان مع أدق تفاصيل حياته المعاصرة والمختلفة كلّيّاً عن السابق، فقد تأثر الشرق كثيراً بالثقافة الغربيّة، التي طالت مختلف القيم والموروثات والسلوكيات، ومن بين تلك العلاقة الجديدة؛ علاقة الإنسان باللباس الذي انسحب فيه الزي التراثي من الحياة اليوميّة؛ لينحصر استعماله في المناسبات الرسميّة، أو في مناسبات محدّدة. لقد فرض الزّيّ الحديث نفسه باسم الموضة والمعاصرة على الذوق العام، وفقدت الأزياء الكثير من أصالتها أو أنها استطاعت أن تحافظ على فكرتها رغم كابوس التعديل والتحديث.

تجد الأزياء الشركسية نفسها اليوم بين مطرقتين مطرقة الهوية والقيم التي تربط الأفراد بالماضي والحنين له والاعتزاز به وقدسيّة المحافظة عليها، وعلاقتها بالسلوك الاجتماعي والجمال المحسوس للشركس، أو البيئة الأردنية المحيطة، ومطرقة التعديل والتغيير والتأثر بالثقافة الغربية والحداثة، التي تحاول أن تفرض نفسها على الأزياء الشرقية، في ظل تسويق محموم للتصاميم الجديدة،

وقدرتها على التأثير على الذوق العام.

الشركس: هم مجموعة شعوب تشمل سكان شمال القوقاز من أديغة وشيشان وآفار ولزجين. ونتيجة للحروب التوسعية التي شنتها الإمبراطورية الروسية في المنطقة اضطر الكثير من الشركس إلى الهجرة إلى الأراضي العثمانية، أو الروسية بعد حروب واضطرابات استمرّت أكثر من مئة عام.

والأزياء الشركسية: هي اللباس الذي يرتديه الرجل والمرأة الشراكسة منذ قرون. ويتميّز ذلك اللباس بجماله وتفاصيله الكثيرة، وهو لباس نادر من حيث المكوّنات، ويعجب به كلّ من يراه، وكان في الماضي لباساً دائماً لدى الشركس في مختلف ظروف الحياة، بينما اليوم ومع اختلاف نمط الحياة اقتصر لبسه في المناسبات.

والهوية: هي مجمل السمات التي تُميّز شيئاً عن غيره، أو شخصاً عن غيره، أو مجموعة عن غيرها. فهناك الهوية الشخصيّة المتعلّقة بمعلومات الفرد، وهناك الهويّة الجمعيّة (وطنية، أو قوميّة) والمقصودة في هذا البحث وهي تدلّ على ميزات مشتركة لمجموعة من الأفراد، الذين يتشابهون بالميزات الأساسيّة التي كوّنتهم. ومن تلك المكوّنات الزيّ لدى الشركس.

والحداثة: هي العصرنة كما يسمّيها بعضهم وهي تحديث وتجديد ما هو قديم ويبرز هذا المصطلح في المجالات الثقافية والفكرية والتاريخية، ويشمل مجموعة من التغييرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعيّة، التي تطال نمط الحياة بكلّ مكوناتها، ومن بينها الزي الشركسي الذي يتناول هذا البحث مدى تأثره بالحداثة.

يُعدّ الشراكسة أقدم الأمم المعروفة، التي سكنت القوقاز الشمالي، وقد اختلطوا بشعوب أخرى، ما أدى إلى ظهور فوارق لغوية بينهم، وصلت

مع تقدّم الزمن إلى درجة كبيرة من الاختلاف على الرّغم من وحدة ثقافتهم الإسلامية، واتحاد مصيرهم، ويقول المؤرخون الشركس: «إنّ لقب (شركسيّ) ليس اسماً لأحد من الأقوام الساكنة في شمال القوقاز ممّا مرّ ذكرها، ولا تجد هناك حتّى قبيلة واحدة تحمل اسم (القبيلة الشركسيّة) في القوقاز؛ وإنّما هي كلمة أطلقها الأجانب على أبناء شعوب شمالي القوقاز، واسم أطلقوه على سكان تلك المنطقة الأصليين، واسم شركس، أو لقب شراكسة، أو شركسي أطلق على جميع الشعوب، التي كانت تسكن شمالي القوقاز بما فيها الشيشان. وبتعبير أدق، فإنّ اسم شراكسة يطلق الآن على جميع الشعوب، التي كانت تسكن الشمال القوقازي»[1].

هجرة الشركس إلى الأردن:

بدأت هجرة الشركس من القفقاس لأول مرة عام ١٨٥٨م بشكل متقطع، ولكنّها تزايدت خلال الفترة الواقعة بين عامي (١٨٦٤-١٨٧٨م)، وقد تركوا وطنهم حماية لدينهم أمام محاولات القمع والإبادة الروسيّة، وتحملوا المشاق والصعاب في هذا السبيل، وارتضوا بأن يستبدلوا بلادهم القفقاسيّة الخضراء الجميلة، وجبالها الشاهقة، وغاباتها الكثيفة، ومياهها الوفيرة بوطنهم الثاني الأردن.

آثروا العيش في الكهوف والوديان ردحاً من الزمن في سبيل دينهم وإيمانهم، بعد أن كانوا يعيشون في رغد من العيش الوفير في بلادهم الخيرة المعطاءة، ولم يكن في الأردن في ذلك الحين مدينة اسمها عمّان وكلّ ما كان هناك بقايا أطلال رومانية لمدينة عمون التاريخيّة.

أبرز تلك الأطلال المدرّج الروماني الشهير المعروف باسم (فيلادلفيا)

(1) https://ar.wikipedia.org.

والحمّامات الرومانية التي ما زالت آثارها باقية، والقلعة التي تشرف على خمسة أودية تتشكل منها الآن العاصمة عمّان، هذا بالإضافة إلى جامع قديم مهجور يعود في تاريخه إلى عهد الأمويين، ولا صلاة تُقام فيه، وبرج عال أشبه بالمئذنة، وتقول رواية: إن الجامع والبرج من آثار البيزنطيين، وتمّ تحويلهما في العهد الإسلامي إلى مسجد ومئذنة، ثمّ عفا عليهما الزمن إلى أن وصل المهاجرون الشركس، فقاموا ببناء مسجد مكان الجامع القديم المهجور، وحوّلوا البرج إلى مئذنة، وكان آخر فوج من المهاجرين الشركس قد وصل إلى عمّان سنة ١٩٠٠م عن طريق الشام[١].

تلك الهجرة إلى الأردن كانت نتيجة صراع مرير مع الإمبراطورية الروسية؛ إذ بدأت الحرب بين الطرفين في عام ١٧٦٣م وانتهت عام ١٨٦٤م أمضت خلالها القوات الشركسية أكثر من مئة عام حرب، دفاعاً عن أراضيها الأصليّة، وهُجّر أكثر من (٩٠) في المئة إلى البلقان والأراضي العثمانية[٢].

قدّر الدكتور محيي الدين قندور في كتابه (دراسة في الحروب القفقاسية الروسيّة)، أن نحو مليوني شخص هاجروا إلى الدولة العثمانية آنذاك، وأن نحو نصف مليون شركسيّ قضوا على طريق الهجرة؛ حيث غرقت سفنهم في البحر الأسود، فيما شتّت وجود الآخرين؛ بسبب الهزيمة في الحرب.

يتراوح عدد الشركس في العالم من (٨-١٠) ملايين نسمة، أغلبيتهم في المهجر فيما يقيم في تركيا نحو (٦) ملايين نسمة. أما في الوطن الأم فلم يبق منهم ما يزيد عن (٥٠٠-٦٠٠) ألف نسمة، واستوطنوا مع القرن التاسع عشر في سوريا، والأردن، ومصر، والعراق.

(1) https://www.almadenahnews.com.

(2) https://www.rozana.fm.

يتمسك الشركس بالعادات والتقاليد بشكل كبير حتّى يومنا هذا، والزيّ التقليدي لهم هو جزء أساس من الهوية الشركسية والمُصَمَّم بما يتناسب مع ظروف معيشتهم وطبيعة بلادهم (جبال القوقاز في جنوب روسيا)، وكان الزي قديماً يدلّ على الشعب الذي ينتمي إليه لابسه كما كان نوع القماش، وطريقة التفصيل والإضافات الجماليّة؛ تُبرز الوضع الاجتماعي لمرتديها في المجتمع.

كان الشركس متفوقين حتّى على بعض الشعوب الأوروبية في جمال اللباس، وقد أخذت عنهم شعوب عديدة زيّهم التقليدي، وكان لديهم لباس للمحاربين فترة من الزمن، ثمّ زيّ للعامة، وأخيراً، لباس الفرق الفنيّة التي ساهمت في تعريف العالم بالزي الشركسي[١].

١- بين زي الرجل والمرأة:

للرجل لباسه الخاص، الذي صُمِّم للفارس والمقاتل، والذي يتألف من الرداء، أو المعطف الخارجي الذي يسمّى بـ (التسيا)[٢]، يُصنع من قماش سميك ذي لون واحد سكريّ، أو أسود أو خمري، وينتقى اللون الأسود للمحاربين، ويصل إلى ما تحت الركبة وهو مفتوح من الأمام، ويُزَرّ عند الخصر بأزرار قماشية من اللون نفسه أما الأكمام فطويلة حتّى الركبة ولكنّها كانت ترفع حتّى المرفق، وهي مفتوحة من الأسفل والداخل، ثمّ القميص بنوعيه السميك والرقيق، ثمّ السروال والقلبق (أي القبعة من الفرو)، والزنّار مع الخنجر، والحذاء الجليدي ذو الرقبة الطويلة، أو القصيرة دون كعب، ويضاف إلى ذلك غطاء الرأس الذي كان يرتديه كبار السن على الغالب[٣].

(١) عاطف يخول: مدخل للتراث الشفوي الشركسّي، ج١، الأردن، ٢٠٠٩م، ص٩٣.

(٢) التسيا: ثوب طويل من دون قبة مفتوح الصدر على شكل مثلث، ينتهي رأسه في الوسط، حيث يغلق عن طريق زر.

(٣) عاطف يخول: المصدر السابق، ص١٠٩

أما لباس النّساء، فيتألف من المشدّ الثوب الداخلي القصير، والثوب الطويل والصدرية، والرداء الخارجي. وكان لباس الرأس بأشكال كثيرة، يتألف منها من الطاقيّة الذهبيّة، طاقيّة التتار[١]، والطاقيّة المائلة، والطاقيّة الخوذة، والطاقية الفضية، والطاقيّة داخل البيت. قد تمّ انتقاؤه بشكل مكمّل للباس الرجال.

يتألف اللباس من الرداء الخارجيّ (الساية) المفتوح من الأمام من دون قبة والمُزرَّرِ عند الخصر، ومن الأمام بأزرار ذهبيّة أو فضّيّة، والأكمام ضيّقة حتّى المرفق، ثمّ تبدأ بالتوسع والطول حتّى ما تحت الركبة مفتوحة من الطرفين من الأسفل، ومغطاة بنقوش ذهبيّة، أو فضّيّة غاية في الفن والجمال والذوق[٢]. والرداء طويل، ويكاد يلامس الأرض وتحته القميص الشتوي أو الصيفي الموسى بالنقوش الذهبيّة أو الفضيّة، يُعرف بالثوب الطويل، يُخاط من قماش الحرير، أو الساتان، أو القطن؛ لأنّها ستظهر من خلال فتحة الرداء الخارجيّ (الساية). ثمّ الثوب الداخلي القصير، الذي يلبس تحت القميص من الحرير الأبيض، أو من قماش قطن ناعم مفتوح الرقبة وبلا أكمام ويغطي حتّى الركبة. ثمّ القبعة وغطاء الرأس، ثمّ الحزام الذي يُصنع من المعدن المغطى بنقوش ذهبيّة، أو فضّيّة بتطاريز شركسية.

أمّا الأحذية النسائية فهي على عدة أجزاء منها خف السختيان البابوج، البوط وخف مداس، وحذاء جلد المواشي، والقبقاب[٣].

أ- زي الفارس الشركسي:

– **الخنجر الطويل (قامة):** وعادة ما يكون مصنوعاً من الفضّة المطعمة

(١) طاقية التتار: طاقية من قماش المخمل ولها ذنبة طويلة من الخلف تصل إلى الكتف، وكانت تزين بتطريز على شكل أوراق شجر وظهرها مزيّن بزرّ ذهبي في الوسط.
(٢) عاطف يخول: مدخل للتراث الشفوي الشركسّي، ج١، الأردن، ٢٠٠٩. ص٩٧.
(٣) عاطف يخول: مدخل للتراث الشفوي الشركسي، مصدر سابق، ص١٠٤-٩٥.

بالأحجار الكريمة، ويكون عادة الخنجر في وسط الخصر.

- **السيف**: وهو أطول من الخنجر، ويكون عادة على يسار الفارس، ويمتاز مقبضه بعدم وجود واق للأصابع كنوع من الشجاعة.
- **السوط**: يكون مقبضه من الخشب، ويتدلى منه حبل من الجلد الناعم، الذي لا يؤذي الحصان.
- **جيل المسدس (بيت المسدس)**: مصنوع من الجلد، وغالباً ما يكون مزيناً بقطع فضّيّة وأحجار كريمة.

كل ما ورد ذكره من أجزاء الزي الشركسي هي للملابس الرسميّة، أما في أثناء النوم، أو في أثناء العمل في المنزل، أو في الحقول كانت ملابسهم عملية وبسيطة مريحة خالية من الزخارف.

ب- زي النساء:

- **القبعة**: تكون من القماش المغطّى بالحرير والتطاريز، وزخارف من الفضة أو الذهب.
- **غطاء الرأس**: كانت الفتيات تتفنّن في غزل غطائهنّ وحياكته.
- **الفستان الداخلي**: وعادة ما يكون مصنوعاً من قماش ناعم قطني مريح.
- **الفستان الأساسي**: ذو باقة عالية مزيّن بنقوش من الفضّة، أو الذهب أو التطريز، ويكون طويل الكعبين، ومفتوحاً من الظهر، أو من الجنب إلى الخصر.
- **الفستان الخارجي (معطف)**: مصنوع من القماش السميك، أو المخمل، مفتوح من الأمام كاملاً، ويكون مطرّزاً ومزخرفاً.
- **الحزام**: يكون من الفضّة أو الذهب، وأحياناً من الحديد، يحتوي على زخارف وأحجار كريمة.
- **الأحذية**: كانت تستعمل الفتاة الشركسية داخل المنزل حذاءً جلديّاً خفيفاً،

أمّا عند خروجها للمناسبات والزيارات فكانت تستعمل حذاءً خشبياً، فتظهر أطول في قامتها، ومشيتها بطيئة[١].

العادات والتقاليد الشركسية:

تشكل العادات والتقاليد الشركسية نظام حياة؛ إذ إنّ حياة الإنسان منذ أوّل يوم من ولادته تخضع لتلك التقاليد، فيتم وضع الترتيبات لكل ما يتعلق به من ملبسه وطرق تربيته وتعليمه وتدريبه، كما أن تنظيم كلّ أموره من الزواج إلى الحياة العائلية وصولاً إلى موته ترتبط تماماً بتلك العادات والتي تظهر في مراسيم العرس، أو الدفن والتعزية.

كانت العادات عند الشركس هي القواعد الخاصّة بتنظيم الحياة والمجتمع وكانت مثل الدستور غير المكتوب، الذي لا يمكن مخالفته؛ إذ إنّ العادات والتقاليد الشركسية كانت تتصف بالمحافظة على الأصل، والاستمرارية، والمثابرة[٢].

في التاريخ القديم الأوّل للشركس، كان للمرأة دور قيادي؛ حيث كان الانتساب إلى الأم وليس إلى الأب؛ إذ ينتمي الإنسان إلى عشيرة أمه، وكان هناك قيادات نسائية، أو زعامات الأمهات اللاتي تصدرن القرارات والأوامر الملزمة للنّاس، ويضعن التقاليد ويحدّدنها، ويعملن على سنّ الأنظمة والقوانين، ثمّ انتقلت السيطرة إلى الأب، وبذلك، ظهر الاختلاف على الملكية؛ بسبب الغنائم التي كانت تأتي من الحروب وبعد اكتشاف المعادن.

عُرف عن الشركس التزامهم بالقوانين والأنظمة، فهناك عقوبة على كلّ مَن يتجاوز الأعراف المعمول بها، وعندما كان الأمراء يُخطئون ويقومون بأفعال

(١) مترجم من برنامج آنة خوراي – أيّ الطاولة المستديرة، مع ضيف من شركس سوريا.
(٢) عاطف يخول: مدخل للتراث الشفوي الشركسي، مصدر سابق، ج١، ص١٧-١٨.

مسيئة ومظالم، كان بعضهم يتعرّض للعزل، وكان الزعماء يجتمعون كلّ شهر ويتباحثون في العديد من الشؤون الاجتماعيّة والمعيشية وعلاقتهم بالشعوب المجاورة لهم.

أما اليوم، فلم تعد العادات كما كانت في الماضي الذي انقضى، وباستثناء القليل، فإنّ أكثر الشركس لم يعودوا يعرفون العادات والتقاليد، والذين يعرفونها لم يعودوا يلتزمون بها، وبعضهم يحاول الدعوة إليها والتفاخر بها ليحظى بمكانة ما يسعى إليها في الألفية الحالية[١].

الهوية:

ارتبط الزّيّ الشركسي بالهويّة، التي حافظ عليها الشراكسة بوصفها إرثاً حضاريّاً تركها لهم الأجداد وخاضت الأمة الشركسية حرباً امتدت قرناً ونيفاً من الزمن حين تعرّضت بلادهم لهجمة استعمارية روسيّة، خسر الشراكسة خلالها أكثر من (٨٥٪) من عددهم، وأنهكت قواهم فاستسلموا للقيصر الروسي في أيار ١٨٦٤م، آملين أن يحظوا بشروط مقبولة، تُتيح لهم العيش على أرضهم، لكنّ القيصر الروسي أصرّ على تهجيرهم من بلادهم؛ لأنه كان يريد أرضاً بلا سكان[٢].

بعد كلّ خسائرها، وبعد أن هزمت في تلك الحرب الطويلة، التي أتت على الزرع والضرع، وبعد أن تعرّضت لتهجير مريع ومهين، وبُعثرت على بقاع متباعدة ومنقطعة بعضها عن بعض، جعل ذلك كلّه تلك الأمة قلقة على نفسها، وهي ترى هويّتها مهدّدة ومطعونة ومهزومة.

إن مسألة الهويّة في غاية الحساسيّة والأهميّة، فحين تتهدد الهوية، يشعر الفرد

(١) عاطف يخول: مدخل للتراث الشفوي الشركسي، مصدر سابق، ج١، ص٩٧.
(٢) عوني تغوج: العادات والتقاليد الشركسية. http://www.ich.go7.jo/node/52121

بأن هناك ما يجبره على تغيير ذاته، وبأنّه مُجبر على تغيير جلده، وتغيير لونه، وتغيير روحه، فذلك يفقده اعتزازه بنفسه وبكرامته، فأغلب الناس حين تَعرُّضهم لما يُجبرهم على تغيير روحهم، ينغلقون ويتقوقعون، ويصبحون غير قادرين على التفاعل، وتبادل التأثر والتأثير مع الآخرين، وهناك آخرون حين يشعرون بأن كرامتهم وعزّة أنفسهم المتعلقة بهويتهم مهدّدة، تراهم على العكس يتبرؤون من كلّ علاقة معها، ويحاولون التماهي أكثر بهويّة الآخر؛ الأقوى، والأفضل، والأجدر، والأغنى، والأرقى، حسب رؤيتهم المصابة بالألم الداخلي العميق[١].

في الأردن، اختار الشراكسة عدم الانعزال فعاشوا في المدن والضواحي منذ قدومهم إلى الأردن، ودخل أبناؤهم المدارس واندفعوا لإيجاد مكان لهم في الدولة، والمجتمع الأردني، وأثبتوا حضورهم، وانصهروا وتبوأوا أرفع المراكز السياسية والعسكرية والاقتصادية، وهم جزء أصيل من العشائر الأردنية، التي يُنظر إليها باحترام من قبل النظام ككل، ومن قبل الشعب الأردني، الذي لا يُفرّق الشركسي عن أي فرد آخر، كما أن الشركس في الأردن يسعون إلى المحافظة على هويتهم دون الانعزال عن الآخرين؛ بل يعملون على تعميم ثقافتهم وعاداتهم وليس الانطواء عليها، ولا ينقسمون كما في البلدان الأخرى، وحاولوا أن يكونوا ضمن الدولة، وبين أن يحافظوا على مكانتهم واسمهم وهويّتهم وليس أن يُنفى اسمهم في المحافل الدولية.

يعبّر الشركس عن حماسة كبيرة في المهرجانات والمنتديات والاحتفالات شبّاناً وفتيات، رجالاً ونساءً وحتّى الأطفال، وهو ردّ فعل طبيعي على احترام الهويّة والثقافة والانتماء الأديغي العميق، لكن ذلك لا يتعارض مع انتمائهم

(١) شركيسيا تايمس: الهوية الشركسية – تأملات في يوم الحداد، مصدر سابق.
http://circassiatimesarabic.blogspot.com/2015/07/blog-post-60.html

للدولة الأردنية، كما هو معروف عنهم بشكل كبير[١].

الحداثة:

يحتل مفهوم الحداثة (Modernity) في الفكر المعاصر مكاناً بارزاً، فهو يشير بوجه عام إلى صيرورة الأشياء بعد أن كان يشير إلى جوهرها، ويفرض صورة جديدة للإنسان والعقل والهويّة، تتناقض جذرياً مع ما كان سائداً في القرون الوسطى.

على الرغم من أهميّة ذلك المفهوم وشيوعه في الفكر المعاصر، إلّا أنّه أكثر التباساً وتعقيداً لما ينطوي عليه من غموض وارتباطه بحقول معرفيّة عدّة، واستخدامه في مجالات مختلفة، وتوازي معناه مع مسيرة الحضارة الغربية الحديثة، التي أفرزت إشكاليات رافقت الحداثة، وما بعدها[٢].

كما تعدّد أبعاده ومدلولاته وشموليته لمستويات من الوجود الإنساني، العلميّة والتقنية والاقتصادية والسياسية والأدبية والفنّيّة، والفلسفيّة، والتداخل فيما بينها.

الحداثة هي نقيض القديم والتقليدي، وذلك يرتبط بالزي الشركسي، الذي نبحث هنا عن مدى التناقض فيه بين الماضي والحاضر، وما إذا سُلبت منه تفاصيله الخاصّة أسوة بالتحديث ومواكبة العصر، والحداثة ليست مذهباً سياسياً، أو تربوياً، أو نظاماً ثقافياً واجتماعياً فحسب بل هي بحسب المدافعين عنها: «حركة نهوض وتطوير وإبداع، هدفها تغيير أنماط التفكير والعمل والسلوك، وهي حركة تنويرية عقلانية مستمرّة، هدفها تبديل النظرة الجامدة

(١) شركيسيا تايمس الهوية الشركسية – تأملات في يوم الحداد، مصدر سابق.
http://circassiatimesarabic.blogspot.com

(٢) إبراهيم الحيدري: ما هي الحداثة؟ https://elaph.com.

إلى الأشياء والكون والحياة إلى نظرة أكثر تفاؤلاً وحيويّة».

تطال الحداثة مختلف شؤون الحياة، وتتفاوت وطأة تأثيرها من شعب إلى آخر، ويدخل فيها مدى الثقافة والشأن الاقتصادي، والتطور والصناعة والانفتاح، لا سيّما في دول العالم الثالث، التي تتعرّض لحالة ارتباك بين موروثها وهويتها، وبين الحداثة التي تفرض نفسها وعدم القدرة على مواجهتها[١].

هل يعيش الزي التراثيّ الشركسي في الأردن في ظلّ الحداثة المتسارعة والعولمة أزمة هويّة وتأثر بالثقافة الغربيّة، أو ما زال محافظاً على أصالته؟!

عملت الحداثة في الزي الشركسي على كسر النمط السائد في العصور القديمة، وقدمت أزياء جديدة عملية تواكب الواقع ومتطلبات الحياة، والعمل في ظلّ مجتمع دخل عصر الصناعة والتجارة الواسعة واختلفت معه ظروف العمل والتنقل.

الزي الشركسي، هو ضمن أزياء العالم والأمم والشعوب، التي طالته الحداثة واختلاف نمط الحياة، الذي يختلف معه طبيعة العيش والسلوكيات، وجزء من آثار هذا التحديث أن ذلك الزي بات لا يُرى على الشراكسة إلّا في المناسبات والاحتفالات الرسميّة منها والاجتماعية؛ حيث يلبسونه مشاركين ومشاركات في الفرق الفنية.

إنّ الحداثة والعولمة التي اجتاحت العالم أثرت على الزي العالمي برمته، من خلال الصراع على الموضة والتنافس الشديد في اختراع ما هو جديد يومياً لجهة الاستهلاك، ولأن الشركس يعيشون في مجتمعات عدّة، ويواجهون انخراطاً متفاوتاً ضمن الهويّة العامّة لتلك المجتمعات بما في ذلك اللباس، ولأن عدم وجودهم في دولة واحدة، أو جغرافيا واحدة تخصهم لحق بزيّهم تعديلات

(١) إبراهيم الحيدري: ما هي الحداثة؟ https://elaph.com.

وتغييرات استدعتها ظروف غير إرادية، لا سيّما الزي الشركسي التراثي، الذي يُناسب طقس وطبيعة تختلف عن جغرافية الدول التي هاجروا إليها وعاشوا فيها.

بقيت أكثر الملابس والأزياء الشركسية محافظة على شكلها ومظهرها الخارجي، لكن ما تغيّر هو كثافة القماش وخامته والمعدن المستخدم سابقاً، فمثلاً المعدن الذهبي والفضي، الذي كان مثبتاً كإكسسوار يُضيف من فخامة الزي وسحره في بعض مواضعه تمّ تحديثه واستخدام رسومات بالخيوط الذهبيّة والفضّيّة بدلاً منه على أن تُبقي تقريباً على الشكل والزخرفة نفسها.

في مقابلة مع رئيس نادي الجيل الجديد الشركسي في الأردن (نبيل عكّاش)[1]، ذهب إلى القول إن القفقاسيين هم أشدّ النّاس تقديراً وتعلّقاً بلباسهم القومي، وهو من أساسيات قوميّتهم ووطنيتهم، وإنسانيتهم وأخلاقهم، وقيمهم، وحتّى كيانهم، وتلك ميزة من ميزات القفقاسيين التي يتغنون بها.

واللباس الشركسي مريح ولائق للرجل الفارس كما المرأة، ولم يطرأ عليه أي تبديل أو تغيير إلّا الشيء القليل جداً، نظراً لعدم توفّر المادّة الأصل، التي كانت تستعمل سابقاً؛ فالقطن والكتان اللذان يصنعان منهما ذلك اللباس منذ آلاف السنين للألبسة الداخليّة، كما الصوف والفرو والجلد للألبسة الخارجيّة ما عادت نفسها.

في الزمن الحديث، يقول نبيل عكّاش: إن استخدامات القطن والجلد والكتان تغيرت وباتت هناك مصنوعات قماشية تُعطي الشكل نفسه لكنها من نوع آخر، لذا تمّ استخدام بدائل حديثة للجلد والقطن في اللباس الشركسي مع

(١) مقابلة أجرتها الباحثة مع رئيس نادي الجيل الجديد الشركسي نبيل عكاش بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٠٤.

أهمّيّة أن تعطي الشكل نفسه قدر الإمكان.

في مقابلة أخرى مع الناشطة الاجتماعية في المجتمع الشركسي في الأردن وروسيا المهندسة (دانه محمود بيج)[١]، أفادت: أن أكثر شيء يُميّز الهوية الشركسية في الشتات وفي القفقاس حاليّاً، هو الزي الشركسي. فهو يُعدّ عاملاً مهماً جدّاً لهويّة الشركس وتراثهم وأنّه على الرّغم من مرور قرون عدة على تاريخ الزي الشركسي، وعلى الرّغم من الظروف الصعبة، والحروب، وملايين الوَفَيات، والتهجير، واللجوء إلى بلدان شتى وبعيدة، إلّا أنّ الشراكسة استطاعوا المحافظة إلى أقصى حد على زيّهم والتمسّك به، ومنعوا أي تغيير أو تأثير جوهري قد يلحق به، حتّى مع هيمنة الحداثة والعولمة في كلّ بقاع الأرض.

تذهب الناشطة (دانه محمود بيج) إلى أن لا خوف من المستقبل، مهما طرأ عليه من تغييرات حياتية وعمليّة لمواكبة العصر؛ فالزّيّ الشركسي يخضع لتدقيق أفراد المجتمع الشركسي، وهم بدورهم لا يحبذون أي تعديلات تؤثر على أصالته وشكله. لا؛ بل ينتقدون كثيراً إدخال أي تفصيل جديد من شأنه أن يؤثر على القيمة التراثية التي يحملها الزّيّ.

الزي الرسمي يتمّ ارتداؤه في المناسبات الرسميّة، فهو ليس لباساً عملياً. وهناك زي شبيه به أقلّ خفّة ونعومة، يلبسونه في بعض المناسبات والأفراح، فنمط الحياة ومتطلباتها اليومية، أدّى إلى اختلافات طالت الزيّ في نوع الخامة والقماش والمعادن، ولكن ليس في المظهر والشكل الذي يحمله.

تجدر الإشارة إلى أن لدى الشراكسة مناسبات تحفزهم على الاهتمام بزيهم والمحافظة عليه، وعدم تأثره بالحداثة والثقافة الغربية التي تجتاح العالم، فهناك يوم احتفالي خاص بالزي لديهم، (الزي الشركسي العالمي)، والذي يصادف في

(١) مقابلة أجرتها الباحثة مع المهندسة دانه محمود بيج بتاريخ ٠٨/ ١٠/ ٢٠١٩.

٢٨ أيلول/ سبتمبر من كلّ سنة، وفيه يلبس أغلب الشراكسة الزي في مختلف الدول حتّى في عملهم خلال ذلك اليوم. وفي الأردن، يحتفل الشراكسة بذلك اليوم في الجمعيات والمؤسسات الخاصّة بهم، ويلبسونه رجالاً ونساءً.

هناك (يوم العلم الشركسي)، الذي يصادف في ٢٥ نيسان/ أبريل، و(يوم العائدين)، الذي يصادف في ١ آب/ أغسطس، و(يوم رأس السنة الشركسية)، الذي يصادف في ٢١ أذار/ مارس، و(يوم اللغة الشركسية)، الذي يصادف في ١٤ أذار/ مارس، و(يوم التهجير)، الذي يصادف في ٢١ أيار/ مايو، وهي كلّها مناسبات وطنية تساهم في التشجيع على إحياء المحافظة على الزي التراثيّ للشراكسة، وفيها يُثبتون هويتهم ويعتزون بلباسهم، ويؤكدون رغبتهم في عدم تغييره، أو الاستغناء عنه.

يذهب الدكتور والباحث عوني تغوج إلى أن العادات والتقاليد، التي حكمت حياة الشراكسة ولباسهم آلاف السنين، تعرّضت في العقود الأخيرة لهجمة العولمة التي قضمت جزءاً من تلك التقاليد في اللباس، وقضمت تكنولوجيا العصر بآلاتها وأجهزتها المتعدّدة جزءاً آخر فخسرت المعركة أمام التطوّر الذي شمل العالم كلّه، شأنها في ذلك شأن كلّ المجتمعات التي خسرت أجزاءً من هويتها، وغلبت عليها سمات الحضارة الكونيّة الجديدة. وبذلك يشير الدكتور تغوج إلى بعض التغييرات التي طالت اللباس الشركسي بفضل الاختلاف في تصنيعها بين اليدوي والآليات الحديثة، التي فرضت نفسها والحاجة إليها، إلّا أنه يعترض على أي تغيير يطرأ على اللباس الشركسي[١].

للباس الشركسي علاقة وطيدة بالواقع الجمالي؛ فالوجه الأوّل للجمال عند الشراكسة هو جمال المظهر، الذي تحدّده معايير الجمال الخارجي، وهذا

(١) عوني تغوج: العادات والتقاليد الشركسيّة، مرجع سابق. http://www.ich.gov.jo.

يعني أن على مرتدي الزي الشركسي أن يكون جميلاً. وقد ارتبط زي الرجل الشركسي ارتباطاً كبيراً بالفارس، الذي يتمتع بالشجاعة والخلق والكبرياء. لذا، نجد لباسه متناسقاً مع معايير جمال الرجل الشركسي.

كما يهتم الشراكسة باللياقة والقوة البدنية والتربية، فهم يعيرون الجمال الخارجي أيضاً اهتماماً كبيراً؛ ما جعلهم يتفننون في لباسهم الذي يوحي بالقوة والشجاعة التي يفرضها شكل الزي في تفاصيله، كإبراز القامة (الخنجر الشركسي)، ولوازم السلاح عند الحزام مثلاً، ما يتيح للفارس البقاء مرفوع الرأس، لإظهار قوته وقدرته في الدفاع عن نفسه.

أما قبّة المعطف، وقميص الرجل الشركسي مثلاً، فتغطي كامل الرقبة، ما يمنح الرجل الشركسي الوقار والشموخ خصوصاً في الزي العسكري، والذي استوحي منه تصميم زي الرجل الشركسي، لما لمجتمع الشركس القديم من تميز في المهارات الحربيّة والفروسية الفريدة، ما انعكس أيضاً على الهندام، وروح الأناقة.

من ضمن العادات والتقاليد الشركسية، ضرورة اكتساب اللياقة والقوة البدنية التي ترتبط بالتربية منذ الصغر، مع سعي الأهل لاكتساب أبنائهم الصحة الجيدة، التي لا تفصل عن الصحة في التعامل مع الآخرين، وقد فرضت عليهم الظروف المتقلبة في القفقاس كالحياة الزراعية والرعوية والصيد والفروسية، وكذلك الحروب المستمرّة، بالإضافة إلى الأحوال الجوية القاسية، ضرورة المحافظة على القوة البدنية، التي أصبحت عادة متوارثة إلى اليوم، وإن كانت قد اتخذت أشكالاً أخرى من التعبير، والجدير بالذكر ما كتبه الرحالة عن الشراكسة، من أنهم كانوا معتدلين في الأكل، يوازنون بين الطاقة والجهد، ونادراً ما وُجد شركسياً بديناً، لذلك، وصفوا بأنّهم عريضو المناكب وضامرو،

الخصور، وبارزو العضلات[١].

كذلك، اتصفت المرأة الشركسية بالاحتشام والتواضع والعفاف، ما انعكس على زيّها الذي صُمّم لها مرافقاً لمعايير جمالها وملامحها التي تحملها، فالتناهي في اللطف واللباقة والأدب[٢] يقابلهُ القدّ الممشوق، وضيق المنكبين ونحافة الخصر وذلك ما جعل الانسجام متوازناً بين جمال المظهر وحشمته، وجمال الشكل عند المرأة الشركسية[٣].

الجغرافيا الطبيعية:

ينسجم الزّيّ الشركسي مع طبيعة الجغرافيا في بلاد القفقاس المعروفة بالارتفاعات والجبال العالية التي سكنوها، لذا كان زي الرجال مناسباً لديناميكية الحياة والتفاعل معها، من خلال ركوب الخيل والتنقل، خاصّة ما يتعلّق بالزراعة التي اشتهر بها الشراكسة، إضافة إلى أنّ المعطف الطويل كان مفتوحاً؛ لكي يساعد في الحركة، والحذاء كذلك كان طويلاً لحدود الرّكبة، بما يتناسب مع طبيعة الأرض وصخورها، وللوقاية من البرد والثلوج التي تغطي بلاد القفقاس في فصل الشتاء، أما السروال فواسع عند الخصر؛ ليساعد في الحركة، وضيقاً باتجاه الأسفل؛ لكي لا يعيق الرجل في أثناء المشي، أو ركوب الخيل.

لم يعد ارتداء الزي القديم مناسباً اليوم في مناخ الأردن، لذا تمّ صناعة ما يقارب الزيّ القديم في شكله، ولكن بأقمشة خفيفة مناسبة للأجواء المناخيّة المعتدلة في الأردن، وإكسسوارات أخف وأقل من مثيلاتها السابقة، تقوم

(١) عاطف يخول: مدخل للتراث الشفوي الشركسي، مصدر سابق، ص.١٣٩. (بتصرف).
(٢) عوني تغوج: العادات والتقاليد الشركسيّة، مصدر سابق. http://www.ich.gov.jo.
(٣) عاطف يخول: المصدر السابق، ص٣٩ (بتصرف).

بارتدائها الفرق الموسيقيّة الشركسية في الحفلات والمناسبات الخاصّة والعامّة التي تشهد حيّزاً مهماً من الإقبال في الأردن.

المعتقدات:

يتوافق زي المرأة الشركسية مع تعاليم الدين الإسلامي في الحشمة وتغطية الجسد كاملاً؛ إذ يشكّل المسلمون والمسيحيون الغالبية العظمى من الشراكسة، فمعظم سكان شمال القوقاز المجاورين لروسيا المسيحيّة مثل: (الشيشان والشركس والداغستان) مسلمون، بينما معظم سكان ترانس قوقازيا المجاورين لتركيا وإيران المسلمتين مسيحيون، مثل: (الجورجيّين، والأرمن) ما عدا الأذربيجان المسلمين، ومعظم الجاليات القوقازية التي هاجرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الإمبراطورية العثمانية، واستوطنت في تركيا وبلاد الشام (الأردن، سوريا، وفلسطين) والعراق هي من الشركس والشيشان والداغستان المسلمين[١].

قد اعتقد الشراكسة أنّ الملابس الجميلة تفرض على الفتاة السلوك الحسَن إذ تميّزت الفتيات والنساء الشركسيات بالحشمة في اللباس والذوق الرفيع، ومن المعروف أنّ المرأة الشركسية ملتزمة بتعاليم الدين الإسلامي، وما يمثله من منظومة أخلاقيّة، لذلك نرى أن زيّها الشركسي طويل ويغطي كامل جسدها، عدا عن أنه متعدد القطع التي ترتديها فوق بعضها بعضاً، ولكلّ قطعة شكل ووظيفة في تغطية الجسد والرقبة واليدين وكامل القدمين، لذا نجد ثوبها طويلاً يغطي الجسد إلى حد الاحتشام، وهو الزي الذي نراه اليوم في المناسبات الخاصّة والعامّة، إضافة إلى حفلات الأعراس؛ حيث ترتدي العروس الزي

(١) بينو، سعيد: «الشيشان والاستعمار الروسي (١٨٥٩م-١٩٩١م)»، عمان، ١٩٩٧م، ص٤٤.

الشركسي التقليدي عند عقد قرانها أو ما يُسمّى (قراءة الفاتحة)[١].

عرف عن الشركس ذكر بعض الأدعية، التي تُقال لمن يلبس الأزياء الجديدة، كما أن بعض مواصفات الزي القومي الشركسي، خاصّة حمّالتي (الحرز) المثبتة على الصدر والمُغطاة بالذهب، كانت تدلّ على المركز الاجتماعي لمرتديها، وعلى الطبقة التي ينتمي إليها، وما إذا كان من قادة القوم، الذي يُبقي على جهوزيته التامة دائماً في الدفاع عن نفسه وعن أرضه وعشيرته، إلّا أن تلك المواصفات لا تكتمل إلّا «بالمحافظة على العادات والتقاليد الحميدة والسلوكيات، التي تتماشى مع الأدب والأخلاق والرجولة الحقة التي يجب أن يتحلى بها الرجل الشركسي»[٢].

بين ما يحمله الزي الشركسي (الرجالي والنسائي) التراثي من تفاصيل، وما يحمله اليوم من تبديلات أو تغييرات، نلحظ تمسك الشراكسة بتراثهم وهويتهم الامّ، وهذا ما نراه في روح الإحياء لديهم عبر الحفلات الفولكلورية، التي تُقام بشكل دوري في المسرحيات، أو في أعراسهم التي تكون ختاماً لمرحلة عمرية وتجربة ذاتيّة، وبداية لمستقبل جديد لهم. وتشكل الأزياء التراثية عند الشراكسة مصدر فخر واعتزاز لانتمائهم لأصولهم، وهم يقيمون لها وزناً وحضوراً، ولا يوجد بيت شركسي في الأردن إلّا ولديه قطعة تراثية شركسية تُمثِّل هويته، لقد أبقوا على الشكل ومظهر الزيّ دون تغييره، ولكن المواد المكوّنة لذلك الزّي اختلفت عن السابق، نظراً لتسارع حاجة السوق الاستهلاكية، وسرعة المكننة في تحصيل المنتوج.

كانت التقنيات القديمة تحتاج إلى وقت طويل، ودقة متناهية؛ لصناعة الثوب

(١) أقطاي بندقدار: مدوّنات الجزيرة، «عادات الشراكسة.. تركة لا تُترك». https://blogs.aljazeera.net

(٢) عوني تغوج: العادات والتقاليد الشركسيّة، مصدر سابق. http://www.ich.gov.jo.

الشركسي يدوياً، وبأيدي عاملة محترفة في التطريز والقص والخياطة، وترافق ذلك الاحتراف مع ثمن باهظ للثوب الذي يتزيّن بالذهب والفضة والخامات من الحرير والساتان والقماش السميك، التي ميزت الزي التراثيّ الشركسي، وهذا ما يصعب توفيره في عصرنا الراهن سواء لجهة تلك التقنيات والتطريز والتصميم من أهل الخبرة والكفاءة، أم لجهة القدرة على تحمّل النفقات المرتفعة للثوب الواحد.

مجموعة من الأزياء الشركسية

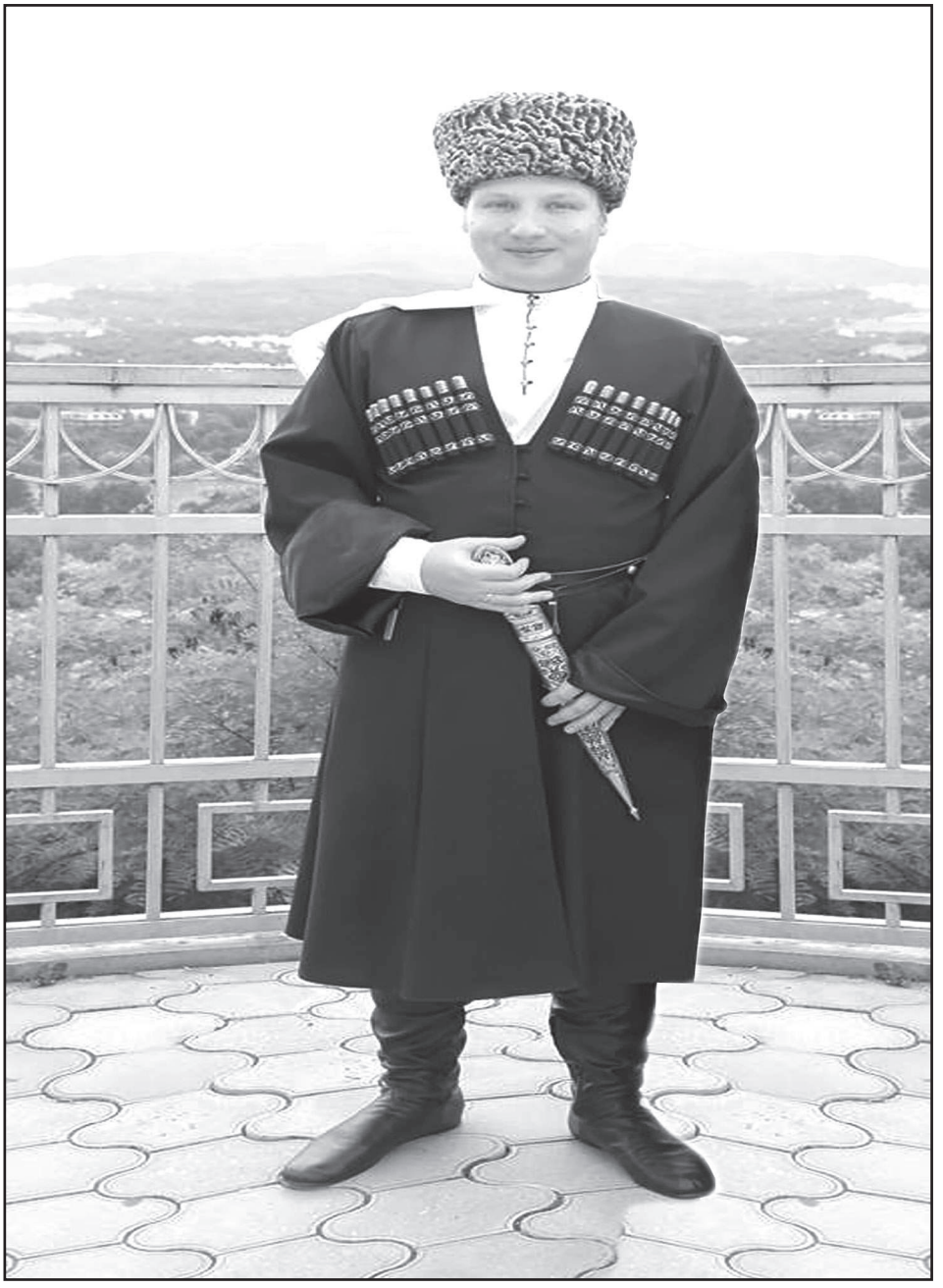

زي شركسي

ذلك يُفسّر لماذا يقتصر حضور تلك الأزياء التراثيّة الشركسية على العروض والأعراس والفولكلور، ولا نراه في صميم حياتنا اليومية، خاصّة وأن اختلاف نمط العيش والبيئة، ومتغيّرات الحياة جعلت من أزياء الشركس محصورة فقط في سينوغرافيا العروض.

إن أغلبية الشراكسة متمسكون بالحفاظ على هوية الزي الشركسي التراثي؛ بحيث يعني لهم الثبات على هويتهم وثقافتهم، وما يتمتّع به ذلك الزي من الحشمة والوقار والجمال، حتّى لا يفقد قيمته التراثية، بما هو موروث حضاري وقومي، مرتبط بالعادات والتاريخ الشركسي.

لم يمنع ذلك بعضهم من الدعوة إلى الخروج عن المألوف في ذلك الزيّ بإضافة تصميمات جديدة، شرط الحفاظ على الطابع العام؛ لكي يتسنى لبس ذلك الزي في الحياة اليوميّة تعبيراً عن هوية الشركس طالما أن التطوير لا يضر ما دام النسج الأصلي واضحاً.

منهم من حسب أن ثقل الثوب التراثي الشركسي يبرّر الدعوة إلى بديل جديد أكثر رشاقة، ومستوحى من القديم.

منهم من نظر إلى الموضوع من جانب تكلفة تنفيذه المرتفعة، فدعا إلى تنفيذ تصاميم بأسعار مقبولة؛ لكي يستطيع أغلب النّاس اقتناءها، في حين ذهب بعضهم إلى رفض أي تغيير أو تحديث لما فيه الخراب لكلّ ما هو تراثي إلى من أخذ بفكرة التطوير؛ لمواكبة العصر سواء في التصميم والألوان، أو في نوع الأقمشة الخفيفة، وفنون الخياطة الحديثة والزخارف إضافة إلى الإكسسوارات الأقل ثقلاً مع الحفاظ على الخطوط الأساسيّة، التي تميّز الزي الشركسي عن سواه.

منهم من طرح فكرة الحفاظ على القديم من خلال أرشفة التصميمات

التراثية؛ لحمايتها من الاندثار، والمحافظة عليه كزي رسمي مع تعديلات؛ ليتسنى لبسه في المناسبات المتنوعة، وأن يكون أكثر نعومة وخفّة خاصّة وأن الزي الرسمي يصعب ارتداؤه للرجال والنساء؛ بسبب تغيّر العوامل والطبيعة، والظروف المعيشية ونمط الحياة، إلى ضرورة المحافظة على زيّ المرأة، وعدم تغييره؛ لأنه محتشم.

الخاتمة:

تشغل العادات والتقاليد الشركسية حيّزاً كبيراً من التراث الشركسي، الذي يُعدّ بمنزلة جذور الحياة. وقد تبيّن بعد سلسلة محطات من التهجير والاضطهاد إثر الحروب والغزوات الطاحنة، التي تعرض لها أهل الشركس في بلادهم، أنهم استطاعوا المضي قدماً حاملين تراثهم وهويتهم على محمل الجد، وحرصوا على المحافظة على ذلك التراث، وعلى هويتهم التي يخشون أن تتناساها الأجيال المتعاقبة، لذا حاولوا ولا يزالون أن يزرعوا في عقول الأجيال الشابة أهميّة المحافظة على ذلك الإرث التاريخي، وخاصّة ما يتعلق بالزي ولبسه وما يتعلق بعاداتهم وتقاليدهم المتنوّعة.

بقي الزي الشركسي حاضراً على الرّغم من اصطدامه بالثقافات الأخرى، وعلى الرّغم من ذلك الحضور الخجول الذي اقتصر على المناسبات الرسمية، ارتبط الزي الشركسي بعلاقة متينة بتقاليد المجتمع الشركسي، المبنية على الدين والشجاعة والجمال والقوة والفروسيّة، وعلى الرّغم من اختلاف نمط الحياة إلّا أن ذلك الزيّ بقي مرتبطاً بتلك الأسس والتقاليد.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربيّة:

- عاطف يخول: «مدخل للتراث الشفوي الشركسيّ»، ج١، الأردن، ٢٠٠٩م.

– سعيد بينو: الشيشان والاستعمار الروسي (١٨٥٩-١٩٩١)، عمّان ١٩٩٧م.

المواقع الإلكترونية:

– موقع إلكتروني ثقافيّ: https://www.almadenahnews.com
– موقع ثقافي، مدوّنة: https://www.rozana.fm
– فاطمة تليسوفا: دعم القومية الشركسية يزداد في شمال القوقاز، Georgiandaily.net, through Adyga Nat Press
– أرشيف الجمال الشركسي: المتحف الضائع، مؤرشف من الأصل في ١١ مارس ٢٠١٥م.
– مترجم من برنامج آنة خوراي – أي الطاولة المستديرة، مع ضيف من شركس سوريا:
https://www.facebook.com/watch/?7=60357865351286
https://www.facebook.com/watch/?7=603578653512869
– عوني تغوج: العادات والتقاليد الشركسية: http://www.ich.gov.jo
– شركيسيا تايمس: الهوية الشركسية – تأملات في يوم الحداد:
http://circassiatimesarabic.blogspot.com
– إبراهيم الحيدري، ما هي الحداثة؟ https://elaph.com
– أقطاي بندقدار: مدوّنات الجزيرة، عادات الشراكسة.. تركة لا تُترك».
https://blogs.aljazeera.net
https://ar.wikipedia.org
http://info.wafa.ps
– موقع الصفحة الخاصّة (تعلّم لغتك الشركسية) على الفيسبوك
/https://www.facebook.com/groups/233368150095795

المقابلات:

– مقابلة مع رئيس نادي الجيل الجديد الشركسي نبيل عكّاش، بتاريخ ٠٤/ ١٠/ ٢٠١٩م.
– مقابلة مع المهندسة دانه محمود بيج بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠١٩م.

المصدر: مجلّة جامعة المعارف: العدد (١)، بيروت – ٢٠٢٠م.

البلاد العربية في الوثائق العثمانية

مصدراً تاريخياً لدراسة تاريخ البصرة

منتصف القرن السادس عشر

أ.د. أسامة عبد الرحمن نعمان الدوري

الملخص:

وضع المؤلّف في كتابه التقرير الذي تناول حملة بيري الريس الى خليج البصرة، وضمت هذه الوثيقة المهمّة اثنتي عشرة صفحة، (٢/ ٢٩٤-٣٠٤).

تضمنت الوثيقة أوضاع ولاية الجزائر والبصرة وأرجاء الاحساء، وأوصى بضرورة تشاور بيري الريس مع بكلربكي البصرة بشأن بقاء الأسطول في الخليج العربي من عدمه.

ويبدو أن منطقة البصرة كانت مهمّة جداً للسلطان العثماني سليمان القانوني الذي أمر بتسيير أسطول حربي من السويس بقيادة بيري بك ضمّ (٢٤) سفينة باتجاه خليج البصرة لمواجهة الأسطول البرتغالي الذي كان يصول ويجول في بحر العرب حتّى مضيق هرمز الذي شهد معركة حامية بين الطرفين وأصدر السلطان تعليماته بضرورة التعاون بين بيري بك وقباد باشا والي الجزائر والمدينة لمواجهة المخاطر التي تواجهها البصرة سواء من الكفار (البرتغاليين) والأمراء المحليين ولهذا سيّر السلطان الأسطول لحماية البصرة وجهز القوات بالمؤن من ولاية بغداد وديار بكر وقرمان، وبينت تلك الوثائق أنواع القوات التي تحتاجها المنطقة وتضمنت المراسلات بين والي بغداد مع الديوان الهمايوني حول الحملة التي قادها علي باشا الى الأهوار والمدينة بعد أن قطع ابن عليان الطريق بين بغداد والبصرة، كما تضمنت مراسلات والي البصرة الذي أصبح والياً على الجزائر والمدينة وابنه محمد الذي تولى أمور سنجق البصرة وكذلك المراسلات مع القبودان بيري بك وكلها تصب في كيفيّة حماية البصرة من أي عدوان خارجي أو اضطراب أمني داخلي.

تلك الوثائق على الرغم من قلة أعدادها والتي يبين الدكتور فاضل سبب ندرتها، لكنها كافية لتوضيح الكثير من الأمور في تلك المرحلة المبكرة من

السيطرة العثمانية على البصرة التي تبيّن بنفس الوقت أهميّة البصرة الاستراتيجية بالنسبة للدولة العثمانية وهي في أوج عصر ازدهارها وإنها ليست مركزاً تجارياً وحسب بل إنها مثلت مركزاً عسكرياً لمواجهة الأعداء المتربصين بالمصالح العثمانية في الخليج العربي وبحر العرب وصولاً الى الهند.

«البلاد العربية في الوثائق العثمانية» مصدراً وثائقياً لدراسة تاريخ البصرة منتصف القرن السادس عشر:

على مدى سنوات عديدة أنجز الأستاذ العراقي القدير الدكتور فاضل مهدي بيات مجلّدين بعنوان «البلاد العربية في الوثائق العثمانية»، صدر المجلّد الأوّل بإستانبول عام ٢٠١٠، وما يهمنا المجلّد الثاني الذي صدر بإستانبول عام ٢٠١١، إذ تضمن وثائق في غاية الأهميّة عن البصرة منتصف القرن السادس عشر بين ١٥٤٩-١٥٥٢. وممّا سهل على الباحث ذلك الانجاز الضخم تواجده قرب الأرشيف العثماني وإتقانه اللغة العثمانية فضلاً عن اللغة التركية ناهيك عن رصانة لغته العربية.

تناول المجلّد الثاني الذي حمل العنوان نفسه، مدة أواسط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ويتميز هذا المصدر بأن الباحث قام بتقسيم الصفحة الواحدة الى قسمين طبع أصل الوثيقة في جانبها الأيمن ومقابلها وبالصفحة نفسها وضع الترجمة العربية.

وبحكم علاقتي بالاكاديمي والباحث فاضل مهدي بيات فقد كنت متابعاً إصداره السابق من بين عدد غير قليل من إصداراته عن تاريخ البلاد العربية من خلال الوثائق العثمانية.

وفي الوقت الذي لم يتضمّن المجلّد الأوّل إلّا بعض الرسائل والتقارير عن أحوال بغداد قبيل فتحها من قبل السلطان سليمان القانوني عان ١٥٣٤، وكذلك الوقائع اليومية لحملة السلطان سليمان القانوني على العراق والمناطق التي زارها ولكنّه تضمن ذكراً لأهم مراقد الأئمة والأولياء والصالحين في بغداد يومئذ.

أما المجلّد الثاني فتناول وثائق مهمّة عن فتح منطقة الجزائر بجنوبي العراق (٢/ ١٠٧) وإمكانية تحويلها الى بكلريكية (ولاية) والأمر بإعمارها وإحيائها وكذلك تكريم من وقف الى جانب الدولة العثمانية (٢/ ١١٢-١٢٣)، وهذا يعني أن الدولة العثمانية استخدمت مع أبناء جنوبي العراق، شأنهم شأن غيرهم من أبناء الولايات العثمانية، سياسة الثواب والعقاب.

إن فتح منطقة الجزائر والمدينة جنوبي العراق وتحويلها الى مركز ولاية وجعل البصرة لواءً تابعاً لها، وتسخير السلطان الأموال من بغداد وديار بكر لترصين الأمن في تلك المنطقة هو دليل على أهميّة المنطقة للدولة العثمانية التي تجعل لها إطلالة على الخليج العربي والمحيط الهندي.

الملاحظ أن الدولة العثمانية عينت بكلر بكي البصرة قباد باشا والياً على ولاية الجزائر والمدينة بجنوبي العراق وتمّ تعيين ابنه محمد أميراً لسنجق لواء البصرة أي بمعنى آخر أصبحت منطقة الجزائر والمدينة مركز ولاية وأصبحت البصرة مركز لواء واهتمت الدولة العثمانية بتوفير الأمن والأمان بمنطقة الجزائر (٢/ ١٠٧-١٢٣) وأعتقد أن أهميّة ذلك تكمن بأن العثمانيين أرادوا أن يؤمنوا الطريق بين بغداد والبصرة ويرصنوا الأمان في تلك البقاع لاسيّما وأنها منطقة أهوار يصعب صيانة الأمن فيها لأسباب طبوغرافية.

تضمّنت الوثائق العثمانية أيضاً أمور الأوقاف والشؤون الدينية والقضائية والاقتصادية وأمور العشائر والزعامات البدوية والشؤون العسكرية واستتباب

الأمن وشؤون مختلفة أخرى.

يبدو من خلال الوثائق أن المنطقة لم تشهد استقراراً فقد قطع أبناء عليان عام ١٥٤٩ الطريق المؤدي الى البصرة، ولكن والي بغداد الذي سيّر جيشاً استطاع قمعهم، إلّا أنّ الملاحظ أن المنتفضين طلبوا الصلح عندما وجدوا أن القوة العثمانية أكبر من قابلياتهم ولكنّهم وكما تشير الوثيقة عادوا الى العصيان، كما يسميها الكتاب (٢/ ١٠٧).

أرادت الإدارة العثمانية تنظيم المنطقة الجنوبية من العراق فوجّه الديوان الهمايوني اسئلة عديدة الى بكلر بكي (والي) بغداد بغية الإحاطة علماً بكل جوانب الحياة بالمنطقة، ومن بين تلك الاسئلة: أيهما أنسب للادارة، تحويل المنطقة الى ولاية مستقلة وجعل البصرة لواءً ملحقاً بها، أم تحويل المنطقة الى لواء تابع لولاية البصرة؟

ولهذا طلب الديوان الهمايوني من والي بغداد ضرورة إلقاء القبض على الزعيم المعروف بابن عليان؛ لأنه مصدر الاضطرابات ويبدو أن القوات المشاركة بمطاردة ابن عليان لم تكن من بغداد وحدها بل ساهمت قوات من ديار بكر وقرمان والقبو قولية (٢/ ١٠٨). وهذا يؤشر حجم وقوة الثائرين ضد الدولة العثمانية تساعدهم في ذلك طبيعة المنطقة.

كانت المدينة هي القلعة الأساسية لمنطقة الجزائر، ولهذا اقترح والي بغداد علي باشا إقامة قلعتين أخريين لتتمكن من التصدي للعشائر البدوية وكبح جماحها دون مرابطة قوات عسكرية فيها. ومن خلال تقرير والي بغداد يتبين أنه لم يتمكن من القضاء نهائياً على (المتمردين) في المنطقة ولا إيقاف الأعمال العدائية (٢/ ١١٢)، وهذا يعني أن الإدارة العثمانية في المنطقة لم تشهد استقراراً وأماناً على الرغم من أنها استعانت بقوات من ولايات أخرى.

إن تلك الأوضاع دفعت السلطات العثمانية الى تحويل المنطقة الى بكلربكية أي ولاية وعيّن بها بكلر بكي البصرة قباد باشا لادارتها، وضمّت ولاية الجزائر والمدينة وتمّ تخفيض وضع البصرة الاداري بتحويلها من ولاية الى لواء تابع للولاية الجديدة وعيّن محمد ابن قباد باشا أمير سنجق على البصرة، وطلبت الإدارة العثمانية من قباد باشا بذل الجهود في حفظ المنطقة وإشاعة الأمن والنظام فيها وكرّم الديوان الهمايوني الجنود والامراء، وصرفت لهم رواتبهم (٢/ ١١٣).

واللافت للانتباه إن الديوان الهمايوني لم يقف عند هذا الحد بل جلب خيرة الموظفين من مناطق أخرى، فقد عيّن قاضي الحلة مولانا علاء الدين قاضياً على ولاية الجزائر والمدينة وطلب منه الإسراع في التوجه للمنطقة لممارسة العمل هناك(٢/ ١١٤). وهذا يعني أنه سيكون بمقدور القاضي حسم الكثير من القضايا الشرعية وهذا كلّه يعمل على إشاعة الاستقرار والأمان في المنطقة.

والأمر الآخر الذي اعتقدَ والي بغداد أنه سيشيع الاستقرار هو بناء جامع في المدينة وإقامة صلاة الجمعة الأمر الذي وافق الديوان الهمايوني عليه.

والأكثر من ذلك، سعت الدولة العثمانية الى كسب جميع العشائر في المنطقة لقناعتها أن الأمن لا يتحقق بالقوة العسكرية فقط، كما أن هذا الأمر له تداعيات مادية واجتماعية واقتصادية، فقامت بتكريم أمراء العشائر، كما أن الديوان الهمايوني أمر بإعمار ولاية الجزائر وعدم التعرض لممتلكات الأهالي من أجل إحياء المنطقة ونزع الخوف من أبناء المنطقة (٢/ ١١٤-١١٥).

والقرار الصائب الذي اتخذه السلطان سليمان القانوني لتهدئة الخواطر، أنه وجّه بمحافظة شيوخ وعلماء الولاية وأعيانها وغيرهم من الأهالي على مواقفهم السابقة وعودة أصحاب البساتين والكروم على التصرف بأملاكهم وعدم التعرض لهم ولكنّه أمر بمصادرة أموال وأملاك من فرّ من الأهالي وما يمتلكه

ابن عليان، ومن جانبه أوصى والي بغداد بعدم الحاجة الى الفرسان بل الى حملة البنادق ورماة السهام نظراً لطبيعة المنطقة.

ولم ينس السلطان الإغداق على والي الجزائر والمدينة فمنحه ترقية مقدارها (٥٠٠) ألف آقجة، ونظراً لكون ابنه من متفرقة (آستانة سعادتي)، فقد منحه علاوة لعلوفته بمقدار (٥٠) أقجة يومياً ووعده بمنصب مناسب (٢/ ١١٥-١١٧).

أوضح السلطان أهميّة المنطقة بالنسبة للدولة العثمانية حيث أكد أن المنطقة الجنوبية من العراق تعد من الثغور التي يتمّ النظر إليها دائماً بعناية مستمرة وعدّ العمل بها جهاداً مباركاً ووعدهم بالترقيات.

ومنح المتطوعين وانكشارية بغداد تيمارات، كما منح أمراء العرب مخصصات مالية وأمر السلطان بتغطية النفقات والتكريمات من خزينة ولاية بغداد وديار بكر لصعوبة إرسال خزينة من مركز الدولة الى الجزائر (٢/ ١١٤-١١٧).

ومن جهة أخرى أمر السلطان واليه على الجزائر قباد باشا بإيلاء الاهتمام لولاية الجزائر وتقديم الدعم لها بكل الوجوه.

كما صدر أمر سلطاني الى دفتردار عربستان بشأن بناء ثلاثمائة سفينة، ووجه الأمر نفسه الى حلب وديار بكر، وأرسلت أحكام شريفة الى حكام العمادية والجزيرة وهيتوم بأن يقوم كلّ منهم بإرسال ألف فرد، والى أمراء صوران وبابان وسيدي وعجور لتجهيز (٥٠٠) فرد من رماة السهام مع أسلحتهم وموادهم الغذائية وإرسالهم مع أغاوات العشيرة الى الجزائر ليقوموا بخدمة الولاية بالتناوب وأرسلت تلك الأحكام يوم ٢٩ تموز ١٥٥٢م (٢/ ١١٨).

ومن هذه التقارير يتبين الاستعدادات التي أولاها السلطان جانباً من

اهتمامه للسيطرة بالقوة العسكرية على الجزائر والمدينة، لما تشكله من طريق آمن للوصول الى البصرة، التي سماها الثغر، ومن ثمّ الى الخليج العربي والمحيط الهندي، كما أنها إحدى طرق الوصول الى البحر الأحمر والسويس وسواحل جدة، أي تحويل منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي والبحر الأحمر الى منطقة نفوذ عثماني.

حدّد السلطان راتب وامتيازات والي الجزيرة بخمسمائة ألف وأوصاه بأن يكون مُجدّاً وغيوراً في إحياء وإعمار وحفظ وحماية الولاية، وأوصاه بأن يكون على أتم بصيرة وانتباه، وأن يبذل قصارى جهده في الأمور والمصالح المتعلقة (بدولتي السلطانية)، وفوّضه أمر الأماكن المفتوحة من الولاية بحسن تدبيره وفراسته ووفور جلادته وعدالته، وأوصاه بتصحيح الأوضاع بأي طريق ممكن «إن كان عن طريق الاستمالة أو السيطرة» ووعده بالمزيد من التكريم إذا ما انتظمت الأمور وعدم إبقاء أي مكان مشكوك في أمره، وهكذا أراد السلطان أن يجعل من المنطقة مكاناً آمناً بشتى الوسائل التي أوصى بها الوالي قباد باشا؛ لأهمية المنطقة الجنوبية من العراق وما تشكله من عمق للدولة العثمانية، ولما تشكله تلك المنطقة من تأثير استراتيجي على إحدى تخوم الدولة العثمانية يومئذ (٢/ ١١٨-١١٩).

وفي حكم سلطاني صدر يوم ٣٠ تموز ١٥٥٢ كرّم السلطان سليمان القانوني شيخ بني أخلاف بمنطقة الجزائر بجنوبي العراق لإسدائه الخدمة للدولة ومساهمته في بناء قلعة الجزائر بجنوبي العراق وتمكينهم من المحافظة على ممتلكاتهم، وأمر واليه قباد باشا أيضاً بأن يصادر كلّ ما يمتلكه ابن عليان وأوصى إليه أيضاً بأن ينعم على الرعايا والبرايا راحة البال ويضبط باسم الميري ما كان يتمّ صرفه على الجند في السابق وأموال من فروا من الأشخاص وأملاكهم وما

يمتلكه ابن عليان من أموال وأملاك وينبغي أن تطبق العدالة في الولاية بحيث لا يتعرض أي فرد صغيراً كان أم كبيراً الى الأذى (٢/ ١٢٠-١٢٢).

وفي حكم سلطاني آخر أرسل في اليوم نفسه، ٣٠ تموز ١٥٥٢ أمر السلطان سليمان القانوني واليه الى الجزائر والمدينة عدم التدخل في أملاك وكروم وبساتين أي فرد من أبناء ولاية الجزائر والمدينة من أجل إحيائها وزرع الطمأنينة في نفوس الأعراب ونزع الخوف من قلوبهم، ودعاه في الوقت نفسه الى عدم التغافل عن حيل وخدع الأعراب وأن لا يفسح المجال لأصحاب الأملاك ممن يدعون الإمارة والملك ويدعون الى الفتنة والفساد وأكد عليه بأن لا يتهاون في ردعهم، وأن لايفوت الفرصة في التنكيل بأهل الفساد والشناعة، وبالمقابل يبذل كلّ مساعيه الحميدة لإصلاح البلاد. والغريب أن الحكم السلطاني أوصى الوالي بأن لا يفشي هذا الحكم السلطاني لأي شخص (٢/ ١٢٢-١٢٣).

حملة بيري الريس الى البصرة وأهدافها:

توارث العثمانيون ترسانة السويس من المماليك، وتمّ فيها بناء السفن ووفروا الأخشاب والحديد من مناطق بعيدة، وازداد الاهتمام العثماني ببناء ترسانة لإنشاء أسطول قوي للهيمنة على البحر الأحمر وبحر العرب وخليج البصرة والتصدي للقوة البحرية المتنامية للبرتغاليين في سواحل شبه الجزيرة العربية، فازداد عدد سفن الأسطول العثماني وأطلق عليه قبودانية السويس وتولى قيادتها عام ١٥٤٧ الملّاح المشهور بيري الريس.

إن تزايد نشاط البرتغاليين في خليج البصرة بين سنتي ١٥٥٠-١٥٥١، وتوغلهم حتّى سواحل البحرين، وسيطرتهم على القطيف في الاحساء، وتحريضهم الأهالي ضد الدولة العثمانية، كلّ ذلك دعا العثمانيين للعمل على طردهم من المنطقة فصدر الأمر الى بيري الريس للتوجه بالأسطول من

السويس نحو خليج البصرة، فسار بيري الريس على رأس حملة ضمّت ثلاثين قطعة بحرية وذلك في نيسان ١٥٥٢، وأرسل بيري الريس رسالة الى والي ولاية الجزائر والمدينة، أوضح له فيها ما حققه من انجازات في البحر، فأوضح أنه انطلق بقطعه البحرية في نيسان ١٥٥٢ من ميناء السويس نحو جدة ثمّ الى عدن، ثمّ رأس الحد ثمّ ميناء مسقط الذي يعد قلعة ثغرية للكفار البرتغاليين – كما يسميهم – وكأنه يريد أن يعطي لتحركه طابعاً جهادياً أكثر منه هيمنة وسيطرة وحماية لمصالح الدولة العثمانية.

وبعد فتحه قلعة مسقط بعد دكها بالقنابل لستة أيام، ثمّ دخوله بعد ذلك الى مدينة هرمز على رأس (٤٨) سفينة، حيث تزايد حجم أسطوله بالدعم الذي حصل عليه، إلّا أن الأسطول عانى من نقص في الأموال لدفع علوفات الجنود، ثمّ توجه نحو البحرين، على أن يرابط الأسطول مع القبودان والجنود في الخليج لضبط الموانيء على الوجه المرجو فتحصل الخزينة على موارد مالية كبيرة بعد دفع مرتبات الجنود، ولكن في حالة عدم مرابطة الأسطول أو مغادرته سيتوجه الكفار البرتغاليون مرة أخرى إليها ومن المقرر أن يلحقوا أضراراً فادحة بالبصرة.

وهـذا يعني أن بيري الريس كان يـدرك حجم المخاطر التي يضمرها الأسطول البرتغالي لمدينة البصرة ولهذا أراد إبلاغ والي البصرة بالأمر لكي يأخذ الاحتياطات اللازمة ويتعاون الطرفان لصد أية هجمات برتغالية.

وفي ردّه يتبين أن قباد باشا واجهته مخاطر أخرى قادمة من الصفويين، فقد طلب الوالي قباد باشا من الديوان الهمايوني ضرورة مرابطة الأسطول والجنود في سواحل البصرة وأنحائها لضبط الموانيء؛ لأن وجود الأسطول العسكري يعد من أهم الأمور، ويكون ذا فائدة لحفظ وردع تحركات القزلباش(الصفويين).

اقتنع الديوان الهمايوني بوضع المنطقة الحسّاس، وإن الوجود العثماني يواجه

تحديات مختلفة (البرتغاليين والصفويين والأمراء المحليين)، ففوض الديوان الهمايوني أمور المنطقة الى بكلر بكي الجزائر والمدينة بالتشاور مع قبودان الهند بيري باشا وخير في اتخاذ قرار بقاء الأسطول في الخليج من عدمه طالباً إياه توفير المستلزمات الضرورية للأسطول وتغطية نفقاته طيلة مدة بقائه هناك (٢/ ٢٩٣-٢٩٥).

ولما كان الديوان الهمايوني يعرف امكانات ولاية الجزائر والمدينة المالية المتواضعة وعدم إمكانية تمويلها نفقات الأسطول أصدر الديوان الهمايوني أوامره لبكلر بكي ديار بكر لإرسال عشرين ألف ليرة ذهب الى بغداد ومنها الى البصرة ولسرعة وصول المال الى البصرة أمر الديوان الهمايوني بكلر بكي بغداد بإرسال ما يعادل المبلغ المذكور من خزينة بغداد الى البصرة بطريقة القرض، الأمر الذي يدل على مدى الاهتمام الذي كانت توليه الدولة العثمانية لهذا الأسطول وبأهمية البصرة الاستراتيجية للدولة العثمانية.

وفي أمر همايوني آخر طلب من بيري الريس معرفة ما إذا كان العدو البرتغالي يستطلع تحركات الأسطول العثماني بعد دخوله البصرة، وكرر الديوان الهمايوني في الحكم السلطاني أمره بالتشاور مع بكلربكي الجزائر والمدينة بشأن بقاء الأسطول في البصرة أو عودته الى مصر (٢/ ٢٩٥-٢٩٦).

وظلت المراسلات مع بكلربكي الجزائر والمدينة، ففي ١٥ تشرين الأوّل ١٥٥٢ كتب الديوان الهمايوني الى الوالي قباد باشا يتساءل فيما إذا وصل الأسطول من اليمن الى البصرة وطلب الحكم السلطاني الكتابة على وجه التفصيل عن أحوال ولاية الجزائر والبصرة تحديداً (٢/ ٢٩٦).

وأوصى حكم سلطاني آخر، كما كان يسمي تلك الرسائل الصادرة من الديوان الهمايوني، لإعطائها قوة أكبر الى قباد باشا أنه من الضروري أن يتحقق

مال وفير لدفع علوفات الجنود كما يتيسر تحقيق فتوحات عديدة وبعكسه، أي في حالة مغادرة الأسطول هذه المنطقة، فإن العدو الكافر سيعود ومن المتوقع أن يلحق أضراراً كبيرة بالبصرة أيضاً، ولهذا ينبغي حالاً صدور أمر شريف الى القبودان يقضي بالبقاء مع الأسطول والجند في هذه الديار بشكل دائمي وضبط الموانيء؛ لأن مرابطة الأسطول في هذه الديار بشكل مستمر تعد من أهم المهمات وستكون له فائدة كبيرة لحفظ البصرة وضبط الجزائر وردع الصفويين.

ولكنّه تساءل في الوقت نفسه عن كيفيّة توفير المواد الغذائية والعلوفات (الرواتب) للجند عند وصول الأسطول السلطاني الى البصرة؟ (٢/ ٢٩٧-٢٩٨). وتضمّنت الوصايا أن يوفر والي الجزائر الأغذية للجنود وتموين الأسطول طوال فترة بقائه (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

كما بينت الرسالة إرسال أسلحة إضافية الى البصرة وكذلك المعدات.

وفي رسالته الى قبودان الهند بيري بك، فإنه أعطاه كلّ الصلاحيات بالبقاء في البصرة من عدمها، وهذا يعني أن القيادة العثمانية كانت تعطي حرية تقدير الموقف لمن هو في الميدان، وأكد له الديوان الهمايوني إن إرسال الأسطول الى البصرة كان لغرض حماية البصرة ودعاه للتشاور مع قباد باشا بشأن أهميّة البقاء في البصرة من عدمها والعمل معه بما هو أنفع وأولى كما حذره من تربص الأعداء وخداعهم وعدم إلحاق الأذى بالجنود والمعدات والأسطول السلطاني، جاء ذلك بحكم سلطاني صادر يوم الخامس من تشرين الثاني ١٥٥٢ (٢/ ٣٠٢-٣٠٤)، أي بعد ثلاثة أسابيع من مخاطبة الديوان الهمايوني والي البصرة.

أهمية الوثائق العثمانية لدراسة تاريخ البصرة:

مما تقدم يبدو واضحاً أن الوثائق العثمانية التي تخص البصرة وباقي أجزاء العراق مازالت حبيسة الأرشيف العثماني وإن هذا الكنز الوثائقي لابد من أن

نعمل جميعاً بصفتنا مؤرخين بشكل خاص لإماطة اللثام عنه وتوجيه ابنائنا طلبة الدراسات العليا للنهل من هذه الوثائق المهمّة التي تغطي اربعمائة سنة تقريباً من تاريخ وطننا، وأن ما دونه الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بيات لا يشكل شيئاً من مجموع تلك الوثائق، وكما أوضح لي في أكثر من مناسبة أن هناك كمّاً هائلاً من الوثائق العثمانية حول العراق والبلاد العربية الأخرى، وبدأنا في بغداد وبكلية الآداب بفتح وحدة خاصّة بالوثائق العثمانية ولكن هذه الوحدة الوثائقية ولدت مشلولة؛ لأن الدكتور فاضل مهدي بيات تقاعد وعاد الى إستانبول ليواصل عمله البحثي هناك، وهنا أستثمر هذا الملتقى لنكثف العمل من أجل تصوير وجلب الوثائق الخاصّة بالعراق أو حتّى البصرة من خلال جامعة البصرة لتكمل الصورة عن تاريخ البصرة من وجهة النظر العثمانية.. والله الموفق.

مصادر الورقة البحثية:

١- البلاد العربية في الوثائق العثمانية النصف الأوّل من القرن ١٠ هجري ١٦ ميلادي: مج١، إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، تقديم خالد أرن، إستانبول، ٢٠١٠.
٢- البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواسط القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي: مج٢، إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، إستانبول، ٢٠١١.

المصدر: مجلّة آداب البصرة: العدد (٦٣)، مج٢، ٢٠١٢م.

البيوتات العلمية والمدارس في الحلة

في القرن السادس حتّى القرن العاشر

(دراسة تاريخية)

أ.م.د. ثامر كاظم عبد

أ.م.د. محمود شاكر مشعان

الملخص:

في هذا البحث حصلنا على معلومات ساعدتنا على إتمامه وإظهاره بالمظهر الذي يرضي الجميع إن شاء الله تعالى، فضلاً عن المخطوطات التي حصلنا عليها من المكتبات وفهارس المخطوطات التي ساعدتنا للوصول إلى معرفة أماكن كتابة هذه المخطوطات ومعرفة علمائها وتلاميذهم وبعد إتمامنا هذا البحث، نراه في حاجة إلى الوقوف ملياً عند بعض النتائج المهمّة في البحث والتي استخلصناها كما يلي:

إن الحوزة العلمية في الحلة منذ انطلاقها العلمي في القرن السادس على يد الشيخ محمد بن إدريس (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) وإلى حين أفولها في منتصف القرن العاشر الهجري كانت مركزاً للدراسات العلمية في العالم الإسلامي، والسبب الرئيس لهذا الانطلاق العلمي يرجع إلى دور العلماء والمدارس في النهضة العلمية لهذه المدينة، فقد كان اعتماد علماء الحلة في بداية التدريس على بيوتاتهم، ولم يكن عقبة أمام علماء الحلة بل كان البديل لها هو بيوت العلماء فكانت هذه البيوتات تقوم بدور المدرسة، فأصبحت معاهد علم يؤمها طلبة العلم من داخل المدينة ومن خارجها، وبعد ظهور الازدهار والتوسع العلمي الذي بلغ القمة في العطاء في القرن السابع والثامن الهجري وأصبحت الحلة مركزاً علمياً كبيراً ولجميع العلوم مثل: النسب والأدب فضلاً عن الفقه وأصوله وغيرها من العلوم.

Abstract:

Since scientific al hawza starting in the sixth can AL - shekh Ibn idriss (my God have mercy on him) until abolition in the middle at tenth century A. H. was considead

as acenter for scientific studies in the Islamic world. The main reason for this scientic develament returned to the role of scientists and school in the scientific renaissance of this city.

The scholars of Hilla depended on their homes at the beginning of teaching. Through research shows that there was altarnative of the schools which is the scientists, houses act as school. These schools became instidutes of science which are frequented by science students from inside and outside of the city.After the appearance the prosperity and scientific expansion that reached the summit in the seventh center and eighth centhry A.H.

At that time Hilla became amajor scientific center and all sciences as descent and literature as well as jurisprudence its origins and other sciences.

Many students migrated to the city so the need to build schools, A school was built next to the Shime of Imam sahib al zaman (peace be upon him) and other school to be a new place replaced the houses which opened by the scientists to their students.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين وَصَلَّى اللهُ عَلَى سيدنا محمد وآل بيته الطَّيبين الطاهرينَ وأصحابه الغر الميامين ومن والاهم إلى يوم الدين.

تراثنا الإسلامي يعبّر عن هوية الأمة، بل هو خير معبّر عنها؛ لأنه جزء منها، وهكذا كل تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته، فلا يمكن أن نؤسس النهضة على تراث آخر غير تراثنا، فالنهضة يحتضنها هذا التراث.

إنّ الذي دفعنا إلى هذا البحث، هو استقراء مدينة الحلة ومعالمها؛ والكشف عن وجه من وجوهها التي تتمثل بالبيوتات العلمية والمدارس التي نشأت واشتهرت بها، وتسليط الضوء على الإمكانات العلمية التي كانت تتمتع بها هذه البيوتات والمدارس، وفضلها الذي سلب بسبب الإهمال؛ ولأن جزءاً ممّا خلفوه من تراث كبير أخفيت معالمه كان صرحاً شامخاً انتفعت به أكثر البلاد الإسلامية.

كانت هذه البيوتات العلمية والمدارس تُمثلُ جانباً مهماً من تراث هذه المدينة، وهو الجانب الفكري، فهو يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم في ضوء مستقبلها، كان من الأهميّة الاهتمام به، والحفاظ عليه ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً وهادياً لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ولا شك أن الحفاظ على هذه البيوتات والمدارس والعناية بها أمر ضروري لحماية تراثها، وإنَّ القيام بالبحث عنها وبيان دورها في تهيأة جيل كبير من العلماء هو إحياء لهذا التراث.

وقد استدعت طبيعة الدراسة أن نقسم على مبحثين: تناولنا في المبحث الأول: عن البيوتات العلمية في الحلة، أما المبحث الثاني فعنونته بـ: المدارس في الحِلَّة.

وقد اعتمد البحث على روافد مهمّة ومتنوعة، في صدارتها كتب التراجم والسير منها: كتاب الرجال لابن داود يعد كتاب الرجال للحسن بن داود الحلي (ت٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) من الكتب الرجالية المهمّة والتي اهتمت بالرجال وخاصّة رجال الحلة، وكتاب سير وأعلام النبلاء للذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، وكتاب أمل الآمل للحر العاملي (ت١١٠٤هـ/ ١٩٥٩م)، وكتاب رياض العلماء للخوانساري (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٤م) وغيرها من كتب الرجال.

أما كتب التاريخ: اعتمدت على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، وكتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وكتاب تاريخ الإسلام للذهبي، وكتاب تاريخ طبرستان لابن اسفنديار (ت. ق: ٦)، وغيرها من الكتب.

أما كتب الرحلات اعتمدت على كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، واعتمدت على كتب غيرها من المصادر والمراجع التي ذكرتها كاملة في قائمة المصادر والمراجع.

وقبل الانتهاء من حديثنا لا يسعنا إلّا أن نتقدم بالشكر والجزيل والامتنان إلى كلّ من أعاننا بكتاب أو أفادنا بتوجيه اسأل الله أن يؤيدهم ويسدد خطاهم، ويوفق كلّ من مدّ لنا يد العون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: نشأة البيوتات العلمية في الحلة

ترجع بواكير نهوض الحلة الفكري والعلمي بدايتها إلى مؤسسها الأمير صدقة بن منصور ابن دبيس بن مزيد الأسدي، (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) (٥٠١هـ/ ١١٠٧م) ثمّ قويت هذه النهضة في وقت لاحق عندما أصبحت الحلة

مركزاً من مراكز العلم ونالت الصدارة في العالم الإسلامي. قال ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م): «لقد كان من أهم أسباب النهضة الفكرية في الحلة اهتمام الأمراء المزيديين بهذه الناحية، وتشجيعهم المستمر رجال العلم والأدب وإجزالهم العطايا والهبات لهم، فقصدهم الكثير من الشعراء، كما حظي العلماء والفضلاء، حتّى أن سيف الدولة صدقة بن مزيد كانت له مكتبة ضخمة عندهم تضمّ ألوف المجلّدات»[١].

وهناك أسباب عديدة للنهضة العلمية الكبيرة كانت وراء نشوئها واستمرارها لأربعة قرون تقريباً من القرن السادس إلى القرن العاشر، أصحبت الحلة زعيمة وقبلة للعلم والعلماء واحتلت موقع الزعامة للمذهب والدين، ومن تلك الأسباب اهتمام أمراء الدولة المزيدية بالعلم والعلماء، قال ابن الأثير: «ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَة إِحْدَى وَخمسمائة في هذه السنة في رجب قتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي أمير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق، وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فأجارهم...، وكان له من الكتب المنسوبة الخط شيء كثير ألوف مجلّدات، وكان يحسن القراءة ولا يكتب، وكان جواداً حليماً صدوقاً، كثير البر والإحسان، ما برح ملجأ لكل ملهوف يلقى من يقصده بالبر والتفضيل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلاً والرعايا معه في أمن ودعة، وكان عفيفاً لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فما ظنك بغير هذا؟ ولم يصادر أحداً من نوابه ولا أخذهم بإساءة قديمة، وكان أصحابه يودعون أمواله في خزانته ويدلون عليه إدلال الولد على الوالد، ولم يسمع برعية أحبت أميرها كحب رعيته إياه وكان متواضعاً محتملاً يحفظ الأشعار ويبادر إلى النادرة – رحمه الله – لقد كان من محاسن الدنيا»[٢]، لقد كتب الأدباء والشعراء مناقب ومآثر وكرم وجود وفضل كثير لهذه الأسرة الكريمة، فقد ذكر الشاعر والأديب هبة الله بن نُما ألف شاعر في

كتابه المشهور (المناقب المزيدية في أخبار الدولة الأسدية)[٣]، وهناك سبب آخر لا يقل أهميّة وهو الاهتمام بالكتب فقد قيل: «كان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون إلى بغداد،الأطعمة، فانتفع الناس بذلك، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة»[٤].

فضلاً عن أنّ الحلّة طيبة التربة معتدلة الهواء عذبة الماء، ذات طبيعة بهجة، وهي إلى جانب ذلك وارثة الحضارة والمدنية البابلية، فكان لجميع ذلك أثر في صفاء الخاطر وحدة الذهن واعتدال المزاج عند أبنائها كصفة عامة.

إن الحوزات العلمية الشيعية تنماز عن مثيلاتها بأمرين جوهريين: استقلالها المالي والسياسي، ومنهج الدراسة فيها، فماليتها تتمثل في الأخماس والزكوات والتبرعات التي يدفعها الشيعة في العالم إلى مرجع التقليد الذي يرون أنه الأعلم بالفقه والأتقى في العلماء المعاصرين، والمكلف يعطي الحقوق الشرعية التي في ذمته إلى مرجع التقليد الذي يثق به، وكان قسم من هذه الأموال تصرف على طلاب العلم، وهـذا مـا سـارت عليه مدارس الحوزة العلمية في الحلة.

كانت بيوتات العلماء في مدينة الحلة أحد روافد الفكر الإسلامي، وكانت هذه البيوتات محبة للعلم، مكرمة للعلماء ومبالغة في الاهتمام بالفقهاء ومغدقة عليهم، وهي بلا شك مركز من مراكز العلم والثقافة فيها تُعقد حلقات الدرس، ويؤمها العديد من طلاب العلم كي ينتهلون من عذب علمائها، ويمكننا وصفها بالمعاهد العلمية، إذ عن طريقها يأخذ الطالب إجازته التي تخوله ممارسة اختصاصه سواء كان في التدريس أم الفتيا، فقد أغنت منازل العلماء المدينة عن المدارس، إذ تخرجت في هذه المنازل أعداد كبيرة من الفقهاء وطلبة العلم على أيدي أبرز علمائها سواء كانوا من أهل المدينة أم من المدن الإسلامية الأخرى.

كانت الدراسة في بداية عهدها في بيوت العلماء فقد شكلت هذه البيوتات

مراكز ونواة مراكز للعلم، فكانت تُعقد في هذه البيوتات المجالس العلمية، وكان العلماء يؤمون هذه المجالس ويحضر الكثير من طلاب العلم للاستفادة من الدروس العلمية التي تطرح فيها والحصول على الإجازات، ومن هذه البيوتات نذكرها حسب وفيات أصحابها:

١- بيت الشيخ ورّام بن أبي فارس الجاواني (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م):

الأمير الزاهد أبو الحسين ورام بن أبي فراس عيسى بن أبي نجم بن ورام بن حمدان بن إبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي (صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) عالم فقيه صالح جليل القدر وهو جد السيد علي بن طاووس لأمه، لقب بأمير الفقهاء والعلماء، نشأ في الحلة وتربى بها وصار أميراً من الأمراء العسكريين، ثمّ ترك سلك العسكرية وواصل دراسته العلوم حتّى صار عالماً، يروي عن الشهيد الأول، قرأ على الشيخ محمود الحمصي له كتاب (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر)، أن الشيخ وراما كان محبا للعلم والعلماء مكرّماً لهم مبالغا في اهتمامه بالفقهاء مغدقا عليهم، إذ يظهر من بعض الروايات أنَّ العماد الطبري رحل من النجف الأشرف إلى الحلة بدعوة من الشيخ ورام، قال ابن اسفنديار في كلامه عن – العماد الطبري –: «فقيه آل محمد عليهم السلام، عالم زاهد متدين، استدعاه الأمير ورام بن أبي فراس إلى الحلة، فأقام بها عامين، وخصص الأمير لنفقاته كلّ عام ألف دينار، فرحل إليه الشيعة من بغداد والكوفة وكل النواحي، يقرؤون عليه، ويسمعون منه، ويحملون عنه، وحصلت بينهما مصاهرة، فتزوج ابن الأمير ورام بنت العماد الطبري، فأولدت له ولدا... من خيرة الشباب، متبحراً في العلوم، وله جاه عريض، واختصاص وزلفى من الناصر لدين الله أبي العباس أحمد الخليفة»[٥].

ومن تأثير دار الشيخ ورّام على الحركة العلمية في الحلة أن الشيخ محمود

ابن علي بن الحسن سديد الدين الحمصي الرازي (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) عندما وصل العراق عائداً من الحرمين الشريفين في طريقه إلى الري، لقيه الشيخ ورام ابن أبي فراس، وطلب منه البقاء في الحلّة، وألح في ذلك، فاستجاب له ونزل عنده، منشغلاً بالمذاكرة والمدارسة، وألَّفَ كتابه (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد المسمّى بالتعليق العراقي، وفَرَغَ منه في دار الشيخ في الحلة سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، وأملاه على الشيخ ورام[٦].

وانتفع علماء الحلة بـ (سديد الدين الحمصي) كثيراً وأملى عليهم كتابه المذكور آنفاً المسمّى بـ(التعليق العراقي)، سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧)، إذ كانت له إسهامات في إمداد التراث الحلّي بآرائه ومباحثاته الإسلامية، ولاسيّما العقدية، وهذا الكتاب يُسمى أيضاً بـ (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد)[٧]، يقول: «وسميته بـ (التعليق العراقي والمنقذ من التقليد والمرشد إلى التَّوحيد)، فليذكروا بما شاؤوا وأحبوا من الاسمين»[٨]، وهو يُعدُّ من الكتب الكلامية المهمّة والقيمة وفيه إثبات للعقائد الخمس مبسوط مشتمل على جزأين، وفيه تحقيقات ودلائل تدلّ على فضل مؤلّفه وطول باعه وسعة اطلاعه[٩]، وإنما سماه بالتعليق العراقي؛ لأنه صنفه بالحلة[١٠].

وحضر مَجْلِسَ دَرس الحمصي - فضلاً عن الشيخ ورام الذي سمع أكثر كتبه - فخرُ الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) المفسر، ومنتجب الدين ابن بابويــه (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، وتتلمذ على يده أكابر العلماء الحليين، مثل ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)[١١].

ومن الحقيق بالذكر أن جملة من علماء الحلة قد سألوا سديد الدين الحمصي عدداً من الأسئلة وأجاب عنها[١٢]، وأفادوا منه كثيراً بعد أن حاقوه برعايتهم، وصرّح بهذا الاحتفاء والتكريم الذي ناله من لدن علماء الحلة، والمكوث،

والإقامة في الحلة، وإنه على الرغم من التماس الأعذار في التحنن للأهل والأوطان إلا أنهم ألحوا عليه في الإقامة، قال: «أدخلوني الحلة عمرها الله ببقائهم بإعزاز وإكرام وإجلال وإنعام وأنزلوني أشرف منازلهم وأطيبها وأفسحها وأرحبها وأكرموا مثواي ولقوني بكل جميل، واستأنسوا بي... ثمّ بعد الاستئناس أظهروا ما أضمروه من الالتماس المشتمل على إقامتي عندهم أشهرا، فشق علي واستعفيت واعتذرت بالتحنن إلى الأهل والوطن وتعطل أموري هناك بتأخري ومقامي في السفر فما زادهم استعفائي الا استدعاءً واعتذاري إلا إصراراً على الإلحاح والمبالغة فيما التمسوه فاستحييت، ولزمتني إجابتهم وآثرت مرادهم على متمناي وعزمت على الإقامة»[١٣].

وكان ورّام شديد التأثر بسديد الدين الحمصي ودلالة ذلك أنه كان يرجحه على غيره من العلماء، قال رضي الدين ابن طاووس: «وكان جدي ورام – قدس الله روحه ونور ضريحه – يرجحه على غيره من العلماء، ويفضل تصنيفه على من لا يجري مجراه من الفضلاء»[١٤].

توفي في الحلة سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) وقبره معروف، ويقع بيت الشيخ ورأم في وسط الحلة بمحلة (التعيس)، أصبح بعد ذلك قبراً للشيخ رحمه الله وهو مشهور لدى الحلّيين[١٥].

٢- بيت الشيخ عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أيوب (ت ٦١٠هـ/١٢١٣م)[١٦]:

عدّ هبة الله الملقب بـ (عميد الرؤساء) شيخ ومتصدر بلده، ممّا يدل على سمو علمه والمكانة التي يتمتع بها، إذ كان مرجعاً لأهل الحلة في الأدب، ولأجل ذلك كان منزله مقصد طلاب العلم، قال المجلسي: «أقول: قد وجدت في نسخة قديمة من الصحيفة الكاملة بخطّ الشيخ حسين بن حسن بن حسين بن محمد القصياني وكان تاريخ كتابتها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ما هذه صورته صورة

ما على الأصل: وعليها أعني النسخة التي بخطّ ابن السكون خط عميد الرؤساء قراءة: صورتها قرأها على السيّد الأجل النقيب الأوحد العالم جلال الدين عماد الإسلام أبي جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معيَّة - أدام الله علوه - قراءة صحيحة مهذبة ورويتها له عن السيد بهاء الشرف أبي الحسن محمد ابن الحسن بن أحمد عن رجاله المسمين في باطن تلك الورقة وأبحته روايتها عني حسب ما وقفته له وحددته له، وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وست مائة والحمد الله الرحمن الرحيم، وصلواته وتسليمه على رسوله سيدنا محمد المصطفى وعلى آله الغر الميامين»[١٧].

٣- بيت الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نُما ابن علي الربعي الحلي (ت ٦٤٥هـ/١٢٤٧م)[١٨]:

قام الشيخ تغمّده الله في سنة ست وثلاثين وستمائة بتعمير بيوت الدرس في الحلة، وأسكنها جماعة من الفقهاء[١٩]، وإنَّ الكثير من الأعلام قد تلقى علومه في هذا المكان الذي يعد من مراكز العلم في الحلة والذي يعرف سابقاً بالجامعين، فقد قرأ بها المحدث أبو عبد الله محمد بن علي السروي المعروف بابن شهر آشوب سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)[٢٠].

قال العلامة المجلسي: «وعندي بخطّ الشيخ شمس الدين محمد بن صالح: إجازة للشيخ الفاضل نجم الدين طومان بن أحمد العاملي وذكر فيها أنه يروي عن السيد فخار والشيخ نجيب الدين ابن نما وجماعة آخرين، وقال عند ذكره للرواية عن السيد فخار أنه قرأ عليه في سنة ثلاثين وستمائة بداره بالحلة»[٢١].

ويذكر أن عدداً من الطلاب رووا الحديث عن الشيخ نجيب الدين في داره منهم: الشيخ محمد بن جعفر المشهدي صاحب كتاب (المزار)، وولده الشيخ

الفقيه جعفر وحفيده نجيب الدين محمد بن جعفر، وحفيده الآخر نجم الملة جعفر بن نجيب الدين وأحمد بن محمد بن هبة الله وغيرهم[٢٢].

يقع هذا البيت في محلة المهدية بالقرب من بيت السيد أحمد بن طاووس والشيخ المحقّق الحلي وهو اليوم مدرسة مشهورة ومرقد للشيخ[٢٣].

٤- بيت السيد علي بن طاووس قدس سره (ت ٦٦٤هـ/١٢٥٦م)[٢٤]:

قال السيد الأمين العاملي: «وأما سائر كتبه فقد جاء في (مجموعة الشهيد) أنه جرى ملكه في سنة تأليفه (الإقبال)، وهي سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) على ألف وخمسمئة كتاب، والله أعلم بما زيد عليها من هذا التاريخ إلى وفاته في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، وهذا النيفُ والسبعون مجدّداً من كتب الدعوات التي عنده كلّها كانت من كتب المتقدمين على الشيخ الطوسي الذي تُوفي سنة (٤٦٠هـ)؛ لأن الشيخ منتجب الدين بن بابويه القمي جمع تراجم المتأخرين عن الشيخ الطوسي إلى ما يقرب من مئة وخمسين سنة وذكر تصانيفهم، ولا نجد في تصانيفهم من كتب الدعاء إلّا قليلاً»[٢٥].

وكتب كتاب (الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة واحدة في كلّ سنة) تأليف: رضي الدين علي بن طاووس الحلي، كتبه في بيته هذا وأتمه يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥١م)، وأضاف إليه بعض الإضافات بعد هذا التاريخ[٢٦].

ونسخت نسخة من كتاب (فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب) كتاب في الدعاء، لرضي الدين علي بن طاووس يقول: في يوم الثلاثاء ٢٤ رجب سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، يوم فتح الله أبواب النصرة في حرب البصرة على علي عليه السلام، وأتمه في يوم الأحد الخامس من جمادى الأولى سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) نسخها في بيته أحد أحفاده المسمى: علي بن سعد بن إبراهيم

ابن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس سنة (٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م)، توجد نسخ منه في مكتبة الاستانة الرضوية في مشهد المقدسة برقم (١٧٥٧)[٢٧].

وكتب السيد ابن طاووس كتابه كشف المحجة لثمرة (المهجة) كتاب في الأخلاق كتبه في هذا البيت سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١) وقد بلغ من العمر إحدى وستين سنة، وأتمه يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأولى سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)، نسخة بخطّ الناسخ: الشيخ محمد بن شمس الدين يحيى بن الجويني الحنفي، محيت بعض كلماتها وكتبنا مكانها ما وضعناه بين المعقوفات)، نسخها يوم الجمعة الثاني عشر من شوال سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧) بالحلة، توجد منه نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (٤٠٩٦)[٢٨].

وكتب السيد ابن طاووس كتابه (مهج الدعوات ومنهج العنايات) كتاب في الدعاء، ألَّفه السيد يوم الجمعة ٧ جمادى الأولى سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣)، ونسخه تلميذه الشيخ حسين بن عمار البصري الحلي يوم السابع من جمادى الآخرة سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) في دار السيد ابن طاووس، نسخته في مكتبة المشكاة في إيران برقم (٢٠٠٤)[٢٩].

يقع هذا البيت بالقرب من محلة الجامعين أو مجاور لها أو هو امتداد من محلة الجامعين إلى قبر ولده السيد علي والمعروف اليوم بمحلة الشاوي إذ الكثير من قبور العلماء كقبر عبد الكريم بن أحمد بن طاووس وقبر علي بن حماد النحوي والخليعي وغيرهم من العلماء[٣٠].

٥- بيت السيد أحمد بن طاووس (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)[٣١]:

كان في بيت السيد أحمد الكثير من الأعلام الذين تلقوا علومهم في هذا البيت العلوي الشهير، فقد كتبت ونسخت الكثير من كتبه، منها: كتاب (بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية) للسيد والتي نسخها تلميذه

تقي الدين حسن بن علي بن داود الحلّي صاحب كتاب الرجال المشهور، في شهر شوال سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦)، توجد نسخة منها في مكتبة وزارة الأوقاف في بغداد برقم (٦٧٧٧)، وتوجد في مكتبة المشكاة برقم (١٣٧٥) نسخة نسخت على الأصل نسخة نسخت على الأصل التي هي بخطّ الحسن بن داود تلميذ المصنف[٣٢].

وكتب كتاب (فرحة الغري بصرحة الغري)[٣٣] تأليف: غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م – ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)، في بيت أبيه السيد أحمد، ونسخت نسخة من هذا الكتاب في نفس هذا البيت بخطّ تلميذه حسين بن علي الحلي سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) توجد منه نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (١٤٢٨م)[٣٤].

وذكر ابن الفوطي بيته قائلاً: «أنه مجمع الأئمة والأشراف»[٣٥]، وممن حضر الدرس عنده في منزله وقرأ عليه الشيخ كمال الدين علي بن الحسين بن حماد الليثي الواسطى، وكتب له السيد غياث الدين إجازة شاملة بكل ما قرأه عليه وقال فيها: «وليروعني ما أجازه لي والدي وعمي رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس– رضي الله عنهما – من مروياتهما ومصنفاتهما وخطبهما ونثرهما وكل ما تصح روايتهما لي»[٣٦].

هذه البيت في محلّة تعرف بمحلة (أبو الفضائل) سميت باسمه تبركاً بالسيد أحمد وكانت سابقا تسمّى بمحلة المهدية والتي فيها الكثير من قبور العلماء الحلّيين ومنهم السيد نظام الدين الأعرجي والشيخ الشفهيني وغيرهم[٣٧].

٦- بيت الشيخ محمد بن معية (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)[٣٨]:

كان بيته ممن يقصده طلبة العلم، فقد قرأ عليه في بيته الشهيد الأوّل محمد بن مكي (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) يوم السبت الحادي عشر من شوال سنة

(٧٥٦هـ/ ١٣٥٥) كتاب (الروضة) الذي يتناول مواعظ النبيﷺ وبنهاية قراءة هذا الكتاب كتبت له إجازة شاملة بكل ما قرأه عليه وسمعه منه جاء فيها: سمع هذه الأحاديث من لفظي مولانا الشيخ... محمد بن مكي... وأجزت له روايتها بالسند المتقدم وغيره من طرقي إلى المشايخ الأجلة الذين رووها وكذا أجزت له رواية جميع ما تصح روايته من سماعاتي وقراءاتي ومستجازاتي ومناولاتي ومصنفاتي وما قلته وجمعته ونظمته ونثرته وأجيز لي[٣٩]، وقرأ عليه الحديث مرة أخرى في داره بالجامعين في الحلة في السادس من شعبان سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٤م)، وممن قرأ عليه في منزله ولازمه فيها مدة طويلة النسابة جمال الدين بن عنبة (ت ٨٢٨هـ)، فقد ذكر أنه لازم أستاذه في منزله لمدة اثني عشر عاماً قرأ عليه في تلك المدة الكثير من العلوم[٤٠].

٧- بيت الشيخ مفلح بن حسن الصيمري (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)[٤١]:

كان بيت الشيخ مفلح كباقي البيوت العلمية الحلية مرتعا لطلاب العلم والمعرفة، فقد ذكر أنَّ الشيخ مفلحاً ألف كتابه (جواهر العقود) وهو كتاب في الفقه، ألّفه في داره بالجامعين في الحلة السيفية في العاشر من جمادى الآخرة سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، ونسخه عباد الدين بن عبد السميع بن فياض الأسدي يوم الاثنين التاسع عشر من ذي الحجة سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م) توجد منها نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٨٩٤٠)، ونسخة أخرى نسخت في هذا البيت نسخها إسماعيل بن محمد بن صالح الصيمري يوم الجمعة التاسع من شعبان سنة (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م) توجد منه نسخة في مركز إحياء التراث في قم برقم (إحياء التراث ١٦٦٦م)، وتوجد نسخة أخرى نسخها في داره بالجامعين في الحلة السيفية في مكتبة إمام العصر بشيراز برقم (٣٥٢)[٤٢].

الف الشيخ مفلح الصيمري الحلي في داره الواقع في محلة الجامعين كتابه

(كشف الالتباس عن موجز أبي العباس) وهو كتاب فقهي ألفه في أواخر القرن التاسع الهجري، توجد منه نسخ خطيَّة من القرن العاشر في مكتبتي مجلس الشورى في طهران برقم (٣٩٧٣)، والنسخة الأخرى في مكتبة الطباطبائي في شيراز برقم (١٤٣) في يوم الثلاثاء الثاني من رمضان سنة (٩٥١هـ)[٤٣].

والف الشيخ الصيمري كتاب (نكاح المتعة) وهو كتاب في الفقه الإمامي في هذه المدرسة وهي مدرسة أبيه الشيخ مفلح ألّفه وانتهى منه في الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (٩٠٨هـ) ونسخته موجودة في مكتبة ملك في طهران برقم (٢١٤٧)[٤٤].

وكُتبت نسخة من كتاب إلزام النواصب في علم الكلام، تأليف: الصيمري نسخها: سيف الليثي الحلّي، سنة (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، توجد نسخة مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٣٣٩)[٤٥].

وكتبت نسخة من كتاب (نيات العبادات وصيغ العقود والايقاعات) وهو كتاب في الفقه الإمامي من تأليف الشيخ حسين بن مفلح الصيمري في هذه المدرسة سنة (٩٣٣هـ)، توجد هذه النسخة في مكتبة الشورى في طهران برقم (١٠٠٧٠)، ونسخة أخرى باسم الناسخ السيد حسين بن علي بن محمد الحسيني الحلي يوم الجمعة السابع عشر من رجب سنة (٩٨٩هـ) توجد في مكتبة مدرسة صدر بازار في أصفهان برقم (٢٥٢)[٤٦].

يقع هذا البيت في محلّة الجامعين، وهي المحلة المشهورة والتي عرفت بها الحلة السيفية وتعدّ من المحلات الأولى في الحلة[٤٧].

٧- بيت الشيخ عبد السميع الفياض[٤٨]:

وهو بيت كتبت فيه عدة كتب، ونسخت فيه عدة نسخ خطية، يقع

في الجامعين، ولكننا لم نجد له أثراً إلّا من خلال إشارات عابرة في الكتب والمخطوطات التي كتبت فيه، فقد كتب كتاب: تذكرة الفقهاء في تلخيص فتوى العلماء للعلامة الحلي، يوم الاثنين الثامن من ربيع الأوّل بالحلة سنة (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) بالحلة في بيت الشيخ من مباحث الإجارة إلى السكنى والعمري نسخها حامي بن بدر بن بركة الأسدي، توجد هذه نسخة في مكتبة السيد المرعشي برقم (١٦١١)[٤٩].

وكتبت نسخة من كتاب (التنقيح الرائع لمختصر الشرائع)، المجلّد الأوّل والثاني، بيد ولده: عبد الله بن عبد السميع بن فياض الأسدي سنة (٩١٨هـ (١٥١٢/ ٩١٨م) بالحلة في بيت الشيخ عبد السميع بن فياض الأسدي، وتوجد منه نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (٢٢٧٢م). ونسخت في هذا البيت نسخة من كتاب كفاية الطالبين في ما يجب على المكلفين وهو كتاب في الفقه الإمامي لجمال الدين أحمد بن متوج البحراني الحلي (ت ٨٢٠هـ)، نسخها ولده عباد الدين بن عبد السميع الحلي سنة (٩١٧هـ)، توجد منه نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٨٩٤٠)[٥٠].

المبحث الثاني: نشأة المدارس في الحلة

اهتم الحلّيّون بإكرام العلم والعلماء، والمبالغة في الاهتمام في الفقهاء والإغداق عليهم، فقاموا ببناء وتعمير المدارس لتكون هذه المدارس مراكز للدرس وطلبة العلم لكن لم تأخذ المدارس الحلية عناية كاملة بدراستها وتحديد مواقعها بالضبط إلا أن هناك إشارات ضعيفة لعدة مدارس نذكر منها حسب تسلسها الزمني:

١- مدرسة مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف:

كان للمراكز العلمية المحيطة بالحلة الدور الكبير والمشرف في النهوض بتلك النهضة العلمية، ويُعد مقام الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف من الأماكن الإسلامية المقدسة في النهوض الفكري لتلك المدينة، ومركزاً من مراكز العلم في الحلة، يرجع تاريخ المقام إلى ما قبل تأسيس مدينة الحلة سنة (٤٩٥هـ/ ١١٩٨م)، إذ كان مرتعاً للعلماء والفقهاء والأساطين وملاذاً للعام والخاص[٥١].

إن كثيراً من الرحالة الذين زاروا مدينة الحلة وعرجوا إلى زيارة المشاهد الشريفة فيها ومنها: مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف. فقد أورد ابن بطوطة في زيارته الحلّة سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) قائلاً: «وبمقربة من السوق الأعظم مسجد على بابه ستر حرير مسدول يسمونه مشهد صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف»[٥٢].

وذكر كركوش صاحب تاريخ الحلة قائلاً: «في سنة ٩٦١هجرية أرسل سلطان مصر أمير قبطانيته (سيد علي رئيس) إلى العراق وذلك لإحضار السفن الموجودة في ميناء البصرة إلى مصر فزار مبعوث سلطان مصر هذا المقام (مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ومشهد الشمس»[٥٣].

قال الخوانساري: «إن محمد بن نما الحلي في سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) أنشأ بيوتاً في الحلة إلى جانب المشهد المنسوب إلى صاحب الزمان وأسكنها جماعة من الفقهاء»[٥٤].

وذكر السيد العاملي: «أنَّ السيد نجم الدين أبا عبد الله، الحسين بن أردشير ابن محمد الطبري وهو من تلاميذ الشيخ نجيب الدين يحيى الهذلي الحلي له نسخة من كتاب نهج البلاغة بخطه في مدينة أصفهان تاريخ كتابتها في صفر سنة (٦٧٧هـ/ ١٥٥٣م) بالحلة في مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف وعليها خط الشيخ نجيب الدين المذكور وهو خط جيد...»[٥٥].

يعد المقام الشريف من الأماكن المهمّة التي قصدها العلماء والتلاميذ في القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن الهجري، وقد كتبت الكثير من الكتب لعلماء الحلة ونسخت الكثير من هذه الكتب في مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف.

إنَّ أهم ما يرشدنا الى تاريخ المدرسة في المقام الشريف هو مجموعة من المخطوطات التي كتبت في هذه المدرسة، فقد كتب في مدرسة المقام كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) تأليف: أبو القاسم جعفر بن حسن ابن يحيى الحلي (٦٠٢-٦٧٦هـ)، ونسخة نسخها في نفس المقام محمد بن الحسين ابن علي بن القاسم الزيني في يوم العشرين من شهر شوال والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)، من كتاب الطهارة إلى نهاية الديات، توجد منه نسخة في مكتبة الشورى في طهران برقم (٩٥٢٢)[٥٦].

وكتب في هذه المدرسة كتاب (القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية) وهو كتاب في المنطق للعلامة الحلي الحسن بن المطهر (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، النسخة بخطّ العلامة الحلي بتاريخ ربيع الثاني سنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) توجد منه نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (١١١٤م)[٥٧].

وكتب كتاب إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، للعلّامة الحلّي ألفها يوم الحادي عشر من شوال سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) توجد منه نسخة في النجف الأشرف بمكتبة أمير المؤمنين برقم (٩٨٩٧)[٥٨].

وتم في هذه المدرسة نسخ كتاب (مختلف الشيعة في أحكام الشريعة) للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) الذي فرغ منه في الرابع من جمادى الآخرة سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، كما في مخطوطة المدرسة الباقرية وفي نسخة في آخر الجزء الخامس منه فراغ المؤلّف من هذا الجزء السادس من جمادى الآخرة سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م)، وفي مكتبة العلّامة الطباطبائي فراغ المؤلّف من تأليفه

بكامله في الخامس عشر من ذي القعدة سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، وفي هذه المدرسة تمّ نسخ مخطوطة كتبها محمد بن أبي طالب الآبي تلميذ المصنف سنة (٧٠٤هـ)، توجد منه نسخة في مكتبة البرلمان الإيراني السابق معروضة في معارضها، ذكرت في فهرسها ٤/ ٩١، ونسخة في مكتبة مجلس الشورى بنفس اسم الناسخ برقم (١٣١٧)[٥٩].

وهناك عدة نسخ نسخها في هذه المدرسة المباركة تلميذ العلامة الحلي وشاح ابن محمد بن عيينة، منها في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) توجد منها نسخة في مؤسسة كاشف الغطاء في النجف الأشرف برقم (٢٤٢١)، ونسخة نسخها يوم الجمعة الثاني من رجب سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) تمّ مقابلتها على نسخة المؤلّف في يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (٤٤٣٤م) ونسخة في نفس المكتبة برقم (١٥٤٥م) يوم الثاني من رجب سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، ونسخة نسخت في السادس من ربيع الأوّل سنة (٧٢٤هـ)، توجد منها نسخة في مكتبة الاستانة الرضوية في مشهد المقدسة برقم (٤٥٩١٧م)، ونسخة أخرى نسخها الناسخ نفسه في هذه المدرسة في السادس من شوال سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) توجد منها نسخة في مكتبة الاستانة الرضوية برقم (٢٥٦٣م)[٦٠].

وفي هذه المدرسة تمّ تأليف كتاب (تبصرة المتعلمين في أحكام الدين) للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) في مدرسة الحلة في ليلة الثلاثاء يوم الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، توجد منه نسخة خطّية بخطّ المؤلّف في مكتبة القائيني في مدينة قائن الإيرانية برقم (١٩١)، ونسخة خطّية نسخت في نفس المكان يوم العاشر من شوال سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) توجد نسخة منه في مكتبة الأستانة الرضوية برقم (١٣٨٥٤م)[٦١].

ونسخة نسخت بخطّ جيّد كتبها لنفسه السيد نظام الدين محمد... ابن علي بن الحسن وفرغ منها في بغداد في الثاني عشر من شعبان سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، قرأها على أستاذه فخر المحققين محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي في الرابع من ذي الحجة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) في الحلة، وكذلك قابلها مرة أخرى بخطّ المصنف وصححها عليه، وكتب في آخرها بخطّ فخر المحققين إنهاء ايده الله قراءة وبحثاً وفهماً وضبطاً، وكتب محمد بن الحسن بن المطهر في رابع عشر ذي الحجة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، وعليها تعليقات فخر المحققين، وفي طرفيها أوراق مملوءة فوائد فقهية وأصولية وحديثية وأدبية وتاريخ بعضها من إملاء فخر المحققين كما ان منها أشعاراً لطيفة منها من إملاء السيد العالم الفاضل الزاهد العابد... أمير حسن ابن الإمام العلامة نصرة الدين إسماعيل الـرازي، وعليها تملك عبد الوحيد بن نعمت الله الجيلاني في لاهـور سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م)، وتملك محمد بن يوسف الأعسم الكرداني، توجد منه نسخة في النجف الأشرف بمكتبة أمير المؤمنين برقم (١٨٥)[٦٢].

وهناك مخطوط آخر للعلامة الحليﷺ كتب في المقام الشريف سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وهو كتاب (تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية)، ذكره الشيخ الطهراني قائلاً: «كتاب تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، في تمام الفقه لآية الله العلامة الحِلّي، لكنه استوعب الفروع والجزئيات حتّى أحصيت مسائله فبلغت أربعين ألف مسألة رتبها على ترتيب الفقه في أربع قواعد للعبادات والمعاملات والإيقاعات والأحكام باديه بمقدمة ذات مباحث في الفقه وفضله وآدابه ومعرفته وعدم كتمانه، أوّله الحمد الله المتقدس بكماله عن مشابهة المخلوقات المتنزه بعلوه عن مشاركة الممكنات، طبع بإيران سنة (١٣١٤هـ) ويأتي الشين شرح في الخزانة الرضوية عدة نسخ منها: بخطوط العلماء وإجـازات المشايخ لهم كما في فهرسها المطبوع، ونسخة المؤلّف التي

عليها إجازته بخطه لتلميذه الكاتب للنسخة التي رأيتها في مكتبة المولى المعاصر الشيخ الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني والكاتب المجاز هو محمود بن محمد بن يار، هكذا صورة المكتوب في النسخة وفرغ من الكتابة وقت الصبح في سادس رجب سنة (٧٢٣هـ) ثمّ قابلها مع نسخة خط المصنف، وحكي عن خطه أن فراغه من التصنيف كان عاشر ربيع الأوّل سنة (٦٩٠هـ) ثمّ قرأه بعد المقابلة على المصنف فكتب إجازة مختصرة بخطه له بجنب اسمه المكتوب، إنها: أيده الله تعالى قراءة وبحثاً وفهماً وضبطاً واستشراحاً وذلك في مجالس آخرها سادس عشر جمادى الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة، وكتب حسن بن يوسف بن المطهر الحلّي مصنف الكتاب حامداً مصلياً مستغفراً، وأقدم كتابه من هذه النسخة هو النصف من التحرير المكتوب سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩١م)، الموجود في مكتبة شيخ الإسلام بزنجان كما في فهرسها»[٦٣].

ونسخت في المدرسة أعلاه مخطوطة كتبها محمد بن علي الطبري تلميذ المصنف وفرغ منها في الرابع والعشرين من صفر سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) ثمّ قابلها وصححها على نسخة الأصل بخطّ المؤلّف، وهي في مكتبة السيد المرعشي العامّة في قم رقم ٣٨٥ ذكرت في فهرسها١/ ٤٠٢[٦٤].

وهناك مخطوطة كتبت في داخل المقام سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣مـ) كتبها محمد ابن محمد بن بدر في مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه وفرغ منها يوم الثلاثاء السادس من رجب سنة «٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، نسخة مصححة في آخر القاعدة الأولى منها كتب العلامة الحلّي إنهاء في ٢٦ جمادى الآخرة سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) القاعدة الأولى والثانية، والنسخة المخرمة الأوّل والآخر، توجد هذه المخطوطة في مكتبة السيد المرعشي قدس الله سره رقم (٦٧٣٢) وصفة فهرسها ١٧/ ٢٨٥[٦٥].

ونسخة أخرى مصحّحة عليها بلاغات بخطّ فخر المحققين ابن العلامة

في عاشر ذي القعدة سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، توجد في مكتبة (عبد العظيم برقم ٢٥٨)، ناسخها: ابن حسن بن يحيى الفراهاني، يوم الجمعة ٢٣ ربيع الثاني (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، ملكه محمد بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن إبراهيم البابلي في يوم السبت خامس ذي القعدة سنة (٧٦٠هـ)، الجزء الأوّل والثاني[٦٦].

وفي المدرسة أعلاه كتب كتاب (منهاج الصلاح في اختيار المصباح) كتاب في الدعاء للعلّامة الحلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، ونسخها في نفس المدرسة تلميذ المصنف الشيخ محمد بن علي الطبري يوم الخميس الثالث من شوال سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، توجد في مكتبة مجلس الشورى برقم (١٢٣٦٢)[٦٧].

وكتب في المقام نسخة من كتاب الأسرار الخفية في العلوم العقلية في علم الكلام تأليف: العلامة الحلي، نسخة مشتملة على نقوش مغربية نسخت أواخر شوال سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)، توجد منه نسخة في مكتبة إحياء التراث في قم المقدسة برقم (١٧٩٧)[٦٨].

ونسخت نسخة من كتاب (الباب الحادي عشر) للعلامة الحلي، في مدرسة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في الحلة، نسخها أحمد بن حسين بن أبي القاسم ابن حسين العوادي الأسدي الحلي في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤١م)، توجد منه نسخة في مركز إحياء التراث في قم المقدسة برقم (١٦٢٥م)[٦٩]

وكتب نسخة من (أجوبة المسائل المهنائية الأولى) كتبها العلّامة الحِلّي، وهي مسائل في الفقه وأصوله وغيرها (١٨٤) مسألة سألها مهنا بن سنان بن عبد الوهاب العبدلي الحسيني المدني، فأجاب عليها العلامة مختصراً فتوائياً وفي بعضها تفصيل واستدلال، قرأها السائل على العلامة بالحلة في سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)،

وجمعت بأمر عز الدين بن نور الدين علي بن أبي سعيد، ونسخها في نفس المكان: حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآملي سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، توجد منها نسخة في مكتبة المشكاة في إيران رقم (١٠٢٢م)[٧٠].

وكتب في هذا المقام كتاب (استقصاء البحث والنظر في مسائل القضاء والقدر) في علم الكلام للعلامة الحلّي، نسخة منه بخطّ حيدر بن علي بن علي ابن حيدر الآملي العاملي تلميذ فخر المحققين محمد قرأها عليه وكتب له الإنهاء بخطه بتاريخ الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، توجد منه نسخة في مكتبة المجلس النيابيّ في طهران برقم (٤٩٥٣)[٧١].

ونسخة أخرى بخطّ عبد المطلب بن محمد بن عبد المطلب الحسيني الحلّي فرغ منها سنة (٧٩٧هـ) توجد منه نسخة في مكتبة ملك في طهران برقم (٢٨١٣)[٧٢].

قال العاملي: «الشيخ محمد بن ناصر الدين الحداد العاملي له كتاب (الدرة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة) للعلامة الحلّي عنه نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية مخرومة الآخر إلَّا أنَّ الظاهر الذاهب منها قليل؛ لأنَّ فيها قبل الآخر بورقتين، وفيها على ظهر النسخة ما صورته كتاب (الدرة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة تصنيف: الشيخ الفاضل الكامل أنموذج السلف بقية الخلف عين أعيان الزمان وعز الملة والدين أبو محمد، حسن بن ناصر الدين إبراهيم الحداد العاملي﵀ وبجانب ذلك ما صورته: صورة ما كتبه المصنف على نسخته ابتدأت في تصنيف ثامن وعشرين شعبان وفرغت في أربع وعشرين رمضان، فكان مجموع المدة ستة وعشرين يوماً وذلك في الحلة بمقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه، ولم يذكر سنة كتابة تاريخ هذه النسخة»[٧٣]، والشيخ الحسن بن ناصر له كتاب طريق النجاة ينقل عنه الشيخ الكفعمي (ت ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)

كثيراً في تأليفاته[٧٤]، وهو من تلامذة العلامة الحليقدس سره، وفي متابعة من ترجم له تبيّن أنه كان حياً سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٥٧م)[٧٥].

ومخطوطة كتبت في المقام المذكور كتبها علي بن محمد بن الحسين المزيدي الحلّي وفرغ منها في ١٥ صفر سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، وقوبلت بخطّ المصنف في سنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)، وهي في جامعة طهران رقم (٦٦٩٩) ذكرت في فهرسها (٣٣٥/ ١٦)[٧٦].

وكتبت في المقام المذكور نسخة من قواعد الأحكام للعلامة الحلي الجزء الأول، كتبها المؤلّف نفسه على بعض تلاميذه في القرن السابع، وهي نسخة مصححة، في آخرها إجازة كتبها الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، توجد منها نسخة في مكتبة كوهرشاد في مشهد المقدسة برقم (٣٨٧)[٧٧].

وتوجد منها نسخة كاملة من جزأين كتبها تلميذه أحمد بن محمد الحداد يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) في نفس المكان، توجد منه نسخة في مكتبة الاستانة الرضوية برقم (٢٣٧٩٢)، ونسخة بخطّ جمال الدين محمد بن الحداد الحلي في الثامن من شوال في سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) توجد منه نسخة في مكتبة الشورى برقم (٦٠٣)[٧٨].

وكتبت في المكان نفسه نسخة أخرى في عصر العلامة الحلي من أوّل الكتاب إلى الوصية، مصححة عليها تعاليق بعضها بخطّ فخر الدين محمد ابن العلامة الحلي، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي برقم (١٣١٠)[٧٩].

ونسخ كتاب (واجبات الصلاة وصفتها للعلّامة الحلّي، من قبل أحد تلاميذ العلامة وهو أحمد بن محمد الحداد البجلي الحلي في يوم السابع من ذي الحجة سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) في مدرسة صاحب الزمان في الحلة، وتوجد هذه النسخة في مجلس الشورى في طهران برقم (٨٨٩٢)[٨٠].

ونسخ كتاب (واجب الاعتقاد على العباد) للعلامة الحلي، من قبل أحد تلاميذ العلّامة وهو أحمد بن محمد الحداد البجلي الحلي في سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) في مدرسة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في الحلة، وتوجد هذه النسخة في مجلس الشورى في طهران برقم (٤٩٥٣)[٨١].

وكتبت في مدرسة المقام نسخة قريبة من عصر المؤلف، مصححة عليها تعاليق أكثر من إملاء أو خط العلامة الحلّي أو ابنه فخر الدين محمد الحلي المنقولة عن زين الدين علي بن مظاهر الحلّي الذي أجاز له فخر الدين نقلها في ٢٥ ذي الحجة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، بعض أوراق النسخة حديثة الكتابة، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي برقم (٦٧٧٤)[٨٢].

وكتبت في مدرسة المقام نسخة من قواعد الأحكام للعلامة الحلّي، كتبها: جعفر بن محمد العراقي، يوم السبت الأوّل من جمادى الآخرة سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) قابله وصححه الناسخ على نسخة كانت في مدرسة صاحب الزمان بالحلّة، وأتم المقابلة في ١٢ جمادى الأولى سنة (٧٨٦هـ)، ثمّ قرأه وحل بعض لغاته ومشكلاته وكتب عليه تعاليق بعضها له وأتم ذلك في ١٨ رمضان سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) محروم الأول، توجد نسخة منها في مكتبة الغرب في همدان – إيران برقم (٨٥٢)[٨٣].

قال الطباطبائي: «مخطوطة كتبها جعفر بن محمد العراقي في الحلة وفرغ منها يوم السبت غرة جمادى الآخرة ثمّ قابلها وصححها على نسخة مصححة معتمدة في مقام صاحب الزمان بالحلة سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) جزآن في مجلّد في مكتبة مدرسة الآخوند في همدان، رقم (٩٢٧)، ومخطوط كتبه حسين بن محمد العراقي لابنه سعد الدين محمد وانتهى في غرة جمادى الآخرة سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) في الحلة في مدرسة صاحب الزمان قابله جعفر بن محمد بن جعفر العراقي –

وأظنه أخا الكاتب – في ١٨ رمضان المبارك سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)»[٨٤].

ومخطوطة من القرن الثامن قريبة من عهد المؤلّف عليها حواش كثيرة للمؤلف ولابنه فخر المحققين، ونقل عن زين الدين بن علي بن مظاهر الحلي: أن فخر المحققين أجاز له روايتها في ٢٥ ذي الحجة سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٤م) توجد نسخة منها في مكتبة السيد المرعشي رقم (٦٧٧٤)، ذكرت في فهرسها ٣١٨/١٧[٨٥].

ونسخت في هذا المكان نسخة من كتاب (الألفين الفارق بين الصدق والمين) للعلامة الحلّي، تاريخ التأليف: ٢٠ ربيع الأوّل سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) في مدينة دينور الإيرانية، نسخة نسخها حفيده يحيى بن محمد بن الحسن بن المطهر سنة (٧٥٩هـ) في مدرسة صاحب الزمان بالحلة، توجد منه نسخة في مكتبة أصفهان العامّة في إيران بدون تسلسل[٨٦].

ونسخ في هذه المدرسة كتاب (خلاصة المنهاج في مناسك الحج) للعلامة الحلي، نسخها أحمد بن الحداد الحلي سنة (٧٤٧هـ)، توجد نسخة منه في مكتبة الشورى برقم (٨٨٩٢)[٨٧].

وتوجد نسخ خطّية من كتاب (نهاية الإحكام في معرفة الأحكام) للعلامة الحلي تاريخ تأليفه: شعبان (٧٠٥هـ/ ١٣٥٠م)، نسخها محمد بن علي بن يوسف ابن المطهر ابن أخ العلامة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة بدون تسلسل تاريخ نسخها سلخ جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ)[٨٨]

وكتاب (نهج المسترشدين في أصول الدين) للعلّامة الحِلّي، تاريخ تأليفه: الثاني عشر من ربيع الأوّل سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)، وقيل: أتمه في ليلة الثاني والعشرين من ربيع الأوّل سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) كما في بعض النسخ، نسخه تلميذه محمد بن أبي طالب بن الحاج محمد الآوي في ذي الحجة سنة (٧٠٢هـ/

١٣٠٢م) في هذه المدرسة، ونسخته موجودة في مكتبة الاستانة الرضوية برقم (٩٥٥م)، ونسخة أخرى استنسخت في نفس هذا المكان نسخها تلميذه الآخر أبو الفتوح أحمد بن أبي عبد الله بلكو بن أبي طالب الآوي سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) وقد قرأ الناسخ الكتاب على فخر المحققين محمد ابن العلامة الحلي فأجازه على الورقة الأولى في سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٥٠م) في أواخر النسخة خروم، والنسخة موجودة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (٤)[٨٩].

وكتب فخر الدين محمد بن الحسن الحلي (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م-١٣٦٩/ ٥٧٧١م) كتاب مناسك الحج، وهو في أحكام حج التمتع كتبه سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٧٣م) في مدرسة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في الحلة، ونسخها السيد حيدر الآملي الحلي سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م) في نفس المدرسة، توجد منه نسختان واحدة في مكتبة المشكاة برقم (١٠٢٢م)، والنسخة الأخرى في مكتبة الغرب في همدان برقم (١/ ٤٦٤٣غ)[٩٠].

ونسخت في مدرسة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف نسخة من كتاب (إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد) لفخر الدين محمد بن الحسن المطهر الحلّي، نسخها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين مكي العاملي (الشهيد الأول) ليلة الثلاثاء سادس شوال سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٧م) في الحلة، توجد منها نسخة في مكتبة المشكاة برقم (٧٠٦)[٩١].

وكتب فخر المحققين محمد ابن العلامة الحلي كتابه: (الفخرية في معرفة النية) بخطه في المدرسة يوم السبت الرابع من شهر رمضان المبارك سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧) وتوجد منه نسخة في مجلس الشورى في طهران برقم (٦٣٤٢)، ونسخة في مكتبة المشكاة برقم (٢٩٩٢)[٩٢].

ونسخت نسخة من كتاب (المختصر النافع) للمحقّق الحلي، في نفس

المدرسة يوم الخميس السادس عشر من ربيع الأوّل سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) عليه تعاليق الأوراق حديثة الكتابة، توجد النسخة في مكتبة كلية الإلهيات في مشهد برقم (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)[٩٣].

وفي هذه المدرسة تمّ نسخ كتاب (النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر) للمقداد السيوري الحلي (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، نسخه الشيخ أحمد بن شمس الليثي الحلي يوم الأربعاء السادس من شهر رمضان سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م) ونسخته موجودة في مكتبة السيد المرعشي برقم (٤٩٦١م)[٩٤].

ونسخ كتاب (نهاية السؤول في شرح مبادئ الأصول) لفخر الدين محمد ابن العلامة الحلي، نسخها السيد فخر الدين بن نظام الدين الحسيني الحلّي في شهر رمضان سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) بالحلة السيفية في مدرسة صاحب الزَّمان، توجد نسخته في مكتبة السيد المرعشي برقم (١٠٦٠١)[٩٥].

وكتاب (الجمانة البهية في نظم الألفية) تأليف الشيخ شمس الدين حسن ابن راشد الحلي (ت ق: ٩هـ)، أرجوزة في (٦٥٣) بيت أتم نظمها في الثالث والعشرين من ربيع الأوّل سنة (٨٢٥هـ) في مدرسة صاحب الزمان في الحلة، توجد منه نسخة خطّية في مكتبة مجلس الشورى بطهران برقم (٨٩٣٢) بخطّ الناسخ شمس الدين محمد بن علي بن حسن الجباعي (جد الشيخ البهائي) في ذي القعدة سنة (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)(٩٦).

والخلاصة من هذا كلّه فهذا المكان المقدس الذي ظهرت به بركات الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف كان مدرسة ومأوى للعلماء والفقهاء الذين كانوا يلقون ويتلقون العلوم الفقهية وغيرها من العلوم الأخرى.

يقع المقام في مركز الحلّة في محلّة السنية في سوق الصفارين المتصل بسوق الحلة

الكبير، وهو أشهر مكان يعرف بالحلة، والمقام عبارة عن غرفة كبيرة الحجم يبلغ طولها وعرضها ٦×٨م٢ والأرضية والجدران مغلف بالمرمر الإيطالي ومزجج وعليه قبة كبيرة مغلفة بالكاشي الكربلائي عمَّره السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) أكثر من مرة لأهميته[٩٧].

٢- مدرسة ابن إدريس: محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م)[٩٨]:

كان الشيخ ابن إدريس الفقيه الإمامي رائد النهضة الفكرية الجديدة في الحلة وحامل لوائها، وله الفضل في فتح باب الاجتهاد، فقد كانت مدرسته الأكثر شهرة بعد مدرسة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف.

كتب ابن إدريس الحلي، كتابه (منتخب التبيان في تفسير القرآن) وهو مختصر لكتاب التبيان في تفسير القرآن لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) في مدرسته أعلاه سنة (٦٤٠هـ/ ١٠٤٢م)، توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الأستانة الرضوية بمشهد المقدسة برقم (٨٥٨٦)، وتوجد نسخة منه نسخت على نسخة الأصل في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (٤١٨)[٩٩].

وكتب كتاب (منتخب منهاج الصلاح في اختيار المصباح) وهو كتاب في الدعاء، ألَّفه ابن إدريس في هذه المدرسة، ونسخه الشيخ مهنا بن علي بن عطاف بن سليمان بن مختار الحلي في نفس المدرسة أعلاه في شهر صفر سنة (٦٤٠هـ/ ١٠٤٢م)، توجد منه نسخة في مكتبة الأستانة الرضوية في مشهد المقدّسة برقم (٨٥٨٦)[١٠٠].

تم نسخ كتاب (معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم) وهو كتاب في التراجم لابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني الحلي (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م – ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) وهو أحد شيوخ ابن إدريس الحلي،

نسخه الشيخ محمد علي بن حماد الحلي البرعوتي في الثاني عشر من ذي القعدة سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) في مدرسة ابن إدريس الحلّي، توجد منه نسخة في مكتبة المشكاة في إيران برقم (٣٥٢٠)[١٠١].

وتم نسخ نفس الكتاب في هذه المدرسة من قبل الشيخ علي بن الحاج قوام الدين بن محمود العاقولي الليثي الحلي يوم الثلاثاء الخامس من ذي الحجة سنة (١٥٧٥/ ٩٨٣م) توجد منه نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (٦٨٧٧م)، ونسخة أخرى توجد في مؤسسة كاشف الغطاء في النجف الأشرف برقم (١٥٩٧) رقم القرص (٦٢)[١٠٢].

قال كمال الدين: «قبر الشيخ محمد بن إدريس في مدرسته التي تهدم سورها، ولم يبقَ من آثاره شيء»[١٠٣].

تقع هذه المدرسة الكبيرة في وسط الحلة، وبالقرب منها محلة المهدية المشهورة بعلمائها، وهي مدرسة ومدفن الشيخ والتي تسمّى اليوم باسمه[١٠٤].

٣- مدرسة يحيى بن سعيد الحلي (ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م)[١٠٥]:

كتب في هذه المدرسة كتاب: (الاعتقادات) في علم الكلام، تأليف: المحقّق الحلي أبو القاسم الحسن بن جعفر (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م - ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وكتبت في هذه المدرسة نسخة خطّية من الكتاب، يوم الثاني من ربيع الأوّل سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) توجد منه نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٤٠١٣)، ونسخة أخرى نسخت في الأوّل من الأوّل سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) في نفس المكان توجد منه نسخة نسخت بيد علي بن محمد بن مهدي في مكتبة ملك في طهران برقم (١٦٣٢)[١٠٦].

وكتب في هذه المدرسة نسخة من كتاب (إثبات المعدوم) تأليف: المحقّق

الحلي جعفر بن حسن (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م – ٦٧٦هـ ١٢٧٧م)، توجد نسخة أصل في مكتبة بادلين أكسفورد انكلترا، نسخ أحمد بن حسين أبي القاسم بن العودي الحلّي، لم يذكر فيها سنة النسخ، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (١١٠٤)[١٠٧].

وكتب في نفس المدرسة كتاب (أجوبة المسائل العزية) كتبها: المحقّق الحلي، ونسخها محمد علي كاشاني، يوم الاثنين من شوال سنة (٨٧٦هـ)، توجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة ملك في طهران برقم (١١٢٧)[١٠٨].

تقع هذه المدرسة في مركز الحلة ضمن محلّة الطاق[١٠٩]، قال حرز الدين: «دفن في داره إلى جانب مدرسته الدينية»[١١٠].

واليوم تعرف هذه المدرسة بمراقد العلماء الأربعة في شارع الإمام علي عليه السلام بعد توسعة مدينة الطاق القديمة[١١١].

٤- المدرسة الزينية:

تُعد هذه المدرسة من المدارس الحلّية الشهيرة بسبب وجود مجموعة من الأساتذة الفقهاء الذين كان لهم الدور الكبير في نشر العلوم فيها، ومنهم: العلّامة جمال الدين ابن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)[١١٢]، وقد بقي فترة مدرساً في المدرسة الزينية في الحلة، ثمّ انتقل إلى كربلاء المقدسة وبقي فيها، وأسس حوزتها العلمية، وازدهرت بانتقاله الحركة العلمية في كربلاء وأصبحت إحدى المراكز العلمية المهمّة كالنجف والحلّة وبغداد[١١٣]، ومنهم: عضد الدين ابن نفيع الحلي (... كان حياً سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٦م)[١١٤]، كتب بخطه نسخة من (مصباح المبتدي وهداية المقتدي) في فقه الصلاة لأحمد بن محمد بن فهد الحلي، ثمّ قابله وصححه، واستظهر الطهراني أنه من تلامذته[١١٥].

وكتب في المدرسة أعلاه كتاب (عدة الداعي) لابن فهد، وكتب في نهاية نسخته أنها كتبت سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م) في المدرسة الزينية في الحلة السيفية، أي في عصر المؤلّف[١١٦].

قال العاملي: «التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شبه الأعور) وهو رد لكتاب الشيخ يوسف بن مخزوم الواسطي الأعور الذي ألفه في الرد على الشيعة حدود سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) فألف المترجم التوضيح الأنور في الرد عليه بالحلة السيفية سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) وهو كتاب حسن جداً كثير الفوائد وقد حذا حذوه في ردّ كتاب الأعور الشيخ الجليل عز الدين حسن بن شمس الدين محمد بن علي المهلبي الحلي بكتاب الأنوار البدرية في ردّ شبه (القدرية)[١١٧]، الذي ألفه سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) كتاب لطيف نفيس إلَّا أنَّ الذي ألفه الشيخ خضر أحسن وأتم وأفيد وعن كشف الحجب أنه فرع من التوضيح الأنور في ٢٦ صفر سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) وكأنه اشتباه بتاريخ تأليف (الأنوار البدرية) قال المؤلّف رسالة الأعور التي رد عليها المترجم بكتابه التوضيح الأنور اسمها (رسالة المعارضة في الردّ على الرافضة ورأيت نسخة هذا من الرد في كرمانشاه عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) في مجلّد كبير ننقل شيئاً من خطبته لما فيه من الفوائد أوّله الحمد لله الذي نسخ بمحكم كتابه سنة الجاهلين إلى أن قال: «أما بعد فيقول العبد المفتقر إلى الله الولي المتمسك بالكتاب المبين والعترة الطاهرة بعد النبي ﷺ خضر بن محمد بن علي الرازي الحبلرودي الملازم لخزانة المشهد الشريف الغروي اني لما عزمت على زيارة الأربعين في سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) ووصلت إلى المدرسة الزينية مجمع العلماء والفضلاء بالحِلَّة السيفية الفيحاء معدن الأتقياء والصلحاء أراني أعزّ الاخوان علي وأتمهم في المودة والاخلاص لدي المستغني عن اطناب الألقاب بفضله المتين محمد بن محمد بن نفيع عضد الملة والدين أدام الله إشراق شمس وجوده وأغناه وإيانا عمّا سواه بجوده رسالة مشحونة بأنواع

الشبه والرد على طريقة الأبرار مرقومة بالأساطير والأباطيل لواسطي أعور أعمى القلب ينكر فضائل آل الرسول عليهم السلام ويبطلها بالتغيير والقلب إلى أن قال فحدثني عند ذلك أدام الله توفيقه وجعل سعادة الدارين رفيقه على نقض ما فيها من الشبهات ودحض الحجج الباطلة بقاطع البينات فسارعت إلى مقتضى طلبته؛ لأنَّ ذلك من أعظم الطاعات ملتزماً حكاية مقاصده بعين عباراته مقتصراً على محصل الأحاديث وزبدة الأخبار ودقائق الحقائق ورائق الأشعار روماً للاختصار، ثمّ أخذ في نقل كلامه في الأمانة وغيرها والرد عليه»[١١٨].

وكتب في هذه المدرسة كتاب (معرفة المنازل) وهو كتاب في علم النجوم، تأليف: ابن فهد الحلي (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م-٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، ونسخة كتبت بخطّ السيد عبد المحمود بن محمد بن علي الحسيني الحلي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شوال سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) توجد هذه النسخة الخطية في المتحف البريطاني في لندن برقم (M١٣١٣) ونسخة أخرى بنفس الناسخ والتاريخ في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (١١١٩)[١١٩].

وكتب في هذه المدرسة كتاب (أجوبة المسائل الشامية) كتبها: ابن فهد الحلي، ونسخها في نفس هذه المدرسة زين الدين علي بن فضل بن هيكل الحلي، يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي برقم (١٤١١٧/ ٩)[١٢٠].

ونسخت في نفس المدرسة بالحلة نسخة من كتاب: (الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد)، تأليف: أبي عبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الحلي (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، وهو كتاب شرح مختصر بعناوين «قال – أقول» على رسالة (واجب الاعتقاد) للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) الذي هو في الاعتقادات وشيء من الواجبات الشرعية: نسخها: محمد بن محمد بن مهنا في الخامس عشر

من شوال سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، توجد منه نسخة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (١٠٧٠٦)[١٢١].

وكتب كتاب (الألفية في فقه الصلاة اليومية) للشهيد الأول، محمد بن مكي (٧٣٤هـ – ٧٨٦هـ)، تاريخ التأليف: سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، ونسخت في نفس المدرسة نسخة من الكتاب بتاريخ ذي القعدة سنة ٧٢٥هـ من غير ذكر الناسخ، توجد منه نسخة في مكتبة الحوزة العلمية في مدينة آشتان الإيرانية ونسخت في نفس المكان بيد الناسخ: زين الدين علي بن فضل بن هيكل الحلي من القرن التاسع، توجد منه نسخة في مكتبة السيد المرعشي برقم (١٤١١٧)[١٢٢].

ونسخ كتاب (نيات الحج) لابن فهد الحلي، في هذه المدرسة من قبل السيد عبد المحمود بن محمد بن علي الحسيني الحلي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) في زمن المؤلف، ونسخته موجودة في مكتبة السيد المرعشي برقم (١١١٩)[١٢٣].

ونسخ كتاب (الوجيزة في واجبات الحج) لابن فهد الحلّي، في هذه المدرسة من قبل السيد عبد المحمود بن محمد بن علي الحسيني الحلّي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) في زمن المؤلف، ونسخته موجودة في مكتبة السيد المرعشي برقم (١١١٩)[١٢٤].

وكتبت في المدرسة الزينية بالحلة نسخة من كتاب: (الأنوار الجلالية للفصول النصيرية) تأليف المقداد السيوري الحلي، في علم الكلام، توجد منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة برقم (١٠٨٣١م)، وناسخها: سالم ابن سلامة اللزيزاوي، سنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)[١٢٥].

وكتب نسخة أخرى من هذا الكتاب سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) في نفس

المدرسة، وتوجد نسخة خطّية في مكتبة السيد المرعشي برقم (٨٠٤٧) واسم ناسخها: حسان بن عطية في شهر جمادى الآخرة[١٢٦].

وكتبت في نفس المدرسة بالحلة نسخة من كتاب: (إيضاح المنافع في شرح مشكلات الشرائع) كتاب في الفقه، تأليف: المقداد بن عبد الله السيوري (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، توجد منها نسخ في مكتبة الأستانة الرضوية بمشهد المقدسة برقم (١٢٢٥م) والناسخ: حسن بن محمد بن عبد العزيز، نسخها في المدرسة الزينية بالحلة سنة (٩١٨هـ-١٥١٢م)[١٢٧].

ومن هذا النسخ الأخير يظهر أن هذه المدرسة بقيت إلى ما بعد القرن العاشر الهجري أي إلى حين انتقال الحوزة إلى كربلاء المقدسة، لم أقف على مكان هذه المدرسة ولكن هناك اشارات بأنها بالقرب من مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف.

٥- المدرسة المريسية:

لم أجد إشارة إلى هذه المدرسة إلا من خلال كتاب (كنز العرفان للمقداد السيوري) إذ رأيت نسخة خطّية من هذا الكتاب في مدينة قزوين الإيرانية بمكتبة الإمام الصادق برقم (٤٢٤) جاء فيها: نسخت هذه النسخة في المدرسة المريسية في الحلة السيفية، كتب لخزانة الشيخ شكر القناقوسي وقابله وصححه هذا وأتم ذلك هذا وأتم ذلك يوم الخميس سابع رجب سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[١٢٨].

هوامش البحث:

(١) ابن الفوطي الشيباني: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، (١٩٦٧م):.١٧٨/ ٢

(٢) ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت (١٣٨٦هـ): ٤٤٠/ ١٠ - ٤٤٩.

(٣) ابن نما: أبو البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون محمد الحلي (ت ٦٤٥هـ)، المناقب المزيدية في أخبار الدولة الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر - وصالح موسى، مؤسسة الرسالة الحديثة،

عمّان، (١٩٨٤م): ٣٨٧/ ٧.

(٤) ينظر: ابن الفوطي الشيباني: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، (١٤١٦هـ): ٣٦١، العاملي: محسن بن عبد الكريم الأمين (ت ١٣٧٢هـ)، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (١٤٠٦هـ): ٠٨٧/ ٩.

(٥) بهاء الدين محمد بن حسن، (ت ق ٦هـ تاريخ طبرستان تحقيق: عباس أقبال، طهران، (١٩٤١): ص١٣٠ وينظر: عماد الدين الطبري الآملي محمد بن أبي القاسم علي بن محمد (ت ق٦)، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد الفيومي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، (١٤٢٠هـ): ٧.

(٦) قال عنه السيد رضي الدين علي بن طاووس «شيخ» المتكلمين في زمانه محمود بن علي الحمصي – رضوان الله عليه وهو ممن وصل العراق للحج وألزمه جدي ورام بن أبي فراس قدس الله روحه، ونور ضريحه – بالإقامة سنة وقرأ عليه وبالغ في الإحسان إليه، وكلامه عندنا الآن في مجلّد فيه مهمات مسائل قد سأله عنها جملة من الأعيان وعليها خطه رحمه الله بأنها قرأت عليه. فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٣٦٨هـ): ٧٤، وينظر: الطهراني، محمد محسن بن علي (ت ١٣٨٩هـ)، طبقات الشيعة، تحقيق: علي نقي،منزوي إسماعليان، إيران، (د. ت): ٤٥/ ٦، ٢٩٥، كمال الدين هادي حمد (ت ١٩٧٠م)، فقهاء الفيحاء مكتبة المعارف، بغداد، (١٩٦٢م): ٩/ ١٨-٩٣.

(٧) الخوانساري: محمد باقر الموسوي (ت١٣١٣هـ)، روضات الجنات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ٣، (١٤٣١هـ): ١٥٩/ ٧.

(٨) أعيان الشيعة ٤/ ٤٨.

(٩) ينظر: أعيان الشيعة: ١٠٦/ ١٠.

(١٠) ينظر: صدر الدين: السيد حسن هادي (ت ١٣٥٤هـ)، تأسيس الحلة لعلوم الإسلام، مطبعة ذوي القربى، قم المقدسة، (١٣٩١ ش): ٣١٣.

(١١) ينظر: أعيان الشيعة ٢٧١/ ٢

(١٢) ينظر: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: ٧٤. (١٣) أعيان الشيعة: ١٠/ ١٠٦.

(١٤) ينظر: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: ٨٠.

(١٥) ينظر ترجمته الكامل في التاريخ ٢٨٢/ ١٢، لسان الميزان، ٢١٨/ ٦، ابن طاووس: علي بن موسى الحسني الجلي (٦٦٤هـ)، التشريف بالمنن في التعريف بالفتن في ظهور الغائب المنتظر (م)، نشر كلبهار،أصفهان، (١٤١٦هـ): ١٥، الحر العاملي: محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤ هـ، أمل الآمل، مكتبة الأندلس، بغداد (١٣٨٥هـ): ٣٣٨/ ٢، الخفاجي: د. ثامر

كاظم (معاصر)، من مشاهير أعلام الحلة الفيحاء، مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٢٨هـ): ٢٧٧ رقم ١٥٤، المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، (١٤٣٤هـ): ١٠٤ رقم ٨٤.

(١٦) الشيخ الأجل عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب الحلي اللغوي الإمام الفقيه الفاضل الحافل الأديب الكامل الامامي المعروف بـ(عميد الرؤساء يكنى بأبي منصور صاحب كتاب الكعب والمنقول، قال ابن الفوطي: «نحوي لغوي شاعر شيخ وقته، ومتصدر بلده قرأ علوم اللغة، أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب، له نظم ونثر، وكان يلقب بوجه الدويبة» مجمع الآداب في معجم الألقاب: ص٩٦٦ ينظر ترجمته: مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٩٦٦، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ): ٢٠٣/ ١٢، أعيان الشيعة ٨٣/ ٩، النوري، حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، خاتمة المستدرك، تحقيق: مؤسسة آل البيت (السلام) لإحياء التراث، مطبعة مؤسسة آل البيت (عمان) لإحياء التراث – قم المقدسة، (١٤١٦هـ): ٤٨/ ٣.

(١٧) المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ٣، (١٤٠٣هـ): ٢٧/ ١٠٤.

(١٨) محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نُما بن علي الربعي، شيخ الامامية نجيب الدين أبو إبراهيم الحلّي، يُعرف بـ(ابن نما) ولد نجيب الدين بعد سنة (٥٦٥هـ) بيسير، كان جلة العلماء، فقيها، مفتياً، ذا اعتناء بالعلم وأهله، وصنف كتباً، وتوفي بالحلة سنة (٦٤٥هـ)، وحمل إلى مشهد الإمام الحسين الشهيد بكربلاء المقدسة فدفن فيه، وكان يوم وفاته يوماً عظيماً رثاه الناس ينظر ترجمته: الأفندي: عبد الله الأصبهاني (ت ١١٣٠)، رياض العلماء وحياض الفضلاء، مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٠٣هـ): (٤٩/ ٥ أعيان الشيعة ٢٠٣/ ٩ القمي: عباس محمد رضا (ت ١٣٥٩هـ)، الكنى والألقاب، مطبعة الصدر، طهران، د. (ت): ٤٤١/ ١، طبقات الشيعة: ١٥٤/ ٣، من مشاهير أعلام الحلة: ١٩٢ رقم ١١٠.

(١٩) ينظر أعيان الشيعة،٢٠٣/ ٩، السبحاني: جعفر (معاصر)، موسوعة طبقات الفقهاء، تحقيق: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، (١٤١٩هـ): ٢١٤/ ٧.

(٢٠) ينظر: روضات الجنات: ٣٠/ ٣، د. الحكيم: حسن عيسى (معاصر)، مدرسة الحلة العلمية، المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت – إيران، (١٣٤١هـ): ١٩.

(٢١) بحار الأنوار ١٧/ ١٠٦.

(٢٢) ينظر: رياض العلماء: ٣١٦/ ٥

(٢٣) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ١٠٣ رقم ٨٣.

(٢٤) هو الشريف الطاهر جمال السالكين نقيب الطالبيين السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط (ا) الطاووس العلوي الحسني الحلّي، ولد في يوم الخميس منتصف محرم الحرام سنة (٥٨٩هـ) في أسرة من الأسر العلمية الشريفة التي قطنت الحلة الفيحاء، ولقب جدهم محمد بـ (الطاووس) لحسن وجهه وجماله ظهر منهم نوابغ عظام كانوا مفخرة للأجيال من بعدهم، ولهم مراكز علمية في أيامهم نفعوا بها الناس، توفي في الخامس من شهر رمضان سنة (٦٤٤هـ)، وينظر ترجمته: الحوادث الجامعة ٣٥٠، أمل الآمل ٢٠٥/ ٢، الكنى والألقاب ٣٣٩/ ١، البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون مكتبة المثنّى، بيروت (د. ت): ٧٦/ ١، الخوئي: أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط/ ٥، (١٤١٣هـ): ٢٠٦/ ١٢ رقم ٨٥٣٤، من مشاهير أعلام الحلة: ١٥٣ رقم ٨٤.

(٢٥) أعيان الشيعة: ١٦٥/ ٩.

(٢٦) ينظر: الخفاجي: د. ثامر كاظم (معاصر) معجم المخطوطات الحلية، دار الكفيل للطباعة – كربلاء المقدسة، (١٤٣٦هـ): ١٢١/ ١.

(٢٧) ينظر: الطهراني، محمد محسن بن علي (ت ١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط/ ٣، (١٤٠٣هـ): ١٠٣/ ١٦، ومعجم المخطوطات الحلّية: ٤٩٧/ ١.

(٢٨) ينظر: معجم المخطوطات الحلية: ٧١/ ٢.

(٢٩):ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٣٩٢/ ٢.

(٣٠) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ٤٦ رقم ٢٧.

(٣١) السيد جمال الدين أحمد بن طاووس أخ السيد علي، يكنى بأبي الفضائل، عالم مجتهد واسع الاطلاع، كان إماماً في الفقه والأصول والأدب والرجال والدراية والتفسير، له مؤلّفات كثيرة بلغت أكثر من سبعين مؤلف، توفي رحمه الله بالحلة سنة (٦٧٣هـ) وقبره فيها مشهور بمحلة تسمّى باسمه (أبو الفضائل)، ينظر ترجمته الحوادث الجامعة ٥١٩، ابن داود: الحسن الحلي (ت٧٤٠هـ)، الرجال، المطبعة الحيدرية، النجف (١٩٧٢م): ص٢، أمل الآمل، ٢٩/ ٢، إيضاح المكنون ١٨٤/ ١، الكنى والألقاب: ٣٤٠/ ١، أعيان الشيعة ١٨٩/ ٣ رقم ٥٤٢، من مشاهير أعلام الحلة: ١٨ رقم ٤.

(٣٢) ينظر المخطوطات الحلّية: ١٩٦/ ١-١٩٧.

(٣٣) كتاب تاريخي قمنا بتحقيقه بعد أن أهدى لنا السيد محمود المرعشي نسخة أصلية بخطّ

المؤلّف السيد عبد الكريم بن طاووس، وطبع في مكتبة السيد المرعشي في قم المقدسة سنة (١٤٣٣هـ).

(٣٤) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٥٠٨/ ١.

(٣٥) مجمع الآداب: ١١٥/ ١- ٢٢٥.

(٣٦) ينظر: أمل الآمل: ١٥٨/ ٢.

(٣٧) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ٤٢ رقم ٢٣.

(٣٨) السيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر القاسم بن الحسين بن محمد بن الحسن ابن معيَّة الحسني الديباجي الحلّي، عالم فاضل جليل القدر، شاعر أديب، نسابة انتهى إليه علم النسب في زمانه وكان أعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر، له كتب، منها كتاب (الابتهاج في الحساب وكتاب أخبار الأمم)، و(كتاب الثمرة الظاهرة من الشجرة (الطاهرة)، و(سبك الذهب في شبك النسب)، و(الفلك المشحون في انساب القبائل والبطون)، و(معرفة الرجال)، و(منهاج العمال)، و(نهاية الطالب في نسب أبي طالب) وغيرها من الكتب، توفي في ربيع الأوّل سنة (٧٧٦هـ) في الحلة وحملت جنازته إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وينظر ترجمته: أمل الأمل: ٢٩٤/ ٢٢ رقم،٨٨٧، أعيان الشيعة: ٣٩/ ١٠ رقم ١١١٠، الكنى والألقاب: ٤١٥/ ١، هدية العارفين ١٦٦/ ٢، معجم المؤلفين: ١٣٨/ ١١، معجم رجال الحديث: ١٨١/ ١٧ رقم ١١٦٠٦، من مشاهير أعلام الحلة: ٢٠٣ رقم ١٣٠.

(٣٩) ينظر: بحار الأنوار: ١٨٣/ ١٠٤.

(٤٠) ينظر: عمدة الطالب: ١٦٥، ٢٠٦، الذريعة: ٣٣٨/ ١٥.

(٤١) مفلح بن الحسن بن رشيد (راشد بن صلاح الصيمري البحراني الحلّي، أحد أعيان الامامية، وكان أديباً، شاعراً، وبرع في الفقه، تلمذ على الفقيه الكبير ابن فهد الحلي ت ٨٤١هـ)، أخذ عنه ابنه الفقيه الحسين بن مفلح (ت٩٣٣هـ)، وصنف فيه وأجاد، واشتهرت فتاويه، ودونت في كتب الفقهاء كـ(الجواهر، والمقابيس)، و(مفتاح الكرامة)، وغيرها، توفي في حدود سنة ثمانين وثمانمائة أو تسعمائة هجرية، ينظر ترجمته أمل الآمل: ٣٢٤/ ٢ رقم ١٠٠١، رياض العلماء: ٢١٥/ ٥، روضات الجنات ١٦٧/ ٧ رقم ٦٢١، المامقاني: عبد الله (ت١٣٥١هـ)، تنقيح المقال، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، (١٣٥٠هـ): ٢٤٤/ ٣ رقم ١٢٠٩٢، أعيان الشيعة: ١٣٣/ ١٠، طبقات أعلام الشيعة: ١٣٧/ ٤

(٤٢) ينظر: معجم المخطوطات الحلية: ٢٨٨/ ١.

(٤٣) ينظر: م. ن: ٦٣/ ٢.

(٤٤) ينظر: م. ن: ٤٨٢/ ٢.

(٤٥) ينظر: م. ن: ١٢٥/ ١.

(٤٦) ينظر: م. ن: ٥٢٥/ ٢.

(٤٧) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ص١١١.

(٤٨) ابن محمد الأسدي الحلي، أحد كبار علماء الإمامية، كان فقيها، فاضلا، عالما، متكلماً، جليلاً، اعتنى بالفقه، كان متبحرا في الفقه جيد التحرير، ودأب، وحصل، حتّى برع، وصنف فيه وفي علم الكلام كتباً، لم نظفر بوفاته، لكنه كتب نسخة من (التنقيح الرائع) للمقداد في سنة (٠٩١٨)، فلعله توفي بعد ذلك بقليل؛ لأنه كان قد فرغ من كتابه نسخة من إيضاح الفوائد لفخر المحققين في سنة (٨٧٦)هـ)، ينظر ترجمته: رياض العلماء: ٣/ ١٢١، أعيان الشيعة: ١٦/ ٨، طبقات أعلام الشيعة: ٧٥/ ٤، الذريعة: ٢٠٢/ ١رقم ١٠٥٤ و٤٤٨/ ٣ رقم ١٦٣١.

(٤٩) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٢٣١/ ١.

(٥٠) ينظر: م. ن: ٨٣/ ٢.

(٥١) ينظر: الفوائد الرضوية: ٤٥٠.

(٥٢) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار رحلة ابن بطوطة، تحقيق د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ): ٢١٣٩/ ١.

(٥٣) تاريخ الحلة: ١١٥.

(٥٤) روضات الجنات: ٣٠/ ٣.

(٥٥) أعيان الشيعة: ٤٥١/ ٥، قال الحسيني: «الحسين بن أردشير الطبري (ق ٧ – ق) الحسين ابن أردشير بن محمد بن الحسن الاندراوذي الطبري، نجم الدين، أبو عبد الله، ونقول: كتب نسخة من كتاب (النهاية) للشيخ الطوسي وأتمها في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأوّل سنة (٦٨١هـ)، وقرأ الكتاب على العلامة الحلي فأجازه بإجازتين في ربيع الثاني وجمادى الآخرة من سنة (٦٨١هـ)، وقال في الإجازة الأولى: قرأ علي الشيخ العالم الفقيه الفاضل الكبير...» الحسيني: أحمد، (معاصر) تراجم الرجال، مكتبة المرعشي النجفي – قم المقدسة، (١٤١٤هـ): ١٦٧/ ١.

(٥٦) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٣٨٨/ ١

(٥٧) ينظر: م. ن: ٥٤/ ٢. (٥٨) ينظر: م. ن: ٠٧٥/ ١

(٥٩) ينظر: مكتبة العلامة الحلّي: ١٧٤، معجم المخطوطات الحلية: ٢١٢/ ٢. ١٧٤،

(٦٠) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٢١٣/ ٢.

(٦١) ينظر: م. ن: ١٩٨/ ١.

(٦٢) ينظر: م. ن: ٠٧٥/ ١

(٦٣) الذريعة: ١٧٨/ ٣-١٧٩.

(٦٤) مكتبة العلامة الحلي: ٧٧.

(٦٥) معجم المخطوطات الحلّية: ٢٠٤/ ١، قال الطباطبائي: «مخطوطة كتبها محمود بن محمد بدر الرازي الغزي المجاور بالحرم الشريف الغروي، وفرغ منها يوم الأربعاء ٢٤ شوال سنة (٧٣٧هـ)، وهي في مكتبة مدرسة الآخوند في همدان رقم ٤٥٩١، وكلمة ثلاثين تصلح لأن تقرأ ثمانين مكتبة العلامة الحلّي: ١٧٩

(٦٦) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٢٠٤/ ١.

(٦٧) ينظر: م. ن: ٣٤٨/ ٢.

(٦٨) ينظر: م. ن: ١١١/ ١.

(٦٩) ينظر: م. ن: ١٨٩/ ١.

(٧٠) ينظر: م. ن: ١٠٧/ ١.

(٧١) ينظر: م. ن: ١٠٧/ ١.

(٧٢) ينظر: م. ن: ١٠٧/ ١

(٧٣) أعيان الشيعة: ١٧٩/ ٩، قال الخوانساري والحسيني: عز الدين حسن العاملي (ق ٧ – ق حسن بن ناصر بن إبراهيم الحداد العاملي، ونقول قرأ بعض عليه كتاب (قواعد الأحكام) للعلامة الحلّي فكتب له إنهاء في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٧٢٥» رياض العلماء: ٣٢٢/ ١و ٣٤٦، تراجم الرجال: ١٦٠/ ١.

(٧٤) ينظر: الذريعة: ١٦٩/ ١٥

(٧٥) ينظر: تراجم الرجال: ١٦٣/ ١.

(٧٦) ينظر: مكتبة العلامة الحلي: ١٧٧ (٧٧) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٧/ ٢.

(٧٨) ينظر:.م. ن: ٠٩/ ٢

(٧٩) ينظر: م. ن: ٨/ ٢

(٨٠) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٥٢٩/ ٢.

(٨١) ينظر: م. ن: ٥٣٠/ ٢.

(٨٢) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٨/ ٢

(٨٣) ينظر: م. ن: ١٠/ ٢.

(٨٤) مكتبة العلامة الحلّي: ١٧٧

(٨٥) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ١٥٠/ ١.

(٨٦) ينظر: م. ن: ١٤٩/ ١.

(٨٧) ينظر: م. ن: ٣١٩/ ١

(٨٨) ينظر: م. ن: ٤٨٩/ ٢.
(٨٩) ينظر: م. ن: ٥١٦/ ٢.
(٩٠) ينظر: م. ن: ٣١٩/ ٢.
(٩١) ينظر: م. ن: ١٧٦/ ١.
(٩٢) ينظر: م. ن: ١٧٣/ ٢
(٩٣) ينظر: م. ن: ١٧٣/ ٢
(٩٤) ينظر: م. ن: ٤٢١/ ٢.
(٩٥) ينظر: م. ن: ٤٩٣/ ٢.
(٩٦) ينظر: م. ن: ٢٨٤/ ١.
(٩٧) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ١٢١رقم ٥.
(٩٨) الشيخ شمس الدين، ولد في الحلة سنة (٥٤٣هـ) وكان من مشايخ وعلماء وفقهاء الحلة المجتهدين، كان متقناً لأكثر العلوم كثير التصانيف، فقد وضع أقوال الشيخ الطوسي (ثلث) واجتهاداته موضع الدراسة والنقد العلمي، وفتح باب النقاش، والذي أصبح محل تساؤل ونقاش، فقد اشتهر الشيخ ابن إدريس في مواجهة آراء الشيخ الطوسي وردها، وفتح باب الاجتهاد، قال فيه ابن الفوطي: «فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إدريس بن محمد العجلي الحلي، فقيه الشيعة كان من فضلاء فقهاء الشيعة والعارفين بأصول الشريعة) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٣٠٨/ ٣، وقال الذهبي: «العجلي، رأس الشيعة، العلامة أبو عبد الله محمد بن إدريس الحلّي، صاحب التصانيف، منها كتاب (الحاوي لتحرير الفتاوي)، وكتاب السرائر)، وكتاب (خلاصة الاستدلال)، ومناسك وأشياء في الأصول والفروع، وكان له بالحلة شهرة كبيرة وتلاميذ» سير أعلام النبلاء: ٣٣٢/ ٢١، وقال الصفدي: «فقيه الشيعة محمد بن إدريس أحمد بن إدريس الشيخ أبو عبد الله العجلي الحلي فقيه الشيعة وعالم الرافضة في عصره، كان عديم النظير في الفقه وكتاب (السرائر) وهو كتاب مشهور بين الشيعة.... وغير ذلك في الأصول والفروع، وله تلامذة وأصحاب ولم يكن في وقته مثله ومدحه بعض الشعراء بقصيدة فضله فيها على الشافعي»، الوافي بالوفيات: ٣٥٦/ ٦، وقال ابن حجر العسقلاني: «محمد بن إدريس الحلي فقيه الشيعة وعالمهم، كان وحيد عصره وفريد دهره، له تصانيف في فقه الإمامية، ولم يكن للشيعة في وقته مثله، مات سنة ٥٩٧هـ» (لسان الميزان: ٦٥/ ٥ رقم ٢١٥، ينظر ترجمته أمل الآمل: ٢٤٣/ ٢، لؤلؤة البحرين،٢٧٩ جامع الرواة: ٦٥/ ٢، نقد الرجال: ٢٩١/ ١، رياض العلماء: ٣١/ ٥، الكنى والألقاب: ٢٣٠/ ١، إيضاح المكنون: ٢٧/ ١، معجم المؤلفين: ٢٢٩/ ٨، من مشاهير أعلام الحلة: ١٨٦ رقم ١٠٨.

(٩٩) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٣٢٩/ ٢.

(١٠٠) ينظر: م. ن: ٣٣٠/ ٢.

(١٠١). ينظر: م. ن: ٢٩٦/ ٢.

(١٠٢) ينظر: م. ن: ٢٩٦/ ٢.

(١٠٣) فقهاء الفيحاء: ٠٨٧/ ١.

(١٠٤) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ١٠١رقم ٨١.

(١٠٥) الفقيه البارع أبو زكريا نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الشهير بيحيى بن سعيد منسوباً إلى جده الأعلى وهو ابن عم المحقّق الحلي (ت ٦٧٦هـ) ولد في الحلة سنة ٦٠١هـ) (ذكره المترجمون مقرونا بكثير من التجليل والتكريم والإشادة بمكانته الرفيعة التي كانت له بين علماء عصره وفضلاء زمانه، له كتاب (الجامع للشرائع)، و(نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر)، و(المدخل في أصول الفقه) و(قضاء الفوائت)، و(الفحص والبيان عن أسرار (القرآن)، و(كشف الالتباس عن نجاسة الأرجاس)، و(كتاب السفر)، قال الذهبي: «الفاضل، نجيب الدين الهذلي، الحلّي، المستعلم بقية قدامي الشيعة لغوي، أديب، حافظ للأحاديث في رأسه، ولد بالكوفة سنة إحدى وستمائة، وسمع من ابن الأخضر، كذا قال ابن الفوطي، وقال: مات ليلة عرفة، وكان بصيراً باللغة والأدب، كتب عنه ابن الفوطي في إجازة» تاريخ الإسلام: ٦٤٨/ ١٥، وقال السيوطي: «يحيى بن أحمد ابن سعيد الفاضل نجيب الدين الحلي الشيعي» بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٣٣١/ ٢، ينظر:ترجمته أمل الآمل: ٢٩٩/ ٢ نقد الرجال،٢٤/ ٥، روضات الجنات: ٢٢٨/ ٤، هدية العارفين: ٥٠٠/ ٢، معجم المؤلفين: ١٦٤/ ١٣، معجم رجال الحديث: ٢٣٣/ ١٩ رقم ١٣١٣٨، من مشاهير أعلام الحلة: ١٤١رقم ١٥٩.

(١٠٦) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ١١٦/ ١.

(١٠٧) ينظر: م. ن: ٣٩/ ١.

(١٠٨) ينظر: م. ن: ٠٥٥/ ١

(١٠٩) وهي محلة في مركز الحلة مجاورة إلى محلة الجامعين.

(١١٠) مراقد المعارف: ٦٠/ ١

(١١١) ينظر: المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية: ١٠٥ رقم ٨٥.

(١١٢) أبو العباس الحلي، أحمد بن محمد بن فهد الأسدي، كان من أكابر مجتهدي الامامية، متكلماً، مناظراً، عالماً بالخلاف، ولد في مدينة الحلة سنة (٧٥٧هـ)، درس بالمدرسة الزينية بالحلة والتف حوله الطلبة، وصنف، وأفتى، وأفاد، وناظر، حتّى اشتهر اسمه، وصار فقيه الامامية في زمانه، من مؤلّفاته: (المهذب البارع في شرح المختصر النافع) و(المقتصر من شرح المختصر)،

والتحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول و(عدة الداعي ونجاح الساعي)، و(في آداب الدعاء)، و(الأدعية والختوم)، و(شرح الألفية في فقه الصلاة)، و(التواريخ الشرعية عن الأئمة المهدية)، وله رسائل كثيرة طبع منها عشر رسائل في كتاب سمي الرسائل العشر)، توفي سنة (٨٤١هـ)، ودفن في كربلاء المقدسة بالقرب من مخيم الإمام الحسين الشهيد، وقبره مزور متبرك به، ينظر ترجمته أمل الآمل (٢١/ ٢ روضات الجنات: ٧١/ ١، إيضاح المكنون: ٩٥/ ٤، أعيان الشيعة: ١٤٧/ ٣، الذريعة: ٢٢٨/ ١٨ رقم ١٤٩١، معجم رجال الحديث: ١٨٩/ ٢ رقم ٠٧٥٤

(١١٣) ينظر من ذخائر التراث مجلّة تراثنا العدد الرابع: ٣٥٥.

(١١٤) عضد الدين محمد بن محمد بن نفيع الحلي، كان من علماء المدرسة الزينية بالحلة، العالم الورع التقي الذكي من العلماء المجتهدين، وقد نقض كتاب يوسف بن مخزوم الواسطي الأعور في الرد على الشيعة وإنكار فضائل آل الرسول، فاستجاب له الحبلرودي، وألف (كتاب التوضيح الأنور)، وكان ابن نفيع أديباً شاعراً، ينظر ترجمته: أعيان الشيعة: ٣٢٣/ ٦ ٤١٣/ ٩، طبقات الشيعة: ١٣٤/ ٤، تراجم الرجال: ٥٤٦/ ٢ رقم ١٠١٨.

(١١٥) ينظر: طبقات الشيعة: ١٣٤/ ٤.

(١١٦) وهي نسخة محفوظة في مكتبة جامعة طهران، وهي الكتاب الثاني في المجموعة رقم ١٨٧٩ والمذكورة في فهرسها: ٤٨٥/ ٨، ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٤٥٥/ ١.

(١١٧) ردود على شبهات الشيخ يوسف بن مخزوم الأعور المقصودي الواسطي التي أوردها بزعمه على عقائد الشيعة في رسالته (الرَّد على الإمامية) المؤلفة نحو سنة (٧٠٠هـ) وهو بعنوان (قال الناصب – أقول) التزم الحلي أن لا يستدل من المنقول عن النبيﷺ إلا يوم ما ثبت من طريق الخصم، فاستشهد بأحاديث رويت في صحاح أهل السنة ومسانيدهم المعتمدة لديهم ألفه بأمر من جمال الدين أحمد بن فهد الحلي (٨٤١هـ)، وأتمه السبت سادس جمادى الآخرة سنة (٨٤٠هـ)، توجد منه نسخة بمكتبة السيد المرعشي المقدسة رقم (١٨٠٩٢) وناسخها أحمد بن حسن بن أحمد الاسترابادي في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ) في مدينة الحلة، ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ١٦١/ ١.

(١١٨) أعيان الشيعة: ٣٢٣/ ٦.

(١١٩) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٣٠٨/ ٢.

(١٢٠) ينظر: م. ن: ٦٦/ ١.

(١٢١) ينظر: م. ن: ١١٧/ ١.

(١٢٢) ينظر: م. ن: ١٢٩/ ١.

(١٢٣) ينظر: م. ن: ٥٣٦/ ٢.

(١٢٤) ينظر: م. ن: ٥٢٤/ ٢.
(١٢٥) ينظر: م. ن: ١٦٣/ ١.
(١٢٦) ينظر: م. ن: ١٦٤/ ١.
(١٢٧) ينظر: م. ن: ١٨٧/ ١.
(١٢٨) ينظر: معجم المخطوطات الحلّية: ٨٨/ ٢، وفهرس التراث: ٧٥٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

١- ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (١٣٨٦هـ).
٢- الإربلي: علي بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م): كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط/ ٢، (١٤٠٥هـ).
٣- الأردبيلي، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م): جامع الرواة وإزاحة الشبهات عن الطرق والأسناد مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٠٣هـ).
٤- الأفندي: عبد الله الأصبهاني (ت ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م): رياض العلماء وحياض الفضلاء مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٠٣هـ).
٥- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ)
٦- التفرشي: مصطفى بن الحسين الحسيني (ق ١١): نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، (١٤١٨هـ).
٧- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (١٤٠٦هـ).
٨- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م): شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٦٣م).
٩- الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ/ ١٥٩٥م): أمل الآمل، مكتبة الأندلس، بغداد، (١٣٨٥هـ).
١٠- ابن داود: الحسن بن داود الحلّي (ت٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م): الرجال، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٩٧٢م).

١١- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ).
١٢- ----------: سير أعلام النبلاء، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الدكتور محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، (١٤١٣هـ).
١٣- ابن اسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن (ت ق٦): تاريخ طبرستان، تحقيق عباس إقبال، طهران، (١٩٤١م).
١٤- السيوطي: عبدالرحمن ابن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (١٣٨٤هـ).
١٥- ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م): مناقب آل أبي طالب، إيران، (١٣١٧هـ).
١٦- الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ).
١٧- ابن طاووس علي بن موسى الحسني الحلي (ت٦٦٤هـ/ ١٢٤٦م): التشريف بالمنن في التعريف بالفتن في ظهور الغائب المنتظر عليه السلام، نشر كلبهار أصفهان، (١٤١٦هـ).
١٨- ----------: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٣٦٨هـ).
١٩- عماد الدين الطبري: محمد بن أبي القاسم علي بن محمد الآملي (ت القرن ٦): بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق جواد الفيومي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين في قم المقدسة، (١٤٢٠هـ).
٢٠- ابن عنبة: أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط٢، (١٣٨٠هـ).
٢١- ابن الفوطي الشيباني: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، (١٩٦٧م).
٢٢- ----------: مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، (١٤١٦هـ).
٢٣- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م): بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٠٣هـ).
٢٤- ابن نما: أبو البقاء هبة الله نما بن بن علي بن حمدون محمد الحلي (ت ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م): المناقب المزيدية في أخبار الدولة الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر - وصالح موسى،

مؤسسة الرسالة الحديثة، عمّان، (١٩٨٤م).

ثانياً: المراجع:

٢٥- الأميني: عبد الحسين أحمد النجفي (ت١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م): الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ٤، (١٣٩٧هـ).
٢٦- بحر العلوم مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م): الفوائد الرجالية، تحقيق وتعليق محمد صادق بحر العلوم حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق طهران (١٣٨٣هـ).
٢٧- البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، مكتبة المثنّى، بيروت، (د. ت).
٢٨- ----------: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنّى، بغداد، أوفسيت على طبعة المعارف استنبول (١٩٥١م).
٢٩- حرز الدين محمد (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م): مراقد المعارف، تحقيق: محمد حسين حرز الدين مطبعة سعيد بن جبير، قم المقدسة، (١٣٨٠هـ).
٣٠- د. الحكيم: حسن عيسى (معاصر): مدرسة الحلة العلمية، المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت إيران (١٣٤١هـ).
٣١- الخاقاني: علي (ت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٦م): شعراء الحلة، مطبعة دار الأندلس، بيروت، (١٣٨٣هـ).
٣٢- الخفاجي: د. ثامر كاظم (معاصر): المراقد والمقامات البهية في الحلة السيفية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، (١٤٣٤هـ).
٣٣- ----------: معجم المخطوطات الحلّية، دار الكفيل للطباعة، كربلاء المقدسة، (١٤٣٦هـ).
٣٤- من مشاهير أعلام الحلة الفيحاء مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة، (١٤٢٨هـ).
٣٥- الخوانساري: محمد باقر الموسوي (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٤م): روضات الجنات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٣١هـ).
٣٦- الخوئي: أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م): معجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط٥، (١٤١٣هـ).
٣٧- الزركلي: خير الدين (ت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، (١٩٨٤م).
٣٨- السبحاني: جعفر (معاصر): موسوعة طبقات الفقهاء، تحقيق: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، (١٤١٩هـ).
٣٩- صدر الدين، السيد حسن هادي (ت ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥): تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام،

مطبعة ذوي القربى، قم المقدسة، (١٣٩١ش).
٤٠- آية الله السيد حسن الصدر: وفيات الأعلام، تحقيق د. ثامر كاظم الخفاجي، مطبعة الغدير، قم المقدسة، (١٤٢٩هـ).
٤١- الطباطبائي: عبد العزيز الطباطبائي (ت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م): مكتبة العلامة الحلّي، إعداد: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، (١٤٤١٦هـ).
٤٢- الطهراني، محمد محسن بن علي (ت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٣، (١٤٠٣هـ).
٤٣ - ----------: طبقات الشيعة، تحقيق: علي نقي، منزوي، إسماعليان، إيران، (د. ت).
٤٤- القمي: محمد رضا (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م): الكنى والألقاب، مطبعة الصدر، طهران (د. ت).
٤٥- العاملي: محسن بن عبد الكريم الأمين (ت ١٣٧٢هـ/ ١٣٩٠م): أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (١٤٠٦هـ).
٤٦- كحالة: عمر رضا (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م): معجم المؤلفين، دمشق، (١٩٥٧م).
٤٧- كركوش يوسف الحلي (ت ١٩٧٠م/ ١٣٩٠م): تاريخ الحلة، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، (١٩٦٥م).
٤٨- كمال الدين: هادي حمد (ت ١٩٧٠م/ ١٣٩٠م): فقهاء الفيحاء، مكتبة المعارف، بغداد، (١٩٦٢م).
٤٩- المامقاني: عبد الله (ت ١٣٥١هـ ١٩٣٢م): تنقيح المقال، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، (١٣٥٠هـ).
٥٠- النوري: حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م): خاتمة المستدرك: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسة، (١٤١٦هـ).

ثالثاً: المجلات والدوريات:

٥١- مجلّة تراثنا: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، العدد الرابع - السنة الرابعة عشرة، (١٤١٩هـ).

المصدر: مجلّة آداب الكوفة: العدد (٤٤)، مج١، أيلول ٢٠٢٠م.

التواريخ المعمية

في المخطوطات العربية

محب الدين ياسين إبراهيم السامرائي

The usage of decimals in recording the dates is a an important branch in calculating the sentences as it is in calculating the sentences,we change the names to numbers in according to camouflage for the ordinary reader the usage of decimals in according to be as an important sign for the time of the writing or the time of the copy and when we solve this camouflage date,the reader will know when this sketch was written or when it was copied,, the importance of this subject shows from this point.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده، فهذا موضوع طريف من موضوعات التراث العربي المخطوط والذي يهدف الى حل الغاز التاريخ بالكسور. والذي اتبعه بعض المؤلفين والنساخ لتحديد الوقت الذي كتبوا فيه هذه المخطوطات. والذي يُعرف بقيد الفراغ لذا لزم الأمر تفسير هذه التواريخ وحل الغازها لتزول الاشكالات ولتظهر أمور خافية في المخطوطات.. والله الموفق.

الباحث

شكر وتقدير

شكري وتقديري الى الأستاذ الدكتور محيي هلال السرحان الذي قال لي إنـــه استطاع حل هذا التاريخ وأقدم شكري وتقديري الى الأستاذ الدكتور عبد الرزاق أحمد الحربي الذي شجعني على كتابة هذا البحث والذي لا أذكر يوماً أنه رد طلباً لي وكان ومازال ذاك الأخ الوفي. وانا افند قول العرب (ثلاثة أشياء مستحيلة – العنقاء والغول والخل الوفي) لهذا فالدكتور عبد الرزاق (صديق وأخ وفي).

وأملي أن ينال بحثي هذا ترحيباً، علماً أني لا أحفظ حلول التواريخ عن ظهر قلب وانما هناك جداول وصفتها لكي لا يمر عليها غبار الزمن والنسيان.

الباحث

محب الدين ياسين إبراهيم

المقدمات (المساعدة على حله):

من نظر إلى استعمال الكسور بشكل دقيق أدرك بالرغبة الفعلية الى التاريخ.

وهذا التعقيد دفعني الى أن أدخل في هذه المعمعة ولأجد حلاً لها ولأهداف تاريخ كتابة المخطوطات وتعيين وقتها.

وهذا الصعوبة التي تقف عائقاً أمامي.. اكاد ان اصل الى حل لهذه الطريقة بعد أن وضعت الحلول في جدول وكتبتها دون حفظها عن ظهر قلب وبهذا أصبح الأمر يسيراً – وسأقدم جزءاً من هذه الألغاز التاريخية وحلها.. لتسهل على قارئ المخطوط حل تاريخ النسخ وتاريخ الانتهاء إذا كان التاريخ المدون فيه بالكسور.

معرفة المواقيت:

١- الجزء من الدرجة: وهي غالباً تحدد البداية أو النهاية من الدرجة ومثال هـذا الميقات (أول الجـزء الثامن):أي: بداية الدرجة المذكورة.

٢- الدرجة: وهي جزء من الساعة وتتكون الساعة من خمس عشرة درجة. ومثال ذلك (أول الجزء الثامن) أي: أوّل الدرجة الثامنة من الساعة التي ذكرهـا وسيأتي التفصيل.

٣- الساعة: وهي جزء من ٢٤ ساعة مقسومة على نصفين ١٢ ساعة للنهار و١٢ ساعة لليل.

ومثال هذا (أول الجزء الثامن من الجزء الحادي عشر) أي: أوّل الدرجة الثامنة من الساعة الحادية عشرة.

٤- اليوم من الأسبوع: ترتيب الأيام هي: الاحد/ الاثنين الثلاثاء الاربعاء الخميس/ الجمعة السبت وهي ما نطقت بـه العرب والمستعربة[١].

وقال الفراء: أوّل الأيـام الأحد[٢].. ومثال هذا الميقات هو (السبع الرابع) أي: رابع أيام الأسبوع وهو الأربعاء.

٥- اليوم من الشهر: وهو جزء من ٣٠ يوماً وقد عمل المسلمين على اعتبار اليوم يفتتح بالليل من غروب الشمس ويختتم بغروبها من اليوم الثاني.

ومن نظر الى القرآن الكريم وجد ذكر الليل بالنهار وتقديم الليل على النهار في كلّ المواضع وفي ذلك هذا المثال (أول الجزء الثامن من الجزء الحادي عشر من النصف الثاني من العشر الثالث من الثلث الثالث..).

أي.. أوّل الدرجة الثامنة من الساعة الحادية عشرة من نهار الثالث والعشرين.

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٢/ ٣٦١).
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (٢/ ٣٦٦).

٦- الأسبوع من الشهر: وفي الشهر الواحد أربعة اسابيع تامة وإذا ذكر الأسبوع فالأصل عدم ذكر اليوم من الشهر مع جوازه مثاله (الربع الأول) أي الأسبوع الأوّل من الشهر.

٧- الشهر: وهو جزء من ١٢ شهر وكالآتي:

أ. محرم. ب. صفر.

ج. ربيع الأول. د. ربيع الثاني (الآخر).

هـ. جمادى الأول. و. جمادى الثاني (الآخرة).

ز. رجب. ح. شعبان. ط. رمضان.

ي. شوال. ك. ذو العقدة. ل. ذو الحجة.

ومثاله: أوّل الجزء الثامن من الجزء الحادي عشر من النصف الثاني من العشر الثالث من الثلث الثالث من الجزء الثاني عشر.. أي... من شهر ذي الحجة.

٨- السنة: وهي لا تزيد عن أربعة أرقام الآحاد/ العشرات/ المئات/ الآلاف ولكون التاريخ بهذه الطريقة.

ومثال: (من العشر الثامن من الجزء الرابع من الجزء الثاني عشر من الهجرة النبوية).

أي عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف من الهجرة النبوية.

المبحث الأول: نشأة التاريخ بالكسور وتعريفه

اتفق الدارسون لهذه الطريقة الحسابية للتاريخ على انها عثمانية المولد، وتتابعوا على ان العالم التركي: أحمد بن سليمان، المعروف ابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ) صاحب التصانيف الكثيرة والمباحث المهمّة الغامضة وهو أوّل من عرف بها واقدم ما نسب إليه صراحة كان بتاريخ ٩٢٦هـ غير ان بعضهم أشكلت عليه هذه الاسبقية بتقييده على ذات الطريقة ٩٢٢هـ أي قبل تلك بأربع سنوات ولم يعرف مقيدها.

تحليل التاريخ بالكسور:

(النموذج الأول)

أقدم تاريخ بالكسور منسوب الى ابن كمال باشا والمعروف بابن سليمان أحمد ابن كمال باشا شمس الدين (تركي الأصل). وفي رسالة له بمسألة خلق القرآن حيث قال:

تم الكتاب يوم الجمعة وهو العشر التاسع من الثلث الثاني من السدس الثاني من النصف الأوّل من العشر السادس من العشر الثالث من العشر العاشر من الهجرة النبوية الهلالية.

- تحليل النموذج:

* يوم الجمعة – صريح في اليوم من الأسبوع.
* العشر العاشر – أي التاسع من آحاد الأيام والاعشار فيه تبدأ من اليوم الأول.

* الثلث الثاني – ما يقع بين اليوم الحادي عشر واليوم العشرين فإذا ضممت الآحاد إلى هذا صار المقصود هو اليوم التاسع عشر.
* السدس الثاني من النصف الأوّل – أي شهر صفر إذا قسمنا شهور السنة إلى نصفين صار النصف الأوّل ستة أشهر وثاني هذه الاسداس هو شهر صفر.

من العشر السادس/ أي السنة السادسة من أحاد السنين.

من العشر الثالث أي ما يقع بين السنة الحادية والعشرين والسنة الثلاثين.
من العشر العاشر/ أي ما يقع بين عام تسعمائة وواحد (٩٠١هـ) ونهاية عام ألف (١٠٠٠هـ) وهو القرن العاشر.

فإذا ضممنا تلك السنوات خرجنا بالتاريخ المقصود وهو عام ستة وعشرين وتسعمائة (٩٢٦هـ).

والمقصود بتاريخ الكتاب (ابن كمال باشا) المؤلّف والموسوم (مسألة خلق القرآن) هو.. يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة (الجمعة ١٩ صفر ٩٢٦هـ).

(النموذج الثاني)

تاريخ آخر وضعه عمر بن حسين الآمدي في الوسيط (شرح الوجيز)[١].

قال:

يُعيد العصر، من السبع الرابع

وهو العشر الخامس من الثلث الثاني

من السادس الرابع من النصف الأول

(١) هو عمر بن الحسين الآمدي يوزجي زاده فقيه، أصولي، نحوي.

من العشر الخامس من العشر السابع

من العقد الثاني من الألف الثاني من الهجرة النبوية.

وتحليل النموذج:

- بُعيد العصر/ واضح في الوقت من اليوم.
- السبع الرابع أي رابع أيام الأسبوع وهو الأربعاء وأول أيام الأسبوع هو الأحد.
- العشر الخامس/ أي اليوم الخامس.
- الثلث الثاني/ ما بين اليوم الحادي عشر واليوم العشرين فإذا ضممته إلى العشر الخامس صار المقصود هو اليوم الخامس عشر.
- السدس الرابع من النصف الأول/ أي شهر ربيع الآخر فإذا قسمنا شهور السنة إلى نصفين صار النصف الأوّل ستة أشهر ورابع هذه الاسداس هو شهر ربيع الآخر.
- العشر الخامس/ أي السنة الخامسة من أحاد السنين.
- العشر السابع/ ما يقع بين السنة الحادية والستين والسنة السبعين. فإذا ضممته الى العشر الخامس صار المقصود وهو عام خمسة وستين.
- العقد الثاني/ أي المائة الثانية وتقع بين عام مائة وواحد الى نهاية عام مائتين (٢٠٠-١٠١) وقد استعمل العقد هنا للدلالة على القرن.
- الألف الثاني/ أي الالف التي نعيش فيها الآن.

والمعنى في هذا التاريخ، بعيد العصر من يوم الاربعاء الخامس عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ومائة وألف.

(بعيد العصر/ الاربعاء ١٥/ ٤/ ١١٦٥ هجرية).

وقد قيد تفسيرها في حاشية نسختين من نسخ هذا الشرح الوسيط (شرح

الوجيز) واحدة كتبت في حياة المؤلّف والأخرى قوبلت وصححت على نسخة المصنف.

(النموذج الثالث)

تاريخ آخر وضعه (محمد بن محمد الوزير التونسي)[١] في الجزء الثاني (آخر الجزء) من كتابه (الحلل السندسية) قال فيه:

«أول) الجزء الثامن من الجزء الحادي عشر من النصف الثاني من العشر الثالث من الثلث الثالث من الجزء الثاني عشر من العشر الثامن من الجزء الرابع من الجزء الثاني عشر من الهجرة النبوية».

تحليل النموذج:

* الجزء الثامن أي بداية الدرجة الثامنة من الساعة.

* الجزء الحادي عشر من النصف الثاني/ أي الساعة الحادية عشرة النهار. باعتبار الليل هو الأوّل ومبدأ اليوم عند العرب.

* العشر الثالث/ أي اليوم الثالث من آحاد الايام.

* الثلث الثالث ما يقع بين اليوم الحادي والعشرين واليوم الثلاثين فإذا ضممته الى العشر الثالث صار المقصود اليوم الثالث والعشرين.

* الجزء الثاني عشر/ أي شهر ذي الحجة.

* العشر الثامن/ أي السنة الثامنة.

* الجزء الرابع/ ما يقع بين السنة الحادية والثلاثين والسنة الاربعين فإذا ضممته الى العشر الثامن صار المقصود هو سنة ثمان وثلاثين.

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى الاندلسي، أبو عبد الله السراج الشهير بالوزير، مؤرخ تونسي.

* الجزء الثاني عشر/ أي القرن الثاني عشر وهو ما يقع بين عام واحد ومائة والف إلى نهاية عام مائتين والف (١١٠١-١٢٠٠) والمعنى من التاريخ هو ٢٣ من أوّل الدرجة الثامنة – الساعة (١١ إحدى عشر) (من النهار يوم شهر ذي الحجة، سنة ثمان وثلاثين ومائة والف من الهجرة (الدرجة ٨ الساعة ١١ من يوم ٢٣/ ١٢/ ١١٣٨هـ).

(النموذج الرابع)

في كتاب (عين الحياة في استنباط المياه) لأحمد بن عبد المنعم الدمنهوري...[١] (ت ١١٩٢٩) كتب:

(الثاني من الثاني من الخامس من السادس من الخامس من الثاني عشر من الهجرة النبوية).

تحليل التاريخ:

– الثاني من الثاني/ اليوم من إجمالي الشهر مباشرة وفيها احتمالات كالآتي:

* ثاني الثلث الثاني يكون المقصود هو اليوم الثاني عشر من الشهر وهو الاقرب لأن تقسيم الشهر الى ثلاثة هو الأكثر استعمالاً.

* ثاني النصف الثاني – وعليه المقصود هو اليوم السادس عشر من الشهر.

* ثاني الخمس الثاني أي اليوم الثامن من الشهر.

* ثاني السدس الثاني أي اليوم السابع من الشهر.

* ثاني العشر الثاني أي اليوم الخامس من الشهر.

وقوله من الخامس/ أي الشهر الخامس وهو جمادى الأولى من السادس/

(١) أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري، شيخ الجامع الأزهر، وأحد علماء مصر.

أي السنة السادسة في أحاد السنين.

من الخامس أي ما يقع بين عام واحد واربعين وعام خمسين.

أما قوله من الثاني عشر أي ما يقع بين عام ألف ومائة وواحد وعام ألف ومائتين.

والمقصود هو: الثاني عشر/ شهر جمادى الأولى/ ألف مائة وستة وأربعين (١٢/ ٥/ ١١٤٦هـ). انتهى

(النموذج الخامس)

جاء في شفاء الاسقام ودواء الآلام لخضر الأيديني (ت٨٢٠)[1] نسخة تركيا. يوم الاربعاء الذي هو العشر الرابع من الثلث الثالث من السدس الثاني من النصف الأوّل من العشر الثامن من العشر العاشر من العشر الأوّل من النصف الثاني مـــن الهجرة.

تحليل النموذج:

الاربعاء صريح في اليوم من الاسبوع، العشر الرابع/ اليوم الرابع في آحاد الايام. الثلث الثالث: أي ما يقع بين اليوم الحادي والعشرين والثلاثين السدس الثاني من النصف الأول/ أي إذا قسمنا شهور السنة الى قسمين صار كلّ قسم ستة أشهر ونصفها الأوّل يتكون من ستة اسداس وثانيها هو شهر صفر.

العشر الثامن/ السنة الثامنة من آحاد السنين.

العشر العاشر/ ما يقع في عشرات السنين بين عام واحد وتسعين وعام مائة. العشر الأول/ أي ما يقع بين أوّل يوم من القرن حتّى نهاية عام مائة.

(١) خضر بن علي بن مروان بن علي حسام الدين الأيديني، يعرف بحاجي باشا، من الحنفية.

النصف الثاني/ الألف الثانية التي نعيش فيها الآن والتي تقع بين عام ألف وواحـــد وعام الفين.

المعنى/ يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شهر صفر سنة ثمان وتسعين والف ١٠٩٨/ ٢/ ٢٤هـ. انتهى

(النموذج السادس)

قال إبراهيم الخطيب[1] في كتاب من كتبه في يوم الثلاثاء الذي هو الخمس الخامس من السدس الثالث، يوم الثلاثاء صريح في اليوم من الأسبوع إذا قسمنا الشهر الـــى اسداس صار كلّ سدس خمسة أيـام والسدس الثالث يقع بين الحادي عشر واليوم الخامس عشر وخامس هذا السدس هو اليوم الخامس عشر.

الثلث الثالث من الربع الثالث/ إذا قسمنا شهور السنة الى ارباع صار كلّ ربع ثلاثة أشهر والربع الثالث يكون بين الشهر السابع والشهر التاسع وثالثها هو الشهر التاسع (رمضان).	
العشر التاسع	أي السنة التاسعة من آحاد السنين.
العشر العاشر	ما يقع في عشرات السنين بين عام واحد وتسعين وحتّى نهاية عام مائة.
العشر الأول	ما يقع في المئات من أوّل يوم في القرن حتّى نهاية عام مائة.
النصف الثاني من الهجرة	الألف الثانية وتقع بين عام ألف وواحد حتّى عام ألفين.
فالمعنى المقصود هنا	الثلاثاء الخامس عشر من شهر رمضان سنة تسع وتسعين وألف

الثلاثاء (١٥/ رمضان/ ١٠٩٩هـ)

(١) لعله، إبراهيم الحسني الهاشمي (الامير) من متصوفي الزيدية – خطيب الأمة ١٢١٣هـ.

(النموذج السابع)

قال إسماعيل بن أحمد الطريثي الغمري[١] ناسخ النهاية في شرح الهداية للسغنافي «نسخة تركيا» في نهاية فراغ كتابه المخطوط وفي النصف الثاني من الكتاب تحديداً «يوم الثلاثاء العشر الآخر، من الشهر الثاني عشر من العام السادس مـــن العاشر السادس من القرن العاشر».

تحليل النموذج:

الثلاثاء/ صريح الثلاثاء من أيـام الاسبوع

العشر الآخر/ العشر الأخيرة أي بين يوم ٢١ - ٣٠ من الشهر.

من الشهر الثاني عشر/ يقصد ذا الحجة.

العام السادس/ هو صريح في السنة من آحاد السنين.

العاشر السادس والصواب العشر السادس أي ما يقع في عشرات السنين بين عـــام واحد وخمسين وعام ستين قوله (القرن العاشر) ما يقع في المئات من السنين بـين عام واحد وتسعمائة وعام الف.

المعنى المقصود:

يوم الثلاثاء.. يوما الحادي والعشرين والثلاثين وبحسب الجدول هو الخامس والعشرون من شهر ذي الحجة من عام ستة وخمسين وتسعمائة الثلاثاء

(١) لم أجد له ترجمة.

٢٥ ذي الحجة ٩٥٦هـ.

(النموذج الثامن)

قال محمد الحنفي الشهير بقصاب زاده[١] في شرحه (خليج البحار في ملتقى الأبحار) وهذه النسخة بخطّ المؤلف:

(في اليوم الخميس، الخامس من الاخماس الستة، الثاني من الاسداس الستة، مــن النصف الأوّل من شهور سنة خمس وخمسين والف).

تحليل النموذج:

في قوله اليوم الخميس، صريح في اليوم من الاسبوع.

قوله (الخامس من الاخمـاس الستة) ما يقع بين اليوم ٢١ والخامس والعشرين؛ لأن الشهر مقسم الى ٣٠ ÷ ٥ = ٦ والخامس من الاخماس الستة الأيـام الخمسة الاخيرة.

قوله (الثاني من الاسداس الستة من النصف الأول) أي ان السنة ١٢ شهر مقسمة على (٢) = ستة أشهر والثاني من الاسداس الستة من النصف الأوّل يقصد هنا شهر (صفر).

قوله (سنة خمس وخمسين والف) وهو صريح.

أي: الخميس/ الواقع بين اليوم الحـادي والعشرين واليوم الخامس والعشرين (ويوافق ٢٣ من شهر صفر سنة خمس وخمسين والف من الهجرة النبوية)/ الخميس/ ٢٣ صفر/ ١٠٥٥هـ.

(١) محمد بن إبراهيم الرومي الحنفي الشهير بابن القصاب (ت ١٠٥٥).

معرفة الكسور الصالحة لكل ميقات:

١- الجزء من الدرجة: وهي لا تخرج عن قول المؤلّف أوّل الجزء... آخر الجزء.

٢- الدرجة: واقصد الرقم (خمسة عشر) والكسور التي تناسبه هي الثلث (يساوي خمسة) والخمس (٣) أو ان يذكر الجزء مباشرة مثل الجزء الثامن.

٣- الساعة واصلها فيها الرقم (١٢) لليل والنهار وهو الأصل والاكثر استعمالا وهناك الرقم (٢٤) يشمل الليل والنهار إلّا أنّ استعماله قليل. والاصل الأوّل (اثنا عشر) فالكسور التي تناسبه هي: النصف (يساوي ستة) والثلث (٤) والربع (٣) والسدس (٢).

والاصل الآخر (٢٤) فالكسور التي تناسبه هي النصف (١٢) والثلث (٨) والربع (٦) والسدس (٤) والثمن (٣).

وقد ترد الساعة بالعدد لا بالكسر مثل الساعة الأولى دون تحديد.

والاصل في الساعات المذكورة في هذه الطريقة انها ساعات النهار واصل المسألة فيها (١٢) فاذا ذكر تحته كسر ثمّ اتبع بقيد (النصف الأول) أو النصف الثاني فهو من ذلك الأصل ومثاله.

(الجزء الأوّل من السدس الخامس من النصف الأول) فهنا قسم ساعات النهار الى قسمين كلّ قسم من ست ساعات والمراد هنا الساعة الخامسة من الست ساعات التي هي النصف الأوّل من ساعات النهار.

أما إذا لم تقسم الساعات داخل الاثنتي عشرة ساعة ثمّ اتبعت بقيد (النصف...) فالمراد هنا الدلالة المباشرة الى أن هذه الساعة المذكورة هي في ليل أو نهار ومثاله (الجزء الحادي عشر من النصف الثاني أي الساعة الحادية عشرة من النهار.

٤- اليوم من الأسبوع: ولا يصلح فيه سوى كسر واحد هو السبع مثل (السبع

الأول) أي أوّل أيـام الاسبوع.

٥- اليوم من الشهر وله أحوال وكالاتي:

أ. اليوم من الشهر.. المسألة (٣٠) يوماً هو عدد أيـام الشهر التام والكسور التي تناسبه هي: النصف (١٥) يوم وثلث (١٠) وخمس (٦) وسدس (٥) والعشر (٣) أيام.

ب. آحاد الايام... واصلها عشرة والكسور التي تناسبه هـي النصف يساوي (٥) والخمس (٢) والعشر (١).

ج. عشرات الأيـام (العقود) العشرة والعشرون والثلاثون فهي (ثلاثة والكسر الذي يناسبه هو الثلث (يساوي عشرة).

٦- الأسبوع من الشهر/ اصل المسألة (اربعة) وهي عدد الاسابيع التامـة مـن الشهر والكسور التي تناسبه هي كالآتي: النصف يساوي (٢) والربع (١).

٧- الشهر.. اصل المسألة (١٢) عدد الشهور الكسور التي تناسبه النصف (٦) الثلث (٤) الربع (٣) السدس (٢) مثل الجزء الثاني عشر أي ذو الحجة.

٨- السنة.. وهي لا تزيد عن أربعة أرقـام ولها أحـوال من حيث الافـراد والتركيب.

أ. آحاد السنين.. وهي السنة الأولى وحتّى التاسعة والمسألة فيها (١٠) والكسور التي تناسبه هي النصف (يساوي خمسة) والخمس (يساوي اثنين) والعشر (يساوي واحد).

ب. العشرات من السنين (العقود) وهي العشرة والعشرون حتّى التسعين واصل المسألة (١٠) والكسور التي تناسبه النصف (يساوي خمسة أي العقد الخامس) والخمس يساوي اثنين أي العقد الثاني والعشر يساوي واحد أي عقد واحد من عشرة عقود.

ج. المركب من السنين (دون القرن) واصل المسألة فيها (مائة) والكسور المناسبة هي النصف (٥٠) الربع (٢٥) والخمس (٢٠) والعشر (١٠).

د. القرن: هو رؤوس المئات واصل المسألة فيها (١٠) الكسور المناسبة له النصف يساوي (٥) أي القرن الخامس والخمس (يساوي ٢ أي القرن الثاني) العشر يساوي واحد أي قرن واحد من عشرة قرون.

هـ. الألف وهي ألفان: الأولى تنتهي نهاية عام ١٠٠٠هـ والأخرى بدأت بمطلع عام ١٠٠١ وهي التي نحن فيها والألف حالتين كالآتي:

- الافراد: مثل ما تقول (من الجزء الأول) أو (من الجزء الثاني) أي الألف الأوّل أو الألف الثاني.
- التركيب وهو ان يذكر الألف مع القرن بان يحدد عدد المئات فقط دون ذكر الألف الأولى أو الثانية، ولتحديد التاريخ في أي ألف يلجأ الى عدد المئات فاذا كانت عشرة فاقل فالتاريخ في الألف الأوّل وإذا كانت عدد المئات أكثر من عشر فالتاريخ في الألف الثانية.

الرابعة: معرفة ان الكسور المذكورة هي كسور رئيسية فقد يرد تحت الكسر الرئيس كسر فرعي مثاله لتحديد اليوم من الشهر قولنا (الثلث الثاني من العشر الأول) أي اليوم الثاني من الشهر فهنا جاء كسر تحت كسر وهو كثير في هذا التاريخ.

الخامسة: قد يرد بعض التاريخ صريحاً ومباشراً فلا يلزم ان يكون كسرياً من أوّله الى منتهاه مثل: (الاربعاء هو الثلث الثاني من العشر الأوّل من الجزء التاسع من أوّل الالف الثانية) فهنا صرح باليوم وهو الاربعاء وبالسنة (١٠٠١هـ).

السادسة: صريح معرفة درجات العبارات من حيث الكناية والتصريح كالآتي:

أ- الصريحة.. كقولنا (الاربعاء) أو (اول الالف الثانية).

ب- سنة الصريحة: كاستعمال كلمة جزء فالجزء مقدار مطلق وهو باعتباره مباشرا في الدلالة على المعدود ومشكل باعتباره مقداراً غير معلوم

النسبه لأول وله مثاله (أول الجزء الثامن) أي: أوّل الدرجة الثامنة من الساعة فهي مباشرة في الدلالة على الدرجة إلّا أنّ هذا غير معلوم الأصل فلا يعرف من اراد قراءة التاريخ موضع هذه الدرجة من الساعة.

ج- الكناية: وهي الكسور وقد تكلمت عنها.

د- ما استعمل بتوسع كالعقد وهو للعشرات من العشرة الى التسعين إلّا أنّ بعضهم توسع في استعمالها للقرن مثل من العقد الثاني من الالف الثانية) أي من (١١٠١-١٢٠٠هـ).

السابعة: معرفة الميقات الذي بدئ به مثل (ثاني السدس الأول) أي الساعة الثانية فمن لا يفطن لمثل هذا يظن ان التاريخ قد بدأ بالشهر ومن ثمّ ينغلق عليه الحساب.

الثامنة: معرفة التقديم والتأخير الذي قد يقع في هذه الطريقة أحياناً مثل (آخر السدس الأول).

الخاتمة:

إنني أجمع في هذا الملخص ما تفرق وكالآتي:

١- ان التاريخ بالكسور/ هو تقييد زمن معيّن أو بعضه باجزاء غير تامة من اجزاء الواحد كالنصف، والربع...)

٢- ان هذه الطريقة تركية الأصل عثمانية المنشأ. وان ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) هو أوّل من عرف بها.

٣- ان المواقيت الزمانية والكسور هي تسلية للنفس واعمدة هذه الطريقة وهي تجمع بين الحساب والفلك.

٤- طريقة تتسم بالغموض وعدم الوضوح.

٥- أملي أن أجد كتاباً يشير الى هذه التواريخ لنمارس شيئاً ممّا تعلمناه.

٦- اقدم شكري وتقديري واعتزازي وانا مطأطئ الرأس للاستاذ الدكتور هلال السرحان والاستاذ الدكتور عبد الرزاق أحمد الحربي وذلك لتشـمل هذا البحث.

السبع السابع من العاشر من الأوّل بعد الألف.

فهنا بدا اليوم وهو اليوم الخامس من الشهر وقدم اليوم من الشهر على اليوم من الأسبوع وهو خلاف الأصل ومن لا يفطن لمثل هذا سيفسر البداية بالساعة من يوم السبت ولن يذكر اليوم من الشهر أو حتّى الأسبوع الذي يندرج فيه هذا اليوم ويقع الاشكال إذا كان في العبارة المستعملة طمسا أو نحو ذلك في المخطوط فلـو كـان المكتوب للتبعيض كحرف «من» كان المقصود الساعة، أما إذا أراد اليوم من الشهر إليك التفسير:

أ- الصواب (٥/ السبت/ شوال/ ١٠٠١هـ).

ب- الخطأ الساعة الثانية من نهار السبت/ شوال/ ١٠٠١هـ) وهنا لم يذكر اليوم كالتفسير السابق أو في أي اسبوع هو من اسابيع الشهر الرابع.

التاسعة: معرفة السنة وهو أهم ما يُحرص على حلهِ.

المبحث الثاني: خلاصة البحث

- خلاصة بحثي هذا هو قيد الفراغ من نسخة المخطوط. اما إذا كان المخطوط عليه تاريخ واضح فلا حاجة لأي حل.
- إن صعوبة هذا المجال الخطأ فيه. ولذلك أود ان اقدم أشياء أخرى تفيد الباحث وهي:

أولاً: آحاد الأيام:

أصل المسألة فيها (عشرة) والكسور هي النصف يساوي (خمسة) والخمس يساوي (اثنين) والعُشر يساوي (واحد).

ثانياً: العشرات من الأيام (العقود):

وهي العشرة والعشرون والثلاثون فهي ثلاثة والكسر الذي يناسبه هو: الثلث (يساوي عشرة).

ثالثاً: اليوم من الشهر:

ثلاثون وهو عدد أيام الشهر. النصف ١٥ يوم الثلث ١٠ أيام الخمس ٦ أيام. السدس ٥ أيام العشر ٣ أيام لأن ١٠×٣= ٣٠ يوماً.

رابعاً: الأسبوع من الشهر:

أصل المسألة (اربعة) وهي عدد الاسابيع في الشهر والكسور التي تناسبه هي النصف يساوي اثنين والربع يساوي واحد.

خامساً: الشهر:

النصف أصل المسألة (اثنا عشر) وهو عدد الشهور والكسور التي تناسبه هي تساوي (ستة) والثلث (اربعة) والربع (ثلاثة) والسدس (اثنين) وقد يرد ذكره مثل (الجزء الثاني عشر أي ذو الحجة).

سادساً: السنة:

وهي لا تزيد عن أربعة أرقام ولها أحوال من حيث الأفراد كالآتي:

أ- آحاد السنين: وهي من السنة الأولى وحتّى التاسعة واصل المسألة فيها عشر والكسور هي النصف ونصفها خمسة والخمس يساوي اثنين والعشر يساوي واحد. ومعرفة السنة هو أهم ما يُحرص على حله.

ب- العشرات في السنين (العقود): وهي العشرة والعشرون حتّى التسعين واصلها فيها عشرة والكسور التي تناسبه النصف يساوي خمسة أي العقد الخامس/ الخمس يساوي اثنين أي العقد الثاني والعشر يساوي

واحد أي عقد واحد من عشرة عقود.

ج- المركب من السنين (دون القرن). وفيها (مائة) والكسور التي تناسبه النصف يساوي خمسين والربع خمسة وعشرين والخمس يساوي عشرين والعشر يساوي عشرة.

د- القرن: وهو رؤوس المئات. والاصل فيها عشرة والكسور التي تناسبه النصف هي يساوي خمسة أي القرن الخامس/ الخمس يساوي اثنين أي القرن الثاني العشر يساوي واحد أي قرن واحد من عشرة قرون.

هـ- الألف: وهي الفان الأولى تنتهي نهاية عام ١٠٠٠هـ والأخرى بدأت ١٠٠١هـ التي نحن فيها.

مثال: السبع السابع من العاشر من الأوّل بعد الألف.

فهنا بدأ اليوم وهو اليوم الخامس من الشهر وقدم اليوم من الشهر على اليوم من الاسبوع. وهو خلاف الأصل ومن لا يفطن لمثل هذا سيفسر البداية بالساعة من يوم السبت ولن يذكر اليوم من الشهر أو حتّى الأسبوع الذي يندرج فيه هذا اليوم ويقع الاشكال إذا كان في العبارة المستعملة طمسا أو نحو ذلك في المخطوط.

فلو كان المكتوب كحرف (من) كان المقصود الساعة اما إذا اراد اليوم من الشهر اليك التفسير

أ- الصواب ٥ السبت/ شوال/ ١٠٠١هـ.

ب- الخطأ الساعة الثانية من نهار السبت/ شوال/ ١٠٠١هـ

وهنا لم يذكر اليوم كالتفسير السابق أو في أي اسبوع هو من اسابيع الشهر الرابع.

الخاتمة:

لأني أجمع في هذا البحث ما تفرق – ولا أعتقد ان هناك باحـــثاً فـــي مجـال المخطوطات فكر أو سيفكر في هذا، ولكن: إن التاريخ هو تقييد زمن معيّن أو بعضه باجزاء غير تامة من اجزاء الواحد (كالنصف والربع..) وان هذه الطريقة تركية الأصل عثمانية المنشأ واول مـــن عرف بها هو ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) وتعتبر تسلية للنفس واعمدة هذه الطريقة هي الجمع بين الحساب والفلك لغموضها.

المصادر:

١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ج٢، ص٢/ ٣٦١.
٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ج٢، ص٢/ ٣٦٦.
٣- الأيام والليالي والشهور: للفراء، تحقيق إبراهيم الأنباري، ص٣٣.
٤- معجم مصطلحات المخطوط العربي: أحمد شوقي، الخزانة الحسينية، الرباط، ٢٠٠٥م.

التوثيق التصنيفي للمخطوطات

والوثائق الورقية العربية

م.م. محمد رياض حامد الحميري

ABSTRACT:

It is imperative that those who are exposed to the study of Arabic manuscripts and documents to be authenticated descriptive and descriptive and considered a portal to study, it is necessary to collect information and scrutinize and reflect in their variants between the copy and the other, and identify the distinction between them even different periods of time, in the last decade of the last century and the beginning of the current decade began the movement towards the index Libraries and the role of preserving the heritage of the region witnessed by events that led to the loss of many unique and rare written versions. In this research, I dealt with the method of analysis of the database related to Arabic manuscripts and documents without addressing the different aspects of style so that this research is a guide to what is vague and vague in some data and the rules of transfer.

الخلاصة:

يتحتّم على من يتعرض لدراسة المخطوطات والوثائق الورقية العربية أن يوثقها توثيقاً وصفياً ويعتبرها بوابة لدراسته، فلابد من جمع المعلومات وتدقيقها والتمعن في متغيراتها بين نسخة وأخرى، وتحديد التمايز بينها من خلال الحقب الزمنية المختلفة، ففي العقد الأخير من القرن الماضي وبداية العقد الأوّل من القرن الحالي بدأت الحركة نحو فهرسة المكتبات ودور حفظ التراث لما تشهده

المنطقة من أحداث أدت إلى ضياع الكثير من النسخ الخطية الفريدة والنادرة، فقد تناولت في هذا البحث أسلوب التحليل لقاعدة البيانات المرتبطة بالمخطوطات والوثائق العربية دون التطرق للأجنبية لاختلاف الأسلوب والمنهج ليكون هذا البحث مرشداً ودالاً لما هو غامض ومبهم في بعض البيانات وقواعد نقلها.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد:

التوثيق في اللغة: وثق الشيء إذا حكمه قوي وثبت وكان محكماً، وتوثق تقوى وتثبته[1]، أما التوثيق التصنيفي في الاصطلاح فهو عملية جمع وتوفير الأدلة وتنظيم ومعالجة حالات النقص والطمس للمعلومات المتوفرة في نسخة المخطوط أو الوثيقة عن طريق التسجيل والتصنيف والمقارنة لتقديم خدمات غير تقليدية للباحثين، فبدأ العمل بمراكز تابعة لمكتبات عريقة وكبيرة بالتوثيق التصنيفي لخزائنها لتنتج فهارس وكتباً تحمل معاني لمصطلحات ومعلومات كانت مغمورة بين طيات وعناوين يمكن أن تستغل لتنمية الإنتاج العلمي، وقد عرف العلماء التوثيق تعريفات عديدة منها «هو علم من العلوم يختص بحفظ المعلومات وتبويبها وترتيبها وتنسيقها لجعلها مادة داعمة وأساسية للبحث، وقالوا أيضاً هو علم نتاجه معلومات تمكن الباحث الوصول إلى الكتاب المخطوط والوثائق بأنواعها وتمكنه من التعرف على النسخ الأخرى التابعة لها لمقارنتها ودراستها وتحقيقها وإخراج نصوصها لرفد الإنتاج العلمي بمعلومات جديدة ومساندة وإنقاذه التراث العلمي من الاندثار والنسيان».

أما عن أهميّة هذا الموضوع فإنه يهدف إلى كشف الغامض والمبهم والمتروك من التراث العلمي المضيء وخلق حلقات وصل بين العلوم الحديثة والعلوم

التراثية ذات التنوع في العنوان الواحد للتعرف على مدى التطور العلمي الذي وصل إليه كبار العلماء العرب واعتبرها الغرب الركيزة الحقيقية التي يعتمد عليها الباحثون من خلال الشواهد الحية والدلائل المكتوبة في المخطوطات والوثائق العربية ونتاج دراستها يسهل تنفيذ الأنشطة الشبيهة وينبه إلى أهميتها ويوفر المعلومات المناسبة للمستفيدين منها، فتتوفر لدى الباحثين المعلومات الأساسية المساندة للدراسة والتحقيق.

فقد اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي الذي يعتمد على أجزاء من نص الكتاب أو الوثيقة للوصول إلى أدق المعلومات التي يمكن من خلال التعرف عليها حل الغامض والمبهم بتمييز صفات ومميزات الكتاب والوثيقة العربية وسبل التعامل معهما.

فقد قسمت بحثي إلى مبحثين تناولت في المبحث الأوّل التوثيق التصنيفي للمخطوطات العربية والمبحث الثاني التوثيق التصنيفي للوثائق العربية واستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التوثيق التصنيفي للمخطوطات العربية

المخطوطات لفظة استحدثت بعد ظهور المطبوعات، فما كان منها مكتوباً بخطّ اليد يسمّى مخطوطاً سواء أكان في شكل لفائف أم على شكل صحف ضمّ بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس، وما طبع منها فيسمى مطبوعاً[٢] ويتكون من مادة يكتب بها، ويكتب عليها، وأدوات تستخدم للكتابة، وأسلوب خط ومنهج خاص لحقبة زمنية[٣]، فإن كلّ مؤلّفات العلماء ومصنفاتهم قيمة لكنها تتفاوت بالقدم ودرجة النفاسة وأهميّة الموضوع، فكل قديم نفيس يستحق العناء[٤].

أنواع المخطوطات:

النوع الأول: المسودات: هي الشكل الأوّل للكتاب الذي يوضح لنا منهج المؤلّف وطريقته في جمع مادته وتبويبها وتصنيفها، وكثير ما يشير فيها إلى ضرورة استكمال النقل من مصدر بعينه، أو مراجعة كتاب لم يكن قد وقف عليه أو نقل بعض المواد إلى أبواب أخرى تكون أليق منها، وعادةً ما يختلف ترتيب الكتاب وتنسيقه في المسودة عن صورته النهائية كما يكثر في المسودات المحو والشطب والإضافات والتعديلات، مع العلم أن المسودات ليست بالإخراج الأوّل فكثير من المؤلفين ألفوا كتبهم ثمّ أعادوا تأليفها مرة أخرى بعد سنوات، فهذا يفيد في صيانة المخطوط عند وجود الشطب والحذف قد يشبه بالتلف فيوهم عامل الصيانة بذلك فيقوم بتصليحه وهذه كارثة من كوارث عمال الصيانة الذين يجهلون المعرفة بنوع المخطوط(٥).

النوع الثاني: المخطوطات المزينة بالمنمنمات: وصلت إلينا نصوص قديمة تشير إلى عناية المسلمين بتزويق المخطوطات منذ القرن الأوّل للإسلام ومن أوضح ما جاء في تلك النصوص في مقدمة الترجمة العربية لكتاب كليلة ودمنة، وعلى الرغم من انه لم يصل إلينا شيء كثير من المخطوطات العربية المزينة إلا انه ما وصل إلينا يمثّل النوع الرئيسي في التصوير الإسلامي الذي تتضح فيه خصائص هذا الفن وما طرأ عليه من تطور(٦)، لذلك فإن عامل الصيانة له دور فعال في إرجاع المنمنمات وتزين الصفحات إلى تلك الصورة الجميلة الفريدة بأنواعها المختلفة، وحسب نوع الفن الذي تحمله تلك المخطوطات.

النوع الثالث: المخطوطات المؤرخة: ترجع أقدم المخطوطات العربية المؤرخة المعروفة لحد الآن إلى القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي وهي فترة متأخرة نسبياً، فعلى سبيل المثال أن العلامات الوقفية على بعض المصاحف

الكوفية المبكرة يمكن استخلاص منها دلالات مفيدة خاصّة بتواريخها ولكن هذه العلامات لا تمكننا إلا من تحديد زمن عدد قليل منها ومن الجائز أن يكون تاريخ كتابة بعض هذه المصاحف أقدم من تاريخ الوقفيات نفسها، وترجع أقدم علامات الوقف المعروفة في هذا الطراز إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ويمثلها المصحف الذي وقفه (أماجور) أمير دمشق في زمن الخليفة المعتمد العباسي ولم تحدد الوقفية اسم الجامع أو الجهة التي وقفت عليه[٧].

النوع الرابع: المخطوطات الموقوفة: كان الفقهاء والعلماء حتّى القرن الثاني الهجري ينسخون المصاحف ويضعونها في المساجد تقرباً إلى الله ﷻ، وأول مكتبة يشار إلى أنها مكتبة وقفية هي دار الحكمة في (القاهرة) التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)[٨].

وبعد النظر والتتبع إلى النسخ الخطية توصلت إلى طرق إثبات الوقف بثلاث حالات وهي:

١. كتابة نص الوقف على المصحف وهو الأكثر شيوعا.
٢. كتابة وثيقة وقف شاملة تبيّن الحدود والأهداف العامّة وتسجل أمام القاضي.
٣. ختم صفحة العنوان وصفحات أخرى غيرها وأحياناً يتمّ الختم عليها بخاتم، وهذه الطريقة ذاعت في القرون الأخيرة.

النوع الخامس: المخطوطات الخزائنية: هذه النوعية من المخطوطات يطلب السلاطين والملوك والأمراء وكبار العلماء كتابة نسخ منها ليضعوها في خزائنهم الخاصّة، وفي هذه الحالة لا يشار إلى قيد الفراغ من الكتابة وإنما على صفحة عنوانها الظهرية مكتوبة بخطّ منسوب وبأشكال زخرفية أو مزينة بالذهب والألوان بصيغة[٩] (حسب أشارت السلطان.....)، (حسب أمر.....)، (لأجل.....)، (برسم خزانة.....)، (الخزانة.....)[١٠].

النوع السادس: إجازة السماع والقراءة وقيود المقابلة والمتابعة: لعلّ من أهم ما كان يميز شكل المخطوطات العربية المبكرة هو افتقارها إلى صفحة عنوان ومع الوقت اخذ العلماء يستغلون وجه الورقة الأولى للكتابة اصطلح عليها تسمية (الظهرية) أو (ظهر الكتاب) فأصبحت مكاناً مناسبا لإثبات جميع أنواع القيود والتعليقات مثل الرواية والسماع والقراءات والمناولة والتمليك والمطالعة والنظر، الخ...)[١١].

السماع: قد يكتب اسم السامع وهو مصنف الكتاب حيث يكتب إقراره بالسماع (سمع هذا الجزء على فلان) وقد يورد أسماء السامعين فرداً فردا ويرافق أسماءهم اسم مؤلف الكتاب وقد يرد في آخر السماع من يذكر اسم الكاتب بصيغة (وهذا خطه) أي كاتب السماع، وفي بعض الأحيان يكتب اسم القارئ فيكتب بصيغة (بقراءة فلان)، اما عن النسخة المقروءة في بعض السماعات نجد ذكراً لها حيث يذكر اسم مؤلفها ويقول انه صاحب هذه النسخة، فضلاً عن ورود لفظة صحّح وثبت ومكان السماع وتاريخه ومدته[١٢].

بطاقة المخطوط:

البطاقة هي التي تكشف عن قيمة الكتاب وتحدد عمره بل قد يسجل له تاريخ ولادة على ارض الواقع من جديد؛ لأنه قد يبلغ تلفه حدّاً لا يستفاد منه لكن إذا أمعن النظر وأتقن العمل وشددنا الهمم في إخراج البطاقة على الشكل الصحيح ونصل إلى صياغة معلومات دقيقة فإننا نصل بالمخطوط إلى إخراجه من ظلمة المكتبات إلى أيدي الباحثين من جانب ومن جانب آخر نميز مخطوطاً عن آخر بالقيمة والأهميّة وسوف نبين تلك العناصر الآتية على النحو التالي:

١- عنوان المخطوط: يثبت اسم المخطوط كما ورد في صفحة العنوان إذا وجدت صفحة العنوان، وللتأكد منه الرجوع إلى مقدمة المخطوط بقراءة دقيقة،

ويذكر أحياناً اسم المؤلف، أو يذكر انه أنجز كتاباً آخر، فيجب الرجوع إلى المصادر التي توثق اسم المخطوط مثل كتاب «كشف الظنون» أو ذيله «إيضاح المكنون» وكتاب «هدية العارفين»[١٣]، فإن لم نجد العنوان في الغلاف ولا في حرد المتن يمكن إيجاده في هامش الناسخ إذ يذكر تسمية الكتاب أو عنوانه كأن يقول تمّ كتاب.... على يد فلان، وقد يرد للكتاب أكثر من عنوان فيسجل العنوان الذي ورد أولا ثمّ العنوان الثاني والثالث ويوضع بين هذه العناوين حرف (او) بحيث يكون العنوان الثاني وما بعده إحالات إلى العنوان الأوّل أو يوضع العنوان الذي اشتهر به الكتاب[١٤].

أما إذا لم يضع المؤلّف عنوانا لكتابه وتمّ التأكد من ذلك بالرجوع إلى المصادر فهذا يعني أن المؤلّف قد تنازل عن تسميته للكتاب فللمفهرس الحق أن يسمي الكتاب لكن وفقا للشروط التالية:

- إن كان للمخطوط نسخ متعددة وقد اتفقت جميعها على تسمية المخطوط باسم فهنا لا يحق للمفهرس التغيير، خاصّة إذا كانت إحدى النسخ لأحد تلاميذ المؤلف.
- إذا اختلفت العناوين للنسخ التابعة للمخطوط الأصلي فعلى المفهرس أن يأخذ العنوان المسجل على نسخة تلميذ المؤلّف أو ما دون على أقدم تلك النسخ وإذا لم يستطع التمييز يمكن أن يأخذ عنواناً يعبر عن موضوع الكتاب، أو أن يأخذ العنوان الأكثر شهرة بين العلماء[١٥].

٢- نوع الفن (موضوع المخطوط): إن لكل كتاب موضوعاً يبحث فيه فمثلاً أن يوضع عنوان الكتاب ضمن الفئة التي ينتمي إليها مثل كتب الفقه أو الآدب أو الفلسفة الخ، وغير ذلك من رؤوس الموضوعات التي قسمت إليها العلوم، فعلى المفهرس تحديد موضوع الكتاب بالخطوات والأسس الآتية:

- يحدد الموضوع من المخطوط نفسه وذلك من خلال دراسة المقدمة أو من خلال تسمية المؤلّف أبواب وفصول كتابه.
- يمكن أيضاً تحليل موضوع الكتاب بالرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلّف في تأليف كتابه[١٦].

٣- اسم المؤلّف وشهرته يذكر اسم المؤلّف كاملاً ويهتم بكنيته ولقبه وشهرته، ولا يذكر ألقاب التعظيم والتفخيم، مرتبين اسم المؤلّف كما يلي: (الكنية – اللقب – اسمه – اسم أبيه – اسم جده – شهرته – تاريخ وفاته)[١٧].

٤- أوّل المخطوط (فاتحة الكتاب): المقصد من تتبع أوّل المخطوط هو معرفة الجمل الأولى مستبعدين ما يكرر من البسملة والحمدلة حتّى يتمّ التأكد من بداية المخطوط فنجد المؤلّف يسرد اسمه أو منهجه أو سبب تأليفه وأحياناً مصادره أو لمن ألفه ممّا ينبئنا عن صحة الكتاب ومعرفة نسخه الباقية إذا كانت مقدمتها تالفة[١٨].

٥- آخر المخطوط (حرد المتن): لا يكثر النقل منها بل نكتفي بذكر الجمل الأخيرة التي تسبق تاريخ النسخ واسم الناسخ أي بما يشعرنا أن الكتاب قد تمّ وليس فيه نقص كما يهمنا فيه تاريخ النسخ واسم الناسخ إن وجد[١٩].

٦- أجزاء المخطوط (عدد الأوراق عدد الأسطر عدد الكلمات – قياس الصفحات – نوع الورق – قياس الصفحات): كلّ هذه أمور فنية مختبرية تنفع في معرفة عمر المخطوط إذا فقد، وتكملة المخطوط إذا كان مبعثراً، وترتيب الصفحات، ومعرفة المؤلّف من خلال أسلوبه إذا فقد اسم المؤلف[٢٠].

٧- نوع الخط والحبر: يجب على كلّ من يعمل في مجال المخطوطات أن يكون ملماً بأنواع الخطوط فيذكر الخط الذي كتبت به المخطوطة ويشير إلى تعابير الخطوط ويشير إلى الكلمات إن كانت مشكولة أو مهملة ومن خلال نوعية الخط يمكن أن يحدد تاريخ النسخة إذا فقد[٢١]، ويذكر نوع الحبر وإذا كانت

هناك عدة ألوان يذكرها بالتفصيل فقد يكون لون العناوين يختلف عن لون النص. النقط

٨- الغلاف: يهتم عامل الصيانة بالغلاف، ويبين صورته الأصلية وما عليه من نقوش وزخارف ورسوم، زخرفية ونباتات[٢٢].

٩- مصدر المخطوط (مكان حفظه: يجب معرفة مصدره سواء من مكتبة أم مخزن أم من أي بلد للرجوع إلى الأصل وصيانته[٢٣].

١٠- ترقيم الصفحات: التأكد من ترقيم الصفحات للمخطوط إن وجدت وان لم توجد فتضبط الأوراق من خلال ترقيمها بالقلم الرصاص حرصا عليها من الضياع أو التقديم والتأخير خصوصاً إذا كانت فاقدة لنظام الترقيم المتبع في المخطوطات (التعقبة) ويوضع الترقيم في اعلى الصفحة اليسرى[٢٤].

١١- اسم الناسخ: يؤخذ اسم الناسخ من المخطوط نفسه فيورد اسم الناسخ في حرد المتن فيسجل في البطاقة كما ورد من غير زيادة أو نقصان؛ لأن اسم الناسخ يعتبر مؤشرا لتاريخ النسخ إذا فقد التاريخ خاصّة إذا كان الناسخ شخصية معروفة، أما إذا وجدنا في المخطوط أكثر من ناسخ فيسجل اسم الناسخ الأوّل ومن بعده الثاني والثالث[٢٥].

١٢- تاريخ التأليف: إن لتاريخ التأليف أهميّة كبيرة إذ يبين لنا أن المؤلّف كان حيا بالسنة التي ذكر بها تاريخ التأليف وهذا ينهي الخلاف الموجود في كتب التراجم حول سنة وفاة المؤلّف فيمكن للمفهرس أن يتبع الخطوات التالية في تحديد هذا التاريخ:

- يؤخذ تاريخ التأليف من المخطوط نفسه إذ يذكر المؤلّف العبارات فرغت من تأليفه أو تحريره أو تبيضه وهذا ما نجده في حرد المتن.
- كذلك يمكن أن يؤخذ تاريخ التأليف من مقدمة المخطوط نفسه، فأحياناً يذكر المؤلّف في المقدمة أن طلب منه أن يؤلّف هذا الكتاب في سنة كذا،

وإذا استعصى عليه تاريخ التأليف يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع المختصة مثل كتاب (كشف الظنون)[٢٦].

١٣- تاريخ النسخ: تحدد قيمة النسخة الخطية من تاريخ نسخها، فكلما كانت النسخة تاريخها أقرب من وفاة المؤلّف كانت قيمتها أكبر من نسخة يبتعد تاريخها من وفاته، فيقع على عاتق المفهرس تسجيل تاريخ النسخ بالطريق الآتية:

- يعتمد على تاريخ النسخ الموجود بالنسخ نفسه إذا كان مسجلاً في حرد المتن، أما إذا لم يذكر فيمكن الاعتماد على الطرق الفنية في تحديد تاريخ النسخة بالنظر إلى نوعية الورق والمداد ونوع الخط والتشكيل وضبط العبارات ويكتب تاريخ النسخ فيها تقديراً.
- قد يجد المفهرس في نهاية المخطوط تاريخ الانتهاء من التأليف، فهذا التاريخ لا يعني تاريخ النسخ إلا إذا كانت هذه النسخة الأولى التي كتبها المؤلّف بخطه فحينئذ يكتب تاريخ النسخ نفس تاريخ التأليف[٢٧].

١٤- ملاحظات عامة: يهتم بما يختص في المخطوطة من حالتها جيدة أو سيئة وإذا كانت جيدة يذكر ما رأى بها من حالة، وإذا سيئة يذكر سبب ذلك بتقرير مفصل حتّى يعلم من بعده ما هي الأجزاء التي تمت صيانتها، سواء كانت من رطوبة أو خرم أو تمزق أو طمس أو حرق الخ، كذلك يذكر إذا كان للمخطوط إطار مع تحديد لونه، وإذا كان للغلاف زينة مع تحديد نوعيتها، ويذكر علامات الترقيم القديمة إن وجدت، وإذا وجدت هوامش يذكر ما محتواها هل تعليق؟ أو رد أو ذيل أو شرح للنص أو كتاب آخر.. الخ، ويذكر ما عليها من تمليكات أو إجازات أو سماعات أو تواريخ أو أسماء أو تصليحات[٢٨].

احتياجات مفهرس المخطوطات:

١. توحيد المصطلحات التي يستخدمها في الوصف في أثناء الفهرسة والسير على نهج واحد في الوصف والتعريف.
٢. الالتزام بطريقة واحدة في ترتيب المعلومات المذكورة عن المخطوطات.
٣. الالتزام بالمنهج الذي وضع للفهرسة.
٤. الالتزام بنهج معيّن في سرد أسماء المؤلفين، فقد تجد في الفهرس الواحد بداية الاسم والكنية وأحياناً الاسم الأول.
٥. الاعتماد على طبعة واحدة بالنسبة للمصدر الذي يعتمد عليه في توثيق صحة العنوان أو اسم المؤلّف على سبيل المثال.
٦. عدم غمس أصابع اليد في الماء عند تصفح أوراق المخطوطة؛ لأن هذا يؤدي إلى إزالة بعض الكلمات والعبارات وبعض الزخارف في المخطوطات المزخرفة خاصّة في المخطوطات المكتوبة بأحبار قابلة للتحلل والإزالة بمجرد لمسها بالماء.
٧. تصفح أوراق المخطوطات بحذر شديد، إذ إن بعض المخطوطات بحكم تعرضها للرطوبة والحرارة التصقت بعض أوراقها ببعض وعند محاولة فك هذه الأوراق بشدة فإن هذا قد يؤدي إلى إزالة بعض الكلمات والعبارات وحدوث تمزق.
٨. عدم استخدام الأقلام الجافة أو السائلة في ترقيم أوراق المخطوطة.
٩. وضع المخطوطات في أثناء فهرستها على المنضدة بطريقة مريحة لأوراقها[٢٩].

صورة الصفحة الأولى للمخطوطة	صورة الصفحة الأخيرة للمخطوطة
العنوان على الغلاف:	
اسم المؤلف على الغلاف:	
بداية المخطوط:	
حرد المتن:	
تاريخ النسخ:	
اسم الناسخ:	
مكان النسخ:	
المكتبة:	
نوع الفن:	

صفة المخطوط بين المؤلفات:		
المادة المكتوب عليها:	نوع الخط:	لون المداد:
عدد الأوراق:	القطع:	المسطرة: الطول× العرض
التذهيب:	التجليد:	
دراسة محتويات المخطوط:		
نسب المخطوط: النسخ الأخرى.		
الإجازات والسماعات والقراءات إلخ.		
المفهرس:		

نموذج لوجه البطاقة[٣٠]

المخطوط باليد	المطبوع الحجري
وزن أوراقه ثقيلة	وزن أوراقه خفيفة
تمتاز أوراقه بالملمس الناعم لانسياب القلم عليها	ملمس أوراقه خشن وتمتاز بالسماكة لتحملها ضغط الحجر
يوجد في بعض الأحيان ضعف في لون الحبر بنهاية الجملة نتيجة لجفاف الحبر من القلم	وجود فراغات صغيرة داخل رسم الحرف نتيجة للفقاعات الهوائية التي تحدث في أثناء ضغط الورق على الحجر
التفاوت باللون يكون في نهاية السطر إن وجد	وضوح الخط في بعض الصفحات وعدم وضوحه في صفحات أخرى نتيجة لتفاوت ثقل الحجر
سيلان الحبر من بعض الأحرف أو الكلمات بسبب نوع الحبر	تبقع بعض الأحرف والكلمات نتيجة لانتشار الحبر في أثناء الضغط
تخترق بعض الأحبار ألياف الورقة فتظهر آثارها في ظهرها	الأسطر التي كتبت على وجه الورقة تكون معالمها بارزة في ظهرها
النص غير محدد وإن وجد في النصوص القرآنية تكون مزخرفة	تحديد النص بجدول مزدوج
استخدام أكثر من لون من ألوان المداد في الكتابة	الاقتصار على الحبر الأسود في الكتابة

المقارنة بين الكتاب المخطوط والمطبوع الحجري[٣١]

المبحث الثاني: التوثيق الوصفي للوثائق العربية

تعريف الوثيقة في اللغة: الوثيقة واحدة الوثائق ويقال: أخذ فلان بالوثيقة في أمره[٣٢]، وقالوا أيضاً: الوثيقة إحكام الأمر. يقال: خذ في أمرك بالوثيقة وفي الجمع وثائق[٣٣].

وقد عرف المركز الوطني للوثائق والمخطوطات الوثيقة بانها الوعاء الذي

يحتوي على معلومات تتعلق بأعمال ومصالح الدولة سواء نتجت عن عمل من أعمال أجهزتها أو غيرها مادام الأمر اقتضى حفظها وثبات أهميتها والحاجة إليها[٣٤].

واشتقت كلمة وثيقة من الفعل وثق أي بمعنى اؤتمن، ووثق الأمر أي احكمه واستوثق منه، لذا فالوثيقة هي كلّ ما يعتمد عليه ويرجع له لإحكام الأمر وإعطائه صفة التحقق والتثبت والتأكد من جهة الإصدار ومن مزيد الفعل للطلب استوثق، أي أخذ من الوثيقة، فلقد بينت الجمعية أن كلمة الوثيقة بالعربية كلمة عامّة غير محددة المعنى، ولقد تسبب هذا الغموض في كثير من التعريفات والاجتهادات، لذا فإنه عرفها بوجهها العام بانها مكتوب يحتوي على معلومات أو معلومة بغض النظر عن الطريقة أو الخصائص التي سجلتها أو قيدتها[٣٥] ولقد عرفت جمعية المكتبات الأمريكية الوثيقة بانها الكيان المادي الذي يسجل على جميعها أو بعضها مادة أو يسجل عليها عمل متعدد الأجزاء[٣٦].

أهمية الوثيقة العربية:

تعد الوثائق مصدراً مهماً لكتابة التاريخ، وهي أصدق الدلائل وأوثقها إن لم تشوبها شائبة، وهي كلّ مدون يحتوي على معلومات ذات قيمة علمية، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو دينية أو غيرها، وهي علم من العلوم المساعدة لعلم التاريخ، وتبرز أهميتها فيما يأتي:

١. التفسير والإشارة إلى الحقبة الزمنية من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية.
٢. إبراز شخصيات من أعلام ومغمورين والتعرف على تواريخ وفياتهم أو حالتهم الاجتماعية أو العلمية (ترجمة الشخصيات).
٣. التعريف باللهجات المحلية والمراحل التي مرت بها.

٤. إثبات الأنساب ومعرفة تسلسل الأجداد وتوثيق المصاهرات ومعرفة الأمهات.

٥. اعتماد المؤرخين على الوثائق في نقل وحصر الأحداث وشخصياتها، فإنها تعتبر أوثق من المصادر الروائية والأدبية والحوليات.

٦. الوثيقة هي الأصل الذي يجد المؤرخ بين سطورها الحقائق والبراهين التي تسد ثغرات وحقائق باتت بين سلسلة الحلقات المفقودة[٣٧].

أما تقسيم الوثائق فهناك (العائلية) التي تسمّى (الخاصّة واطلق عليها كذلك بـ (الأسرية) و(المحلية) و(الأهلية)؛ وهناك الوثائق (الحكومية) وهي الوثائق التي تجد العناية من الحكومات والدول والتي تمثلها المؤسسات الرسمية فالوثيقة الحكومية في الغالب تأتي على شكل مخاطبة من الحاكم أو من ينوب عنه إلى جهة أخرى رسمية أو غير رسمية أو موجهة لفرد يمثّل مجموعة أو يمثّل نفسه[٣٨].

الشروط الواجب اتباعها مع الوثائق:

إنَّ وفرة الوثائق الأصلية في جمهورية مصر العربية جعلت اهتمام الوثائقيين ينصب عليها بابتكار طرق وأساليب الوقاية والعلاج والتعامل معها بأسلوب يجعل عمرها أطول من بقية الوثائق التي لا تجد هذا الاهتمام في بقية الدول العربية، فضلاً عن ذلك صلة الوثائقيين الأوربيين بالوثائق العربية الموجودة في المكتبات واستمرار الدراسات التحليلية وترجمتها إلى عدة لغات كان له انعكاس كبير على اهتمام المصريين بتوثيقها[٣٩]، فقد تبيّن لنا من خلال زياراتنا مكتباتهم العامّة المتخصصة بهذا المجال أهم وسائل الحفاظ على الوثائق وتصنيفها ما يلي:

١. توفير ظروف حفظ مثالية تقيها من التلف المتعمد وغير المتعمد الطبيعي والكيميائي والبايولوجي).

٢. التصوير لأكثر من نسخة وخزنها بأماكن متعددة أو نشرها في مراكز الدراسة والتصنيف والتحقيق للفائدة والخروج من دائرة الأنانية في حبس العلم والمعلومات.
٣. إحالة الوثيقة إلى مراكز الصيانة والترميم في حالة إصابة الوثيقة باي ضرر.
٤. تصنيف الوثيقة حسب الموضوع أو التاريخ.
٥. جمع الكتب والمعلومات التي كتبت في الوثائق كنماذج ليستفيد الطالب منها والمختص في عملية التوثيق والتعريف بالوثيقة وثبات نفاستها.

القواعد العامّة لحفظ أصول الوثائق:

إن أسلوب حفظ الوثائق يعتمد على خطوات أساسية يجب ان يتبعها المركز الخاص بحفظها والتي تتلخص بما يأتي:

- فتح ملف لكل موضوع حسب دليل المصنف.
- تحديد تاريخ فتح أوّل معاملة تحفظ فيه.
- يوضع رمز الموضوع على كعب الملف وعلى المعاملة.
- يفتح سجل لحصر الملفات.
- تحمى الأوراق التى داخل الملف ببطاقات مقواه.
- يحدد مقاس موحد لخرم الأوراق المسموح بخرمها.
- لا يحفظ سوى المعاملات التي تمّ البت في موضوعها.
- عمل فهارس لمحتويات كلّ ملف أو أجزائه.
- تصوير الوثائق التي يزيد عمرها على عشرين عاماً على أحدث وسائل التصوير[٤٠].

أشكال الوثائق:

١. الوثيقة المكتوبة.

٢. الوثيقة المرئية.

٣. الوثيقة المسموعة.

٤. الرسومات.

٥. الخرائط.

٦. الميكروفيلم والميكروفيش[٤١].

أجزاء الوثيقة العربية الرسمية:

تقسم الوثيقة العربية الرسمية إلى أجزاء رئيسية تتلخص بما يأتي:

١. **الافتتاح**: عند تحديد افتتاحية الوثيقة الإسلامية يقتبس منها البسملة وقد تكون ملحقة بالحمدلة والصلاة على النبي محمدﷺ ومنها ما يزاد عليها عبارة (وصلواته على سائر الأنبياء والمرسلين) وهي عادة ما تكتب في أسطر منفردة لتكون أوّل ما يقرأ، حيث تترك قبلها مسافة لتكون واضحة ولتنسيق شكلها[٤٢].

٢. **بداية الوثيقة**: يحدد عنوان الوثيقة من تفحص بدايتها ويكون على شكل العبارات التالية:

«أوصت.....» أو «السبب الداعي لتحرير هذه الوثيقة.....» أو «من فلان إلى فلان....».

٣. **النص (المتن)**: هو جوهر وصلب الوثيقة باعتباره نص التصرف القانوني الذي بدونه لا تصح الوثيقة، لذا نقله وترتيب فقراته من الأمور التي تتطلب من مصنفها الإتقان والتمعن وتحديد الصيغة الدالة على الفعل القانوني من خلال الفصل بين مقدمة الوثيقة التي تعتبر المدخل الإنشائي للموضوع والعرض هو

عبارة عن المبررات والأسباب والدوافع التي من شأنها ضرورة إتمام التصرف بها سواء أكانت الوثيقة للشراء والبيع أو التنازل أم الهبة أم غير ذلك(٤٣).

٤. **ختم الوثيقة**: وهو أداة من أدوات التوثيق فقد يحمل اسماً أو مكاناً مقترناً بتاريخ معيّن أو منفرداً بأسلوب معروف بحقبة زمنية محددة، فعلى سبيل المثال الختم النبوي في الوثائق النبوية باعتباره أقدم الأختام العربية الإسلامية التي وصلت إلينا فهو مجرد من تاريخ لكن أسلوبه يرجع إلى حقبة معروفة، واستمرت الوثائق تحمل تلك الأختام على مرّ العصور مختلفة واحدة عن الأخرى بالنقوش والعبارات والتواريخ، ولأهميتها نالت على دراسة تحليلية من المهتمين العرب والمستشرقين فهي جزء لا يتجزأ من الوثيقة(٤٤).

٥. **الخاتمة**: وهي الصيغة النهائية اللازمة التنفيذ مختلفة الأنواع تتضمّن تسليم المتصرف الثمن أو الملكية، أو الإعلان عن إثبات الشرعية، أو الأمر أو النهي أو الجزاء – الترغيب أو الترهيب، أو ضمان صحة النفاذ ولزوم التصرف(٤٥).

٦. **تاريخ الوثيقة**: هو الوقت الذي أنجزت فيه الوثيقة وتمت الشهادة على ما ورد فيها، فقيمة الوثيقة تزيد وتنقص بتحديد تاريخها، وينقسم تاريخها إلى قسمين:

- التاريخ المكاني: هو تحديد مكان تحرير الوثيقة وذكره يزيد من قيمتها والفائدة منه، أن في حالة فقدان التاريخ الزماني يمكن الرجوع والاستشهاد بالمكان المذكور.
- التاريخ الزماني: هو تحديد وقت تحرير الوثيقة بالعناصر الثلاثة الخاصّة بالتاريخ الزماني والمتمثلة بـ (اليوم- الشهر – العام واخترت لفظة (العام) بدلاً من (السنة) باعتبار الأولى أعم(٤٦).

تقسيم الورق المستخدم في الوثائق حسب الجودة:

- ورق ممتاز ويخصص للمكاتبات ذات الحفظ الدائم.
- ورق جيد ويخصص للمكاتبات ذات الحفظ المؤقت.
- ورق عادي يخصص للمسودات الخطية[٤٧].

تصنيف أنواع الوثيقة:

تصنف الوثيقة من حيث الغرض القانوني الذي كتبت لأجله ويشمل هذا النوع الوثائق التي حررت لتكون مستندا يثبت بها حق التصرف القانوني، وكذلك تصنف الوثيقة من حيث صحتها ودرجة الاعتماد عليها، فالوثيقة الكتابية (الرسمية) لا يمكن الطعن بها أو الشك فيها؛ لأنها صادرة عن جهة رسمية ومحررة بتاريخ ومكان، أما الوثيقة الكتابية (غير الرسمية) فقد حررها فرد دون إثبات مكان أو زمان فهنا يوجد سبيل للطعن والشك فيها فتكون بدرجة اقل من درجة الوثيقة التي سبقتها[٤٨].

أما الوثيقة التصويرية فيعتمد عليها باعتبارها وثيقة مساعدة للوثيقة الكتابية وتعتبر مصدراً من مصادر التوثيق العلمي والقانوني والتاريخي وهي ادنى من الوثيقة الكتابية في التصنيف[٤٩].

أما عن تحديد جهة الإصدار في الوثيقة فمن الضروري أن تحدد في بطاقتها عنوان الدائرة التي أصدرتها فمنها الوثائق الديوانية والإدارية وتشمل توثيق الموضوع الأساسي الذي تتحدث عنه الوثيقة والمجال الذي غطت احداثه ومنه الوثيقة الدينية والسياسية والاقتصادية والأدبية، وتترتب الوثيقة في مجموعات من الوثائق المتشابهة في اصلها وتقسم تبعا لوظيفتها ونشاطها فتصنف الوثيقة أيضاً حسب المادة التي صنعت منها باعتبارها وجوداً مادياً محسوساً وفقاً إلى

نظام الهيكل التنظيمي والهيكل الوظيفي الذي يشمل خطة تصنيفها، ففي الهيكل التنظيمي تنشأ خطة هرمية تبنى على أساس التنظيم الإداري للمنظمات المسؤولة عن حفظها في الوقت ذاته تستخدم الخريطة الوظيفية لاستنباط المصطلحات وضمها إلى تلك الخريطة كي يستفاد منها في البحث والوصول المباشر إلى محتواها وتقليل وقت البحث عن معلوماتها وتجنب تكرار عنوانها[٥٠].

وهنالك تصنيف آخر للوثائق التي تمّ الحصول عليها من المؤسسات والشركات والأجهزة الحكومية الخاصّة بالتعليمات والقرارات والأنظمة والاتفاقيات والمعاهدات التي يمنع تداول أصولها فتعتبر هذه الوثائق ذات الحفظ الدائم، وهنالك أيضاً وثائق تسمّى بـ (ذات الحفظ المؤقت) التي يمكن أن تستغني عنها الجهات المذكورة آنفاً بعد انتهاء مدة حفظها ويمكن استخدام أصولها في العرض والمداولة[٥١].

الاستنتاجات والتوصيات:

١. نستنتج ممّا سبق ذكره أن لا بد للمحقّق والمفهرس من أن يقف على نوع المخطوط الذي بين يديه كي يتمكن الباحث من تحديد الأسلوب الصحيح للمؤلف وترتيب النسخ بشكل دقيق.
٢. إن بطاقة المخطوط أو الوثيقة هي التي تبيّن لنا قيمة المخطوط والوثيقة وتحدد عمرهما فبإمعان النظر وإتقان العمل يمكن أن تخرج البطاقة بشكلها الصحيح لنصل إلى معلومات دقيقة بالغة الأهميّة.
٣. يجب على الباحث في مجال كودوكولوجيا النص تتبع أنواع الكتب المخطوطة والمطبوعة والوثائق ودراسة المادة التي يكتب بها ويكتب عليها وإرجاعها للحقب الزمنية التي استخدمت بها للكشف عن الأصيل والمزيف منها.
٤. لا تقتصر أهميّة المخطوطات والوثائق العربية على الدراسة والتحقيق وإبراز

المعلومات الجديدة فحسب، إنما أصدق الدلائل وأوثقها، وكل ما تقادم عليها الزمن زادت قيمتها الاقتصادية والسياسية والدينية والعلمية.

٥. توعية المجتمع بجمع الكتب والوثائق القديمة في الأماكن المخصصة للحفظ أو الاستعانة بالمختصين لتوثيقها وتصنيفها وعمل بطاقات تعريفية لها وتصويرها كي يتسنى للباحثين الاستفادة منها وإثبات نفاستها.

٦. نوصي من خلال طرحنا موضوع هذا البحث بإعادة التوثيق التصنيفي للمخطوطات والوثائق المحفوظة في المكتبات العامّة باعتبار أن مكتباتنا في العراق معرضة للإهمال أو التلف البشري أو الحروب.

٧. كما نوصي بجمع المخطوطات والوثائق من المكتبات الخاصّة وتوثيقها واستردادها إلى أصحابها بغية الحفاظ عليها من التلف والضياع.

٨. ونوصي أيضاً بوضع المعلومات المناسبة بين يدي المستفيد في الوقت المناسب وبالقدر المناسب؛ وذلك لتحقيق الاستفادة القصوى.

الهوامش:

(١) الحميري، نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م، ج١١، ص٧٠٦٧.

(٢) فهمي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٢.

(٣) الحلوجي، عبد الستار، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٩.

(٤) الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، ط١، الدار المصرية اللبنانية للطباعة، ٢٠٠٢م، ص١٥.

(٥) السيد، ايمن فؤاد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط١، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٩.

(٦) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ط١، الهيئة العامّة المصرية للكتاب دار المعارف، ١٩٩٣م، ص٤٣.

(١) صالح، عبد العزيز حميد، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٧١م، ج٢، ص٢٤٨.
(٨) الشنطي، عصام أدوات تحقيق النصوص، المصادر العامّة، مكتبة الامام البخاري، مصر، ٢٠٠٧م، ص٤٩.
(٩) السيد، ايمن فؤاد، المصدر السابق، ج١، ص٤٩.
(١٠) بنبين، أحمد شوقي، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، ط٢، المطبعة الورقية الوطنية الحي المحمدي، مراكش، ٢٠٠٤م، ص١٣٦.
(١١) السيد، أيمن فؤاد: المصدر السابق، ج١، ص٤٩.
(١٢) المنجد، صلاح الدين: قواعد فهرسة المخطوطات، ط١، دار الكتاب الجديد بيروت، ١٩٧٦م، ص٢٣.
(١٣) الشنطي، عصام: أدوات تحقيق النصوص، المصادر العامّة، ص٣٧.
(١٤) عسيلان، عبد الله بن عبد الرحيم: تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،١٩٩٤م، ص٦٠.
(١٥) عبد القادر أحمد عبد القادر، صنعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة العربية الإسلامية، دار الوثائق، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٢٤٤-٢٤٥.
(١٦) المنجد، صلاح الدين، المصدر السابق، ص٤٠.
(١١) شعبان عبد العزيز خليفة، ومحمد عوض العايدي، موسوعة الفهرسة الوصفية ومراكز المعلومات، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٠هـ، ص٥٧٠.
(١٨) الحلوجي، عبد السلام: المصدر السابق، ص٢٧٤.
(١٩) الشنطي، عصام: مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها، (د. ط. ت)، ص١١.
(٢٠) عليان، ربحي مصطفى: أسس الفهرسة والتصنيف للمكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات العربية، دار صفاء، عمان، ١٩٩٩م، ص٢٢.
(٢١) فهمي سعد وطلال مجذوب: المصدر السابق، ص١٣٧.
(٢٢) الشنطي، عصام محمد فصول في التراث المخطوط، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٦٦.
(٢٣) الشنطي، عصام محمد: فصول في التراث المخطوط، ص٦٧.
(٢٤) المشوخي: المخطوطات العربية مشكلات وحلول، ص٧٠.
(٢٥) مهدي، فضل الله: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٥٤.
(٢٦) عبد القادر، أحمد: صنعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة العربية الإسلامية، ص٤٢٦.

(٢٧) حلوي، فتحية، فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية، خزانة كوسام بمنطقة ادرار إنموذجاً، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة أبي بكر بلقايد – كلية الآداب واللغات الجزائر، ٢٠١٦م، ص٧.

(٢٨) عبد الله عبيدات وآخرون: أسس الفهرسة التصنيفية، دار الميسرة، عمان، ٢٠٠٢م، ص٣٣.

(٢٩) المشوخي، عابد سليمان، المخطوطات العربية مشكلات وحلول، مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرياض،٢٠٠١م، ص.١٨٠

(٣٠) الشنطي: أدوات تحقيق النصوص، المصادر العامّة، ص٤٩.

(٣١) شعبان خليفة، دراسة مقارنة في حركة النشر الحديثة، المكتبة الاكاديمية، الدوحة، ١٩٨٩م، ص١٢٦. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت: ٣٥٠هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٣، ص٢٤٠.

(٣٢) (٣٣) الحميري اليمني، نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م، ج١١، ص٧٠٦٤.

(٣٤) العريشي، جبريل بن حسن ونبيل بن عبد الرحمن المعثم: الأرشفة الالكترونية وإدارة الوثائق في العصر الحديث – المبادئ والأسس النظرية والتطبيقات العملية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠١٢م، ص٢٠.

(٣٥) مها أحمد إبراهيم، وعبد المعبود عزت فاروق، الدوريات العربية المخصصة في مجال الارشيف والوثائق- دراسة تحليلية بمقالات الدوريات مجلّة المكتبات والمعلومات العربية، ع ١، كلية الآداب جامعة بني سويف، يناير ٢٠٠٤، ص٨٦.

(٣٦) العريشي، جبريل بن حسن ونبيل بن عبد الرحمن المعثم، المصدر السابق، ص١٩.

(٣٧) السامرائي، قاسم، مقدمة في دراسة الوثائق الإسلامية، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٤م، ص١٥.

(٣٨) السكاكر، محمد بن علي، أهميّة الوثائق العائلية في كتابة التاريخ المحلي، مجلّة الدارة، العدد الرابع المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠م، ص٦١.

(٣٩) السامرائي، قاسم، المصدر السابق، ص٦٤.

(٤٠) الدخيل، منى عبد الله محمد: وثائق قرية العليا ١٩٤٥ – ١٩٦٠م المحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية – دراسة وثائقية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥م، ص٣٣.

(٤١) العريشي، جبريل بن حسن ونبيل بن عبد الرحمن المعثم، المصدر السابق، ص٣٢.

(٤٢) السيد محمد إبراهيم مقدمة للوثائق العربية، دار الثقافة القاهرة، ١٩٨٧م، ص٨١. عبد

المحسن آل عبد القادر، كيفيّة توصيف الوثائق الادارية، (دطت)، ص٤.

(٤٣) (٤٤) السامرائي، قاسم، المصدر السابق، ص٥٠.

(٤٥) السيد محمد إبراهيم، المصدر السابق، ص٨٧.

(٤٦) منصور، سليم هاني، الوثائق الوقفية – اهميتها ودورها في كتابة التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص٢٢.

(٤٧) الدخيل، منى عبد الله محمد: المصدر السابق، ص٣٥.

(٤٨) الفريح، فريال: الوثيقة العربية ودورها الحضاري في حفظ ذاكرة الأمة العربية، ع٣، ٢٠٠١م، ص٢٨.

(٤٩) حمادة، حسين عمر: الصور الفوتوغرافية في أدوات الارشيف والتوثيق العلمي والتاريخي، ع٣، ٢٠١١م، ص١٠٤.

(٥٠) العريشي، جبريل بن حسن ونبيل بن عبد الرحمن المعثم، المصدر السابق، ص٣٥-٣٦.

(٥١) الدخيل، منى عبد الله محمد: المصدر السابق، ص٦١.

المصادر:

١. الحميري، نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق، د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩ م.

٢. فهمي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م.

٣. الحلوجي، عبد الستار: نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤. الحلوجي، عبد الستار: المخطوط العربي، ط١، الدار المصرية اللبنانية للطباعة، ٢٠٠٢م.

٥. السيد، أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط١، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦. عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، ط١، الهيئة العامّة المصرية للكتاب، دار المعارف، ١٩٩٣م.

٧. صالح، عبد العزيز حميد: تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

٨. الشنطي، عصام: أدوات تحقيق النصوص (المصادر العامّة)، مكتبة الامام البخاري، مصر، ٢٠٠٧م.

٩. بنبين، أحمد شوقي: دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، ط٢، المطبعة الورقية الوطنية الحي المحمدي، مراكش، ٢٠٠٤م.

١٠. المنجد، صلاح الدين: قواعد فهرسة المخطوطات، ط١، دار الكتاب الجديد بيروت،

١٩٧٦م.
١١. عسيلان، عبد الله بن عبد الرحيم: تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٤م.
١٢. عبد القادر أحمد عبد القادر: صنعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة العربية الإسلامية، دار الوثائق، دمشق، ٢٠٠٥م.
١٣. شعبان عبد العزيز خليفة، ومحمد عوض العايدي: موسوعة الفهرسة الوصفية ومراكز المعلومات دار المريخ، الرياض، ١٩٩٠هـ.
١٤. الشنطي، عصام: مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها، (د. ط. ت).
١٥. عليان، ربحي مصطفى: أسس الفهرسة والتصنيف للمكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات العربية، دار صفاء، عمان، ١٩٩٩م.
١٦. الشنطي، عصام محمد: فصول في التراث المخطوط، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م. ١٧.
١٨. مهدي فضل الله: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م.
١٩. عبد القادر أحمد عبد القادر: صنعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة العربية الإسلامية.
٢٠. حلوي، فتحية: فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية، خزانة كوسام بمنطقة ادرار إنموذجاً، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة أبي بكر بلقايد – كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٦م.
٢١. عبد الله عبيدات وآخرون: أسس الفهرسة التصنيفية، دار الميسرة، عمان، ٢٠٠٢م.
٢٢. المشوخي، عابد سليمان: المخطوطات العربية مشكلات وحلول مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرياض، ٢٠٠١م.
٢٣. شعبان خليفة: دراسة مقارنة في حركة النشر الحديثة، المكتبة الاكاديمية، الدوحة، ١٩٨٩م.
٢٤. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت: ٣٥٠هـ): معجم ديوان الأدب، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دارس الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٥. الحميري اليمني، نشوان بن سعيد (ت: ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩.
٢٦. العريشي، جبريل بن حسن ونبيل بن عبد الرحمن المعثم، الأرشفة الألكترونية وإدارة الوثائق في العصر الحديث – المبادئ والأسس النظرية والتطبيقات العملية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠١٢م.

٢٧. مها أحمد إبراهيم، وعبد المعبود عزت فاروق: الدوريات العربية المخصصة في مجال الارشيف والوثائق- دراسة تحليلية بمقالات الدوريات مجلّة المكتبات والمعلومات العربية، ع ١، كلية الآداب، جامعة بني سويف، يناير ٢٠٠٤.
٢٨. السامرائي، قاسم: مقدمة في دراسة الوثائق الإسلامية، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٤م.
٢٩. السكاكر، محمد بن علي، أهميّة الوثائق العائلية في كتابة التاريخ المحلي، مجلّة الدارة، العدد الرابع المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠م.
٣٠. الدخيل، منى عبد الله محمد: وثائق قرية العليا ١٩٤٥- ١٩٦٠م المحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية - دراسة وثائقية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٥م.
٣١. السيد، محمد إبراهيم: مقدمة للوثائق العربية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧م.
٣٢. عبد المحسن آل عبد القادر: كيفيّة توصيف الوثائق الادارية، (دطت).
٣٣. منصور، سليم هاني: الوثائق الوقفية - اهميتها ودورها في كتابة التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
٣٤. الفريح، فريال: الوثيقة العربية ودورها الحضاري في حفظ ذاكرة الأمة العربية، ج٣، ٢٠٠١م.
٣٥. حمادة، حسين عمر: الصور الفوتوغرافية في أدوات الارشيف والتوثيق العلمي والتاريخي، ج٣، ٢٠١١م.

المصدر: مجلّة الدراسات التاريخية والحضارية: مج١٣، العدد (٥٦)، ٢٠٢٢م.

الجرح والتعديل في تراجم النحاة واللغويين

(دراسة في توثيق رواية اللغة والنحو)

د. عبد الرزاق أحمد محمود الحربي

إن التراث العلمي الذي وصل إلينا قسم منه قد احتوى على عدد كبير من كتب تراجم النحاة فقد ذكرت المصادر لنا أسماء بعضها.

ومن أوائل الذين ألفوا في أخبار النحاة محمد بن يزيد المبرد، واحمد بن يحيى ثعلب ومحمـــد بن عبد الملك وغيرهم، وقد ذكر السيوطي عدداً من الكتب التي استقى منها كتابه (بغية الوعاة) وهي كتب كثيرة بعضها وصل إلينا وبعضها الآخر لم يصل إلينا، فذكر أنَّ كتابه كان خلاصة لأكثر من ثلاثمائة مجلّد[١].

والقارئ في كتب تراجم النحاة واللغوين تستوقفه ظاهرة مهمّة: هي التأثر الشديد بعلم الحديث وطرائق البحث التي ابتكرها علماؤه لتمحيص الحديث، وبيان صحيحه من ضعيفه، والتنبيـه علـى الموضوعات، ويظهر التأثير واضحاً في أمور منها:

١- تقسيم النحاة واللغويين إلى طبقات متعددة.
٢- بيان مراتب المترجمين والمفاضلة بينهم.
٣- بيان مصادر الرواية والمعلومات التي أخذ منها المؤلّف لتكون معلوماته موثقة.
٤- بيان تاريخ الوفاة في أغلب الأحيان، وتاريخ الوفاة له أهميّة كبيرة في معرفة المعاصرة والتلقي والسبق وغير ذلك.
٥- ذكر الجرح والتعديل. والجرح والتعديل لهما أهميّة كبيرة عند علماء الحديث ومؤلفي كتب تراجم النحاة واللغويين من بعدهم، وسوف نتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل.

التمهيد:

الجرح: من معانيه الكسب واجترح اكتسب[٢]، وذكر الزمخشري من مجاز

(١) ينظر: بغية الوعاة: ص٢-٣.
(٢) ينظر: الصحاح مادة (جرح).

هذه الكلمة: «جرحه بلسانه: سبّه، وجرحوه بأنياب وأضراس إذا شتموه وعابوه وبئس ما جرحت يداك، واجترحت يداك أي عملتا وأثرتا، وهو مستعار من تأثير الجارح ومنه جوارح الإنسان وهي عوامله من يديه ورجليه، وجوارح الصيد، وجرح القاضي الشاهد، ويقال للمشهود عليه هل معك جُرْحة؟ وهي ما تجرح به الشهادة»(١).

وقد وردت في القرآن الكريم مشتقات للجذر (جرح)، فجاء في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿**قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنْ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾(٣).

والجروح في هذه الآية بمعنى إصابة البدن وإسالة الدم(٤).

وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ**﴾(٥) معناه كسبتم(٦).

وأما قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ**﴾(٧).

فبمعنى اكتسبوا أيضاً، إذ إنه «لا يساوي من اجترح السيئات المؤمن في الحياة ولا في الممات»(٨).

(١) أساس البلاغة: مادة (جرح)، وانظر في كتاب إصلاحات الفنون: ص١٧٢.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٥.
(٤) انظر معاني (جرح) في: المفردات في غريب القرآن: مادة (جرح).
(٥) سورة الأنعام: الآية ٦٠.
(٦) انظر في تفسير الجلالين، ص١٧٨.
(٧) سورة الجاثية: الآية ٢١.
(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩٠/ ٢٥.

فالجرح: هو «وصف العلماء لراوي الحديث بما يدل على فوات شروط قبول روايته أي فوات شروط العدالة والضبط أو كليهما في ما يقتضي رد روايته وعدم قبولها»(١).

أما التعديل: وهو مأخوذ من العدل، «والرجل العدل: المقنع في الشهادة»(٢)، ورجل عدل أي عادل مبالغ في عدله(٣).

قال الزمخشري: «وعدلته من طريقه وعدلت الدابة إلى طريقها عطفتها، وهذا الطريق يعدل إلى مكان كذا، وفي حديث عمر له: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا مِلْتُ عدلوني كما يُعدّل السهم»(٤).

فالتعديل: «وصف العلماء لراوي الحديث بما يدل على عدالته وضبطه وبالتالي إلى قبول روايته»(٥).

ويظهر أنَّ العلماء قد أخذوا المعنى اللغوي لكلتا الكلمتين فوضعوهما في معنى اصطلاحي فقالوا: علم الجرح والتعديل: «علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ»(٦).

وحثّ القرآن الكريم على التثبت من الأخبار والروايات بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا**

(١) علوم الحديث: ص٧٥. وانظر في ألفاظ الجرح والتعديل عند أبي حاتم الرازي: ص٢٥٧-٣٠١.

(٢) المجمل في اللغة: مادة (عدل).

(٣) انظر في شرح الفصيح: لابن الجبان، ص١٩٢، وكذلك شرح الفصيح لابن هشام اللخمي، ص١١٥

(٤) أساس البلاغة: مادة (عدل).

(٥) علوم الحديث: ص٧٥

(٦) كشف الظنون: ص٥٨٣.

﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[١] وفي هذه الآية دليل على مشروعية الجرح فلا يعد الجرح من باب الغيبة[٢].

كما ورد عن الرسول ﷺ ما يؤكّد مشروعية الجرح في الحديث الذي رواه البخاري: «إن رجـلاً استأذن على النبي ﷺ، فلمّا رآه قال: بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة...»[٣].

ولقد بذل العلماء في هذا العلم جهوداً كبيرة كانت نتيجتها تأليف أعداد كبيرة من الكتب يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف[٤]:

١- كتب الضعفاء: ومن أجمع الكتب في الضعفاء كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ت ٧٤٨هـ، وكتاب لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) إضافة إلى كتب سبقتهما أو أعقبتهما في هذا الموضوع.
٢- كتب الثقات: وألف فيه محمد بن أحمد بن حيان البستي (ت ٣٥٤هـ)
٣- كتب جمعت بين الثقات والضعفاء: ومن أبرزها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد[٥] (ت ٢٣٠هـ)، وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط[٦].

المقدمة:

ومن أهم الكتب في الجرح والتعديل كتاب عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي الذي يحمل عنوان (الجرح والتعديل).

وحينما ننظر في كتب تراجم النحاة واللغويين نجد أثر علم الجرح والتعديل

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.
(٢) انظر في علوم الحديث: ص٧٥
(٣) صحيح البخاري: ج٣، ص٨.
(٤) انظر في كشف الظنون: ص٥٨٣. وبحوث في تاريخ السنة: ص٩٠-١٢٠.
(٥) طبع عدة مرات.
(٦) طبع بتحقيق الدكتور أكرم العمري.

واضحاً فيها، فقد رتبوا النحاة واللغويين والرواة إلى طبقات[١] اقتداء بطبقات المحدثين، واعتمدوا في ترتيبهم هذا أسس الجرح والتعديل التي اتبعت عند علماء الحديث حيث جعلوا الصدق والضبط والعلم وغير ذلك من الأسس المهمّة في ترتيب النحاة واللغويين، والرواة طبقات فظهرت عند الذين ترجموا لهم أسس ومعايير مختلفة راموا خلالها الوصول إلى ميزان يوضح معلومات العلماء من حيث الثقة بها أو عدم الثقة بها.

لن أتناول في هذا البحث كلّ كتب تراجم النحاة واللغويين؛ لأنها كثيرة ومتعددة ولكني سوف أقتصر على نماذج من كتب:

١- مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي (ت ٣٥١هـ).
٢- أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ).
٣- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ).
٤- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ).
٥- طبقات النحاة واللغويين لتقي الدين بن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)
٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت ٩١١هـ).

المبحث الأول

مقاييس التعديل

١. مقاييس التعديل:

لقد تعددت مقاييس التعديل عند الذين ترجموا للنحاة واللغويين حتّى إنها تجاوزت مقاييس الحديث، ولكن بقيت مع هذا التعدد والكثرة مقاييس أهل

(١) انظر في مصادر الشعر الجاهلي: ص٤٧٧.

الحديث هي الأساس في المفاضلة بين العلماء. ويمكننا القول إن مقاييس التعديل عند من ترجم للنحاة واللغويين هي ذكر صفات التعديل: ونقصد بذلك أن يذكر للمترجم صفات يتصف بها ترفع من درجته وتجعل منه رجلا يؤخذ منه العلم وأهلاً لأن يكون مصدراً له، وأن هذه الصفات لا تكون على درجة واحدة ولكنّها تختلف من شخص إلى آخر، لذلك فإنه من الممكن ترتيب العلماء الذين يتصفون بصفة واحدة إلى عدة مراتب، بحسب شدة تمسكهم بتلك الصفة، فمثلاً هناك الصادق الصدوق، وهناك الصادق فقط ومن هذه الصفات:

أ- الثقة والصدق والأمانة:

وهي من أبرز صفات التعديل عند علماء الحديث، وهي كذلك عند من ترجم للنحاة واللغويين إذ لا يعتد بالنحوي أو اللغوي إذا لم يكن ثقة في عمله، ومن أمثلة ذلك: ما قاله أبو الطيب اللغوي عن النضر بن شميل (ت ٢٣١هـ): «وهو ثقة صاحب غريب وشعر»[١]، وقوله عن محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ): «وهو ثقة جليل»[٢]، وما قاله عن القاسم ابن سلام (ت ٢٢٤هـ): «وكان مع هذا ثقة ورعاً...»[٣]، وقال الزبيدي عن القاسم بن معن (ت....): «وكان عفيفاً صارماً في قضائه فقيه البلد، ثقة جامعاً للعلوم»[٤] وقال أحمد بن يحيى ثعلب: «وكان ثقة صدوقاً حافظاً للغة عالماً بالمعاني»[٥]، وقال أبو البركات الأنباري عن أبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ): «وكان ثقة أهل البصرة»[٦]، وقال ابن قاضي شهبة عن أبي بكر الواسطي (من

(١) مراتب النحويين: ص٦٦.
(٢) المصدر نفسه: ص٦٧.
(٣) المصدر نفسه: ص٩٣.
(٤) طبقات النحويين: ص١٤٦.
(٥) المصدر نفسه: ص١٥٥.
(٦) نزهة الألباء: ص١٠١.

علماء المئة السادسة): «وهو ثقة فاضل»[١] وقال السيوطي عن علي بن محمد الأسدي المعروف بابن الكوفي (ت ٣٤٨هـ) انه كان: «ثقة صادقاً في الرواية»[٢].

وقد تنفرد صفة الصدق لبعض المترجمين مثل قول السيرافي (ت ٣٦٨هـ) عن الأصمعي (ت ٢١٦هـ): (وكان الأصمعي صدوقاً في الحديث)[٣]، وقول السيوطي في ترجمة عبد المهيمن ابن محمد الحضرمي (ت ٧٤٩هـ): (واستمر موصوفاً بالنزاهة والصدق...)[٤].

ب- الدين والورع والزهد:

وهذه الصفة يقصد بها بيان مقدار تمسك المترجم له بالدين، وكونه ورعاً أو زاهداً فمثلاً يقول أبو الطيب اللغوي عن الفراء: «كان الفراء متورعاً متديناً على قبة فيه وتعظم...»[٥] ويقول السيرافي عن أبي عمر الجرمي: «وكان ذا دين وإخاء وورع»[٦]، وقال ابن قاضي شهبة عن ابن سجمان (محمد بن الشريش: ت ٦٥٠هـ): «وكان من أكابر الفضلاء الصلحاء الورعين... ذا زهد وتعبد»[٧]، وقال عن ابن الشراط الأنصاري (محمد بن أحمد: ت ٦١٦هـ): «كان مقرئاً محققاً ضابطاً ورعاً زاهداً»[٨]، ووصف السيوطي عن ابن بركات الأنباري: بانه «كان زاهداً ورعاً»[٩]، وقال عبد الواحد بن محمد المالقي (ت ٧٠٥هـ): كان «بعيد

(١) طبقات النحاة: ص٧٦.
(٢) بغية الوعاة: ص٣٥٠.
(٣) أخبار النحويين ص٤٧، وانظر في نزهة الألباء: ص٩٣ و١٠٠.
(٤) بغية الوعاة: ص٣١٥.
(٥) مراتب النحويين: ص٨٦.
(٦) أخبار النحويين: ص٥٦.
(٧) طبقات النحاة: ص٥٦.
(٨) المصدر نفسه: ص٥٦.
(٩) المصدر نفسه: ص٥٨.

المدى منقطع القرين في الدين المتين والصلاح وسكون النفس، ولين الجانب، والتواضع، وحسن الخلق» وقال عن عمر[١] ابن قديد الحنفي (ت ٨٥٠هـ): «كان منقطعاً عن أبناء الدنيا طارحاً التكليف متقشفاً في ملبسه»[٢].

ج- البراعة في العلم والقياس:

وهذه من صفات التعديل في تراجم النحاة، ويذكرها المترجمون لكي يبينوا أن المترجم لـه ممن يوثق بعلمه وقياسه، ومن ذلك قول أبي الطيب اللغوي: «وكان الخليل أعلم الناس وأذكاهم...»[٣] وقال عن قطرب (محمد بن المستنير ت ٢٠٦هـ): «وكان حافظاً للغة كثير النوادر والغريب»[٤] وقال السيرافي عن ابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ): «إن ابن أبي إسحاق كان أعد تجريداً للقياس»[٥] وقال عن يونس بن حبيب (١٨٢هـ): «وأما يونس بن حبيب: فإنه بارع في النحو»[٦] وذكر الزبيدي في ترجمة أبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ) أنه: «كان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها»[٧]، وقال عن محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١هـ): «وكان ناسباً نحوياً كثير السماع... وكان أعلم بالإعراب...»[٨]، وقال في محمد بن معد المعروف بالعقعق (ت...) بأنه كان

(١) انظر في بغية الوعاة: ص٣١٧.
(٢) المصدر نفسه: ص٣٦٣.
(٣) مراتب النحويين: ص٢٨.
(٤) مراتب النحويين: ص٦٧. وانظر في مواضع أخرى من المصدر نفسه عُدل فيها عدد من العلماء: ص٦٨ و٧٥ و٧٨.
(٥) أخبار النحويين: ص٢٠.
(٦) المصدر نفسه: ص٢٧.
(٧) طبقات النحويين: ص٢١، وانظر ما قاله ابن قاضي شهبة حيث عده رأساً في العربية، طبقات النحاة: ص٨٣.
(٨) المصدر نفسه: ص٢١٣.

«صاحب نحو ولغة مع علم بالجدل ونظر فيه»[١] واستعمله السيوطي أيضاً في تراجم كثير من النحاة واللغويين[٢].

د- الحفظ والعلم بالقرآن الكريم وقراءته:

إنَّ لحفظ القرآن الكريم وقراءته مكانة مهمّة في تعديل النحاة واللغويين ولهذا نجد الذين كتبوا تراجم النحويين واللغويين ينبهون على كون المترجم له، حافظاً أو قارئاً للقرآن أو على أنَّه على علم به.

قال أبو الطيب اللغوي: «قال أبو حاتم: فإذا فسرت حروف القرآن المختلف منها أو حكيت عن العرب شيئاً فإنما أحكيه عن الثقات منهم»[٣]. وهذا القول يؤكّد الاهتمام بالعلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم وإنّ هذه المعلومات إنّما يحرص أهل اللغة على نقلها عن الثقات، وقال السيرافي: «فأما أبو عمرو بن العلاء فهو من الأعلام في القرآن»[٤].

وقال الزبيدي في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام بأنه من العلماء بإعراب القرآن[٥]. ونقل ابن قاضي شهبة الشيء نفسه في ترجمته لعدد من العلماء حيث يذكر أنه كان عالماً بالقرآن أو قارئاً له أو على علم بالقراءات[٦].

ويذكر السيوطي في بعض التراجم أنه كان عالماً بالقرآن والقراءات[٧].

هـ- وهناك صفات أخرى ذكرها من ترجم للنحاة واللغويين وهي تفيد

(١) طبقات النحاة: ص٢٦١.
(٢) انظر في بغية الوعاة: ص٣٠٠ و٣٠١ و٣١١ و٣١٣.
(٣) مراتب النحويين: ص٩٣.
(٤) أخبار النحويين: ص٢٢.
(٥) انظر في طبقات النحويين: ص٢٣٩ و٢٩٣ و٣٠٦.
(٦) انظر في طبقات النحاة: ص٥٨ و٦١ و ٦٥ و٧٧.
(٧) انظر في بغية الوعاة: ص٣٠٣ و٣١٣ و٣٠٣.

التعديل مثل: جمال الخلق[١] والعلم بالغريب[٢]، وجمع الكتب[٣]، والكرم والسخاء[٤]، وحسن الخط[٥]، ورأس الطبقة في اللغة[٦]، وغيرها من الصفات.

٢- تعديل المترجم له:

إنّ بعض العلماء قد يذكر صفات تقدح بعلماء آخرين وهذا القدح قد يكون غير عادل لذا دأب بعض الذين قاموا بكتابة تراجم النحاة واللغويين بالذب عمن اتهموا بغير وجه مثل قول أبي الطيب اللغوي في تعديله للأصمعي والدفاع عنه: «فأما ما يحكيه العوام وسقاط الناس من نوادر الأعراب، ويقولون هذا ممّا افتعله الأصمعي ويحكون: أنَّ رجلاً رأى عبد الرحمن ابن أخيه فقال ما فعل عمك؟ فقال: قاعد في الشمس يكذب على الأعراب، فهذا باطل ما خلق الله منه شيئاً ونعوذ بالله من معرة، جهل. قائليه، وسقوط الخائضين فيه وكيف يقول ذلك عبد الرحمن ولولا عمه لم يكن شيئاً، وكيف يكذب عمه وهو لا يروي شيئاً إلّا عنه»[٧] وهنا أبو الطيب اللغوي يحاول تعديل الأصمعي ويقدم الدليل على عدم صحة جرح الأصمعي.

والتعديل أخذ عند أبي الطيب صورة أخرى وذلك من خلال المفاضلة بين العلماء وبيان مكان الفاضل منهما قوله: «وانتهى علم الكوفيين إلى يوسف يعقوب ابن إسحاق السكيت، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني مولى بني شيبان، وكانا ثقتين أمينين... (يعقوب) أحسن الرجلين تأليفاً وكان ثعلب أعلمهما بالنحو وكان يعقوب يضعف عنه»[٨].

(١) انظر في مراتب النحويين: ص٤٣، وبغية الوعاة: ص٣٠٠.
(٢) انظر في أخبار النحويين: ص٥٣.
(٣) انظر المصدر نفسه: ص٧١.
(٤) انظر في طبقات النحاة. ص٨٥، وبغية الوعاة: ص٣٠٩.
(٥) انظر في بغية الوعاة: ص٣٢٦ و٣٤٠.
(٦) انظر في المصدر نفسه: ص٣٦٨.
(٧) مراتب النحويين: ص٤٩.
(٨) المصدر نفسه: ص٩٥.

المبحث الثاني

مقاييس الجرح

لقد أفرد علماء الجرح والتعديل للجرح الفاظاً خاصّة يستعملونها في كتبهم[١] وقد سار على منوالهم الذين ترجموا للنحاة واللغويين في ذكرهم ما يجرح النحوي أو اللغوي وذلك كثير في كتبهم ونذكر جانباً:

١- الكذب والوضع:

ويأتي في بداية مقاييس الجرح بالكذب والوضع وذلك يعني أنَّ الموصوف بهما أو بأحدهما ممن لا يوثق بأقواله ومروياته ولقد اهتم علماء الحديث كثيراً بهذا المقياس حيث استطاعوا معرفة الوضاعين والكذابين من رواة الحديث ووضعوا منهجاً للبحث عن صحة المعلومات ودقتها أصبح فـــي ما بعد مناراً يهتدي به العلماء في تدقيق المعلومات والتثبت منها، والذي يظهر أنَّ الذين ترجموا للنحاة واللغويين أخذوا هذا المقياس فتراهم يصفون بعض من يترجمون له بأنه كذاب.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله أبو الطيب اللغوي عن خلف الأحمر: «وكان أعلم الناس بالشعر، وكان شاعراً، ووضع على شعراء عبد القيس شعراً كثيراً...»[٢] ويقول أيضاً: «وقال أبو عثمان الجاحظ: ذكر الأصمعي، وأبو عبيدة وأبو زيد عن يونس إنه قال: إني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويكذب ويصحف»[٣]، وقال أيضاً: «كان يقال إن ابن

(١) انظر في ألفاظ الجرح والتعديل عند أبي حاتم الرازي: ص٢٥٧-٣٠١.
(٢) مراتب النحويين: ص٤٦-٤٧.
(٣) المصدر نفسه: ص٧٣.

الكلبي يُزَرِّف في حديثه أي يكذب فيه وَيَتَزَيّد»[١].

٢- عدم الثقة وعدم الأمانة:

الثقة والأمانة من السمات المهمّة التي يجب أن يتحلى بها العلماء وإذا ما انتفت الثقة والأمانة عن عالم أو راوٍ فإن ذلك يعني نعته بما يجرحه، فيصبح في نظر أهل العلم لا يعتد بعلمه ولا بروايته.

وقد يأخذ هذا المقياس عدة صور منها:

أ. **عدم الأمانة في النقل**: ونسبة الأخبار والنصوص إلى غير أهلها ومن ذلك ما ذكره أبو الطيب اللغوي بحق حماد الراوية: «كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الرواية وغيره، وكانوا يضعون الشعر ويتقنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهله قال حدثني سعيد بن هريم البرجم قال: حدثني من أثق به أنه كان عند حماد حتّى جاء أعرابي فأنشد قصيدة لم تعرف ولم يدر لمن هي فقال حماد: اكتبوها، فلمّا كتبوها وقام الأعرابي قال: لمن ترون أن نجعلها فقالوا أقوالا فقال حماد: اجعلوها لطرفة»[٢]، وقال عنه أيضاً: «وحماد الراوية مع ذلك عند البصريين غير ثقة ولا مأمون»[٣].

ب. **النقل عمن ليس بثقة**: وهذا يقلل من شأن الخبر والرواية المقولة ومن ذلك ما قاله أبو الطيب: «إلا أَنَّ ابن قتيبة خلّط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها من الثقات، وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها»[٤].

ج. **الإغارة على كتب العلماء وإسقاط أسمائهم عنها وادعائها**: ومن أمثلة

(١) المصدر نفسه: ص٧١.
(٢) مراتب النحويين: ص٧٢.
(٣) المصدر نفسه: ص٧٢.
(٤) مراتب النحويين: ص٨٥.

ذلك ما رواه ابـن قاضي شهبـة عن المرزباني: «كان محمد بن حبيب (ت ٢٥٠هـ) غير على كتب الناس فيدعيها لنفسه ويسقط أسماءهم، فمن ذلك الكتاب الذي ألفه إسماعيل بن عبد الله في أخبار معاوية»[١].

د. **الشك في أمانة بعض العلماء والرواة:** منها ما ذكر أبو البركات الأنباري في شكه برواية خلف الأحمر فيقول: «كان يقول الشعر فيجيد وربما نحله المتقدمون فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم»[٢].

وقد يجعلون عدم ذكر الأسانيد مثلبة يشك من خلالها بالأخبار المروية ومن ذلك مـا ذكـره السيرافي عن المبرد: «وسمعت نفطويه (إبراهيم بن عرفة النحوي ت ٣٢٣هـ) يقول ما رأيت أحفظ الأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن فرات»[٣].

أو قد يكون الشك بذكر قلة العلم مثل قول أبي الطيب اللغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام: «وقد أخذت عليه مواضع في كتابه الغريب المنصف وكان ناقص العلم بالإعراب»[٤].

٣- وهناك صفات كثيرة أخرى تجرح المترجم لهم مثل ذكر كونه متعصباً[٥]، أو قد يوصف بأنه بذيء اللسان أو إدامة شرب النبيذ أو إتيان الغلمان[٦] أو الابتلاء بحب شاب[٧]، أو كان ضجراً[٨]، وغير ذلك من الصفات التي قد تنزل ببعض الناس إلى الحضيض فيجعل الاعتماد على كتبهم ومعلوماتهم أو

(١) طبقات النحاة: ص٨١.
(٢) نزهة الألباء: ص٥٣، وانظر في مراتب النحويين: ص٧٦-٧٥.
(٣) أخبار النحويين: ص٩٣.
(٤) مراتب النحويين: ص٩٣.
(٥) انظر في المصدر نفسه: ص٩٤.
(٦) انظر في بغية الوعاة: ص٣٣٦-٣٦٣.
(٧) انظر في بغية الوعاة: ص٣٣٦.
(٨) انظر في بغية الوعاة: ص٣٠٤.

مروياتهم من الأمور التي تشوبها الشوائب.

ولا يفوتني هنا أن أذكر أنَّ كثيراً من المقاييس قد ينفرد بها مؤلف معيّن وهناك مقاييس أخــرى يتفقون عليها، وربما دخل العامل الشخصي في جرح النحاة واللغويين وتعديلهم فيؤدي ذلك إلى إصدار أحكام غير عادلة لذا لابد من التحري في جرح وتعديل.

الخلاصة:

ومن كلّ ما تقدم نخلص إلى أن علم الجرح والتعديل الذي نشأ لغربلة أحاديث الرسول ﷺ وفرز الصحيح والحسن والضعيف عن الموضوع قد أثر أثراً كبيراً في مؤلّفات كثيرة ومنها المؤلّفات التي ألفها أصحابها لتكون سجلات لتراجم النحاة واللغويين، وأنَّ هذا التأثر قد كان سببه البحــث عــن الدقة في الأخبار والمرويات والشواهد اللغوية والنحوية ومعرفة قدر أصحابها، إن الدارس لهذه المؤلّفات يجد أنَّ تأثير علوم الحديث فيها كبيراً فهو لا يقتصر كما ذكرنا على الجرح والتعديل فحسب بل تعدى ذلك إلى طرائق الرواية وأساليبها وأسانيدها وأنواعها، ويستطيع المتتبع للأخبار التي وردت في هذه المؤلّفات تصنيفها إلى أخبار متواترة وأخرى مشهورة وثالثة غريبة ورابعة أحاد وهكذا فإن مجال البحث في هذه الكتب ما زال واسعاً.

مظان البحث:

١- أخبار النحويين البصريين: الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصر، سنة ١٩٥٥.
٢- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت.
٣- ألفاظ الجرح والتعديل عند أبي حاتم الرازي: رسالة ماجستير قدمها زياد محمد رشيد العاني إلى كلية الشريعة - جامعة بغداد، سنة ١٩٩٠ م
٤- بحوث في تاريخ السنة: د. اكرم العمري، طبع دار طيبة، الرياض.

٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، ط١، مصر، سنة ١٣٢٦هـ.
٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري ط١، مصر.
٧- شرح الفصيح: ابن هشام اللخمي، تحقيق د. مهدي عبيد جاسم، سنة ١٩٨٨م، بغداد.
٨- شرح الفصيح في اللغة: لأبي منصور الجبّان، تحقيق د. عبد الجبار القزاز، بغداد، سنة ١٩٩١.
٩- الطبقات: خليفة بن خياط، تحقيق د. اكرم العمري، الرياض، سنة ١٩٨٢م.
١٠- طبقات النحاة واللغويين: تقي الدين بن قاضي شهبة، تحقيق د. محسن غياض، النجف الأشرف، ١٩٧٤م.
١١- طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سنة ١٩٥٤، مصر.
١٢- علوم الحديث: د. عبد الكريم زيدان ود. عبد القهار داود، بغداد، ط٢.
١٣- علوم الحديث ونصوص الأثر: د. رشدي عليان ود. قحطان الدوري، بغداد، سنة ١٩٨٠.
١٤- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي الفارقي التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، سنة ١٩٩٦م.
١٥- المجمل في اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان – بيروت.
١٦- مراتب النحويين: لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر.

المصدر: مجلّة البحوث والدراسات الإسلامية: مج٣، العدد (١١)، كانون الأوّل ٢٠٠٧م.

السجاد الإسلامي

في تصاوير المخطوطات الفارسية

(خمسة نظامي أنموذجاً)

مائدة طارق محمد

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة (السجاد الإسلامي في تصاوير المخطوطات الفارسية: خمسة نظامي أنموذجاً) وهو يقع في أربعة فصول عني الفصل الأوّل بمشكلة البحث وأهميته والحاجة اليه وتحديد أهم المصطلحات الواردة فيه وعند الحديث عن دراسة السجاد الإسلامي الوارد في تصاوير المخطوطات الفارسية يجب أولاً الإجابة عن بعض التساؤلات المهمّة التي تتعلق بإمكانية الاعتماد على تصاوير المخطوطات كمصدر رئيس لدراسة السجاد في المخطوطات الفارسية وأهمها: هل تمثّل رسوم السجاد الواردة في تصاوير المخطوطات التصميمات الحقيقية للسجاد الايراني؟ وهل كان المصوّر على دراية كافية بهذه التصميمات حتّى يقوم بتنفيذها بكل دقة في تصاويره؟ وتضمّن الفصل الثاني الإطار النظري ومبحثين الأوّل اشتمل على نشأة السجاد الإسلامي في ايران والزخارف المنفذة على السجاد الايراني، وأنواع السجاجيد الايرانية والمبحث الثاني المراكز المهتمة بإنتاج السجاد الفارسي وفيما تضمن الفصل الثالث إجراءات البحث ومنها مجتمع البحث وعينة البحث، وأداة البحث وتحليل عينة البحث، أما الفصل الرابع فقد اهتم بالنتائج والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات.

الفصل الأول: الاطار المنهجي

أولاً: مشكلة البحث:

بلغ فن التصوير في المخطوطات الفارسية أوج ازدهاره في العصر الصفوي بإيران، وصاحب هذا الازدهار توحيد الاساليب الفنية في المراكز التصويرية المختلفة بحيث اصبحت العواصم الصفوية في تبريز وقزوين هما الاساس الذي يسير على نهجه سائر المراكز الفنية، ونظراً لارتباط صناعة السجاد ارتباطاً

وثيقاً بفن التصوير فقد عُني الملوك والامراء الصفويين بالمصورين عناية خاصّة وعهدوا اليهم بالإشراف على كافة الفنون خاصّة السجاد، وكانت صناعة السجاد ضخمة وغدت فناً مهنياً يتطلب مصممين لرسم نماذج على الورق قبل تحويلها إلى تصاميم منسوجة ومن هنا يمكننا طرح مشكلة البحث من خلال صياغة السؤال التالي: هل وفق الفنان الفارسي في تمثيل السجاد الايراني في تصاوير المخطوطات الفارسية (خمسة نظامي أنموذجاً) وما هي أهم مراكز التصوير التي عنيت بتصوير السجاد الايراني في تصاوير مخطوطاتها؟

ثانياً: أهميّة البحث والحاجة اليه:

تكمن أهميّة البحث الحالي بالآتي:

١- إنه سلط الضوء على السجاد الإيراني في المخطوطات الفارسية.
٢- يهتم البحث الحالي بذكر المدارس الفنية التي اهتمت بتصوير السجاد الايراني الوارد في مخطوطاتها.
٣- يرفد المكتبات العامّة المتخصصة بمجال الفنون الإسلامية بجهد علمي متواضع، يمثّل إضافة متواضعة لميدان الاختصاص.

ثالثاً: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على السجاد الإسلامي في تصاوير المخطوطات الفارسية، (خمسة نظامي نموذجاً).

رابعاً: حدود البحث:

يتحرك البحث ضمن الحدود التالية:

١- الحدود الزمانية: الفترة الزمنية لمدة ١٤٣١م - ٨٥٤هـ/ ١٥٣٩م - ٩٦٢هـ.
٢- الحدود المكانية: العراق - ايران.

٣- الحدود الموضوعية: دراسة السجاد الإسلامي في تصاوير المخطوطات الفارسية (خمسة نظامي أنموذجاً) والتعرف على السمات الجمالية والزخرفية المنفذة في رسوم السجاد الايراني.

خامساً: تحديد المصطلحات:

السجاد في اللغة: (السَّجاد): الكثير السجود. (السَّجادةُ: الطنيفسة – البساط الصغير يصلى عليه[١].

سَجادة: (مفرد): سجادات وسجاجيد وسجادة: مؤنث سجاد ما يبسط للصلاة، بساط صغير يصلى عليه (سجادة الصلاة بساط، ما يفرش في البيوت منسوجاً من صوف له خمل[٢].

السجاد (اصطلاحاً):

١- كثير السجود.

٢- بساط من قماش يحاك بالأيدي أو بالآلات به نقوش أو رسوم وصور تغطى به الأراضي أو الدور أو المقاعد[٣] أو يعلق على الحيطان أحياناً «السجاد العجمي» «السجاد الفرنجي»[٤]. اشتهر السجاد الإسلامي بألوانه، كذلك ذاعت شهرته لأنواعه النفيسة وأشكاله الهندسية التي تتضمّن النجمة الخماسية، والثمانية والمثلثة والوردية، توضع كلّها حول رصيعة مركزية كبيرة، وكانت المساحات حول هذه الاشكال تملأ بالزخرفة العربية والاشكال النباتية التي تشد بعضها إلى بعض بحس من التوحد والتناسق ويمكن ان يكون السجاد كبيراً جداً فيغطي أرضاً واسعة لقاعة استقبال كبيرة أو ان يكون صغيراً جداً يصلح للصلاة أو قد يكون بمثابة لوحة فنية فيعلق على الحائط.

السجاد اجرائياً:

غالباً ما يذكر لفظ سجادة في المراجع الأجنبية (Rug - Carpet)[٥]، ويقصد بها الفرش ذات الوبرة التي تغطي الأرضيات أو تكسى بها الجدران، لذلك نرى وإن تعددت تسميات السجاد إلا أنها تتفق في معنى واحد وتدل على مدلول وهو السجاد للدلالة على هذه المنسوجات الوبرية المعقودة، نظراً لارتباطها بوظيفة السجود، وهكذا نرى أن اللغة العربية غنية بألفاظها ومترادفاتها التي تدل على ما يبسط ويفرش، وإذا نظرنا إلى أهميّة السجاد نجده أنه قد لعب دوراً مهماً في حياة الأمراء والشعوب فلم يستغنِ أحدٌ عنه باعتباره جزءاً رئيساً من الأثاث المنزلي، فالسجاد متعدد الأغراض وينتج لكل شرائح المجتمع فنجده في القرى الصغيرة وفي الخيام البدوية، كما ويوجد في القصور والبلاط حيث يوظف حسب مكان وجوده.

الفصل الثاني: الإطار النظري

المبحث الأول: نشأة السجاد الإسلامي:

واجهت مؤرخي الفنون والاثار الإسلامية مشكلة تحديد الزمان والمكان اللذين بدأت فيهما صناعة السجاد الوبري المعقود وبالرغم من الدراسات المستفيضة التي قاموا بها فانهم لم يوفقوا إلى معرفة وتحديد تاريخها أو تعيين اماكن صناعتها ولكن يمكن القول إن المؤرخين يتفقون جميعا على ان هذه الصناعة نشأت في اسيا ومن المحتمل ان تكون قبائل أواسط اسيا أوّل من صنعها وذلك لوفرة مادة الصوف الضرورية لصناعتها، وكذلك طبيعة البيئة القارسة البرد في الشتاء ممّا يجعل استخدام مثل هذه المنسوجات الوبرية السميكة ضرورة ملحة[٦].

ويطلق الدكتور محمد مرزوق كلمة طنافس بدلاً من سجاد ويرى أن الطنافس اليدوية لا يعرف بالضبط متى اهتدى الانسان إلى صناعتها ولكن أغلب الظن أن أوّل من اهتدى إليها القبائل الرحّل النازلة في المنطقة الممتدة من الصين شرقاً حتّى آسيا الصغرى غرباً وقد نسجوها على أنوالهم اليدوية(٧).

بطبيعة الحال فإن صناعة السجاد لم تبدأ دون ان تسبقها خطوات تمهيدية بسيطة ولذلك يمكننا ان نفترض ان جلود الحيوانات التي استخدمت للافتراش قد اعطت الفكرة الأولى التي تليها خطوة صنع نسيج بسيط مشابه للجلود ثمّ اخذت تحل محلها بعض المحاولات لصناعة السجاد، على ان السجاد الإسلامي لم يصل غايته الا في العصر الصفوي فقد نال شهرة عالمية لم ينله أي نوع من أنواع السجاد، حتّى ان بعض الغربين اعتقدوا انه ليس هناك من يصنع السجاد في العالم غير الإيرانيين(٨). ولعل السبب في ذلك هو ان صناعة السجاد كانت قبل العصر الصفوي في ايران وغيرها، صناعة أهلية ولكنّها أصبحت في عهد الصفويين صناعة حكومية تخضع للرقابة والاهتمام الشديد، بل إن بعض الملوك والامراء لم يكتفوا بانشاء المصانع في قصورهم ودورهم ومدنهم فحسب بل شاركوا في صناعة السجاد برسم وتصميم زخارف معينة(٩) وكانت أيضاً عنصر تصوير مهماً استهوى فكر المصور ليجد فيه منبعاً اساسياً لوجوده في التصاوير حيث مثلها اجمل تمثيل بمواضيع عدة منها ديوان الملك – كما في الشكل (١) – أو مناظر الطرب – كما في الشكل (٢)– سوءاً داخل القصور أم في الطبيعة في الهواء الطلق أو حفلات الاستقبال واللقاءات الغرامية– كما في الشكل (٣).

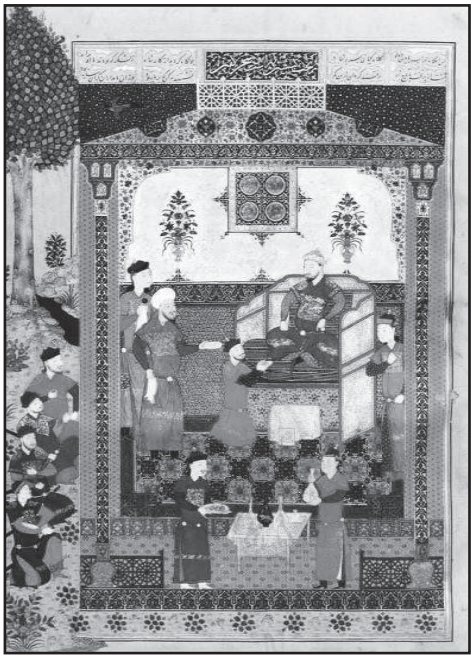

شكل (١) ديوان الملك

شكل (٢) مناظر الطرب

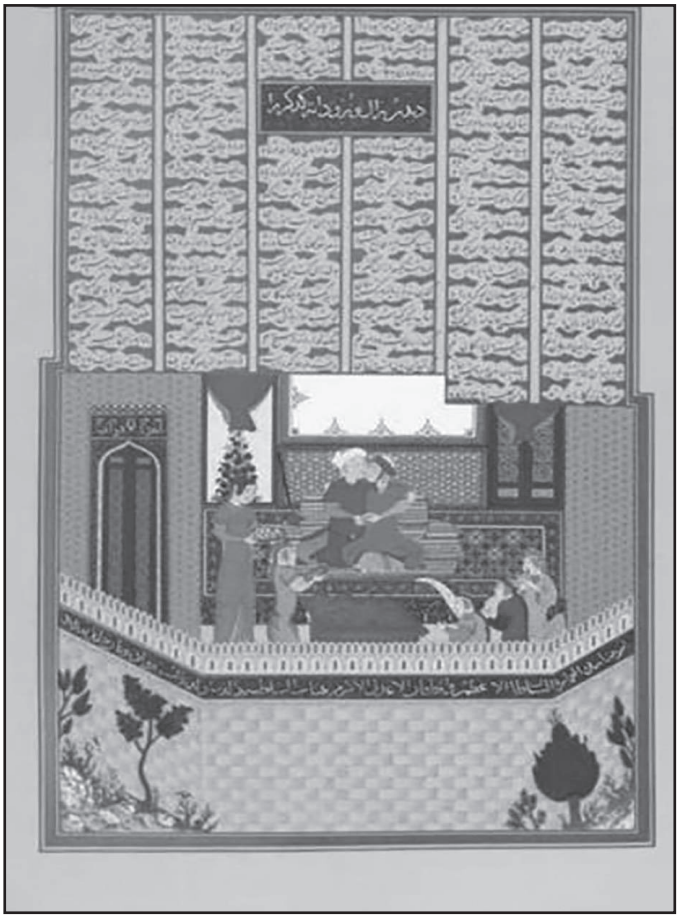

شكل (٣) اللقاءات الغرامية

وهذه المواضيع كلّها أتاحت الفرصة للفنان من تصوير الاثاث الملكي الفخم ومنها السجاجيد والتي مثلت بطريقة غاية في الجمال، وممّا لا شك فيه ان تلك التصاوير قد لعبت دوراً بالغ الأهميّة في التعرف على رسوم السجاجيد التي كانت سائدة في تلك الفترة، وعبر مصوري المخطوطات الفارسية عن نماذج صادقة لهذه السجاجيد أمكننا من خلالها التعرف على تطور زخارف السجاد.

الزخارف المنفذة على السجاد الايراني (في المخطوطات الفارسية):

ترى الباحثة، من خلال الاطلاع على العديد من الكتب والمراجع الفنية

التي تحدثت عن النسيج والسجاد الإسلامي والمتمثل في المخطوطات الفارسية انه قد أجمع عدد كبير منها على ان التفوق الفني في صناعة النسيج كان في العصر الصفوي ولذلك ارتأيت ان اتحدث عن النسيج والسجاد لتلك الفترة حيث انه قد بلغ ذروة الرقي. ويتضح ذلك جليا من صور المخطوطات ومن كثرة القطع التي تظمها المجموعات الاثرية الحديثة حيث ذكر (دوجلاس باريت) إن هذه المنسوجات الفاخرة صنعت للمناسبات العديدة التي استلزمتها حياة البلاط واكثر تلك الاقمشة دقة في الصناعة واغلاها ثمنا هي الاقمشة التي استخدمت في الثياب والخيام والستائر والسجاجيد[١٠] والأغطية.

وتعددت أنواع الزخارف إلى حد كبير، فاشتملت على أشكال حرة رقيقة من الزخارف النباتية المختلفة بالزهور والحيوانات وكلها مرسومة بعناية بالغة ملونة بازاهي الاصباغ[١١] ويصف (زكي محمد حسن) الزخارف الممثلة في المنسوجات المتمثلة بصور المخطوطات الفارسية أن هناك اختلافاً وتنوعاً في حجم الزخارف وفي المظهر العام وفي الالـوان المستخدمة وقد كان الانشاء الزخرفي فيها بديعاً ومحكماً بحيث تتدرج رسومها المختلفة ويستطيع المشاهد أن يرى بدائع أقسامها المختلفة بحسب قرب التحفة أو بعده عنها، فإنه يعجب بالزخارف الدقيقة إذا كانت التحفة (السجادة) قريبة منه ويعجب بالمناطق التي تضمّ هذه الزخارف إذا بعد عن التحفة قليلاً ويؤخذ بجمال المظهر العام إذا زاد بعده عن التحفة (السجادة) فغابت عنه التفاصيل[١٢].

ترى الباحثة أن لجمال هذه المنسوجات وأخص بالذكر السجاد الايراني أخذوا يدعونه بمثابة تحفة فنية وذلك يرجع لعدة أسباب، منها الاهتمام البالغ والواضح بالزخارف المنفذة لمواضيع هذه السجاجيد ومنها الألوان البراقة المستخدمة فيها والمواضيع التي تمثّل روائع القصص التاريخية والتي منها الادبية

والغرامية وما إلى ذلك من مواضيع عدة، وذكر البرفسور (سليم الحسيني) كانت صناعة السجاد ضخمة وغدت فناً مهيمناً يتطلب مصممين لرسم نماذج على الورق قبل تحويلها إلى تصاميم منسوجة وكان ذلك يتمّ على نطاق واسع نظراً للطلبات الكثيفة من المستهلكين الاوربيين، وكانت تلك التصاميم تبهر العيون وتأخذ بالألباب منسوجة بدقة بدأ بالرصيعة في مركز السجادة مروراً بسجادات المحاريب وسجادات المزهريات، وانتهاء بالسجاد الذي يحمل صور الاشخاص(١٣).

ويذكر الدكتور زكي حسن أن السيد «بوب».popeA. قد قدر عدد المحفوظ من هذه السجاجيد في المتاحف والكنائس والمجموعات الفنية الخاصّة والذي ظهر منها في اسواق السجاجيد الاثرية قدره بزهاء ثلاثة الاف سجادة كاملة ويكاد يجمع مؤرخو الفنون الإسلامية الذي يتناولون السجاجيد الإسلامية والصفوية تحديداً تبعاً للأسلوب الزخرفي الذي نفذ فيه فيمكن تقسيمها إلى أنواع عدة، منها(١٤):

١ – **السجاجيد ذات الصرة أو الجامة**: ويمتاز هذا النوع من السجاد بتلك الصرة أو الجامة الرئيسة في الوسط بأشكال مختلفة ومتنوعة وقد يتدلى من اسفلها ومن أعلاها موضوع زخرفي أو اناء على شكل مشكاة أو زهرية كما تحتوي اركان السجادة على اربع جامات(١٥)، كما في الشكل (٤).

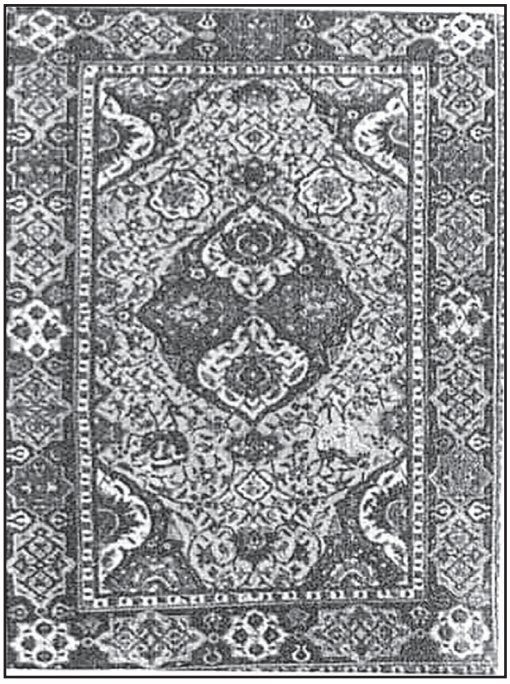

شكل (٤) السجاجيد ذات الصرة أو الجامة

٢- السجاجيد ذات الزهور: من أنواع السجاجيد الايرانية المشهورة نوع تكسوه رسوم الزهور والزخارف النباتية من مراوح نخيلية وزهور مركبة ووريقات مقوسة ومشرشرة هذا بالإضافة إلى رسوم السحب الصيفية «تشي»[١٦]، كما في الشكل (٥).

٣- السجاجيد ذات الزهريات: وهو نوع تمتاز رسومه بما يشبه الزهريات إلى جانب رسوم الزهور مرتبة في توازن وتقابل حول محورها وقد امتاز بها عصر الشاه عباس حتّى إنها تنسب اليه في بعض الاحيان وهذا النوع ينقسم إلى قسمين: الأوّل تزينه أشكال معينات مسننة من الأوراق الرمحية التي تضمّ أربعة من المراوح النخيلية الصغيرة كما تزينه زهريات مرسومة على ارضية ذات الوان متعددة[١٧]، والقسم الثاني: فيحتوي على مجموعة من السجاجيد التي تزينها رسوم تشبه تعاريش العنب تنتشر فوقها المراوح النخيلية الكبيرة وتعبيرات

مختلفة على شكل زهريات فوق أرضية حمراء أو بيضاء اللون[١٨]، كما في الشكل (٦).

شكل (٥) السجاجيد ذات الزهور

شكل (٦) السجاجيد ذات الزهريات

٤- السجاجيد ذات التوريق: يزخرف هذا النوع من السجاجيد الايرانية فروع نباتية منثنية ومحورة قريبة الشبه من الزخارف النباتية المحورة بأسلوب سامراء والتي تعرف باسم (أربيسك) أي زخرفة التوريق الإسلامية (تتكر) بحيث تغطى مساحة السجادة كلها[١٩]، كما في الشكل (٧).

٥- السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية: تحتوي على رسوم حيوانات خرافية أو محورة عن الطبيعة وتشغل أرضية السجاد أحياناً برسوم حيوانات متقابلة أو منفردة أو مزدوجة وقد يزين ارضية الاطار الخاص بالسجادة وحدات لحيوان التنين[٢٠]، كما في الشكل (٨).

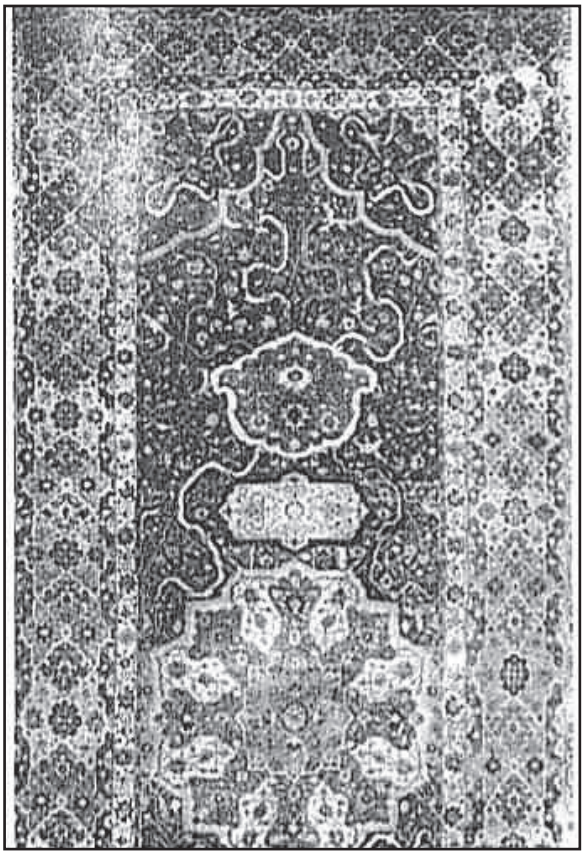

شكل (٧) سجاجيد ذات التوريق

شكل (٨) سجاجيد ذات الرسوم

المبحث الثاني: المراكز التصويرية المهتمة بتصوير السجاد الفارسي في مخطوطاتها (خمسة نظامي):

وترى الباحثة ان المكانة التي حصل عليها السجاد الفارسي لم يأتِ نتيجة الصدفة انما كان حصاد جهد وتعب وتميز، وأهم من هذا كلّه هو حب هذه الصنعة من قبل المهتمين أي الحكام والسلاطين ومن قبل العاملين عليها كالرسامين الذين يعدون التصاميم قبل تنفيذها ومن ثمّ العاملين عليها من صناع ومهرة وحرافين، حتّى انها اصبحت مصدر الهام لكثير من الدول الاوربية التي حاولت تحاكي السجاد الفارسي حيث انتج في أوروبا أولاً نوع من السجاد يحاكي السجاد الإسلامي (الفارسي)[٢١] واشتهرت مدينة تبريز في كونها أهم مركز لصناعة السجاجيد بالإضافة إلى المراكز الأخرى[٢٢] ذكرت (سعاد ماهر) أن من أهم المناطق لإنتاج السجاد:

١- هراة: والتي تقع على الطريق التجاري المهم الذي يربط بين الهند والتركستان بإيران[٢٣].

٢- تبريز: كانت تبريز عاصمة لاقليم اذربيجان وهي تقع في شمال غربي ايران في منطقة جبلية باردة تكثر فيها المراعي ذات الاصواف الممتازة وهي من المدن التي ذاع صيتها في تجارة المنسوجات[٢٤]. واشتهرت هذه المدينة في عصر الشاه (طهماسب) كمركز لمجمع السجاد وتصديره إلى جانب مصانعه المحلية[٢٥].

٣- همدان: تتوسط واديا متاخما لسهول فرغان شمال شرق جبال الوند ولذلك امتازت المنطقة كلّها باستخدام وبر الابل في انتاج سجادها وبلونه الطبيعي وجودة الصباغة وقلة الزخارف المستعملة فيها وكانت هذه المدينة تصدر المنسوجات المطبوعة إلى أوروبا[٢٦].

٤- خراسان: من أبرز العناصر الزخرفية التي تميز سجاد خراسان الشكل الكمثري أو المخروطي وشكل السمكة التي تعرف بـ (الماهي)[٢٧].

٥- شيراز: كانت شيراز مركزاً من مراكز صناعة سجاد القصور والامراء وذلك لجودة صوفها الناعم الذي كانت تحصل عليه من المراعي والوديان المحيطة بها، ولا نستبعد ان هذه المدينة حتّى وان لم تكن عاصمة الاسرة الصفوية الا انها حافظت على تقليد عريق في احتضان فنانين مهرة في تصدير الكتب[٢٨] بالإضافة إلى مراكز أخرى مثل خراسان، كرمان، أصفهان.

مخطوطة خمسة نظامي:

أو ما يطلق عليها المنظومات الخمس، لنظامي وهو من أعظم شعراء فارس، وتتألف المنظومات من خمس قصائد كتبها في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. ويمكن ترتيب هذه المنظومات الخمس حسب تاريخها على النحو التالي:

١- منظومة مخزن الأسرار: وهي ذات طابع ديني.

٢- منظومة خسرو وشيرين: وهي قصة خرافية.
٣- منظومة ليلى والمجنون: قصة حب بين قيس وليلى.
٤- منظومة هفت بيكر: وهي تتكلم عن بهرام جور*.
٥- منظومة أسكندر نامة: وتنقسم إلى قسمين[٢٩]:
أ. أقبال نامة.
ب. خرد نامة.

أما عن سبب اختيار الباحثة هذه المنظومة فلأن هذه التصاوير تعد بمثابة المصدر الاساسي لدراسة خصائص تصميمات السجاد، وخاصّة في تلك المخطوطات التي زوقت من اجل الخلفاء والسلاطين، فقد بدت رسوم السجاد في هذه التصاوير كأهم قطع الفرش سواء داخل القصور الملكية أم في الحدائق فنشاهد على سبيل المثال الأمير جالسا مع أفراد حاشيته على السجاد وتظلهم مظلة – كما في الشكل (٩) وغيرها من المواضيع التي تصور السجاد في رسوم المخطوطات. حيث تعد رسوم السجاد عنصراً زخرفياً مهماً كما تعد دليلاً اثرياً لا يرقى إليه الشك في التعرف على تلك السمات الزخرفية للسجاد الفارسي وسوف اقوم بأخذ لوحة واحدة من كلّ منظومة كنموذج لموضوع البحث.

شكل (٩) تظلهم مظلة من السجاد

المؤشرات التي انتهى إليها الاطار النظري:

١- دراسة تصاوير المخطوطات للمنظومات الخمس تظهر فيها رسوم السجاد كعنصر زخرفي مهم تعد دليلاً اثرياً في التعرف على السمات الزخرفية للسجاد.

٢- اهتمام المصور برسم التفاصيل الدقيقة للتصميمات الزخرفية الملونة للسجاد بكل دقة يؤكّد ان هذه الرسوم لم تكن مجرد نماذج تصويرية سار على نهجها المصورون، ولكنّها تمثّل العناصر الزخرفية الحقيقية للسجاد في تلك الفترة.

٣- التزام أكثر من مصور ولأكثر من حقبة بتمثيل نفس الانماط الزخرفية والاشكال والالوان المستخدمة في رسوم السجاد يدعو إلى التصديق بان المصور نقل نماذج حقيقية من الواقع.

٤- كما أن هناك دليلاً على أن السجاد رسم رسماً حقيقياً، فبالرغم من العلاقة الوثيقة بين زخارف السجاد الواردة في تصاوير المخطوطات وبين الفنون الزخرفية الأخرى كفنون الكتاب وخاصّة تجليد الكتب وتزويقها، فاننا نلاحظ ان رسوم السجاد تميزت بخصائص فنية ثابتة وتطور خاص بها حيث استمرت الزخارف الهندسية في رسوم السجاد ولعدة حقب زمنية.

الفصل الثالث: إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث: نظراً لسعة مجتمع البحث الخاص بمدارس التصوير الإسلامي وتعذر إحصائه عددياً، فقد تمّ الاعتماد على ما توفر من مصورات اخذت من المصادر ذات العلاقة (الكتب المتخصصة بالفن الإسلامي والمجلات الفنية، فضلاً عن المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت.

ثانياً: عينة البحث: تمّ اختيار عينة البحث وقد بلغ عددها (٥) خمسة اعمال فنية، حيث تمّ اختيار عمل لكل منظومة شعرية من المنظومات الخمس، ضمن

حدود البحث.

ثالثاً: منهج البحث: تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل نماذج عينة البحث وبما يتلاءم مع تحقيق هدف البحث.

رابعاً: تحليل العينة:

نموذج رقم (١):

اسم المنمنمة: مخزن الأسرار.

التاريخ: ١٥٣٩ – ١٥٤٣م

٩٦٢هـ – ٩٦٦هـ.

المصور: محمد المذهب.

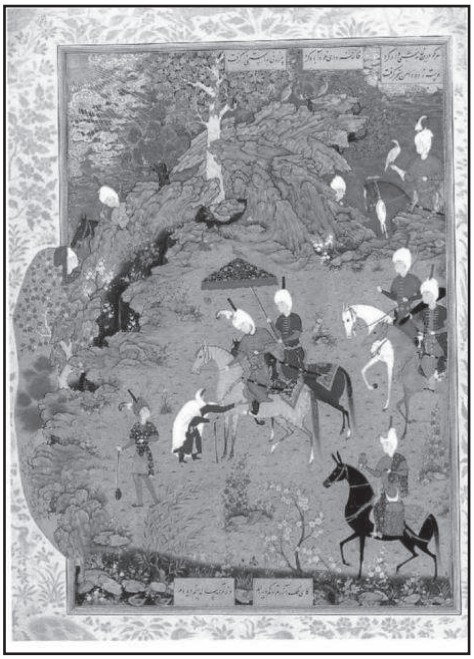

نموذج رقم (١)

العائدية: المتحف البريطاني. تصور هذه المنمنمة قصة المرأة العجوز التي

شكت إلى السلطان سنجر السلجوقي ظلم جنوده ومضت تنذره بعاقبة ظلمه الذي ادى إلى خراب الدولة، فلتكف عن ظلم الفقراء حتّى لا يعود عليك دعاؤهم بالوبال[٣٠]، وتعدّ هذه الصورة من ابدع الصور المسجلة لهذه الحادثة التي كثيراً ما عكف المصورون على تصويرها، وقد زخرت بالألوان وامتلأت بالتفاصيل الجميلة وخاصّة الخطوط الرقيقة لأشكال الزهور والاشجار. ونرى جمال السجاد الموضوع على الخيل (السرج) حيث لم يقتصر النسيج والسجاد على اللباس والاستعمال داخل القصور بل استخدام في الرحلات وككسوة للحوائط والجدران كفراش وكستائر تفصل بين الحجرات وكانت تقوم مقام الابواب بالإضافة إلى استخدامه في سروج الخيل[٣١] ونرى جمال الالوان المستخدمة في هذه السجادة الصغيرة المخصصة للسلطان حيث تكونت من اطارين الأوّل شريط رفيع من اللون الصحراوي (الترابي) ثمّ تليه زخرفة نباتية على شكل زهرات متصلة بعضها ببعض ذات لون اصفر ذهبي اما ارضية السجادة فهي عبارة عن لون ازرق غامق ينشر عليه أشكال الورد وفي الوسط توجد جامة مذهبة حيث لم يظهر منها سوى جزء بسيط.

نموذج رقم (٢):

اسم المنمنمة: خسرو وشيرين.

التاريخ: ١٤٩٥م – ٩١٨هـ.

المصور: أقاميرك.

العائدية: المتحف البريطاني.

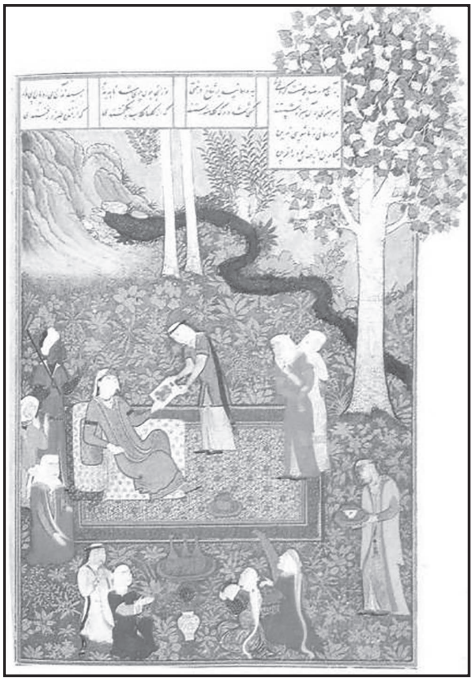

نموذج رقم (٢)

تحكي هذه المنمنمة لحظة وصول صورة خسرو إلى شيرين فأحيته فور وقوع نظرها عليه، وتجمع الصورة بين شجرة الدلب الواقعية التصوير والصخور الاسفنجية والزهور والـورود التي تمثّل حديقة القصر، وبين شيرين التي جلست في متوسط الصورة جلسة الأبهة والكبرياء، يحلي التاج جبينها ومن حولها الجواري والقيان وقد اجتمعن حول زهرية من البورسلين الصيني تضمّ أزهاراً وصحيفة عليها ثلاث قوارير للشراب، ومن ورائهن تقف جارية تحمل صفيحة الطعام، وتعزف إحدى القيان على المزمار بينما تصفق الثانية وتقرع الثالثة الدف وتعزف الرابعة على آلة الجنك على حين تقترب جارية من شيرين تقدم إليها صورة خسرو فمضت تتأملها وابدع الفنان أقاميرك في رسم السجادة ذات الثلاثة إطارات الأوّل شريط رفيع ذي لون جوزي غامق ثمّ شريط عريض يحتوي بداخله على زخرفة هندسية نباتية حيث الأوراق مع شكل الظفيرة ثمّ

تليها مساحة السجادة التي أبدع في عمل جاماتها على هيئة أشكال سداسية تتوسطها النجوم ويحيطها بأطر ذات رسوم هندسية.

نموذج رقم (٣):

اسم المنمنمة: ليلى والمجنون.

التاريخ: ١٤٩٥ م- ٩١٨هـ.

المصور: بهزاد.

العائدية: المتحف البريطاني.

نموذج رقم (٣)

تتكون هذه المنمنمة من مشهد النواح على وفاة زوج ليلى حيث نرى مجموعة الأشخاص، وهي موزعة على كامل اللوحة وقد ابدع الفنان في تصوير مشهد النواح هذا من خارج القصر وداخله؛ إذا نرى مجموعة الأشخاص،

وقد بلغ عليهم حالة الحزن لوفاة زوج ليلى، حيث نرى التنوع الرائع في حركة الأشخاص، فمنهم من جلس على سجادة على الارض وقد ابدع الفنان في تصوير هذه السجادة، إذ يحيط مساحة السجادة اطار خارجي، وأما الداخلي يتكون من شريطين متقابلين مُلِئ داخلها باللون الجوزي والمساحة المحصورة بين الاطار الخارجي والاطار الداخلي فيرسم بداخلها أشكال الأوراق النباتية موزعة بشكل عشوائي حول السجادة أما المساحة الداخليّة للسجادة فقد زخرفت بزخارف نباتية قوامها زهرة مكونة من ست بتلات، لوَّن الفنان أرضية السجادة باللون القهوائي المائل إلى الصفرة بينما جاءت الوان الزهرة باللون الاصفر والبتلات باللون الأسود مع قليل من اللون الاحمر، واستخدم الفنان الألوان الداكنة في هذه السجادة حتّى تأتي متناغمة مع موضوع اللوحة حيث يسود الحزن والالوان الداكنة عموم أشخاص هذه اللوحة.

نموذج رقم (٤):

اسم المنمنمة: (هفت بيكر).

التاريخ: ١٤٨١م – ٩٠٤هـ.

المصور: درويش محمد.

العائدية: متحف طوب قابو باستبتول.

نموذج رقم (٤)

تتكون هذه المنمنمة من مشهد لقاء الأمير بهرام جور بواحدة من الأميرات السبع وهي إحدى بنات ملوك أقاليم العالم السبعة وتبين اللوحة بهرام وهو يستمع إلى حكايا الأميرة الصقلية في القصر ذي القبة الحمراء، وأبدع الفنان في هذه الصورة من استخدام المنظور بأسلوب التصور الذهني المجرد المستمد من الإدراك الحسي في رسم باب مدخل القصر في النصف الأدنى من اللوحة ثمّ إحاطته بسياج مثلث الأضلاع من القاشاني الازواردي المزين بزخارف نباتية، وفي الشطر العلوي من الصورة رسم المصور شرفة تنتهي بسياج خماسي الاضلاع من القاشاني البني المحلى بزخارف هندسية تحيط به أطر حمراء تعلو القصر الأحمر والتي ترمز إلى الأميرة الصقلية.

ويظهر بهرام جور في ردائه البنفسجي المطرز بالقصب وعباءته الخضراء

ذات الكنار الأحمر يستمع إلى قصة الأميرة الصقلية، وإذا نظرنا إلى مشهد الأمير والأميرة سوياً فوق السجادة المربعة ذات الخطوط المائلة الخضراء والسوداء لوجدناها في قمة الروعة وفي انسجام رائع جداً يبعد الملل عن عين المشاهد ونرى جمال السجاد وجمال زخارفه إذا لم تقتصر زخارف السجاد على الزخرفة النباتية أو الهندسية فأبدع الفنان في تجميل السجاد باشكال عدة، ومنها الخطوط المائلة ذات الانسجام اللوني الرائع.

نموذج رقم (٥):

اسم المنمنمة: إسكندر نامة.

التاريخ: ١٤٣١م – ٨٥٤هـ.

المصور: كمال الدين.

العائدية: متحف الإميتاج بسان بطرسبرج.

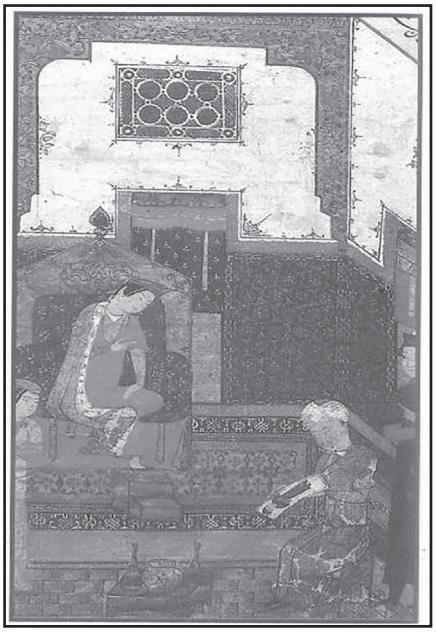

نموذج رقم (٥)

تصور هذه المنمنمة لحظة لقاء الملك اسكندر بالملكة توشابا وهي ملكة مدينة بردعة بأرمينية في الشمال الغربي لإيران قرب بحر الخزر، وعرف عنها انها ملأت أنحاء مملكتها عدلاً وكانت ملكة حكيمة، وكان قد تخفى الملك اسكندر على انه رسول موفد من قبل الملك اسكندر وما ان وصل عرش الملكة حتّى كشفت حيلته وعرفته على حقيقته حين نظرت الى صورة له عندها، ونرى في هذه المنمنمة عرش الملكة المكون من الكرسي الفخم الذي تجلس عليه نوشابا وتحت هذا الكرسي هناك سجادة كبيرة كانت قد غطت اغلب مساحة الغرفة وتحيط بالسجادة أربعة اطارات الأوّل منها يحتوي على زخارف نباتية بسيطة ذات اللون الأحمر المائل إلى القهوائي ثمّ اطار اعرض منه يحتوي على الزخرفة النباتية ذات اللون الفيروزي وهي على شكل ظفيرة إسلامية ثمّ إطار آخر رفيع نسبيا يحتوي على ظفيرة من نوع آخر باللون الأخضر الحشيشي وبعد ذلك شريط رفيع باللون الازرق ومن ثمّ تغطى المساحة الكبيرة للسجادة ذات اللون الأحمر القاتم المائل إلى القهوائي وهي تحتوي بداخلها زخرفة متعددة الاشكال منها ما كان على شكل صليب متصل الاضلاع بواسطة حلقة دائرية ومنها ما كان على شكل زهرة رباعية البتلات تتصل مع زهرة أخرى بواسطة ورقة نباتية عند الوسط لونت هذه الاشكال باللون القهوائي الغامق المائل إلى السواد قليلاً.

الفصل الرابع

أولاً: النتائج:

١ – من خلال نماذج عينة البحث يمكننا القول إن دارسة تصاوير مخطوطة خمسة نظامي التي تظهر رسوم السجاد في كلّ منمناتها تعد عنصراً زخرفياً مهماً، كما تعد دليلاً أثرياً لا يرقى إليه الشك في التعرف على السمات الزخرفية

للسجاد الايراني.

٢- كشفت نماذج عينة البحث عن اهتمام الخلفاء والامراء بالسجاد ورسوم السجاد والتي بدت في هذه التصاوير كأهم قطع الفرش سواء داخل القصور الملكية أم في الحدائق أم استخدامها كسروج للخيل أو كمظلة تظلهم من حرارة الشمس.

٣- يمكننا القول إن دراسة تصاوير مخطوطة خمسة نظامي بكل منمنماتها نرى من خلالها اهتمام المصور برسم التفاصيل الدقيقة للتصميمات الزخرفية الملونة للسجاد بكل دقة، يؤكّد ذلك ان هذه الرسوم لم تكن مجرد نماذج تصويرية سار على نهجها المصورون ولكنّها تمثّل العناصر الزخرفية الحقيقية للسجاد لتلك الفترة، كما ان التزام أكثر من مصور بتمثيل نفس الانماط الزخرفية والاشكال يدعو إلى التصديق بان المصور نقل نماذج حقيقية من الواقع.

٤- إن صناعة السجاجيد الايرانية بلغت أوج ازدهارها في العصر الصفوي ويدلنا على ذلك الكمّ الهائل من السجاجيد المحفوظة في المجموعات الخاصّة والمتاحف العالمية.

ثانياً: الاستنتاجات:

١- استمر تمثيل رسوم السجاد في تصاوير المخطوطات الايرانية حتّى نهاية القرن التاسع (١٥م).

٢- تعد رسوم السجاد دليلاً على استمرار صناعة السجاد في العصر الصفوي فهي تزودنا بمعلومات مهمّة عن الانماط الزخرفية السائدة في ذلك العصر وتمكننا من متابعة مراحل تطور زخارف السجاد في الساحة والاطار.

٣- تميزت تصاوير المخطوطات لخمسة نظامي باستخدام الالوان الساطعة البراقة والاهتمام بتصوير المناظر الطبيعية بما تشتمل عليه من أشجار وأزهار وطيور.

٤- إن الأسطورة والملحمة الفارسية هي الملهم الأوّل في تكوين مواضيع رسوم المنمنمات لذلك العصر وابدع الفنان في تمثيل الحياة اليومية بكل ما تشتمل عليه من تفاصيل كالأثاث والسجاد، الأزياء وتدلنا رسوم السجاجيد الواردة في تصاوير المخطوطات لخمسة نظامي والمنظومات الخمس على التطور الهائل الذي بلغته في صناعة السجاد حيث تنوعت تصميماتها الزخرفية وتميزت باستخدام الاساليب الزخرفية كاستخدام الزخارف الهندسية في ساحة السجاد والخط الزخرفي التطبيقي في الاطار (عناصر مضفورة).

ثالثاً: التوصيات:

١- توصي الباحثة بإقامة متحف في مدينة بغداد العاصمة يسمّى بالمتحف الإسلامي ويضم نسخاً من روائع المخطوطات للمدارس الإسلامية والفارسية.

٢- توصي الباحثة بإقامة فرع في كلية الفنون الجميلة يعنى بدراسة المنمنمات في المخطوطات الإسلامية.

٣- تناشد الباحثة الدارسين في عمل ابحاث علمية تعتمد على اسلوب المقارنة ما بين الفنون الإسلامية وفنون الغرب.

رابعاً: المقترحات:

من خلال رؤية الباحثة الى الكثير من التحف التطبيقية التي تزخر بها صور المخطوطات تقترح عمل دراسة على التحف التطبيقية المنفذة في رسوم المخطوطات الفارسية.

جدول نموذج عينة البحث

ت	اسم المنمنمة	اسم المخطوطة	التاريخ الميلادي والهجري
١	مخزن الأسرار	خمسة نظامي	٩٦٢هـ-١٥٣٩م
٢	خسرو وشيرين	خمسة نظامي	٩١٨هـ-١٤٩٥م
٣	ليلى ومجنون	خمسة نظامي	٩١٨هـ-١٤٩٥م
٤	هفت بيكر	خمسة نظامي	٩٠٤هـ-١٤٨١م
٥	إسكندر نامة	خمسة نظامي	٨٥٤هـ-١٤٨١م

ABSTRACT:

The present research tackles the study of The Islamic Carpets in the Depictions of Persian Manuscripts (Khamsat Nizami as a model). It is divided into four chapters. The first chapter explains the problem of the research, its importance and the need for it, determining the most important terms contained therein, and we talk about the study of Islamic carpets contained in the depictions of Persian manuscripts. First of all, we have to answer some important questions related to the possibility of relying on manuscript illustrations as the essential source for studying carpets in Persian manuscripts, the most important of which is, do the carpet drawings contained in manuscript illustrations represent the real designs of Iranian carpets? Was the photographer familiar enough with these designs to implement them accurately in his images? As for the

second chapter, it deals with the theoretical framework and it contains two sections. The first points out the emergence of Islamic carpets in Iran, the decorations executed on Iranian carpets, and the types of Iranian carpets. The second part mentions the centers interested in the production of Persian carpets, while the third chapter includes the research procedures, including the research community and the research sample, the research tool and the analysis of the research sample, whereas the fourth chapter is concerned with the results, conclusions, recommendations and suggestions.

الهوامش:

١. المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤، ص٤١٦.

٢. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلّد الثاني، ط١، ٢٠٠٨ م، ص١٠٣٤.

3. Teems For Worrall W.H on certain Arabic teems FOK - Rag Worrall W.H. on certain Arabic: vol1 part 2. pp - 219-z22).- Rug Ares Islamica

٤. جبران مسعود: الرائد، معجم لغوي عصري، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص٤٣٢.

٥. أحمد محمد عيسى: مصطلحات الفن الإسلامي، معجم مشروح ومصور، تقديم: أكمل الدين احسان أوغلي، إسطنبول، ١٩٩٤، ص٣٨.

٦. أبو الحمد فرغلي: الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٠، ص١٦٤.

٧. محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٥، ص١٥١.

8. J.B. Lippincott company, The practical BOOK OF ORIENTAL RUGS,8-G.GRIFFIN LLWIS P. 25, 1945,PHILADELPHIAAAD. NEWYORK

٩. سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، البيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦، ص١٧٤.

10. Thames and Hudson, s.d.p.21, ORIENTAL RUCS, ABUYER'S

CUINE LEE ALLANE

١١ . الفن الإسلامي ببلاد فارس: دوجلاسي باريت، ترجمة أحمد عيسى، دار الكتب المصرية، ١٩٤٩، ص٣٨.
١٢ . زكي محمد حسن: الفنون الايرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٤٠، ص١٧٥ .
١٣ . سليم الحسيني: ألف اختراع واختراع، ناشيونال جوكرافي، فصل السجاد.
١٤ . زكي حسن: الفنون الايرانية، ص١٥٣ .
١٥ أبو الحمد فرغلي: الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٠،ص ١٧٤ .
١٦ . سعاد ماهر: المصدر السابق، ص١٨١
١٧ . ديماند (م.س): الفنون الإسلامية، ص٢٩٠ .
١٨ . أبو الحمد فرغلي: مصدر سابق (الفنون الزخرفية في عصر الصفويين) ص١٧٧ .
19. Pope(A.U) Persian Art Asurrey of perian Art.5 rols.Ox ford.1938.19
٢٠ . فنون الشرق الاوسط في العصور الإسلامية: نعمت إسماعيل، ط٣، ص٣٢٠.
٢١ . ألف اختراع واختراع: موضوع السجاد.
٢٢ . نعمت إسماعيل: فنون الشرق الاوسط في العصور الإسلامية ص٣١٩.
٢٣ . سعاد ماهر، ص١٧٨ .
٢٤ . Heyd: Histoire du commerce du Le7ant، ج٢، ص٦٩٧ .
٢٥ . مصدر سابق: نعمت إسماعيل. ص٣١٩.
٢٦ . أبو أحمد فرغلي: الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين، ص١٤٦ .
٢٧ . مصدر سابق: سعاد ماهر، ص١٧٩ .
٢٨ . المنمنات الإسلامية: ماريا فيوريا، ترجمة د. عز الدين، ط١، لبنان، ٢٠١٥، ص٣١٧.
* بهرام جور: بهرام بن يزدجر الخامس أحد ملوك الدولة الساسانية، ويعرف بـ (بهرتم جور) وذلك لملازمته صيد الحمار الوحشي واسم حمار الوحشي في لسان الفرس كور فقيل له بهرام (كور) حكم ايران في فترة من ٤٣٠م وحتّى ٤٣٨م وكان محباً عاشقاً.
٢٩ . سعاد ماهر: ص٢٦٩ .
٣٠ . للمزيد ينظر: ثروت عكاشة، التصوير الفارسي والتركي ص٢٥٢ p 70, Miniatres, Persian.
٣١ . أبو الحمد فرغلي: الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين، ص١٤٠ .

المصادر:

أولاً: المصادر العربية:

١ . أبو الحمد فرغلي: الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٠.
٢ . أحمد محمد عيسى: مصطلحات الفن الإسلامي، معجم مشروح ومصور تقديم: أكمل الدين

احسان أوغلي، إسطنبول، ١٩٩٤.
٣. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلّد الثاني، ط١، ٢٠٠٨م.
٤. ثروت عكاشة: التصوير الفارسي والتركي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣.
٥. جبران مسعود: الرائد: معجم لغوي عصري، ط٧، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٩٢.
٦. ديماند (م.س): الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد عيسى، ط١، ١٩٨٠.
٧. زكي محمد حسن: الفنون الايرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٤٠.
٨. سعاد ماهر: الفنون الإسلامية البيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦.
٩. سليم الحسيني: ألف اختراع واختراع – التراث الإسلامي في عالمنا، ناشيونال جوكرافي، فصل السجاد.
١٠. دوجلاسي باريت: الفن الإسلامي ببلاد فارس، ترجمة: أحمد عيسى، دار الكتب المصرية ١٩٤٩.
١١. نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط٣.
١٢ محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مطبعة أسعد بغداد، ١٩٦٥.
١٣. المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤.
١٤.المنمنات الإسلامية: ماريا فيوريا، ترجمة د. عز الدين، ط١، لبنان، ٢٠١٥.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

1. Abuyer's cuine lee allane. oriental rucs. Thames and Hudson, s.d.
2. G.GRIFFIN LLWIS. The practical BOOK OF ORIENTAL RUGS. J.B Lippincott company PHILADEL PHIAAAD. NEWYORK 1945.
3. Heyd: Histoire du commerce du Levant.
4. Persian, Miniatres.
5. Pope(A.U) Persian Art Asurrey of perian Art. rols.Oxford.1938
6. Worrall W.H on certain Arabic teems FOK - Rag Worrall W.H. on certain Arabic (Teems For - Rug Ares Islamica, vol:1, part:2).

المصدر: مجلّة فنون البصرة: العدد(٢٣)، ٢٠٢٢م.

العتبات الدينية في النجف وكربلاء

في الوثائق العثمانية

خلال القرن السادس عشر الميلادي

أ.م.د. ياسين شهاب شكري

المقدمة:

يتناول البحث دراسة العتبات الدينية في النجف وكربلاء، الإمام علي عليه السلام في النجف والإمامين الحسين والعباس عليهما السلام في كربلاء خلال القرن السادس عشر الميلادي في الوثائق العثمانية الصادرة آنذاك، والتي تناولت التفاصيل المتعلقة بها من قضايا إدارية واقتصادية واجتماعية. وقد أظهرت الوثائق مدى اهتمامات الدولة العثمانية بتلك الأماكن الدينية بحيث إنها لم تفرض عليها أية إدارة حكومية مباشرة، وإنما اعتمدت عل الزعامات المحلية من بعض الأسر العلوية. وتركزت التفاصيل في تلك الوثائق على بيان الأوقاف التابعة للعتبات في المدن الموجودة فيها وفي خارجها من أراضٍ وأملاك وبيوت ودكاكين. كما أنها أولت اهتماماً في بيان التفاصيل المتعلقة بالسكان المقيمين بالقرب من العتبات الدينية من حيث أسماء المحلات والأفراد المقيمين فيها من المتزوجين وغير المتزوجين من السادة الأشراف، ومن بقية الأفراد. كما تناول البحث ما جاء في الوثائق عن الموجودات داخل العتبات من الأشياء الثمينة، والهدايا، والمفروشات، والكتب الدينية، وغير ذلك. وقد توزع البحث في خمس فقرات هي: (العتبات الدينية في النجف وكربلاء واهتمامات الحكومات بها، الوثائق العثمانية الخاصّة بالعتبات الدينية، العتبة العلوية في النجف الأشرف، العتبتان الحسينية والعباسية في كربلاء، الأوقاف المشتركة للعتبات)، وعلى النحو الآتي:

أولاً: العتبات الدينية في النجف وكربلاء واهتمامات الحكومات بها:

ارتبطت مكانة مدينتي النجف وكربلاء بالأهميّة الدينية نظراً لوجود مراقد آل البيت فيهما؛ إذ إن مدينة النجف الواقعة غرب الكوفة بمسافة ثمانية كيلومترات، حظيت بمكانة مميزة منذ استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م، واكتشاف قبره بعد مدة من الزمان[1] فتحول ذلك القبر الى

مزار ديني يؤم اليه المسلمون من شتى الأصقاع، ومن ثمّ كمركز لدراسة العلوم المرتبطة بالمذهب الجعفري الاثني عشري منذ منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. وقد نالت المدينة الاهتمام والرعاية من لدن الحكام والأمراء الذين زاروها، خاصّة من الحكام البويهيين والسلاجقة الذين أجروا على المرقد العلوي البناء والتعمير وقدموا الهدايا، فضلاً عن توزيع الأموال على القائمين بخدمته والساكنين بجواره[٢] أما بالنسبة لمدينة كربلاء فقد ارتبطت بقضية ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام عام ٥٦١/ ٦٨١م، وأصبح قبره مزارا للمسلمين ونال الاهتمام ورعاية العديد من الحكام والأمراء والدول المتعاقبة[٣].

وفي القرن السادس عشر الميلادي أصبح العراق بمدنه المختلفة، ومنها المدن الدينية محط تنافس وصراع بين القوتين الإسلاميتين آنذاك الدولة الصفوية، والدولة العثمانية. وقد أخذ الصراع السياسي والعسكري بينهما طابعاً دينياً (طائفياً) من خلال تبني الصفويين المذهب الجعفري (الاثني عشري) والدفاع عنه أمام تبني العثمانيين زعامة العالم الإسلامي السني[٤]، ومن هنا جاءت اهتمامات كلتا الدولتين بالأماكن الدينية كمحاولة من الطرفين للظهور بمظهر التدين والاهتمام الخاص بها.

سيطرت الدولة الصفوية على العراق في عهد الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٢٤-١٥٠١م). وأولى الشاه اهتماماً خاصاً بمدن العتبات الدينية الشيعية من خلال قيامه بزيارتها بعد السيطرة على بغداد عام ١٥٠٨م، وتقديمه الهدايا والأموال للمراقد، وإصداره الأوامر بإجراء التعميرات عليها. وتشير المصادر أنه وفي أثناء زيارته مدينة النجف ومرقد الإمام علي عليه السلام فيها، وجد أن سكان المدينة والزائرين يعانون من قلة المياه الصالحة للشرب، فأمر بإيصال المياه من نهر الفرات وعن طريق إعادة نهر قديم نهر عطا الجويني)، والذي سمي باسم

(نهر الشاه) تيمنا به، بالرغم من أن المشروع لم يتمّ اكتماله[٥].

كما قام بزيارة مدينة كربلاء وأمر بتذهيب حواشي ضريح المرقد الحسيني، وأهدى اثني عشر قنديلا من الذهب، أوّل حالة إدخال للذهب في عمارة العتبات الدينية[٦]، فضلاً على قيام الشاه إسماعيل بتجريد حملة عسكرية قادها بنفسه ضد القبائل البدوية في غرب وجنوب العراق والتي كانت تتعرض في هجماتها للمسافرين وزوار العتبات الدينية[٧] وفي عهد ابنه الشاه طهماسب (١٥٢٤-١٥٧٦م)، قام الأخير بزيارة المدينتين عام ١٥٣٠م وقدم الهدايا والأموال للعتبات فيهما، وأمر بحفر فرع آخر من نهر الفرات غرب الحلة لإيصال المياه الى النجف، والذي عرف فيما بعد بـ (الطهمازية)[٨] كما بذل جهودا في مجال تعمير العتبة الحسينية في كربلاء من خلال ترميم اجزاء من المرقد واصلاحه وتوسيع الصحن وتجديد المنارة المعروفة بمنارة (العبد)[٩].

أما بالنسبة للدولة العثمانية، فإنه بعد سيطرة السلطان سليمان القانوني (١٥٦٦-١٥٢٠م) على بغداد عام ١٥٣٤م، جرى اهتمام ملحوظ بالأماكن الدينية. فالسلطان نفسه وفي أثناء مكوثه في بغداد طيلة أربعة أشهر قام بزيارة الكثير من الأماكن والمزارات الدينية، والتي بلغت حوالي تسعاً وستين موقعاً[١٠] وقد حاول السلطان المذكور الظهور بمظهر الذي لا يفرق بين تلك الأماكن سواء أكانت للشيعة أم للسنة، بخلاف ما أظهره الصفويون قبل ذلك. وكان نصيب العتبات الدينية في النجف وكربلاء كبيراً من تلك الزيارات من خلال قيام السلطان بزيارة كربلاء أولاً، قام خلالها بتوزيع الأموال والهدايا للمرقد الحسيني والقائمين عليه وكذلك للسكان المجاورين وأمر بإجراء التعمير لمرقد الإمام العباس بن علي عليه السلام، وكذلك تحرير وتسجيل الأوقاف الموجودة فيه والمحافظة عليها[١١] واهتم بتوفير سبل الراحة للسكان والزوار عبر إعادة إحياء

نهر قديم كان قد انطمر بسبب الترسبات الطينية، لغرض إيصال المياه إلى كربلاء، وسمي النهر باسمه (النهر السليماني) والمعروف حالياً بنهر (الحسينية)[١٢] وبعد ذلك قام السلطان بزيارة مدينة النجف ومرقد الإمام علي عليه السلام، حيث تشير الروايات بأنه ومع اقتراب موكب السلطان من المدينة ترجل عن فرسه وأخذ يمشي على قدميه إجلالا واحتراما لقدسية المدينة وصاحبها المدفون فيها[١٣] وقام بتوزيع الأموال والهدايا على المرقد العلوي والقائمين على إدارته وخدمته، والفقراء والمحتاجين من السكان، فضلاً عن وقف الأراضي والأملاك الزراعية للإنفاق على العتبات الدينية في النجف وكربلاء[١٤].

لقد اهتم العثمانيون بعد دخولهم العراق بمدن العتبات الدينية في النجف وكربلاء كمحاولة منهم لكسب ود السكان، ولم يفرضوا إدارة حكومية مباشرة عليها خلال القرن السادس عشر الميلادي، بالرغم من ارتباطها بالتنظيم الإداري لولاية بغداد. وقد تركوا أمر الإدارة الذاتية للمدينتين إلى بعض الأسر العلوية المحلية التي كانت تقوم بمهام زعامة نقابة (السادة العلويين). وهذه النقابة لها واجبات دينية واجتماعية تقوم بها مثل: إدارة المرقد الديني وتعيين السدنة والخدم له، وإمرة المدينة والدفاع عنها ضد الأخطار الخارجية التي قد تتعرض لها من هجمات القبائل أو قطاع الطرق واللصوص[١٥] فمدينة كربلاء أبقى العثمانيون المدينة تحت زعامة وإدارة أسرتين علويتين هما (آل زحيك)[١٦]، و(آل فائز)[١٧] طيلة القرن السادس عشر الميلادي[١٨] وقد لعبت شخصيات مهمّة من الاسرتين دورا مميزا في إدارة المدينة والنقابة وشؤون العتبتين الحسينية والعباسية مثل: السيد سلطان كمال الدين وابنه السيد إسماعيل من أسرة آل زحيك، والسيد يحيى شرف الدين من آل فائز[١٩].

أما مدينة النجف فكانت تدار خلال القرن السادس عشر الميلادي من قبل

بعض الأسر العلوية مثل: أسرة (آل كمونة)[٢٠]. وقد أشارت بعض الوثائق العثمانية الواردة في دفتر طابو ولاية بغداد ذي الرقم (١٠٢٨) إلى زعيمها السيد حسين كمونة كنقيب للسادة العلويين، والمتولي لإدارة شؤون العتبة العلوية الدينية[٢١].

أصبحت مدينتا النجف وكربلاء خلال القرن السادس عشر الميلادي محط اهتمام ورعاية من قبل العثمانيين كمحاولة منهم الظهور بمظهر الراعي للأماكن الدينية أمام السكان المحليين. وقد شهدت المدينتان حالة من الاقدام على الزيارة من قبل المسلمين ومن مختلف المناطق القريبة والبعيدة. كما وفرت حالة الأمن والازدهار على زيادة السكان المقيمين فيها، فضلاً عن تزايد النشاط الاقتصادي المتمثل في حركة التجارة والأسواق. وقد تناولت الوثائق العثمانية التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالسكان المقيمين والمحلات التي يقيمون فيها، والعتبات الدينية والقائمين عليها وما فيها من موجودات، والأوقاف من الأراضي والأملاك التابعة لها سواء داخل المدينتين أم خارجها. وهذا ما سنتناوله في هذا البحث.

ثانياً: الوثائق العثمانية الخاصّة بالعتبات الدينية:

اهتمت الدولة العثمانية ومنذ وقت مبكر في توثيق التفاصيل المتعلقة بإداراتها المختلفة، ومنها الإدارات الموجودة في الولايات التابعة لها، وكذلك فيما تعلق بشؤون الرعايا من السكان والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بهم. وقد تمّ تدوين ذلك كلّه في سجلات تمّ حفظها في العديد من دور الأرشيف والمديريات والمكتبات الخاصّة. ويعد الأرشيف العثماني الموجود في إستانبول والمسماة (أرشيف رئاسة الوزراء العثماني) Babakanlik Osmanli Arsivlar، من أهم دور الأرشيف تلك من حيث أعداد السجلات والوثائق تصل إلى ما يقرب من مائة وخمسين مليون وثيقة، ويمكنها أن تشكل برأي أحد

الباحثين مساحة ثلاثين كيلومترا من الرفوف[٢٢] وهذه الوثائق بعضها مصنفة وبعضها ما زالت غير مصنفة. والتصنيفات جاءت بعناوين معينة مثل: (الباب الآصفي)، و(الدفتر الخاقاني)، و(الدفتر خانه اميري)، و(دفاتر رؤوس الأقلام)، و(دفاتر المالية)، و(دفاتر مهمّة)... إلخ[٢٣].

وبالنسبة للعراق، فإنه ومنذ سيطرة العثمانيين على بغداد عام ١٥٣٤م، أصبحت ولاياته ومدنه والإدارات الموجودة فيها مادة للتوثيق من خلال السجلات العثمانية. وللإشارة إلى أهميّة ذلك، فإن السلطان سليمان القانوني وفي أثناء مكوثه في بغداد أمر بإجراء مسح عام لكافة الأراضي والاملاك، وما يتعلق بالسكان وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتدوينه في سجلات لغرض الاستفادة منها في وضع أسس تنظيمية جديدة للإدارة والنظم والضرائب[٢٤] ويبدو أن تلك العملية استغرقت سنوات عديدة ولم تستطع خلالها الإدارات العثمانية من إجراء المسح الشامل. وقد ورد ذلك في مستهل دفتر تحرير الطابو العثماني ذي الرقم ١٠٢٨ من دون تحديد السنة، عبر الإشارة الى أن هذا الدفتر جاء بناء على أوامر السلطان الأعظم[٢٥].

لقد نالت الأماكن الدينية في العراق وتحديدا العتبات الدينية أهميّة خاصّة في التوثيق الدقيق لها من خلال إجراء الإحصاء والتسجيل لكل ما يتعلق بالعتبات وموجوداتها، والسكان المجاورين لها، والأوقاف الموقوفة لصالحها. ويعد الدفتر الخاص بالأوقاف ذي الرقم ٣٨٦ والصادر في عهد السلطان سليمان القانوني من دون تحديد سنة الإصدار، من أهم تلك السجلات التوثيقية آنذاك. وهو يقع ضمن تصنيف الباب الأصفي المسماة (الدفتر الخانه – أميري دفتر تحرير) (DEFTER HANE-IAMIRE TAHRIR - DEFTER)، وبالرمز المختص للكود (DEF.TD)، حيث يتألف الدفتر من مئتي وست وستين صفحة بقياس

٤٧×١٦سم[٢٦] وهو يتناول الأوقاف الموجودة في العديد من مدن ومناطق العراق، ومنها الأوقاف التابعة للعتبات الدينية في النجف وكربلاء تحت عنوان: «أوقاف حضرت علي وحضرت امام حسين وحضرت امام عباس رضي الله عنهم المشهور بعتبات عاليات»[٢٧] وقد غطت هذه الاوقاف جزءاً كبيراً من صفحات الدفتر وفي أكثر من مكان، بحيث إنها تجاوزت ثمانين صفحة منها.

غير أن التفاصيل الواردة فيها تكاد تكون مقتصرة على الأسماء والعناوين والأرقام دون أن تكون هناك معلومات تفصيلية للأحوال أو الوقائع. كما أن المحررين (الكتاب) العثمانيين استخدموا الخط العثماني القديم المعروف بـ (سياقت)، وهو خط يصعب قراءته دون وسائل مساعدة، فضلاً عن أن اللغة التركية القديمة الممتزجة بالمصطلحات العربية والفارسية. ومن الجدير بالذكر هنا أن المحررين العثمانيين اعتمدوا على ما فهموه من السكان المحليين لبعض التفاصيل المتعلقة بالأسماء والمعلومات.

إن أهميّة هذه الوثائق العثمانية تكمن في قيمتها العلمية التاريخية من حيث أنها تمثّل أقدم الوثائق الرسمية التي وصلت إلينا عن العتبات الدينية خلال القرن السادس عشر الميلادي، والتي يمكن الاستفادة منها في دراسة تاريخ تلك الأماكن وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. ولتلك الوثائق أهميّة خاصّة تتعلق بالعتبات نفسها من حيث كونها مستندات رسمية قانونية يتمّ الاستناد إليها في البحث والتقصي عن الأملاك والأوقاف الخاصّة بها، والتي تمّ فقدها وتغيير ملكيتها إلى جهات وأفراد بسبب تقادم الزمن وتغيير الأنظمة والحكومات والإدارات التابعة لها.

وهذا البحث يعتمد على دراسة هذه الوثائق الخاصّة بالعتبات الدينية في النجف وكربلاء على اعتبار أن الوثائق تناولتها معا أحياناً، وفصلت بينها

في أحيان أخرى، مع وجود أوقاف مشتركة للعتبات، خاصّة ما تعلق منها بالأراضي والأملاك.

ثالثاً: العتبة العلوية في النجف الأشرف:

ابتدأت الوثائق الخاصّة بالعتبات الدينية في تناول العتبة العلوية في النجف من خلال العنوان الرئيسي: «نفس مشهد موقع حضرت علي كرم الله وجهه المعروف بغروية». والملاحظ أنها استخدمت العناوين المتعارف عليها حتّى الوقت الحاضر مثل: (مشهد) والتي تعني من شهد أو حضر (أي مكان حضور الناس وتجمعهم)، والتسمية أصبحت مرادفة للمرقد العلوي ولمدينة النجف[٢٨] أما مصطلح (الغروية) أو الغري، فهي تعني الحسن من كلّ شيء، وهما بالأساس بناءان كانا بظهر الكوفة تمّ إنشاؤهما من قبل بعض ملوك المناذرة قبل الإسلام وعرفت كإحدى المسميات التي كانت تطلق على النجف[٢٩] أما التفاصيل الواردة في الوثائق فيمكن تصنيفها إلى قسمين: السكان المجاورين للعتبة، وأوقاف العتبة وموجوداتها، وعلى النحو التالي:

١- **السكان المجاورون:** أشارت الوثائق إلى وجود أربع محلات (أحياء) سكنية مجاورة للعتبة يقطنها سكان مصنفون إلى صنفين (السادة الأشراف)، وبقية الجماعات من الناس (العوام)، مع جود مختار (كتخدا) لكل محلة، وشملت التفاصيل أسماء الأشخاص من الذكور البالغين فقط من المتزوجين (مزوج) وغير المتزوجين (محرر)، دون النساء والأطفال[٣٠] وربما كان ذلك مرده لاعتبارات تتعلق بفرض ضريبة الرأس على الذكور البالغين فقط، فضلاً عن الالتزام بالقيم والعادات الاجتماعية التي تمنع الأفراد من ذكر النساء وأسمائهن.

والملاحظ على تلك الأسماء أيضاً أنها كانت تختلف في التدوين، فأحياناً يذكر فلان ولد فلان، أو فلان الفلاني، أو فلان ويضاف إليه لقب المهنة أو الحرفة التي

يمارسها، أو فلان ويضاف إليه لقب المدينة التي ينتسب إليها خاصّة بالنسب لغير العراقيين من الفرس وغيرهم[٣١] أما الألقاب الخاصّة بالقبيلة والعشيرة فتكاد تكون معدومة في تلك الأسماء والجدول التالي يوضح أسماء المحلات وسكانها، دون الإشارة إلى تاريخ إجراء هذا الإحصاء.

جدول رقم (١) المحلات المجاورة للعتبة العلوية والسكان القاطنون فيها من الذكور البالغين[٣٢]

المحلة	السادة الأشراف		المجموع	بقية السكان		المجموع	مجموع سكان المحلة
	متزوج	غير متزوج		متزوج	غير متزوج		
البراق	٥٩	٣٨	٩٧	٣٢٧	١٦٧	٤٩٤	٥٩١
المشراق	٢٤	٧	٣١	٥٠٤	٢٨٠	٧٨٤	٨١٥
الشيخ إبراهيم وسيد فضل الله (العمارة حالياً)	٣٢	٨	٤٠	٢٥٨	١٢٥	٣٨٣	٤٢٣
الحطيش (الحويش حالياً)	٢٤	٨	٣٢	١٦٥	٨٣	٢٤٨	٢٨٠
المجموع النهائي	١٣٩	٦١	٢٠٠	١٢٥٤	٦٥٥	١٩٠٩	٢١٠٩

إن الملاحظات الأساسية على الجدول الوارد ذكره أعلاه، هو أن مجموع أعداد السكان من الذكور البالغين قد بلغ (١٠٩ , ٢) نسمة. وإذا ما أضفنا إلى هؤلاء أعداد النساء والأطفال وغير المسجلين فقد تصل أعداد سكان النجف آنذاك بحدود ستة آلاف نسمة تقريباً، بالرغم من صغر حجم المساحة التي

كانوا يشغلونها للمنطقة المجاورة للمرقد العلوي، والتي تعرف حاليا بـ (المدينة القديمة). ويضاف إلى هؤلاء السكان من غير المقيمين من الزوار القادمين من المناطق القريبة والبعيدة سنويا. وهي تعكس بذلك مظهراً من مظاهر الاستقرار الاجتماعي والازدهار الاقتصادي خلال القرن السادس عشر الميلادي. ومن جهة أخرى، فإن الجدول قد أظهر أن نسبة السادة الأشراف إلى بقية السكان بلغت حوالي٤٨ , ٩٪، في حين أن نسبة بقية السكان كانت ٩٠،٥١٪ كما أن عدد السكان المتزوجين قد بلغ ثلثي عدد السكان (١،٣٩٣) فرداً، أي بنسبة أكثر من ٦٦٪، وغير المتزوجين ثلث عدد السكان (٧١٦) فرداً أي بنسبة ٣٣،٩٤٪. وبذلك يمكن القول إن النسب المذكورة تعكس الحالة الطبيعية للمجتمع النجفي.

٢- **المرقد العلوي**: أشارت الوثائق إلى وجود سوق كبير مجاور للعتبة ضمّ (١٢٤) دكاناً بأسماء أفراد، بلغ مجموع وارداته لسنتين متتاليتين ما مقداره (٢١،٤٧٧) (أقجة)[٣٣][٣٤] ومن الجدير بالذكر هنا أن الوثائق لم تشر إلى عائدية ملكية المحلات في السوق، وبيان الجهات المستفيدة من وارداتها.

أما بالنسبة للواردات والأوقاف التابعة للمرقد، فقد ضمّت مقاطعة الأصباغ (بويه خانه)، وحمامين أحدهما قديم والآخر جديد ومعصرة، والواردات المستحصلة من رسم العروس (الزواج)، وطوي الحديد، ودفن الموتى، والنذورات[٣٥] وكذلك كانت هناك بيوت (خانه) تابعة للمرقد وعددها (٢٥) بيتاً، والتي بلغت وارداتها لمدة سنتين متتاليتين (١.١٤٩) أقجة. وقد تراوحت قيمة الإيجارات بين (١٠) أقجات، و(١٢٠) أقجة بحسب الموقع والمساحة؛ بحيث إن معدل الإيجارات للبيت الواحد من تلك البيوت كان مقداره (٤٥،٩٦) أقجة[٣٦].

وأما إدارة العتبة، فقد أشارت الوثائق إلى أسماء المتولين والقائمين على الخدمة، فالمتولي الشرعي للعتبة أو السادن هو السيد (حسين بن السيد نصر الدين كمونه، ويساعده في الإدارة أحد عشر مسؤولاً، والقائمون على الخدمة ينقسمون إلى ما يلي:

- ١٨ فرداً من جماعة الحفاظ.
- ١٥ فرداً من جماعة الحراس.
- ٨ أفراد من جماعة التعمير.
- ٩ أفراد جماعة الفرش والكسوة.
- ١٣ فرداً من جماعة خدمة المطبخ.
- ١٠ أفراد من جماعة الوقود والخبازين.
- ٥ أفراد من جماعة السقاية.
- ٩ أفراد من جماعة البوابين[٣٧].

أما الموجودات داخل العتبة، فقد جاءت بعنوان (استانه ي روضه ى حضرت امام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه)، ولم يتمّ تدوينها بشكل منتظم من قبل الكتّاب المحررين من حيث يتمّ ذكر نوع معيّن في أكثر من موضع. وقد ضمّت المواد التالية:

- مصاحف قرآنية عدد (٣١) مصحفاً كاملاً أو بأجزاء، جرى وصفها بشكل دقيق من حيث نوع الجلد والكتابة ونوع الخط مثل: (مصحف جلد مرصع قطع نصف كاغد سمرقندي خط نسخ).
- قناديل من الذهب عدد (٣) وزنها ٢,٩٩٢ مثقالاً.
- قناديل مطلية بالفضة عددها ١٤٨ قنديلاً وزنها ٢٥ و٤٨٣ مثقالاً.

- صناديق كبيرة فاخرة عدد (٤)، وصناديق أخرى متعددة ومختلفة الأحجام.
- سجاد فاخر عدد (١٨) متعدد الأطوال والأنواع.
- ستائر أقمشة عدد (٥٣) متعددة ومتنوعة مع ذكر اطوالها (بالذراع) ومواصفاتها وألوانها.
- شمعدان عدد (٥)، وكراسي عدد (٦)، وعدد من الفوانيس.
- موقوفات من أشخاص من الفوانيس والستائر والسجاد.
- هدايا من السيوف والخناجر والدروع.
- مواد التعمير والبناء[٣٨].
- مكتبة المرقد العلوي. وقد ضمّت مجموعة من الكتب المتنوعة في مجالات تفسير القرآن ومعانيه، والقواميس، والتصوف والتاريخ وعلم الأصول والفقه، والفلسفة وعلم الصرف والمواعظ، وعلم الطب، وعلم الكلام، والأدب[٣٩].

رابعاً: العتبتان الحسينية والعباسية المقدستان في كربلاء:

١- **السكان المجاورين**: تناولت الوثائق السكان المقيمين بجوار العتبتين الحسينية والعباسية بعنوان مشترك هو: (نفس مشهد امام حسين رضي الله عنه المشهور بـ حايريه) والحايرية أو الحائر يعني المتحير وهو المكان المطمئن الوسط المرتفع الاطراف الذي يكون فيه الماء. وهذه التسمية قديمة تشير بعض الروايات الى أنها تعود لفترة ما قبل الإسلام، والروايات الأخرى ترى أنها مرتبطة بحادثة تاريخية جرت في عهد المتوكل العباسي (٢٤٧ - ٣٢هـ) عندما أصدر أوامره بهدم قبر الحسين وحرث الأرض وإجراء الماء عليه لكي يضيع مكانه، وعندما وصل الماء قرب القبر توقف دون أن يغمره أي (حار الماء). ومن هنا عرف المرقد الحسيني وما يجاوره حتّى الوقت الحاضر بـ (الحائر الحسيني)[٤٠].

لقد أشارت الوثائق إلى أسماء المحلات المجاورة والسكان المقيمين فيها من الذكور البالغين مع تصنيفهم إلى: (السادة الأشراف) و(بقية الجماعات من الناس) مثلما ورد بالنسبة للسكان المجاورين للعتبة العلوية في النجف والمار ذكرها سابقا. غير أنه من المناسب الإشارة الى أن المحلات في النجف كان لها مختارين (كتخدا)، في حين خلت محلات كربلاء من ذلك دون معرفة الأسباب. والجدول التالي يوضح أسماء المحلات وأعداد السكان.

جدول رقم (٢) المحلات المجاورة للعتبتين الحسينية والعباسية والسكان القاطنون فيها من الذكور البالغين [٤١]

المحلة	السادة الأشراف		المجموع	بقية السكان		المجموع	مجموع سكان المحلة
	متزوج	غير متزوج		متزوج	غير متزوج		
آل ضحيك (آل زحيك) (محلة باب النجف وباب الخان وجزء من المخلاف حالياً)	٢٦	١٧	٤٣	٢٥٤	٢٦	٢٨٠	٣٢٣
آل فائض (آل فائز) (باب السلالمة، والجزء الشرقي من باب الطاق حالياً)	٤٨	٧	٥٥	٢٤٧	٣٩	٢٨٦	٣٤١
آل عيسى (المخيم حالياً)	١٢	٢	١٤	٢٣	٣	٢٦	٤٠
جماعات صفوية (إيرانية) مجاورة للعتبة العباسية	–	–	–	١١	١	١٢	١٢
جماعة مجاورون بالقرب من خان غازي	–	–	–	–	–	٦	٦

جماعة دراويش (صوفية) في تكية موميز دده	–	–	–	–	–	١٢	١٢
المجموع النهائي	٨٦	٢٦	١١٢	٥٤٥	٦٩	٦٢٢	٧٣٤

ومن خلال الجدول أعلاه، فإن أعداد السكان المجاورين من الذكور البالغين بلغ (٧٣٤) فرداً. وإذا ما أضفنا إليهم النساء والأطفال وغير المسجلين، فإن الأعداد قد تصل إلى ما بين (٢٥٠٠ – ٣٠٠٠) نسمة، أما بالنسبة إلى التفاصيل الأخرى الواردة في الجدول، فإن الأرقام بينت لنا أن نسبة السادة الأشراف من الذكور البالغين كانت بحدود ١٥,٢٦ من مجموع السكان، وغير السادة من بقية السكان ٨٤,٧٤٪ من مجموع السكان والسادة بالدرجة الأساس كانوا من الأسرتين العلويتين المار ذكرهما سابقاً (آل زحيك، وآل فائز)، واللتان كانتا تتنافسان على إدارة العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية، وتنظيم شؤون المدينة، فضلاً عن زعامة نقابة السادة العلويين[٤٢].

٢- **أوقاف العتبة الحسينية**: تناولت الوثائق في بدء الأمر الأوقاف المجاورة والتابعة للعتبة الحسينية من حيث الواردات المالية. فأشارت إلى وجود حمام، ومصبغة، ومعصرة، فضلاً عن واردات الدفن الذي كان يتمّ في المرقد. حيث بلغ مجموع وارداتها جميعا (٢٨.٦٣٠) أقجة[٤٣].

أما الموجودات داخل العتبة، والتي جاءت في مكان آخر بعنوان: (مفصل استان استانه ي حضرت امام حسين رضي الله عنه)، فقد شملت الأمور التالية:

- مصاحف قرآنية عدد (٦١) كاملة أو بأجزاء تمّ الإشارة إلى أحدها بأنه مصحف بخطّ الإمام علي بن أبي طالب. والمصاحف الأخرى تمّ وصفها من حيث الجلد والنوع والخط، مع الإشارة للبعض منها بكلمة (تحقيق)، والبعض الآخر (مترجم)[٤٤].

- قناديل مطلية بالذهب عدد (٦) وزنها (٨٦٨، ٢) مثقال.
- قناديل مطلية بالفضة عدد (٧٨) وزنها (٣٧٦٧٥) درهماً.
- شمعدان من ذهب عدد (١) وزنه (٢٣٥) مثقالاً، وشمعدان من فضة عدد (٩) وزنه (٥٦٠٨٢) درهماً.
- صناديق متعددة ومتنوعة قسم منها مطلي ومرصع بالأحجار الكريمة.
- أحجار كريمة: (١٣١٠) قطع من الياقوت، (٢١٢) قطعة من اللؤلؤ، (٢٣) قطعة من الزمرد، (١٠٣) قطع من الماس، (٤٨٢) قطعة من الفيروز
- مفروشات السجاد وبأنواع وقياسات مختلفة.
- ستائر وأقمشة متعددة من القطن والكتان والحرير، ومتنوعة من حيث الأنواع والأطوال.
- هدايا من المصاحف عدد (٨٣) مصحفاً كاملاً أو بأجزاء.
- هدايا من السيوف والخناجر والدروع.
- فوانيس متنوعة كهدايا، أو وقف للمرقد الحسيني.
- ثريا عدد (١٢) وبأحجام وأنواع مختلفة.
- مواد للبناء والتعمير.
- المكتبة: كتب في مجال التفسير، والمواعظ، وعلم الكلام، وعلم الأصول، والمنطق[٤٥].

٣- أوقاف العتبة العباسية: جاءت الأوقاف والموجودات التابعة لمرقد الإمام العباس بن علي بن أبي طالب بعنوان: (نفس استان استانه ي حضرت امام عباس رضي الله عنه)، وضمّت ما يلي:

- كميات من الذهب والفضة الموجودة في المرقد بوزن (٣٧٩٤) مثقالاً و(٥٦٩٤) درهماً. وتشمل قناديل نقية مطلية بالذهب عدد (١٥)،

وشمعداناً نقياً عدد (١)، وصندوق القبر، وصندوقاً مرصعاً.
- واردات النذور لمدة سنتين (٢٠٠٠) أقجة.
- شمعدانات مختلفة الأنواع عدد (٥) كبيرة، و(٣) متوسطة، و(٥) صغيرة.
- صناديق مختلفة الأحجام ومتنوعة.
- مفروشات متعددة ومتنوعة من القطن والكتان.
- سجاد بأحجام مختلفة ومتنوعة.
- فوانيس متعددة.
- أقمشة وستائر مختلفة الأطوال.
- هدايا شمعدان عدد (١٤).
- شموع عدد (٨٠).
- أعلام، وكراسي، وقدور، وأواني، ومشاعل[٤٦].

خامساً: الأوقاف المشتركة للعتبات:

لم تقتصر الاوقاف التابعة للعتبات الدينية في النجف وكربلاء على ما هو قائم داخل العتبات أو ما يجاورها في المدينة، وإنما امتدت نحو مناطق خارج المدينتين وتحديدا في مناطق غرب وجنوب غرب مدينة الحلة وفي داخلها. وهذه الأوقاف شملت ما يلي:

١- **الأراضي والقرى الزراعية في نهر النجف**: وهي الأوقاف من الأراضي والمناطق الزراعية، والتي تمّ تثبيتها من قبل الشاه إسماعيل الصفوي وابنه الشاه طهماسب، عندما أمرا بحفر نهر من الفرات غرب الحلة لإيصال المياه إلى النجف وكذلك ما أوقفه السلطان العثماني سليمان القانوني من الأراضي الزراعية لصالح العتبات في النجف وكربلاء وكما مرّ بنا سابقا. وقد ضمّ نهر النجف العشرات من القرى الزراعية والأراضي الواقعة على الضفتين، تمت الإشارة إلى البعض منها كأوقاف تابعة للعتبات بعنوان: (أوقاف عتبات عاليات) ومن دون تحديد

نسبة الرسوم وآلية الاحتساب والجباية، وجهة جمع الواردات وجهة الإنفاق، وآلية التوزيع على العتبات.

وأما بالنسبة للتفاصيل الواردة فيها، فقد شملت أسماء المزارعين القاطنين في كلّ قرية من الذكور البالغين، وبيان مقدار الحاصلات من المحاصيل الزراعية من الحنطة والشعير والدخن والتمور والذرة، وبعض الحيوانات كالأغنام والماعز والأبقار، فضلاً عن بعض الرسوم الملحقة مثل: (رسم العروس)، و(رسم حق الشيخ). والجدول أدناه يوضح أسماء القرى وواردتها السنوية:

جدول رقم (٣) الأوقاف من القرى الزراعية في نهر النجف وواردتها السنوية بـ (الأقجة)[٤٧]

القرية أو المنطقة الزراعية	الفلاحـــــون			مقدار الواردات السنوية بـ (الأقجة)
	متزوج	غير متزوج	المجموع	
قرية كفل العليا	١٥	–	١٥	٢,٠٧٧
قرية كفل السفلى	٧	–	٧	٩,٦٨٧
قرية سور سلطان	٢٢	–	٢٢	٣٠,٧٣٩
قرية كلما الشرقي	١٠٢	٤	١٠٦	١٩,١٩٤
المرتضوية شرق النهر	٩	٣	١٢	٢١,٧٨٠
قرية الإمامية	٦	٣	٩	١٦,٧٠٧
قرية المهدية	٢٣	٢	٢٥	١,٩١٧
قرية سهيده	٩	٤	١٣	١٦,٢٧٨
جهينة ظوايد	٢١	١٢	٣٣	٩,٩٩٠
قرية أويس العليا	٤٩	١	٥٠	٢٠,٢٨١
قرية أويس	١١	٢	١٣	١٧,٥٥١
قرية جويبه	٢٥	٣	٢٨	٣,١٤١
قرية الحيدرية	٢٠	١	٢١	٩,٩٣٧ (نصفه وقف للعتبات)

قرية الجهانية القديمة	٥	–	٥	٣٢,٨٣٦
قرية الخاتونية	١٥	٢	١٧	٣٢,٨٣٦
قرية المحمودية	١٢	٢	١٤	١,٨٩٦
قرية الأميرية	١٩	٢	٢١	٨,٧١٣ (نصفه وقف للعتبات)
قرية جوبة السلطانية	٢٥	٢	٢٧	١,٣٢٢
قرية الإبراهيمية القديمة	٥	–	٥	٤,٣٢٣

والملاحظ على الجدول أن أقيام الواردات لم تكن تتناسب مع حجم القرية، أو أعداد الفلاحين القاطنين فيها، وإنما لحجم الأراضي وأنواع المحاصيل وكميات الانتاج، كما أن بعض أقيام الواردات جاءت متطابقة بين بعض القرى مثل: قرية (الخاتونية) التي جاءت مطابقة في التفاصيل المتعلقة بكميات الانتاج وأقيامها ومبالغ الرسوم، لما هو محرر لقرية الجهانية القديمة، ومن المستبعد أن يكون ذلك صحيحاً، وإنما هو خطأ وقع فيه الموظفون الكتّاب.

٢- الأوقاف المشتركة داخل مدينة الحلة: وتمت الإشارة إليها تحت عنوان (نفس حله ونواحي حله ده امام حسين وامام علي وامام عباس حضرتلرينه متعلق اولان اوقافدر). أي الأوقاف الخاصّة بالإمام الحسين والإمام علي والإمام العباس في الحلة ونواحيها. وقد شملت عدداً من البيوت والدكاكين والأراضي التي أوقفها أصحابها بأسماء الإمام الحسين والإمام علي والإمام العباس (عليهم السلام) في بعض أحياء الحلة القديمة، وخاصّة في (محلة الجامعين)[٤٨]، و(محلة الأكراد)[٤٩] ولم تشر الوثائق إلى آلية الإيرادات وكيفية التصرف بها، ويبدو أنها تتم حسب وصية الواقف والمتولي على الوقف، وهذه الأوقاف هي:

أ- أوقاف خاصّة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: وتضم عدداً من البيوت

والخانات والدكاكين وعقر الأراضي في محلتي الجامعين والأكراد، بلغت إيراداتها لسنتين ما مقداره (٢،٣٥٠) أقجة[٥٠].

ب- أوقاف خاصّة للإمام الحسين بن علي عليهما السلام: وضمّت عدداً من البيوت والدكاكين وعقر الأراضي في محلتي الجامعين والأكراد بلغت إيراداتها لمدة سنتين (٦.٥٥٢) أقجة[٥١].

جـ- أوقاف خاصّة للإمام العباس عليه السلام: وضمّت عدداً من البيوت وعقر الأراضي والدكاكين في محلات الجامعين، والأكراد، وملح، وحجي علي، بلغت إيراداتها لمدة سنتين (٢٠.٠٨٠) أقجة[٥٢].

النتائج:

من خلال دراستنا موضوع البحث تبينت لنا النتائج التالية:

١- اهتمام العثمانيين ومن أعلى مستويات الدولة في الرعاية للعتبات الدينية، وخاصّة في النجف وكربلاء نظراً لمكانتهما عند المسلمين، ومحاولتهم الظهور بمظهر التدين والتسامح لجميع الأماكن والطوائف الدينية، رغبة منهم في كسب ود السكان المحليين.

٢- عدم فرض السلطات العثمانية لأي نوع من الإدارة الحكومية المباشرة على مدينتي النجف وكربلاء خلال القرن السادس عشر الميلادي، نظراً للمكانة الدينية وقدسية العتبات فيهما، وقد ترك أمر الإدارة فيهما إلى الزعامات المحلية من الأسر العلوية.

٣- الوثائق الخاصّة بالعتبات الدينية ركزت على تدوين التفاصيل المتعلقة بها من إدارة وموجودات وأوقاف داخل المدن وخارجها، فضلاً عن بيان السكان المجاورين وأعدادهم والمحلات التي يقطنون بها. وقد يكون ذلك لدواع أمنية تطلبت معرفة أعدادهم وبعض التفاصيل القليلة عن حياتهم.

٤- أظهرت الوثائق أن مدينة النجف كانت أكثر نشاطا من مدينة كربلاء من

خلال أعداد السكان المقيمين، ونشاط الأسواق، والأوقاف الموجودة داخل العتبات. والسبب هو الطبيعة الجغرافية والموقع، فضلاً عن وجود المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف آنذاك.

٥- في ضوء الإحصاءات التي بينتها الوثائق العثمانية، فإنه يمكن القول إن مدن العتبات الدينية في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة شهدت نوعا من الاستقرار الاجتماعي والازدهار الاقتصادي آنذاك.

٦- بينت الوثائق أن العتبات الدينية في النجف وكربلاء كانت لها الكثير من الأوقاف التابعة لها من أراضٍ وأملاك وخانات وبيوت ودكاكين، وتحديدا في مدينة الحلة والمناطق الواقعة الى الغرب والجنوب الغربي منها، وهذا يتطابق مع ما ورد في كثير من المصادر والمراجع التي تناولت هذا الجانب من البحث.

٧- الوثائق العثمانية ذات قيمة تاريخية مهمّة في بيان الأحوال الإدارية والاقتصادية والاجتماعية لمدينتي النجف وكربلاء، فضلاً عن أهميتها القانونية في الاستفادة منها في التحري والبحث عن الأوقاف التابعة للعتبات الدينية، والتي تغيرت ملكياتها عبر الفترات التاريخية اللاحقة.

الهوامش:

١- محمد جواد فخر الدين: تاريخ النجف حتّى نهاية العصر العباسي، ط١، (بيروت: دار الرافدين للطباعة، ٢٠٠٥)، ص١٨٦.

٢- حسن الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ط١ (قم المكتبة الحيدرية، ١٤٢٧هـ)، ج١، ص٣١٨-٣٢٩، ص٣٤٨ - ٣٤٩.

٣- عبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (بغداد) دار المعارف، (١٣٦٨هـ)، ص١٥١ وما يليها.

٤- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط١، قم: مطبعة أمير، ١٣٧١-١٤١٣)، ج١، ص١٢-٠١٣

٥- جعفر باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ط٢، بيروت: دار الأضواء، (١٩٨٦، ج١، ص١٩١-١٩٢.

٦- جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧)، ج٨، ص٦٣.

٧- يوسف كركوش الحلي، تاريخ الحلة، ط١، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، القسم الأوّل الحياة السياسية، ص١٣٤.

٨- آل محبوبة، المصدر نفسه، ص١٩٢.www.alkafeel.net

٩- محمد جواد مغنية، دول الشيعة في التاريخ، (النجف: مطابع النعمان، ١٩٦٥)، ص١٢٧.

١٠- أشار الرحالة التركي (نصوح المطراقجي) المرافق لحملة السلطان سليمان على بغداد إلى تلك الأماكن الدينية وأرخ لها بالأيام والأشهر، للتفاصيل ينظر: فاضل مهدي بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية النصف الأوّل من القرن ١٠هـ/ ١٦ م، تقديم خالد آرن، إستانبول مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٠)، ص٣٥٦-٣٥٩.

١١- «الانترنت»، شبكة الكفيل العالمية، مادة (تاريخ العتبة)، www.alkafeel.net.

١٢- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٤٩)، ج٤، ٣٦-٣٧.

١٣- علي الوردي، المصدر السابق، ص٥٤.

١٤- ياسين شهاب شكري، ولاية بغداد: ١٥٣٤- ١٦٢٣ دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، اطروحة (دكتوراه)، (جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١١)، ص٣٤.

١٥- الحكيم، المصدر نفسه، ص٢٤١.

١٦- آل زحيك: أسرة علوية عريقة استوطنت كربلاء منذ أمد بعيد، ويعود نسبها إلى الحسين القطعي بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب. وهذه الأسرة تنقسم إلى بيوتات عديدة مثل: بنو المرتضى، وبيت عبد الله الحائر، وآل الحسين القطعي، وغيرهم للتفاصيل ينظر: عبد القادر،سلطان، تاريخ وبيوتات آل البيت في بلاد الرافدين، ط١، بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، (٢٠٠٢) ص٢٩٦-٢٩٧.

١٧- آل فائز: وهم من الأسر الموسوية القديمة في كربلاء، ويرتقي نسبهم إلى السيد إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم. وقد تفرعت الاسرة إلى العديد من البيوتات والأفخاذ مثل: آل سيد امين، وآل تاجر، وآل ضياء، وآل نصر الله، وآخرون. المصدر نفسه، ص٣٠٦-٣١٤.

١٨- عماد عبد السلام رؤوف، الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة، (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، (١٩٩٢)، ص٣٥٥-٣٥٩.

١٩- إبراهيم شمس الدين القزويني الحائري، البيوتات العلوية في كربلاء (كربلاء: د. م، ١٣٩٨ - ١٩٧٨م)، ج٢، ص٩-١٠.

٢٠- آل كمونة: أسرة علوية عريقة يعود نسبها إلى عبيد الله الأعرج بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وأصل التسمية بنو (كمكمة) ثمّ حرف اللفظ إلى كمونه، واشتهروا بها. وقد تولت هذه الأسرة النقابة العلوية في النجف وإمارة الحج مع الاحتفاظ بقوة عسكرية لحماية الحجاج وفرض السيطرة على المناطق المجاورة للمدينة. الحكيم، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٥ - ٢٨٠. رؤوف، المصدر نفسه، ص٠٣٣٨-٣٣٧

21. ;./1 Basbakanlik Ošmanli Arsivlar TAPU TAHRIR DEFTERi No: 1028, S.5.

٢٢- عصام كمال خليفة، (لبنان في ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول)، مجلّة الوثائق العربية، العدد ٢٢، (الجزائر: ٢٠٠٤)،ص ١٠١

٢٣- للتفاصيل عن الارشيف العثماني وتصنيفاته ينظر: نجاتي اقطاش وعصمت بينارق، الارشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، (إستانبول مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، عمان مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، ١٩٨٦م.

٢٤- شكري، المصدر نفسه، ص٣٣.

25. TAPU TAHRIR DEFTERi No: 1028, S.2.

26. Basbakanlik Ošmanli Arsivlar, DEFTER HANE-IAMIRE TAHRIR DEFTERi, No: 386, S.1.

27- Ayni Eser, S.1.

٢٨- محمد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، ط، مطبعة (ستاره، ٢٠٤٤)، ص١٨.

٢٩- المصدر نفسه، ص١٩. الحكيم، المصدر نفسه، ج١، ص١٦٨-١٨١.

30- DEFTERI, No: AT, Ayni Eser, SS.-8.

٣١- ينظر: الملحقان الرقم (١)، والرقم (٢).

32- DEFTERI, No: AT, Ayni Eser, SS.-8.

٣٣- الأقجة: عملة عثمانية مائلة إلى البياض ضربت في عهد السلطان أورخان عام ١٣٢٨م، أو ١٣٢٩م. وتمّ استخدامها كوحدة عثمانية قياسية حتّى النصف الأوّل من القرن السابع عشر الميلادي، وتمّ استبدالها بعد ذلك بالقرش. والأقجة كانت في بدء الأمر بعيار ٥،٩٠ وبوزن ٧ قراريط، ثمّ تعرضت للانخفاض في المراحل اللاحقة، عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية بعد العهود العباسية، بغداد: التجارة والطباعة، ١٩٥٨، ص١٤٢.

34- DEFTERi, No: 386, Ayni Eser, SS.27-28.35

35- Ayni Eser, S. 26, S. 28.

36- Ayni Eser, S.28-29.

37- Ayni Eser, SS.108-1100

38- Ayni Eser, SS. 117-126.

39- Ayni Eser, SS.126-127.

٤٠- الكليدار، المصدر نفسه، ص١٠ وما يليها. ص٢٠١-٢٠٢

41- DEFTER, No: 386, Ayni Eser, SS.29-36

* لم تشر الوثائق إلى بيان صنف الجماعة المقيمة بالقرب من خان غازي وكذلك بالنسبة لجماعة الدراويش، إن كانوا سادة أو من بقية الناس، وإن كانوا متزوجين أم لا.

٤٢- سلطان، المصدر نفسه، ص٣٠٦-٣٠٧.

43- DEFTERI No: 386 Ayni Eser S.37.

44- Ayni Eser, SS.128-1290

45- Ayni Eser, SS.130-135.

46- Ayni Eser, SS.136-1370 48 Ayni Eser, SS.42-85.

٤٧- محلة الجامعين: وهي من أقدم محلات مدينة الحلة، ظهرت منذ تأسيس المدينة على يد الأسرة المزيدية في القرن الرابع الهجري، وسميت بهذه التسمية لوجود جامعين فيها. والمحلة فيها أزقة ضيقة وملتوية بهدف عسكري لمنع دخولها بسهولة، فيها إرث أدبي وعلمي كبير من خلال من استوطن فيها من الأدباء والعلماء، وما كان فيها من مكتبات ومراقد دينية. ظاهر ذباح الشمري، (محلات الحلة القديمة، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العدد ٤، المجلّد ١٥، (بابل: ٢٠٠٨، ص١٣٣٨ - ١٣٤١).

٤٨- محلة الأكراد: وهي من المحلات القديمة أيضاً والتي ظهرت بعد تأسيس المدينة وتقع إلى الجانب الشمالي من المحلات، وقد أطلق عليها هذه التسمية نسبة إلى سكانها من قبيلة جاوان الكردية، بعد أن هاجروا إليها من مناطق شرق دجلة باتجاه طريق خراسان وعاشوا في الحلة جنبا إلى جنب مع بقية السكان المحليين في وئام تام. المصدر نفسه، ص١٣٤٢- ١٣٤٣.

50- DEFTERi, No: 386, Ayni Eser, SS.85-86.

51- Ayni Eser, SS.86-87.

52- Ayni Eser, SS.87-88.

الملاحق:

ملحق رقم (١): بداية الوثائق المتعلقة بالعتبات الدينية / العتبة العلوية في النجف.

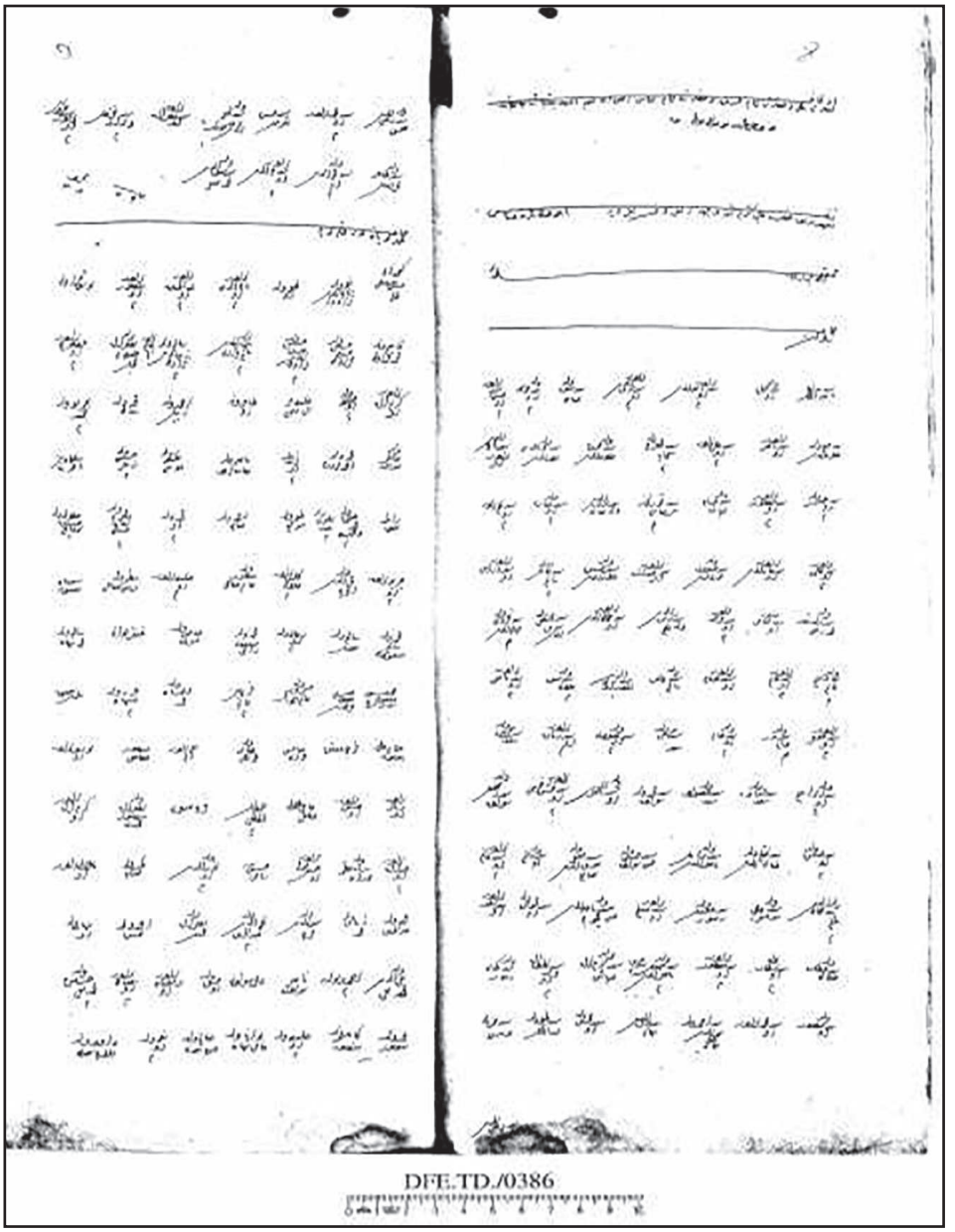

المصدر: DEFTER HANE-IAMIRE TAHRIR DEFTERi, No: 386

ملحق رقم (٢): بداية الوثائق المتعلقة بالعتبة الحسينية في كربلاء

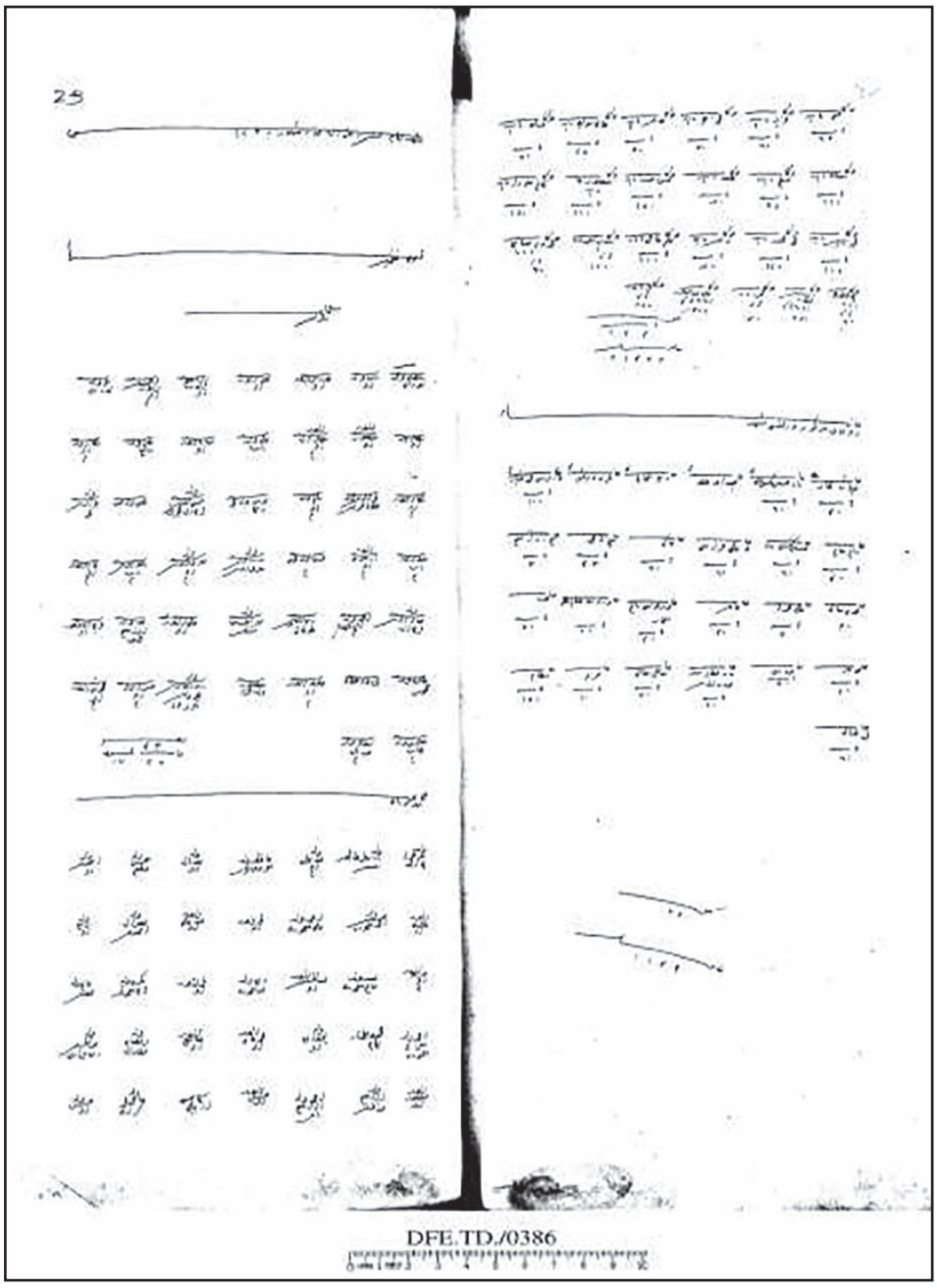

المصدر: DEFTER HANE-IAMIRE TAHRIR DEFTERi, No: 386

ملحق رقم (٣): الأوقاف من الأراضي والقرى الزراعية في نهر النجف والتابعة للعتبات الدينية

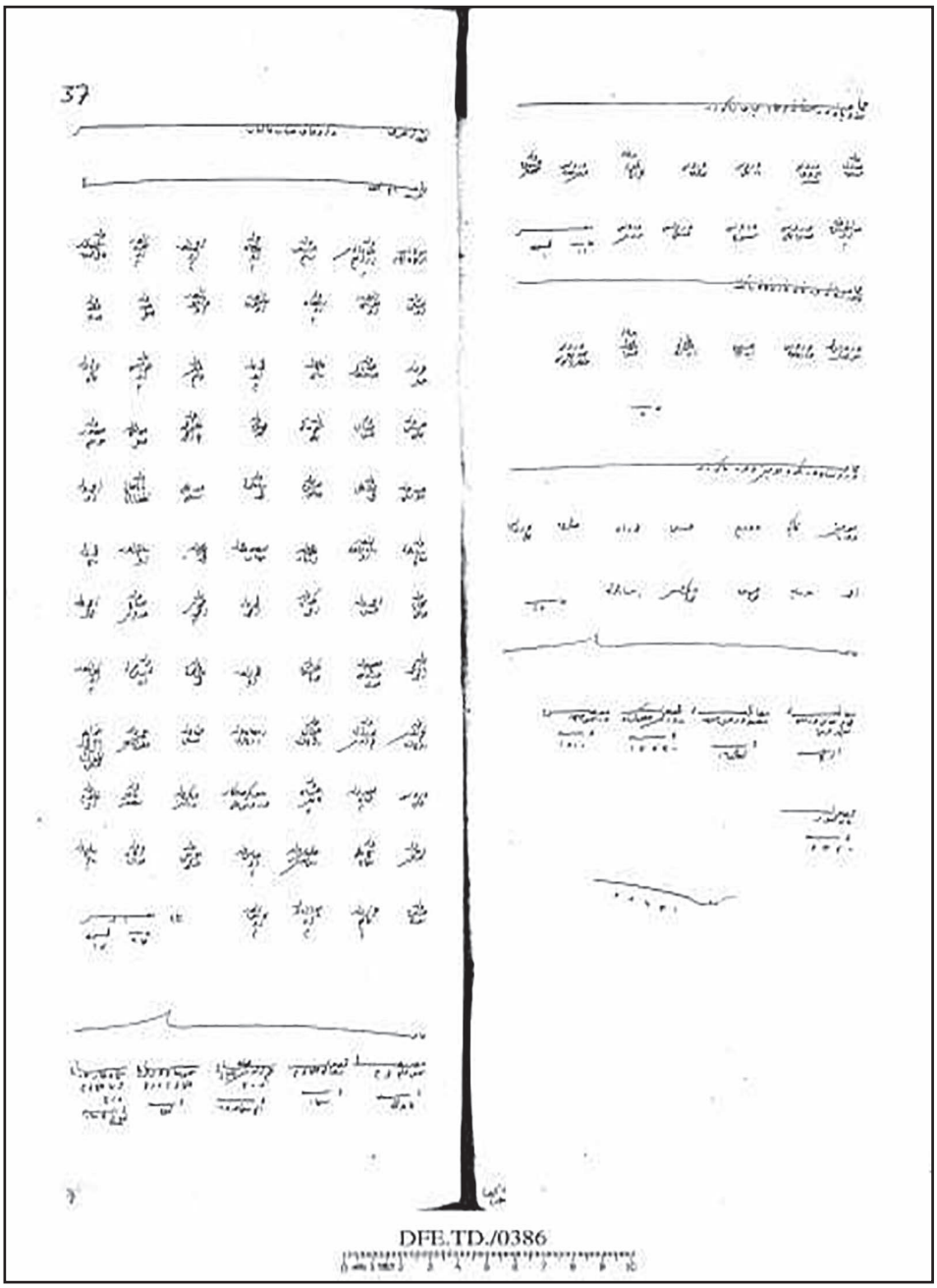

المصدر: DEFTER HANE-IAMIRE TAHRIR DEFTERi, No: 386

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق العثمانية غير المنشورة:

(وثائق أرشيف رئاسة الوزراء العثماني)

1- TAPU TAHRIR DEFTERi, No: 1028.
2- DEFTER HANE-IAMIRE TAHRIR DEFTERi, No: 386.

ثانياً: الأطاريح الجامعية:

١- الحكيم، علاء الدين محمد تقي سعيد، حركة التجديد في الحوزة العلمية في العراق إبان الحكم العثماني المباشر (١٨٣١م) – ١٩١٨م)، (أطروحة دكتوراه)، (جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١٣).
٢- شكري، ياسين شهاب، ولاية بغداد: ١٥٣٤-١٦٢٣ دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، (اطروحة دكتوراه)، (جامعة الكوفة: كلية الآداب، ٢٠١١).

ثالثاً: المصادر العربية:

١- اقطاش وبينارق، نجاتي وعصمت، الارشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، إستانبول: مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، عمان – مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، (١٩٨٦).
٢- آل محبوبة، جعفر باقر: ماضي النجف وحاضرها، ط٢، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦)، ج١.
٣- البهادلي، محمد باقر أحمد، الحياة الفكرية في النجف الأشرف، ط١، (الناشر احقاف: مطبعة ستاره، (٢٠٤٤).
٤- بيات، فضل مهدي: البلاد العربية في الوثائق العثمانية النصف الأوّل من القرن ١٠هـ/ ١٦ م، تقديم خالد آرن، (إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٠).
٥- الحكيم، حسن: المفصل في تاريخ النجف الأشرف، الطبعة الأولى، (قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٧هـ)، الجزء الأول.
٦- الحلي، يوسف كركوش: تاريخ الحلة، الطبعة الأولى، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م)، القسم الأوّل في الحياة السياسية.
٧- الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة – قسم كربلاء، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧)، ج٨.

٨- رؤوف، عماد عبد السلام: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة، (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٢).
٩- سلطان، عبد القادر: تاريخ وبيوتات آل البيت في بلاد الرافدين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، (٢٠٠٢).
١٠- العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٩٤٩)، ج٤.
١١. تاريخ النقود العراقية بعد العهود العباسية، بغداد: التجارة والطباعة، (١٩٥٨).
١٢- فخر الدين، محمد جواد: تاريخ النجف حتّى نهاية العصر العباسي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الرافدين للطباعة، (٢٠٠٥).
١٣- الكليدار، عبد الجواد: تاريخ كربلاء وحائر الحسين، (بغداد: دار المعارف، ١٣٦٨هـ).
١٤- مغنية، محمد جواد: دول الشيعة في التاريخ، (النجف، مطابع النعمان، ١٩٦٥).
١٥- الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، ط١، (قم: مطبعة امير، ١٣٧١-١٤١٣).

رابعاً: البحوث العلمية:

١- الشمري، ظاهر ذباح. (محلات الحلة القديمة، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العدد ٤، المجلّد ١٥، (بابل: ٢٠٠٨).
٢- خليفة، عصام كمال، (لبنان) في ارشيف رئاسة الوزراء باستنبول، مجلّة الوثائق العربية، العدد ٢٢، (الجزائر: ٢٠٠٤).

خامساً: الانترنت:

١- شبكة الكفيل العالمية، مادة (تاريخ العتبة) www.alkafeel.net

المصدر: مجلّة مركز دراسات الكوفة: العدد (٥٢)، ٢٠١٩م.

المخطوط العربي

المفاهيم والمصطلحات وأثرها في تحديد

بداياته التاريخية وامتداد وجوده

د. عطا الله مدب حمادي الزوبعي

الملخص:

تمثل المخطوطات العربية تراث الأمة الخالد الذي يدل على رقيها العلمي والثقافي وإسهامها الفعال في بناء الحضارة الإنسانية، فهي الوعاء الحاوي لهذا التراث، ويمثل تاريخ المخطوط العربي العمق التاريخي لحضارة الأمة، ولذلك فإن الاهتمام بالمخطوطات والعناية بها من حيث حفظها وترميمها وتجليدها وفهرستها ومعرفة تكوينها هو صيانة لهذا التراث من التلف والضياع وأما تحقيق المخطوطات فهو إحياء لهذا التراث وتقديمه بين يدي أبناء الأمة الإسلامية لينهلوا من هذا التراث العلمي والثقافي، فيزداد ارتباطهم بحضارة أمتهم ويعظم يقينهم بإنجاز أجيال الأمة السابقين، وتتعزز ثقتهم بحاضرهم فيمنحهم ذلك عزماً على تواصل العمل لتجديد البناء الحضاري للأمة الإسلامية.

وقد ظهر الاهتمام بالمخطوطات وقواعد تحقيقها ونشرها في وقت قريب والكلام في تحرير المصطلحات والمفاهيم في وقت أقرب، فعند النظر في الكتب المصنفة في علم المخطوط العربي من أهل المعرفة والتخصص نجد أن كتب الجيل الأوّل قد خلت من وضع تعريف لهذا المصطلح، وركزت تلك المصنفات على أهميّة المخطوطات وأنواعها وأماكن وجودها وفهرستها والعناية بها وقواعد تحقيقها، والسبب في ذلك أن علم المخطوط العربي بدأ بجمع أساسياته ومرتكزاته في النصف الثاني من القرن العشرين، وهذه مدة تعد قصيرة في عمر أي علم من العلوم الأخرى.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى وسلم على رسوله الأمين محمد وآله ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين. أما بعد.

فتمثل المخطوطات العربية تراث الأمة الخالد الذي يدل على رقيها العلمي

والثقافي ويؤكّد أصالتها في بناء الحضارة الإسلامية والإنسانية، فالمخطوطات هي الوعاء الحاوي لهذا التراث، ويمثل تاريخ المخطوط العربي العمق التاريخي لحضارة الأمة الإسلامية، ولذلك فإن الاهتمام بالمخطوطات والعناية بها من حيث حفظها وترميمها وتجليدها وفهرستها ومعرفة أبناء تكوينها هو صيانة لهذا التراث من التلف والضياع، وأما تحقيق المخطوطات فهو إحياء لهذا التراث وتقديمه بين يدي الأمة الإسلامية لينهلوا من هذا التراث العلمي والثقافي، فيزداد ارتباطهم بحضارة أمتهم ويعظم يقينهم بإنجاز أسلافهم، وتتعزز ثقتهم بحاضرهم فيمنحهم ذلك عزماً على تواصل العمل لتجديد البناء الحضاري للأمة الإسلامية.

من هنا تتبين لنا أهميّة علم المخطوط العربي الذي تشمل عناصره جميع المفردات المذكورة، كما تتبين لنا مكانة المخطوطات كمادة علمية وقيمة معنوية في بناء وتعزيز إمكانية بحثية لدى طلاب العلم في جميع التخصصات العلمية والإنسانية؛ وذلك لأن هذه المخطوطات تحمل في طياتها نصوصاً مختلفة في موضوعاتها ومتنوعة في تخصصاتها.

وقد ظهر الاهتمام بالمخطوطات وقواعد تحقيقها ونشرها في وقت قريب، والكلام في تحرير المصطلحات والمفاهيم في وقت أقرب، فعند النظر في الكتب المصنفة في علم المخطوط العربي من أهل المعرفة والتخصص نجد أن الكتب التي صنفت في بدايات هذا العلم قد خلت من وضع تعريف لهذا المصطلح، وركزت تلك المصنفات على الكلام عن أهميّة المخطوطات وأنواعها وأماكن وجودها وفهرستها والعناية بها وقواعد تحقيقها، والسبب في ذلك أن علم المخطوط العربي بدأ بجمع أساسياته ومرتكزاته في النصف الثاني من القرن العشرين، وهذه مدة تعد قصيرة في عمر أي علم من العلوم الأخرى، ومعلوم

أن التعريفات والتقعيدات لأي علم تظهر وتستقر بعد الأكثر استقرار أساسيات العلم وفروعه، قال الدكتور أحمد بنبين: مصطلح «مخطوط» حديث في كلّ اللغات وأن ظهوره أفرزه اكتشاف الطباعة[١].

وكان أوّل كتاب في هذا الفن هو كتاب الدكتور عبد السلام هارون (تحقيق النصوص ونشرها) ونشر عام (١٩٥٤م)، وقد ذكر فيه جانباً مهماً من هذا العلم وتطرق فيه إلى أهميّة التراث وقواعد تحقيقه وذكر أنواع الخط ومواد الكتابة، ولم يتطرق إلى تعريف مصطلح المخطوط العربي، وتلته مصنفات أخرى ولم تتطرق إلى تعريفات هذا المصطلح أو حصر عناصر علم المخطوط، إلى أن أشرف القرن الماضي على الانتهاء حينها ظهر الكلام في مصنفات العلماء عن مصطلح المخطوط في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحالي في محاولة لوضع تعريف لمصطلح المخطوط العربي وتحديد البدايات التاريخية له، فكانت محاولات جادة وانطلاقات قوية أثمرت فيها جهود العلماء الفضلاء عن جمع أساسيات علم المخطوط وفروعه ومصطلحاته، ولم يبق إلا العمل على إغناء جزئيات هذا العلم ومفاصله بالمعلومات الدقيقة ورفده بالبحوث الرصينة.

ولكن كأي علم في بدايته يبقى الفضل لجهود المؤسسين وتبقى هناك أشياء تختلف فيها الأنظار، ومنها موضوع مصطلح المخطوط العربي ومحددات وجوده وتاريخه، وهذه هي إشكالية الدراسة، وهذا هو السبب الذي دفعني إلى البحث في هذا الموضوع، في محاولة لاختيار أفضل الأقوال وأرجح الآراء التي دونها السادة العلماء في هذا الموضوع مع ذكر مرجحات تلك الأقوال، وهذا هو هدف الدراسة.. والله ولي التوفيق.

تضمّنت خطة البحث مقدمة ومبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: المخطوط العربي في اللغة والاصطلاح. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المخطوط في اللغة.

المطلب الثاني: المخطوط العربي في الاصطلاح.

وفيه ثلاثة محاور وكالتالي:

المحور الأول: تعريفات العلماء للمخطوط ومناقشتها:

المحور الثاني: تعريف المخطوط بوصفه لفظا موصوفاً (المخطوط العربي).

المحور الثالث: المصطلحات المقيدة للمخطوط.

المبحث الثاني: محددات وجود المخطوط العربي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المحددات الزمنية لنهاية المخطوط العربي.

المطلب الثاني: المحددات المادية لبداية وجود المخطوط العربي.

المبحث الأول

المخطوط العربي في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: المخطوط في اللغة:

المخطوط في اللغة كلّ ما كتب باليد من كتاب أو رسالة أو نقش. ومخطوط على وزن مفعول مثل مكتوب وهو من خط يخط فهو مخطوط، ويجمع على مخطوطات.

قال أحمد مختار: مخطوط مفرد: جمعه مخطوطات[٢] ومؤنثه مخطوطة[٣].

ويأتي اسم الفاعل منه بصيغة مبالغة على وزن فعال، فيقال: خَطَّاط، وصيغة المبالغة تأتي – في اللغة – بدلاً عن اسم الفاعل كما قال ابن مالك: فعال أو مفعال أو فعول في كثرة عن فاعل بديل[٤].

والخط: الكتابة باليد.

قال الفراهيدي: والخَطُّ: الكتابة ونحوها ممّا يُخَطُّ[٥].

وقال ابن دريد: خطّ الشَّيْء بِيَدِهِ يخطه خطا إذا خطه بقلم أو غَيره [٦].

وقال أبو بكر الأنباري:

«كأنّ أخا اليهود يَخطُّ وَحْياً بكافٍ في منازلها ولام»

قال: أراد يخط كتاباً [٧].

وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[٨]. يقول: لو كنت يا محمد تخط بيمينك أي تكتب أو كنت ممن يقرأ المكتوب لارتاب فيك من بعثتك إليهم [٩].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: خطط. خطّ الكتاب يخطه. ﴿**وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ وكتاب مخطوط[١٠].

وقال الزبيدي: الخَطُّ الكَتْبُ بالقَلَمِ، خَطَّ الشَّيْءَ يَخُطُّه خَطًّا: كَتَبَه بِقَلَمٍ، أَو غَيْرِهِ، قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُه فَشَجَانِي كخَطّ الزّبورِ فِي عَسِيبٍ يَمَانِ[١١]

وقال أحمد مختار خطّ الكتاب: كتبه خَطَّ نسختَه بيده بالقلم [١٢]، وقال أيضاً: مَخْطوط، كتاب أو وثيقة أو نص مكتوب باليد لما يطبع بعد[١٣].

وقال محمود السعران في علم اللغة: وكلمة Manuscript «مخطوط، أي باليد»[١٤].

وقال أحمد شوقي بنبين: المخطوط في اللغة هو كلّ ما كتب بخطّ اليد سواء كان كتابا أو وثيقة أو نقشاً على حجر[١٥].

قلت: ويستعمل لفظ الخط بالمعنى المجازي في مجالات كثيرة جداً.

قال الفراهيدي: والخَطوط: من بقر الوحش الذي يَخُطُّ الأرض بأظلافه، وكل دابة تَخُطُّ الأرض بأظلافها فكذاك[١٦]. وخَطُوط هنا اسم فاعل للمعنى المجازي للمبالغة، ومعناه كثرة الخط في الأرض.

وقال علي بن إسماعيل: والماشي يَخُطُّ الأرْض برجليه على المَثَلِ. قَالَ أَبُو عَليّ: وَلذَلِكَ قِيلَ فِي هَذا المعْنى كَتَبَ بِرِجلِهِ وَأَنْشد:

تخــطَّ رِجــــلايَ بــخــطّ مختلف تُكَتِّبان فِي الطَّريق لام ألف[١٧]

وقال الزبيدي: ويُقَالُ: فُلانٌ يَخُطُّ والْأَرْضِ إِذا كانَ يُفَكِّر فِي أَمْرِه ويُدَبِّرهُ، وَهُوَ مجاز، قالَ ذُو الرُّمَّة:

عَـشِـيَّـةَ مَــالِي حِـيـلَـةٌ غِـيـرَ أَنَّـنِـي بِلَقْطِ الحَصَى والخَطَّ فِي الـدّارِ مولَعُ

أَخُـطُ وأَمْحـو الخَـطَّ ثـمَّ أُعِـيـدُه بِكَفِّيَ والـغِـرْبـانُ فِي الـدَّارِ وُقَـعُ[١٨]

قلت: وإنما قالوا فيه مجاز؛ لأنه بغير قلم ولغير قصد الكتابة فيخرج عن أصل المعنى الموضوع له وهو الكتابة إلى استعمال آخر، وهو هنا في قول الزبيدي أقرب إلى الرسم منه إلى الكتابة.

ومن المجاز أيضاً ما جاء في الحديث بسنده الذي أخرجه الطيالسي في مسنده[١٩]: «عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً**﴾»[٢٠] الآية.

وهناك استعمالات أخرى كثيرة للفظ (خط) وهي بعيدة عن معنى الكتابة.

المطلب الثاني: المخطوط العربي في الاصطلاح:

ويتضمّن ثلاثة محاور وكالتالي:

المحور الأول: تعريفات العلماء للمخطوط ومناقشتها:

أول من تكلم في مفهوم المخطوط على حد علمي – هو الدكتور رزق الطويل، إذ قال: المخطوط الذي يعتد به، ويمكن أن يدخل في دائرة التراث هو ما دون قبل دخول الطباعة الحديثة في العالم العربي بمائة عام على الأقل، قياساً على الاصطلاح الأثري[٢١].

قلت: الاصطلاح الأثري لا يتطلب ذلك، وهذا المعنى غير منضبط بضابط محدد، بسبب عدم وجود وقت محدد لدخول الطباعة يمكن أن نقيس عليه، ثمّ ماذا نسمي المخطوطات قبل دخول الطباعة بخمسين عاماً مثلاً؟

ويظهر أن الدكتور رزق الطويل انتبه لذلك فأطلق تسمية مخطوط على رسائل الماجستير والدكتوراه، فقال في موضع آخر على أني أريد أن أنبه إلى قضية هامة: أن المخطوطات – برغم الاصطلاح الذي وضعته لها – لا تزال قائمة في عصرنا ممثلة في الرسائل العلمية لدرجتي التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) وحبيسة مكتبات الجامعات في العالم العربي، ولا يتاح النشر إلا للقليل منها[٢٢].

يتضح من الكلام الأخير للدكتور رزق الطويل فيما يخص هذا المطلب هو اعتباره كلامه الأوّل اصطلاحا لمعنى المخطوط، وذلك بقوله: «برغم الاصطلاح الذي وضعته لها»، لكن استدراكه على نفسه لا يبقي فائدة لاصطلاحه السابق، ويبدو أن الدكتور رزق الطويل أراد أن يفصل بين ما هو من مخطوطات التراث عن غيره من المخطوطات التي تلت الفترة التي ذكرها. وعرفه الدكتور فهمي سعيد بقوله: المخطوط هو كتاب لم يتمّ طبعه بعد[٢٣].

ولم يذكر الدكتور فهمي سعيد الكتابة باليد في تعريفه للمخطوط، لكنه مفهوم من قوله: (لم يتمّ طبعه بعد)، وقد بيّن ذلك في شرحه التعريف بقوله: أي ما زال بخطّ المؤلّف أو بخطّ ناسخ غيره أو أخذت عنه صورة فوتوغرافية أو أن يكون مصوراً بالمايكروفلم عن مخطوط أصلي[٢٤].

ولو قال: هو كتاب مكتوب باليد لكان أولى للمعنى، ولأغنى عن قوله: «لم يتمّ طبعه بعد إذ إن اسم المخطوط يدل على عدم طبعه، ولأغنى عن الشرح في قوله: أي ما زال بخطّ المؤلّف أو بخطّ ناسخ غيره، فلمّا حصل الابتعاد عن المعنى المطلوب احتاج إلى الشرح والتوضيح.

وقوله: «أو أخذت عنه صورة فوتوغرافية، أو أن يكون مصوراً بالمايكروفلم عن مخطوط أصلي»، قلت: صورة المخطوط لا تسمّى مخطوطاً على الحقيقة، وإنما تسمّى صورة للمخطوط، والمخطوط هو الكتاب المكتوب باليد سواء كان بخطّ مؤلّفه أو بخطّ ناسخ غيره، مثلما أننا إذا نظرنا إلى صورة بناية الكلية فنقول هذه صورة الكلية ولا نقول هذه الكلية، ولأجل ذلك يجب أن نقول في صورة المخطوط: المخطوط المصور تمييزاً له عن المخطوط المكتوب، وسوف أذكره في مطلب أنواع المخطوطات.

وقال الدكتور أحمد شوقي بنبين: المخطوط: هذه الكلمة التي نريد بها الكتب المكتوبة باليد[٢٥].

ثم قال: وهي ترجمة لكلمة (Manuscrit) الفرنسية الحديثة التي ظهرت مع الطباعة في مقابل كلمة مطبوع[٢٦].

وقال الدكتور عبد الستار الحلوجي: المخطوط: الكتاب المكتوب بخطّ اليد[٢٧].

ثم قال: وبذلك تستبعد الوثائق والنقوش والكتابة على الجدران والعملات والأنسجة وما في حكمها؛ لأن هذه الأشكال من الكتابة تدخل تحت علوم أخرى كعلم الوثائق وعلم الآثار، ومعنى هذا أن علم المخطوط ينصب على الكتاب ولا يتجاوزه إلى غيره من الأشكال المخطوطة، انتهى[٢٨].

وقال الدكتور محمد دباغ: المخطوط هو كتاب يعود تأليفه إلى أزمنة قديمة ولم يقع إخراجه حيث بقي بخطّ مؤلّفه وعلى شكله القديم وهي مختلفة[٢٩].

وهذا التعريف فيه إشكال؛ فقوله: «يعود تأليفه إلى أزمنة قديمة» لم يجعل لهذه الأزمنة أمداً محدداً، والذي يبدو لي أن الدكتور محمد دباغ يريد توصيف المخطوط ولم يقصد وضع تعريف اصطلاحي له يعني تعريف بالرسم لا تعريف بالحد.

وقال أمين عمار الددو: المخطوط: الكتاب المكتوب بخطّ اليد لا يتجاوزه إلى غيره من الأشكال المخطوطة[٣٠]، ثمّ قال: ويسمى مخطوطاً تمييزاً له عن الكتاب المطبوع، وقد ظهر هذا المصطلح متأخراً. قلت: «قوله: الكتاب المكتوب بخطّ اليد» يغني عن بقية الكلام، فمعلوم أن النقوش والزخارف والوثائق والرسائل لا تسمّى كتباً، عند النظر في تعريفات العلماء السابقة نلحظ أنها بنحو عام تدرجت مع الزمن في تحديد مفهوم المخطوط وتعريفه بدقة، وقد تواطأت كلمة العلماء على اعتبار المخطوط كتاباً واستبعدوا بذلك الوثائق والرسائل والنقوش والكتابة على الصخر والجدران.

قال الدكتور أحمد شوقي: إن الفيلولوجيين لا يقبلون استعمال لفظ مخطوط إلا إذا ألحق بكلمة كتاب، فيقولون: الكتاب المخطوط؛ لأنه ليس كلّ ما كُتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطاً، فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يمكن اعتبارها مخطوطات[٣١].

وبعد هذا العرض الموجز عن مصطلح المخطوط، يمكن القول عن تعريف الدكتور أحمد شوقي بنبين والدكتور عبد الستار الحلوجي هو التعريف الأمثل لكلمة مخطوط وهو: الكتاب المكتوب بخطّ اليد.

المحور الثاني: تعريف المخطوط بوصفه لفظاً موصوفاً (المخطوط العربي):

المخطوط العربي: هو الكتاب المكتوب باليد وباللغة العربية.

المقصود بهذا التعريف كلّ كتاب كتب باللغة العربية من دون غيرها، وليس المقصود بالمخطوط العربي عربية الجنس أو الوطن للمؤلف، كما إن كلّ أمة من الأمم تعد كلّ ما يكتب بلغتها من تراثها بغض النظر عن مكان أو جنسية الكاتب، وقد اتفق العلماء على هذا الأمر، أي اعتبار كلّ ما كتب باللغة العربية مخطوطاً عربياً.

قال الدكتور عبد الستار الحلوجي: فكل كتاب كتب باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم والتي تنطق بها الشعوب العربية في كلّ مكان حتّى يومنا هذا يعد كتاباً عربياً بغض النظر عن الأصول العرقية لكاتبه وبصرف النظر عن المكان الذي أُلّف فيه[٣٢].

المحور الثالث: المصطلحات المُقيّدة للمخطوط:

هناك ألفاظ للمخطوط مقيدة بالإضافة ومعناها محدد بما أضيفت له، وهي كما يأتي:

الأول: المخطوط الإسلامي: وهو المخطوط الذي كُتب باللغة العربية أو بلغات مجتمعات إسلامية استعملت الحرف العربي.

هذا المصطلح بهذا المعنى ذكره الدكتور أحمد شوقي بنبين تحت عنوان (المخطوط العربي الإسلامي)، وتسميته بالمخطوط الإسلامي أولى؛ لأنه يشمل

المخطوط العربي باللسان العربي وغير اللسان العربي من لغات الدول الإسلامية التي استعملت الحرف العربي.

وقد ذكره الدكتور أحمد شوقي بنبين في كتابه دراسات في علم المخطوطات ولم يذكره في معجمه، فقال: يعتبر المخطوط العربي الإسلامي ذلك المخطوط الذي تناول موضوعاً من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية، ونسخ بالحرف العربي ويتسع ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية كلغات إفريقيا السوداء واللغات الحامية كالأمازغية واللغات الهندية الأوروبية كالفارسية والأفغانية والأوردو أو الباكستانية والعثمانية والتركية، وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية التي استعارت حرف القرآن للكتابة، وقد تتبعها العالم الأوروبي جوفرو روبرت(G. Robert) وأحصاها فوجدها مائة وتسعاً وعشرين لغة[٣٣].

الثاني: المخطوط الحديث: قال الدكتور بنبين: يطلق في أوروبا على المخطوط الذي يكتبه المؤلّف بيده ويقدمه للطابع أو للناشر[٣٤].

ثم قال الدكتور بنبين والمخطوط الحديث ظهر بعد ظهور الطباعة، ويمكن أن يطلق على المخطوط العربي بعد ظهور الطباعة في العالم العربي[٣٥].

قلت: وتسميته بالتسمية الأوروبية نفسها (المخطوط الحديث فيه إشكال من جهة التعريف الغربي، حيث إن التعريف المذكور محدود المعنى ولا يتسع لحالات أخرى يعني قوله في التعريف: يطلق في أوروبا على المخطوط الذي يكتبه المؤلّف بيده ويقدمه للطابع أو للناشر، فهناك حالات يكتب فيها المؤلّف مصنفاته طوال حياته من دون أن يقدمها للطباعة، وقد يوصي بطباعتها بعد وفاته وقد لا يوصي بطباعتها، وتبقى بعده أعواماً عديدة قبل أن تطبع، وهي قد تبلغ عشرات المصنفات، ومن الناس من يكتب في السجن في هذا الزمان

ثمّ تكون بعده من تراثه وقد تبقى مدة طويلة بعده بدون طباعة، وربما حالات أخرى من هذا المعنى، لذلك أرى استحداث مصطلح المخطوط المعاصر الآتي ذكره.

الثالث: المخطوط المعاصر: وهو المخطوط الذي كتب بعد عصر الطباعة، وسوف يأتي مزيد بيان عنه في المبحث الثالث.

الرابع: المخطوط الجامعي: وهو المخطوط الذي يعالج إحدى المواد الأربع التي تدرس في الجامعات الأوروبية الأولى وهي: اللاهوت، والقانون، والطب، والفنون الحرة[٣٦].

قلت: وهذا المصطلح لا حاجة إلى المخطوط العربي فيه، وقد ذكره الدكتور أحمد شوقي بنبين في معجمه.

وهو المخطوط الذي حظي بعناية خاصّة من صاحبه.

قال الدكتور بنبين: مؤلف منجز في خط جميل وورق ثمين وغلاف مزدان بالذهب برسم خزانة خاصّة كخزانة وزير أو خزانة سلطان[٣٧].

الخامس: المخطوط الدعي: هو المخطوط النكرة الذي لم يُقابل على أصل الشيخ أو المؤلّف أو على نسخة موثقة[٣٨].

السادس: المخطوط الفريد: المخطوط الذي لا توجد منه نسخ أخرى[٣٩].

السابع: المخطوط المؤرخ: هو المخطوط الذي ضبط تاريخ كتابته[٤٠].

الثامن: المخطوط المطلق: وهو مخطوط غير مؤرخ[٤١].

التاسع: المخطوط الهجين: هو مخطوط مكون من صحائف ذات أنماط مختلفة (من الرق والورق)[٤٢].

العاشر: المخطوطات القيمة: هي المخطوطات[٤٣] المحتوية على مواضيع مهمّة، أو المكتوبة على مادة قيمة.

الحادي عشر: المخطوط المصور: هو عبارة عن صور للمخطوط التي أخذت له بواسطة وسائل التصوير الحديثة.

المبحث الثاني: محددات وجود المخطوط العربي

وضع العلماء قيوداً للمخطوط العربي منها ما يتعلق بإمكانية وجود أوّل مخطوط عربي ومنها ما يتعلق بزمن نهايته، وقد كان لذلك أثر في تاريخ المخطوط العربي من جهة أصوله الأولى ومن جهة امتداده واستمرار وجوده وبعض هذه المحددات ليست لها ضرورة في تعريف المخطوط ولكنّها تعبّر عن رأي واجتهاد أصحابها، وهي ليست محل اتفاق بين العلماء، وسوف نناقش هذه القيود من جهة البدايات الأولى للمخطوط العربي، ومن جهة نهايته، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: القيود الزمنية لنهاية المخطوط العربي:

وضع علماء المخطوطات نهاية زمنية لوجود المخطوط العربي وهو دخول الطباعة في البلاد العربية، وقسموا الكتاب بعد دخول عصر الطباعة على مخطوط ومطبوع، وعدّوا المخطوط مقابل المطبوع، فلا يسمّى المخطوط مخطوطاً إلا ما كان قبل عصر الطباعة، لكن الملاحظ وكما مرّ علينا في المبحث السابق، أن بعض العلماء أدخل هذه القيود ضمن التعريف، فحصل إشكال من جهة ضبط التعريف، وبعضهم جعل القيود خارجية مثل الدكتور عبد الستار الحلوجي، فلم تُشكل تلك القيود على التعريف نفسه لكنها أحدثت إشكالاً في المفهوم العام للمخطوط، إذ أخرج جزءاً من المخطوطات وهي المخطوطات المعاصرة المكتوبة بخطّ اليد، وهي داخلة في عناصر تعريف المخطوط، وسنرى تفاصيل

ذلك في أقوال العلماء التالية:

قال السيد رزق الطويل: وإذا أخذنا اصطلاح علماء الآثار في أن الأثر لا يعد أثراً إلا إذا مضى عليه مائة عام في الأقل، فإن المخطوط لا يعد من التراث إلا إذا كان مدوناً قبل ظهور الطباعة الحديثة، وعند ذلك يدخل في دائرة التراث المطلوب تحقيقه(٤٤).

ثم قال: المخطوط الذي يعتد به، ويمكن أن يدخل في دائرة التراث هو ما دون قبل دخول الطباعة الحديثة في العالم العربي بمائة عام في الأقل، قياساً على الاصطلاح الأثري(٤٥).

قلت: ولا شك في أن هذا التحديد يستثني عدداً كبيراً من المخطوطات ولمدة تقرب من ثلاثمائة سنة من الآن على اعتبار أن دخول الطباعة كان في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وهذه مدة زمنية كبيرة.

وقال الدكتور عبد الستار الحلوجي: ولفظ المخطوط يقابل المطبوع، ومعنى هذا أن عصر المخطوطات هو عصر ما قبل الطباعة سواء كانت طباعة حجر أم طباعة بالحروف المتفرقة التي ابتدعها جوتنبرج بألمانيا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وانتقلت إلى العالم الإسلامي بعد ثلاثة قرون أو يزيد(٤٦).

ثم قال الدكتور الحلوجي وبالإمكان تحديد نهاية عصر المخطوطات العربية بأوائل القرن التاسع عشر الميلادي(٤٧).

وفي كلام الدكتور عبد الستار الحلوجي استثناء للمخطوطات المتأخرة بما يقرب من مائتي سنة من الآن، وممّا لا شك فيه أن هذه القيود التي ذكرها العلماء تُشكل عليها أمور:

منها: أننا ماذا نُسمّي الكتاب المكتوب باليد في هذا الزمان؟ فإذا لم يكن

اسمه مخطوطاً بحسب القيد السابق وهو غير مطبوع، فماذا نسميه؟ ومنها: أنه على هذا المعنى سوف تستثنى الكثير من المخطوطات؛ لأنها غير داخلة في معنى المخطوط، ومنها: أنه لم يكن لدخول عصر الطباعة زمن محدد في الدول العربية لكي يكون مقياساً محدداً لنهاية المخطوط.

والذي يبدو لي أن كلام السادة العلماء له معنى عملي أغلبي، يعني أن المخطوطات قد انحسر وجودها بشكل كبير بسبب وجود الطباعة ولا توجد معوقات في بقاء الكتاب على شكله المخطوط لتيسر الطباعة وتوفر دور النشر بكثرة، لكن من حيث المفهوم فإن الكتابة باليد لا تنتهي، وكثير من العلماء المعاصرين يحتفظ بمؤلّفاته مخطوطة ويوصي بطباعتها بعد موته أو قد لا يوصي بطباعتها فتبقى مدة من الزمن قد تطول أو تقصر بعد وفاته، كما إن بعض العلماء يكتب في السجن ويؤلف وهذه ظاهرة قديمة جديدة، وقد تتأخر طباعتها كذلك أو تنتقل من المؤلّف إلى أشخاص آخرين وغير ذلك من الحالات الأخرى، وكلها مؤلّفات مكتوبة بخطّ اليد وهي داخلة في مسمى المخطوط، وربما يحتاج قسم منها إلى تحقيق وتتبع قبل طباعتها.

لذلك لم تكن هذه القيود محط قبول لدى كثير من العلماء، ورأوا فيها قصوراً في المفهوم العام للمخطوط.

بل إن بعضاً ممن قال بهذه القيود استدرك على نفسه وجعل كتابة المؤلّفات باليد في هذا الزمن داخلة في تسمية المخطوط وداخلة في المعنى الاصطلاحي للمخطوط، وممن قال بذلك السيد رزق الطويل، إذ استدرك على نفسه قائلاً: على إني أريد أن أنبه إلى قضية هامة: أن المخطوطات برغم الاصطلاح الذي وضعته لها – لا تزال قائمة في عصرنا ممثلة في الرسائل العلمية لدرجتي التخصص «الماجستير» والعالمية «الدكتوراه» وهي حبيسة مكتبات الجامعات

في العالم العربي، ولا يتاح النشر إلا للقليل منها؛ إذ يتيسر لأصحابها سبيل أو آخر للنشر حتّى الرسائل التي يُوصى بطبعها لا يرى النور منها إلا النزر اليسير، وهذا يعني احتباس جهود مضنية كان يمكن أن يستفيد بها عدد كبير من الباحثين، وممّا يذكر ويشكر لوزارة الأوقاف العراقية أنها في خطتها الراشدة في نشر التراث؛ إذ بلغ ما أصدرته نحو اثنين وخمسين كتاباً نجد فيها رسائل علمية للطلبة العراقيين نالوا بها درجات علمية من جامعات مصر وغيرها[٤٨].

وهنا كلام السيد رزق الطويل الأخير استدراك على كلامه الأوّل عن مفهوم المخطوط، إذ جعل الرسائل الجامعية ضمن المعنى الاصطلاحي للمخطوط، فلا تبقى حاجة لكلامه الأوّل بل نعتمد كلامه الأخير.

وقال الأستاذ عبد السلام هارون: وممّا يجب التنبه له أن ليست آثار العث والأرضة والبلى تدل دلالة قاطعة على قدم النسخة، فإننا نشاهد تلك الآثار في مخطوطات قد لا يتجاوز عمرها خمسين عاماً، كما رأينا بعضاً من المخطوطات الحديثة يزوِّرها التجار بطريقة صناعية حتّى يبدو ورقها قديماً بالياً[٤٩]. والشاهد في كلامه أنه سمّى المخطوط قبل خمسين عاماً بالتسمية نفسها، فقال: «مخطوطات قد لا يتجاوز عمرها خمسين عاماً، وقال أيضاً: المخطوطات الحديثة، فهذا يدل على أن الأستاذ عبد السلام هارون لا يرى لهذه القيود ضرورة.

لذا من المناسب أن لا نجعل لمصطلح المخطوط نهاية زمنية، ويمكننا أن نطلق على المؤلّفات التي تكتب باليد في هذا الزمن اسم (المخطوطات المعاصرة)، حيث لا يمكن تسمية مثل هذه المؤلّفات بالمطبوعات من جهة، ومن جهة أخرى أنها داخلة في مفردات التعريف الاصطلاحي للمخطوط العربي.

المطلب الثاني: القيود المادية لبداية وجود المخطوط العربي:

وضع العلماء محددات لإمكانية وجود المخطوط العربي وهي وجود كتابة

وكتاب ووجود مواد صالحة لتكوين الكتب ووجود تراث تتم كتابته، ولا شك في أن هذه المحددات ترسم تاريخ المخطوط العربي وبدايات ظهوره.

قال الدكتور عبد الستار الحلوجي من المعلوم أن الكتب لا توجد في أمة من الأمم إلا إذا توافرت لها عناصر ثلاثة هي:

أ- وجود كتابة وكتاب.

ب- وجود مواد صالحة لتلقي الكتابة وتكوين الكتب.

ج- وجود تراث يحرص الناس على تسجيله واقتنائه [٥٠] انتهى.

وبحسب هذه النقاط المذكورة، اختلف العلماء في البدايات الأولى للمخطوط العربي، هل بداياته إسلامية أو بداياته تمتد جذورها في العصر الجاهلي إلى أيام المعلقات على جدران الكعبة المشرفة.

فمن قال: إن بدايات المخطوط العربي القصائد الشعرية السبع المشهورة التي هي علقت على جدران الكعبة المشرفة، احتج لرأيه بروايات تذكر القصائد المشهورة التي علّقها العرب على جدران الكعبة المشرفة، ولكن لم تكن تلك الروايات محل اتفاق بين العلماء في مسألة ثبوتها، فضلاً عن أن الشعر العربي في ذلك الزمن كان يحظى بعناية فائقة ويحفظ في الصدور من قبل الشعراء أنفسهم ومن قبل الرواة عنهم الذين كانوا يحفظون شعرهم وينشرونه بين القبائل.

ومن قال: إن بدايات المخطوط العربي إسلامية، عد القرآن الكريم هو أوّل كتاب مكتوب باليد وصل إلينا، وإن كانت جذور الكتابة وإمكانات وجودها أقدم من ذلك بعشرات السنين، لكن لم يكن هناك موضوع قبل القرآن الكريم قد حظي بالاهتمام والتدوين بحيث يؤلّف منه كتاب.

أما القرآن الكريم فقد كانت عناية رسول الله ﷺ في حفظه وتدوينه تفوق كلّ اهتمام، وقد اتخذ رسول الله ﷺ كتّاباً لتدوين القرآن الكريم، وقد كُتب

القرآن كاملاً في زمن رسول الله ﷺ، فالقرآن الكريم الذي كتبه رسول الله ﷺ هو أوّل كتاب عربي مكتوب بخطّ اليد، بخلاف من قال: إن مصحف عثمان هو أوّل مخطوط، وسوف أذكر هنا الأدلة على تحقق هذه المتطلبات الثلاثة في كتابة القرآن الكريم كاملاً في زمن رسول الله ﷺ وهي كما يلي:

أولاً: وجود كتابة وكتاب:

عرف العرب الكتابة قبل الإسلام وكانت لهم عناية بتوثيق المعاهدات والتحالفات التي تحصل بين القبائل، وكان هناك كُتّاب قبل الإسلام يكتبون للناس ويوثقون معاهدات الصلح بين الناس، وقد أخرج البلاذري بسنده عن عَبْدِ الله بْن أبي جهم العدوي قال: دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب[٥١] ثمّ ذكرهم بأسمائهم، وقد كتب المشركون من قريش وثيقة مقاطعة بني هاشم وعلّقوها على الكعبة، وذكر في قصة إسلام عمر أنه وجد صحيفة لسور من القرآن الكريم في بيت أخته فقرأها فكانت بداية إيمانه، وأمر رسول الله ﷺ بإطلاق سراح كلّ من يُعلِّم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة من أسرى معركة بدر وهم من قريش.

ولما نزل القرآن الكريم ذكر مسألة القراءة أولاً والكتابة وأدواتها كالرق والقلم، ففي الآيات نزولاً قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٥٢]، وقال تعالى: ﴿**وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**﴾[٥٣]، وحتّى المداد له ذكر في القرآن الكريم وهو مادة الكتابة، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾[٥٤].

وقد اتخذ رسول الله ﷺ كتّاباً يكتبون له الوحي والرسائل والكتب الخاصّة،

إذ كتب رسول الله ﷺ معاهدة صلح الحديبية، وكتب لأبي شاه كتاباً فيه تعاليم الإسلام، وكان يُوجّه الرسائل المكتوبة إلى ملوك الأرض، وكان عبد الله بن عمرو يكتب حديث رسول الله ﷺ في صحيفته الصادقة، وهكذا كانت الكتابة معروفة لدى العرب مع وجود الكتاب، وهذا محط اتفاق بين الناس.

ثانياً: وجود مواد للكتابة فيها مرونة ولين تصلح لتكوين الكتب:

الآيات السابقة ذكرت الكتابة وأدواتها القلم والرق، وهناك آيات أخرى تحدثت عن الصحف والكتاب والقرطاس وهذه الآيات تدل على وجود الكتابة وأدواتها، وهنا لا أتحدث عن مجرد وجود هذه الأدوات، بل الحديث يجب أن يكون عن سهولة اقتنائها وتيسرها مع مرونتها وصلاحها لتأليف الصحف، فهناك أدلة كثيرة تدل على تيسّر الرق والأدم وهو من المواد المرنة خفيفة الوزن سهلة الاستعمال، وكان كُتاب رسول الله ﷺ يكتبون القرآن الكريم على الرقاع والأدم، ويمكننا أن نذكر بعض الأدلة على ذلك وكما يأتي:

١- أخرج البخاري في صحيحه حديثاً طويلاً في قصة سراقة بن مالك حين تعرض الرسول الله ﷺ في طريق الهجرة من مكة إلى المدينة، وقد حصلت لسراقة آيات من دلائل النبوة جعلته يؤمن برسول الله ﷺ، وفي الحديث أن سراقة سأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً، إذ قال: «فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ»(٥٥).

والرقعة مفرد رقاع، وهي إما من ورق وإما قماش وإما أديم، وهنا حددت بأنها من أديم، فهذا الحديث فيه دليل على توفر وسائل الكتابة حتّى في السفر في أثناء الهجرة، وهذا يعني أن رسول الله ﷺ كان شديد الاهتمام بالتوثيق، فبالرغم من كون رسول الله ﷺ في شدّة في أثناء الهجرة والطلب في أثره إلّا أنه كتب للرجل كتاباً كما طلب، إذ كانت أدوات الكتابة كالرقاع والأدم حاضرة

عنده في جميع الظروف في الحضر والسفر وهي أدوات مرنة سهلة الاستعمال والحمل والطي.

٢- أخرج مسلم في صحيحه عَنْ عُتْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، خَطَبَ النَّاسَ، فَذَكَرَ مَكَّةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا، فَنَادَاهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَقَالَ: «مَا لِي أَسْمَعُكَ ذَكَرْتَ مَكَّةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا، وَلَمْ تَذْكُرِ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا، وَقَدْ حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، وَذَلِكَ عِنْدَنَا فِي أَدِيمٍ خَوْلَانِيٍّ إِنْ شِئْتَ أَقْرَأْتُكَهُ، قَالَ: فَسَكَتَ مَرْوَانُ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ ذَلِكَ»(٥٦).

٣- أخرج أبو داود في سننه بإسناد عال قال: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا قُرَّةُ قَالَ سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ كُنَّا بِالْمِرْيَدِ فَجَاءَ رَجُلٌ أَشْعَثُ الرَّأْسِ بِيَدِهِ قِطْعَةُ أَدِيمٍ أَحْمَرَ فَقُلْنَا كَأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. فَقَالَ أَجَلْ. قُلْنَا نَاوِلْنَا هَذِهِ الْقِطْعَةَ الأَدِيمَ الَّتِي فِي يَدِكَ فَنَاوَلَنَاهَا فَقَرَأْنَاهَا فَإِذَا فِيهَا: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى بَنِي زُهَيْرِ بْنِ أَقَيْسٍ إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَأَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَدَّيْتُمُ الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَهْمَ الصَّفِيِّ أَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَرَسُولِهِ». فَقُلْنَا مَنْ كَتَبَ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٥٧).

فنرى أن هذه الأحاديث تتحدث عن كتابة رسول الله ﷺ العهود والمواثيق والرسائل والكتب الخاصّة، على الأدم وهي مواد فيها مرونة وسهلة الطي، ولم يحصل على حد علمي أن الرسائل والعهود كتبت على عظام أكتاف الإبل أو عُسب النخيل أو الرقم الطينية.

٤- إن وسائل الكتابة المرنة كانت متوفرة عند عامّة الناس ويستطيع أي إنسان أن يمتلكها في أي وقت، وفي كتاب حاطب بن أبي بلتعة دليل على ذلك

فقد أخرج أحمد في مسنده بسنده عن عُبَيْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيّاً، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ «خَانٍ»، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا. فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. قَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. قُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنَقْلِبَنَّ الثِّيَابَ. قَالَ: فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصِهَا[٥٨]، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ»[٥٩]، وهذا الحديث الأخير فيه دليل على تيسّر الرق لدى عامّة الناس ومنهم حاطب بن أبي بلتعة، واستطاعت المرأة أن تخفي الكتاب في عقاصها أي في عصابة رأسها لمرونته ولسهولة إدراجه وطيّه.

٥- أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنِ الزُّهْرِي قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِي وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ[٦٠]، وهذا الحديث فيه دلالة على أن كتابة القرآن الكريم كانت على الورق، قال الدكتور قاسم السامرائي وأنس يريد هنا صحيفة الرق، هذا الوصف يدل على أن القرآن قد كتب منذ البداية في الصحف وليس في اللفائف[٦١].

فهذه الأدلة تبيّن تيسّر الكتابة وتوفر أدواتها في كلّ الظروف، ظروف الحرب والسلم والحضر والسفر، وأهم هذه الأدوات هي الرقاع التي يمكن أن تصنع منها القراطيس والصحف لمرونتها وسهولة طيها وترتيبها. قال الدكتور أكرم عبد خليفة: وكانت العرب قبل الإسلام وبعده تعرف من وسائل الكتابة أدواتها اللينة كالجلد والورق ولا سيّما إذا تصورنا أن مكة كانت مركزاً تجارياً

مهماً تقوم التجارة فيها على توثيق العقود وتدوين الحسابات[٦٢].

ثالثاً: كتابة القرآن الكريم كاملاً على الرقاع في عهد رسول الله ﷺ:

اهتم الإسلام بالكتابة والتوثيق وحثّت الآيات القرآنية على كتابة الدين وعقود النكاح وعقود البيع، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾[٦٣]، فقد اهتم الإسلام بتوثيق جميع أنواع المعاملات والاتفاقات من أجل صيانة الحقوق ودفع الظلم، فكيف لا يهتم بكتابة القرآن الكريم الذي هو مصدر الحقوق والواجبات بوسائل كتابة تحفظه من المؤثرات الخارجية مع طول الزمن.

وقد وردت أدلة تبيّن أن القرآن الكريم كُتب كاملاً بأمر ومتابعة وتدقيق من رسول الله ﷺ وعلى وسائل فيها لين ومرونة، فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع[٦٤].

وهذا الحديث أخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَفِيهِ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ على أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا جُمِعَ فِي عَهْدِ رسول الله ﷺ انتهى[٦٥].

قال الذهبي: الحديث على شرط البخاري ومسلم. قلت: وفي هذا الحديث الصحيح تأكيد على أن رسول الله ﷺ كان قد كتب القرآن الكريم كاملاً بواسطة كتاب الوحي على الرقاع، فلا يبقى أدنى شك في ذلك، والرقاع هي مواد مرنة ومن السهل أن يصنع منها كتباً وقراطيس وصحفاً، قال ابن حجر: الرِّقَاعِ جَمْعُ رُقْعَةٍ وَقَدْ تَكُونُ مِنْ جِلْدٍ أَوْ وَرَقٍ أَوْ كَاغد[٦٦].

ومعنى التأليف في هذا الحديث هو ترتيب الآيات في السور وترتيب السور بالتعاقب، وهذا معناه أن ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم هو ترتيب توقيفي، وهو دليل آخر على أن كتابة القرآن وتأليفه كانت في زمن رسول الله ﷺ، وقد وردت أدلة كثيرة على أن ترتيب السور والآيات هو ترتيب توقيفي، ولا يسعنا ذكرها هنا لضيق المقام.

قال الزرقاني وصفوة المقال إن القرآن كان مكتوباً كلّه على عهد الرسول ﷺ، وكانت كتابته ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها(٦٧).

والملاحظ هنا أن راوي حديث جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ لم يذكر وسائل كتابة أخرى مثل العسب وأكتاف الإبل والرقم الطينية وغيرها، بينما ذُكرت هذه الوسائل الخشنة في حديث جمع القرآن على عهد أبي بكر، ويبدو من الواضح أن هذه الوسائل الكبيرة والخشنة كانت لبعض الصحابة الذين كتبوا بعض الآيات والسور من القرآن لأجل حفظها واستظهارها، فيكتب كلّ منهم بحسب ما تيسر له من رقاع أو عسب أو أكتاف الإبل وغير ذلك، وعلى هذا المعنى يحمل حديث جمع القرآن في زمن أبي بكر، إذ بقيت كتابات الصحابة الخاصّة بهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكانت عملية جمع القرآن في عهد أبي بكر أشبه بعملية التحقيق على النسخ في هذا الزمن، بمعنى تصحيح نسخ الصحابة على نسخة الأصل التي كتبها رسول الله ﷺ، وهذا أفضل توجيه لحديث جمع القرآن في عهد أبي بكر في ضوء أحاديث كتابة وجمع القرآن الكريم.

أما الأسباب التي دعت أبا بكر إلى ذلك العمل فهي عديدة منها: مقتل الحفاظ، ومنها: وجود الاختلاف بين الصحابة في صحفهم، لكن لم يكن هناك إجراء معيّن بشأن الصحف الموجودة عند الصحابة، بينما كان القرار بإلغاء تلك الصحف في عهد عثمان، وعلى افتراض أن بعض الآيات كتبت في أثناء

نزول الوحي في وسائل خشنة فهذا لا يمنع من نسخها في الصحف مرة أخرى وخاصّة أن الحديث السابق يبيّن أن رسول الله ﷺ كان شديد الاهتمام بالقرآن الكريم وكثير المراجعة له، وكان يقوم بترتيب الآيات والسور ويتعاهد ذلك باستمرار، وكان جبريل يعارض القرآن مع رسول الله ﷺ في كلّ عام مرة في شهر رمضان فلمّا كان العام الذي قبض فيه عارضه القرآن مرتين، فكانت هناك عناية متواصلة لكتابة القرآن الكريم من قبل رسول الله ﷺ لم تنقطع على الدوام حتّى وفاته.

إضافة إلى ذلك فإن هناك أحاديث كثيرة صحيحة وثابتة تدل على أن فرش المسلمين ووسائدهم كانت من الأدم، فكيف يتوسدون الأدم ويفترشونها ويكتبون القرآن على المواد الخشنة التي يصعب جمعها وحملها، والأدم بعد ترقيقها تصبح وسائل كتابة جيدة وليّنة وخفيفة الحمل ومقاومة، بل قد استمرت الكتابة على الجلود المرققة مع وجود البردي، بل ومع وجود الكاغد وذلك لمتانته وسهولة استعماله، قال الدكتور أيمن فؤاد سيد: وفي المغرب الإسلامي كان التحول لاستخدام الورق متأخراً حيث ظلّ الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتّى القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، بل إن المصاحف المغربية ظلت حتّى وقت قريب تكتب على الرق طلباً لطول البقاء(٦٨).

وقال الدكتور محسن عبد الحميد: لو صح أن معظم القرآن الكريم قد كتب على المواد الخشنة لكانت تلك المواد تحتاج في الهجرة إلى حمل قافلة؛ لأن القرآن الذي نزل بمكة يعد ثلثي القرآن، ولم تحدثنا أخبار الهجرة أن مثل هذه القافلة قد جيء بها إلى المدينة قبل النبي ﷺ أو بعده(٦٩).

نخلص من هذه الأدلة أن رسول الله ﷺ كان قد كتب القرآن الكريم كاملاً على الرقاع، وجمعه كاملاً وألّف منه مصحفاً، وأن الناس كانوا يكتبون لأنفسهم

نسخاً من القرآن الكريم على الرقاع، وبعضهم كتب لنفسه على أكتاف الإبل والعسب من أجل قراءة القرآن واستظهاره، فيكون بالنتيجة أن القرآن الكريم الذي كُتب بأمر وعناية رسول الله ﷺ هو أوّل كتاب مكتوب بخطّ اليد.

نتائج البحث:

نخلص بعد هذا التطواف الممتع في أقوال العلماء وآرائهم إلى النتائج التالية:

١- المخطوط في الاصطلاح هو الكتاب المكتوب بخطّ اليد، وقد اتفقت كلمة العلماء على هذا التعريف، إذ تمّ استثناء الرسائل والعقود والمعاهدات المكتوبة وعُدت وثائق وليست مخطوطات.

٢- لا يمكن وضع نهاية زمنية للمخطوط نقيد بها وجود المخطوط العربي، كما لا يمكن جعل دخول عصر الطباعة بداية لنهاية المخطوط، ولكن يمكن أن نطلق على المخطوط بعد دخول عصر الطباعة بالمخطوط المعاصر لتتفق بهذا القيد (قيد المعاصرة) المفاهيم والمصطلحات ونتجنب حدوث الإشكال فيها.

٣- إن وجود كتابة وكُتّاب في الصدر الأوّل للإسلام في عهد رسول الله ﷺ هو أمر محط اتفاق بين أهل العلم.

٤- توافرت الأدلة على وجود مواد للكتابة فيها لين ومرونة وتصلح لتأليف الكتب مع تيسر اقتنائها في عهد رسول الله ﷺ.

٥- بيّنت الأدلة أن رسول الله ﷺ كتب القرآن الكريم وجمعه كاملاً على الرقاع بواسطة كُتاب الوحي، والرقاع هي عبارة عن صحف يضمّ بعضها إلى بعض ليتألف منها كتاب، وعلى هذا يعد القرآن الكريم الذي كتبه رسول الله ﷺ أوّل كتاب عربي مكتوب بخطّ اليد.

تم هذا العمل بفضل الله تعالى ومننه وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على رسول الله محمد وآل محمد وسلم تسليماً كثيراً.

Abstract:

Title: Arabic Manuscript, Concepts and Terms and Their Impact on Determining Its Historical beginnings and extension of its existence.

Researcher: Dr. Atallah Madb Hammadi Zubaie.

Bn the name of Allah Most Merciful The interest in manuscripts and rules of their investigation and dissemination appeared soon, and the speech in editing terms and concepts appeared in sooner time. When looking at the classified books in the Arab manuscripts, we find the books of the first generation did not allude definition for this term but rather focused on the importance of manuscripts and their existence locations, indexing, care, and verification rules. The reason for this is that the science of Arabic manuscripts began to collect its basics and foundations in the second half of the twentieth century, and this is a short period in the life of any other science.

هوامش البحث:

١- دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، أحمد شوقي بنبين، ج١، ص٢٠.
٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، ج١، ص٦٦٥.
٣- المصدر السابق، ج١، ص٦٦٥.
٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج٣، ص١١١.
٥- المصدر السابق، ج٤، ص١٣٧.
٦- جمهرة اللغة، ابن دريد، ج١، ص١٠٥.

٧- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، ج٢، ص٣٤١.
٨- سورة العنكبوت.
٩- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، الأزهري، ج١، ص١٠٩.
١٠- أساس البلاغة، الزمخشري، ج١، ص٢٥٦.
١١- تاج العروس، الزبيدي، ج١٩، ص٢٤٨.
١٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، ج١، ص٦٦٢.
١٣- المصدر السابق، ج١، ص٦٦٥.
١٤- علم اللغة، محمود السعران، ج١، ص٢٣١.
١٥- نحو علم مخطوطات عربي، دكتور عبد الستار الحلوجي، ج١، ص٩.
١٦- العين، الفراهيدي، ج٤، ص١٣٦.
١٧- المخصص، علي بن إسماعيل، ج٤، ص٦.
١٨- تاج العروس، الزبيدي، ج١٩، ص٢٥٦.
١٩- أخرجه أبو داود في مسنده برقم (٢٤١)، وأحمد في مسنده برقم (٤١٤٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٢٩٣٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، قال الذهبي: صحيح.
٢٠- سورة الأنعام آية (١٥٣).
٢١- مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ج١، ص١٧١.
٢٢- المصدر السابق، ج١، ص١٧٢.
٢٣- تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، للدكتور فهمي سعيد والدكتور طلال مجذوب، ج١، ص١٣، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٢٤- المصدر السابق، ج١، ص١٣.
٢٥- معجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد شوقي بنبين، ج١، ص٢١٢، ط١، ٢٠٠٣.
٢٦- المصدر السابق، ج١، ص٢١٢.
٢٧- نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي، ج١، ص٩، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٨- المصدر السابق، ج١، ص٩.
٢٩- دراسات في التراث، محمد دباغ، ج١، ص٤٦، نقله عنه خالد محمد حسون، دور جامعة الملك عبد العزيز في حفظ وتحقيق المخطوطات، مجلّة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التخصصية، مجلّد ٢ عدد ٣ أيلول (٢٠١٨م).
٣٠- محاضرات مفرغة صوتياً، أمين الددو.
٣١- دراسات في علم المخطوطات، أحمد شوقي بنبين، ج١، ص١٣.

٣٢- نحو علم مخطوطات عربي، عبد الستار الحلوجي، ج١، ص٩.
٣٣- دراسات في علم المخطوطات، أحمد شوقي بنبين، ج١، ص١٧.
٣٤- معجم مصطلحات المخطوط العربي، ج١، ص٢١٣.
٣٥- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٣٦- المصدر السابق، ج١، ص٢١٢.
٣٧- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٣٨- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٣٩- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٤٠- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٤١- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٤٢- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٤٣- المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.
٤٤- مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، رزق الطويل، ج١، ص١٤٢.
٤٥- المصدر السابق، ج١، ص١٧١.
٤٦- نحو علم مخطوطات، عبد الستار الحلوجي، ج١، ص٩.
٤٧- المصدر السابق، ص١١.
٤٨- مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، رزق الطويل، ج١، ص١٧٢.
٤٩- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ج١، ص٣٨.
٥٠- نحو علم مخطوطات عربي، ج١، ص٢٣
٥١- فتوح البلدان البلاذري، ج١، ص٤٥٣.
٥٢- سورة العلق.
٥٣- سورة الطور.
٥٤- سورة الكهف.
٥٥- صحيح البخاري، كتاب اللباس، بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ، رقم (٣٩٠٥).
٥٦- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فَضْلِ المَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا، برقم (٣٣٨٢).
٥٧- سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب مَا جَاءَ فِي سَهْمِ الصَّفِيِّ، رقم (٣٠٠١).
٥٨- طيات شعرها، قال النووي في شرح صحيح مسلم: هُوَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ أَيْ شَعْرِهَا المَضْفُورِ وَهُوَ جَمْعُ عَقِيصَةٍ، ج١٦، ص٥٦.

٥٩- مسند أحمد برقم (٦٠٠)، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٠٧) و(٤٢٧٤) و(٤٨٩٠).
٦٠- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، رقم (٦٨٠).
٦١- علم الاكتناه العربي الإسلامي، دكتور قاسم السامرائي، ج١، ص٢٤٣.
٦٢- جمع القرآن، دراسة تحليلية لمروياته، ج١، ص٣٤.
٦٣- سورة البقرة آية (٢٨٦).
٦٤- صحيح ابن حبان، رقم (١١٤)، ج١، ص٣٢، والمستدرك، الحاكم، رقم (٤٢١٧) ج٢، ص٨، وأحمد في مسنده رقم (٢١٦٠٧)، ج٣٥، ص٤٨٤، وفيه زيادة في متنه، وغيرهم.
٦٥- المستدرك الحاكم، رقم (٤٢١٧) ج٢.
٦٦- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩، ص١٤.
٦٧- مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص٢٤٨.
٦٨- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، محمد فؤاد السيد، ج١، ص١٩.
٦٩- جمع القرآن، أكرم عبد، ج١، ص٣٥.

مصادر البحث:

- القرآن الكريم.
- دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، دكتور أحمد شوقي بنبين، ط٢، مراكش.٢٠٠٢
- نحو علم مخطوطات عربي، دكتور عبد الستار الحلوجي، ط١، دار القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار الفكر، سنة النشر ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى ٣٢١هـ) المحقّق رمزي منير، بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ الأولى، ١٩٨٧م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى (٣٢٨هـ)، المحقّق دكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢.
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، المحقّق

دكتور محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى ٥٣٨هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى (١٢٠٥هـ)، المحقّق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، طبعة ٢، القاهرة.١٩٩٧
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى، ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المتوفى (٤٥٨هـ)، المحقّق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى ٢٤١هـ)، المحقّق شعيب الأرنؤوط عادل، مرشد، وآخرون إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- السُّنَن، أَبو دَاوُدَ سُلَيْمَان بن الأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٢٧٥ هجرية، أرقام الأحاديث تتوافق مع طبعة دار الفكر بيروت، أرقام الأجزاء والصفحات تتوافق مع طبعة دار القبلة، بيروت، كتب الحواشي والتعليقات محمود خليل.
- المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، دار المعرفة بيروت بإشراف الدكتور يوسف المرعشلي.
- مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية.
- تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، الدكتور فهمي سعيد والدكتور طلال مجذوب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هجرية، ١٩٩٣م.
- معجم مصطلحات المخطوط العربي، الدكتور أحمد شوقي بنبين، ط١، مراكش، ٢٠٠٣م.
- دور جامعة الملك عبد العزيز في حفظ وتحقيق المخطوطات خالد محمد حسون، مجلّة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التخصصية، مجلّد ٢، عدد ٣، أيلول (٢٠١٨م).
- محاضرات مفرغة صوتياً، الدكتور أمين الددو رئيس قسم المخطوطات بمركز جمعة الماجد.
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله المحقّق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع الصحيح المسمّى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- جمع القرآن، دراسة تحليلية لمروياته أصل الكتاب رسالة علمية بكلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد أشرف عليها الدكتور عمر محمود حسين السامرائي، المؤلّف أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم الدارمي، البستي (المتوفى ٣٥٤هـ)، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، الناشر دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، المحقّق فواز أحمد زمرلي دار النشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- علم الاكتناه العربي الإسلامي، د. قاسم السامرائي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدكتور أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

المصدر: مجلّة كلية العلوم الإسلامية: العدد (٧٣)، ٢٠٢٣م.

المخطوطات الإسلامية مصدراً مهماً

في دراسات المستشرقين للتاريخ الإسلامي

أ.د. حاتم كريم اليعقوبي

الملخص:

للمخطوطات الإسلامية أهميّة كبيرة في حفظ التراث الإسلامي لما حوته من معلومات قيّمة حملت بين ثناياها أنواع المعارف والعلوم الإسلامية فتميزت بأصالتها وقربها من الحدث التاريخي ممّا دفع الباحثين المسلمين وغيرهم من الأوربيين الى الاهتمام بدراسة تلك المخطوطات للتعرف على أسباب تقدم ونهوض المسلمين وسرّ قوتهم التي أوصلتهم الى مشارف أوروبا.

كان للمستشرقين دور كبير في ظهور الكثير من المخطوطات الإسلامية الى حيِّز البحث والتحقيق نتيجة لوجود تلك المخطوطات في مكتباتهم بعد أن حصلوا عليها بطرق مختلفة كما سنرى ذلك من خلال هذا البحث إن شاء الله.

انطلاقاً من هذه الأهميّة ارتـأى الباحث اختيار هذا البحث الموسوم (المخطوطات الإسلامية مصـدراً مهماً في دراسـات المستشرقين للتاريخ الإسلامي).

خطة البحث:

- المحور الأول: بواكير اهتمام المستشرقين والمؤرخين المسلمين بالمخطوطات.
- المحور الثاني: طرق حصول المستشرقين على المخطوطات الإسلامية.
- المحور الثالث: مناهج المستشرقين في تحقيق المخطوطات الإسلامية ودراسة التاريخ الإسلامي.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى إبراز جهود المستشرقين في حفظ جزء مهم من تاريخ المسلمين ألا وهو المخطوطات وهنا تكمن صعوبة البحث في تعامل المستشرقين مع تلك المخطوطات والعقبات التي واجهتهم متمثلة بنوع الخط المستخدم ورقم المخطوطة والى أيّ عصر تنتسب فلا يمكن لأيّ باحث من تحقيق أي

مخطوطة ما لم يعرف نوع الخط والحقبة الزمنية التي كتبت في المخطوطة وكذلك نوع الحبر والورق المستخدم.

فلو تتبعنا جهود المستشرقين في هذا المجال لوجدنا أن القرن السابع الميلادي/ الأوّل الهجري قد شهد جميع المستشرقين للمخطوطات ونقلها الى أوروبا ومن ثمّ القيام بحفظها وفهرستها وتحقيقها ونشرها. وكان هذا العمل مبنياً على معرفة تامة بقيمة تلك المخطوطات وأهميتها وتنوّع معارفها وغزارة معلوماتها.

كانت أوروبا ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق وخير مثال على ذلك عندما أرسل (فردريش الرابع ملك بروسيا شخصاً يدعى (ريتشارد ليبسيوس) الى مصر عام ١٨٤٢م، وهيرتش بترمان في تاريخ سابق لذلك وهو عام ١٨٢٥م الى الشرق لشراء المخطوطات، وتمّ جمعها بطرق مشروعة وأخرى غير مشروعة وتمّ التعامل مع تلك الوثائق بمهنيّة وحرفيّة واعتناء وفهرسة مميّزة والحفاظ عليها من التلف ومعالجة ما هو تالف منها.

لقد كان البابا نيقولا الثاني مهتماً بجمع الكتب الإسلامية وهو الذي بعث أشخاصاً من قِبَلِهِ لجمع الكتب والمخطوطات من أماكن مختلفة في المشرق ورجع أحد مبعوثيه من الأندلس بحصان محملاً بالكتب الإسلامية، وكان المستشرق ويد ماترنز قد باع ما جمعه من مخطوطات وكتب بلغت أحد عشر مجلّداً لدوق بروسيا عام ١٥٥٨م، وويلهم بوستل الذي كان يمرّ بضائقة مالية جعلته يفرط بما جمعه من مخطوطات ويبيعها الى مكتبة (هايدلبرج) ثمّ صارت تلك المخطوطات مرجعاً رئيسياً في دراسات المستشرقين الألمان، وأوصى يوكهارت بما جمعه من مخطوطات لجامعة كامبردج، واشترت مكتبة برلين من البروفسور هايزش بترمان حوالي ألف مخطوط، وجلب القنصل البروسي في

دمشق لتلك المكتبة الفي مخطوط وكان للمستشرقين طرق متعددة في الحصول على المخطوطات سنذكرها في البحث إن شاء الله.

لقد استعان المستشرقون في عملية ترجمة المخطوطات والكتب الإسلامية بعدد من اللغويين المسيحيين الشرقيين أو محليين قد اعتنقوا الدين الإسلامي، وكانوا ينقلون الترجمة بالمعنى وحسب، ولّما كان هؤلاء الشخاص غير متمرسين وغير متضلعين باللاتينية، فقط استوجب نقل مضمون ترجمتهم الى اللهجة الرومانية الدارجة أولا، ومن ثمّ الى اللاتينية الفصحى قبل أن يصار الى الترجمة النهائية للنص.

بعد ذلك دخلت الترجمة مرحلة متطورة بإنشاء كراسيّ لتدريس اللغات الشرقية والأدب العربي وأدخلوا في الأقسام التي تعنى بدراسة التراث العربي وظيفة (قارئ نصوص) الى جانب الأساتذة والمحاضرين سنذكر بعضهم من خلال البحث.

المحور الأول

بواكير الاهتمام بالمخطوطات عند المسلمين والمستشرقين

مما لاشك فيه أن المخطوطات الإسلامية قد شكّلت أس التراث الإسلامي ومادته الأصلية في مختلف العلوم والفنون التطبيقية والإنسانية ممّا دفع الباحثين الى التحري عن هذه المخطوطات بشتّى الطرق والأساليب وشغلت حيّزاً كبيراً في المكتبات الإسلامية والأوربية، وقُدّر عددها بثلاثة ملايين مخطوط على وفق ما ذكره تقرير معهد المخطوطات العربية[1].

من الأسباب المباشرة التي أدّت الى وصول عدد كبير من المخطوطات الإسلامية الى أوروبا هو توسّع الفتوحات الإسلامية ووصولها الى الأندلس

ومشارف الصين ممّا شكّل حافزاً للمستشرقين لدراسة هذه المخطوطات وتحقيقها.

يُذكر أن مصطلح التحقيق لم يكن معروفاً عند المسلمين وانما ظهر في القرن الخامس عشر الميلادي ونشأ وترعرع في أوروبا على يد عدد من المستشرقين الذين تولّوا نشر الكتب اليونانية القديمة متجاهلين حدود علماء المسلمين فبل ذلك التاريخ والسبب في ذلك يعود الى ربطهم علم التحقيق بمصطلح التحقيق الذي بثّوه قبل المسلمين، ممّا دفعهم الى التغاضي عن الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء في مجال الاهتمام بالمخطوطات من ضبط ومعالجة والحفاظ عليها من آفات التغيير والتبديل، والعبرة بحقيقة الشيء لا بالمسمى، كما قيل من قبل: «لا مُشَاحّة في الاصطلاح»[٢].

ولم تظهر الأصول والقواعد النظرية في تحقيق النصوص المخطوطة عند الاوربيين إلّا في أواسط القرن التاسع عشر، وذلك بوضعهم للأصول النظرية العلمية لتنظيم العمل في النص المخطوط للوصول به الى أصله الصحيح بعيداً عن الخطأ وهو ما سمي عندهم حينها بـ (text criticism)[٣].

بينما نجد كلمة تحقيق ومهامّ المحقّق قد وردت في المصنفات الإسلامية في وقت سابق للاوربيين حينما أطلقت على العالم المدقّق في الكتب المعتني بتمحيصها، إذ كان يسمّى (مُحَقّاً) قال الجاحظ: «لم يخلُ زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلّا وفيه علماء مُحقُّون قرأوا كتب من تقدَّمهم ودارسوا أهلها ومارسوا الموافقين لهم، وعابوا المخالفين لهم، فمخضوا الحكمة وعجموا عيدانها ووقفوا على حدود العلوم فحفظوا الأمهات والأصول وعرفوا الشرائع والفروع، ففرّقوا بين الاشياء والنظائر»[٤].

وقد وردت أمثلة كثيرة على ذلك في كتب علماء الحديث حول ورود

كثير من الاصطلاحات والمفاهيم المتعلقة بالتحقيق تطابقت مع مناهج تحقيق المخطوطات من نسخ ومعالجة النص وضبطه في وقتنا الحاضر[٥].

وأصل التحقيق في اللغة هو إثبات الحقّ ويطلق على التصديق وإحكام الشيء وكل معاني التحقيق تؤدي الى طريق واحد وهو الكشف عن الحقيقة، والتحقيق عند أرباب التأليف وذوي الاختصاص هو فن عرض النص وكشف كوامنه وإحكام مادة المخطوط حتّى يثبت أصالته وعدم التلاعب به لكي يتمّ الاطمئنان للمادة الموجودة وتطابقها مع الحقائق التاريخية[٦].

ويقتضي على المحقّق ان يمتلك موهبة فنية وعلوم متنوعة تتعلق بكيفية حساب الأزمنة والتواريخ ونوع الخط والنص وسمات كلّ العصور وأسماء الأماكن ومواقعها[٧].

وبخلاف ذلك يكمن الشك والريبة في كلّ ما يكتب ومن الممكن ان تبنى أحكامٌ غير موثوق منها تفضي الى خلافات، كما يحدث في الأمور الاعتقادية والمذهبية وتتحول في النهاية الى صراعات مجتمعية.

وكان عدد المخطوطات العربية التي وصلت الى أوروبا بطرق متعددة من الشرق قد ازداد بصورة ملحوظة في القرن التاسع عشر، ممّا حفّز المستشرقين الى تبويبها وعمل فهارس لها ومن ثمّ بعد ذلك نشرها، وقد احتلّ مكانة بارزة في ذلك المستعرب الألماني فرديناند فستنفلد الذي درس اللغات السامية بجامعتي جوتنجن وبرلين وركّز في عمله على إبراز ونشر الأصول العربية لعدد من المصنفات الهامة في ميداني التاريخ والجغرافية، وكان أوّل ممن اشتغل بالفهارس المفصّلة ممّا سهّل مهمّة الباحثين الذين جاؤوا من بعده، إضافة الى ذلك ترجم لعدد من الشخصيات والأماكن مُشيراً في ذلك الى مصادرها الأُم[٨].

وفي مجال التاريخ فقد نشر سيرة ابن هشام ت ٢١٨ هـ التي أخذها من ابن

إسحاق (ت:١٥١هـ) في جزئين في عامي ١٨٥٨ و١٨٦٠م، ونشر تاريخ مكة أيضاً ووفيات الأعيان لابن خِلّكان (ت ٦٨٠هـ)، وبعض مصنفات المقريزي.

أمّا في مجال الجغرافيا فقد أخرج لنا فستنفلد كتاباً في غاية الأهميّة وهو (معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) بأجزائه الستة في حينه للمدة من (١٨٦٦-١٨٧٣م)[٩].

وقام بعمل آخر مهمّ في حقل الجغرافيا وهو نشره كتاب: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الذي انصبت معظم مادته ان لم تكن كلّها على الجزيرة العربية بوجه خاص، فذكر أسماء المواضع الواردة في القرآن الكريم والحديث والشعر الجاهلي ومغازي الرسول ﷺ، ولهذا السبب قدّم لمعجمه بمقدمة طويلة تعالج الكلام على حدود الجزيرة العربية ومناطقها، ونواحيها مثل الحجاز وتهامة واليمن في القسم الثاني من المقدمة، عالج موضوع القبائل المستوطنة في الجزيرة وعن ترحالها، وقد قابل معجمه قبل نشره مع المخطوطات المختلفة الموجودة في مكتبات ليدن وكمبرج ولندن وميلان واستخلص من هذه النسخ الأربع صورة كتبها بيده ونشرها في طبعة حجرية في مجلّدين كبيرين من القطع المتوسط، بلغ مجموع صفحاتها مع المقدمة والفهرس أكثر من تسعمائة صفحة، صدر المجلّد الأوّل منها عام (١٨٧٦م) وتلاه الثاني عام (١٨٧٧م).

غير أن النسخ التي اعتمدها فستنفلد لم تكن أفضل النسخ، وهذا ما اكتشفه العلّامة المصري مصطفى السقا، فتتبع مخطوطاته بمصر حتّى عثر على ثلاث نسخ، اثنين بدار الكتب المصرية والثالثة بمكتبة الأزهر، واتّضح له بعد الدراسة أنها أقدم زمناً وأحسن ضبطاً وأتمّ تفصيلاً من النسخ التي اعتمدها فستنفلد[١٠].

ومن الجهود المبكرة للمستشرقين في مجال تحقيق المخطوطات ما قام به المستشرق سلفستر دي ساسي silvester De Sacy (١٨٣٨-١٧٥٨م)، الذي

لقب بأبي المستشرقين، فقد قام بتحقيق مقامات الحريري وكليلة ودمنة وغيرهما، وكان له دور في ترجمة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر والحملة الفرنسية على مصر[١١].

واحتلّت المدرسة الالمانية مكانة متميزة من بين المدارس الاستشراقية الأخرى في تحقيق المخطوطات على الرغم من دورها المتأخر، فقد كان بروكلمان أحد روّاد هذه المدرسة وأتجه الى التعامل مع التراث الإسلامي المخطوط وهو مؤلف تاريخ الأدب العربي، وغوستاف باين الذي قام بنشر شرح المفصل لابن يعيش سنة ١٨٨٢م، كما قام بترجمة كتاب سيبويه الى الألمانية[١٢].

ونشر غوستاف برخ فلوجل (١٨٠٢-١٨٧٠م) فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية والسريانية والحبشية الموجودة في مكتبة القصر في ميونخ وحقّق أكثر الكتب ذا فائدة في فروع العلوم الإسلامية ألا وهو (كشف الظنون في أسامي الفنون)، وقضى أحد عشر عاماً من أجل تحقيق عنوانات الكتب بالاعتماد على مخطوطات فينّا وباريس وبرلين[١٣].

أما شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م) فقد كتب في علم الكلام والفقه الإسلامي والفلسفة وأخذ على عاتقه تحقيق عدد من المخطوطات الموجودة في إسطنبول والقاهرة وأماكن أخرى[١٤]، ومن أعماله الفلسفية مخطوط (مناظرة طبية فلسفية بين ابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري) وموسى بن ميمون في مواجهة جالينوس عام ١٩٣٥م).

أما هلموت رتر (١٨٩٢-١٩٧٢م) فقد كان مديراً لفرع الجمعية الشرقية الألمانية إسطنبول، وأشرف على تحقيق مجموعة من المخطوطات العربية والتركية والفارسية فأصدر مقالات الإسلاميين (١٩٢٩-١٩٣٣م)، وفرق الشيعة عام ١٩٣١م، واشترك في نشر رسالة الكندي (دفع) الأحزان عام ١٩٣٨م.

يُذكر أن الالمان لم يشتركوا في مجال البحث عن أحوال الشرق والاهتمام بتراثهم إلّا بعد أن توغل العثمانيون في أوروبا في الوقت الذي بدأت فيه بالاهتمام بدراسة لغات العالم الإسلامي لأسباب سياسية بالدرجة الأولى، فقام أمراء المسيح بشراء المخطوطات الشرقية لغرض دراسة تلك اللغات ممّا حفّز كريستمان (١٥٥٤-١٦٠٣م) في أوّل محاولة في المانيا لتدريس اللغة العربية ونشرها، ووَضَعَ فهرساً مختصراً لمجموعة من المخطوطات اقتناها أحد النبلاء الألمان، كذلك ألّف كتيباً لتعليم كتابة الحروف العربية وقام بجمع بعض آيات الأنجيل المترجمة الى العربية للتمرّن على القراءة وأقدم على جعل الحروف العربية على هيأة قوالب من الخشب للمطبعة[١٥].

وفي سياق الحديث عن أسبقية العرب في مجال الاهتمام بالمخطوطات ذكر المستشرق برجستراسر أن علماء الإسلام قد سبقوا غيرهم في وضع ضوابط التحقيق واهتمامهم بهذا الأمر والعناية به وبقيمة النسخ ومراتبها، حيث قال: «وكان كتاب المسلمين يشيرون غالباً الى وجود نسخ المخطوطات التي كتبت بخطّ مشاهير المؤلفين في أماكن بعينها، وقد بقي عدد لابأس به من أمثال هذه المخطوطات التي كتب بخطّ مؤلفيها الى يومنا هذا»[١٦]، وقال في موضع آخر: «ومن المرجّح أن علماء العرب كانوا أكثر تقديراً لقيمة المخطوطات المكتوبة بخطّ مؤلفيها من علماء الغرب»[١٧].

ومن أقدم الدراسات الاستشراقية عن السيرة النبوية هو كتاب (محمد) الذي ألفه القسيس إسكندر ديتوت) عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) بالتزامن مع سقوط الخلافة العباسية، وكتب (ثورميدا) كتاباً تحت عنوان (النبوءات) الذي حوى جانباً من الأخبار المتعلقة بالسيرة النبوية[١٨].

ومن الأعمال الأخرى ما قام به المستشرق البريطاني جات غانيه) من ترجمة

للسيرة النبوية منقول عن تاريخ أبي الفداء الى اللاتينية ونشرها في أكسفورد سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م، وقام المستشرق الهولندي (دي يونغ) بنشر سيرة ابن هشام مع ترجمة لاتينية في ليدن سنة ١٨٦٥[١٩].

المحور الثاني

طرق جمع المستشرقين للمخطوطات والحصول عليها

تعددت طرق حصول المستشرقين على المخطوطات الإسلامية، فتارة نجد أنهم قد حصلوا عليها نتيجة لخطوات مشروعة عن طريق البعثات التي أرسلت الى البلدان العربية، بدفع من رجال الدين في الكنيسة، وكانت أوّل محاولة في فرنسا عام (١٧٨٧م) وتحت إشراف وزارة المستعمرات وحرص ملوك فرنسا على إرسال سفراء رسميين لهذا الغرض وبذلك بلغ عدد الكتب والمخطوطات مجتمعة قرابة ستة ملايين منها سبعة آلاف مخطط عربي متنوعة، ضمّتها مكتبة باريس وحدها التي أشرف عليها مستشرقون سبق وأن أرسلهم الوزير (كولبير) الى الشرق في عهد الملك لويس الرابع عشر وتارة عن طريق العمل العسكري متمثلاً بما أرسله نابليون من مخطوطات وكتب أثناء حملته على مصر، وما ابتاعه قنصل فرنسا في القاهرة، واشتمل على نماذج وقطع من القرآن الكريم مكتوبة على الرق تعود الى القرنين الثاني والثالث والرابع للهجرة[٢٠].

ومن الطرق الأخرى التي اتّبعها المستشرقون في اقتناء المخطوطات الإسلامية هي الشراء، فقد أرسل ملك فرنسا فرانس الأوّل المبشّر فلهم بوستل الى الشرق ليشتري المخطوطات العربية وكتباً مهمّة لغرض التعمق في معرفة روح الإسلام، وكان ذلك في سنة ١٥٣٤م[٢١].

كذلك استغلّ المستشرقون الظروف التي لحقت ببلاد المسلمين كالمجاعة

التي حدثت في القرن الثالث عشر الهجري/ السابع الميلادي، واستغلالهم لظروف الحاجة والفاقة التي مرّ بها المسلمون فأقدموا على شراء المخطوطات منهم بأسعار زهيدة وحملوها بسفن كانت مليئة بالمخطوطات، وأصبح هناك في أوروبا أسواق متخصصة في بيع المخطوطات[٢٢].

كانت مراكز التواصل بين أوروبا والدويلات الإسلامية عديدة، أهمّها صقلية والأندلس وبالأقصى في طليطلة بعد أن ضمّها الإسبان المسيحيون لهم عام ١٠٨٥م، أما صقلية بعدما ضمّها المسلمون عام ٩٦٥م، ثمّ استعادها النورمان عام ١٠٩١م فأصبح هناك تبادل ثقافي بين المسلمين والنورمان برعاية الحكّام من أمثال روجر الثاني ملك صقلية، الذي كان يعمل[٢٣] في بلاطه شعراء وعلماء، ممّا دعاه الى تكليف الإدريسي (ت: ٥٥٩هـ) بتأليف كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وأهداءه له ويعدّ هذا المخطوط من أهم المخطوطات الجغرافية في العصر الوسيط.

لقد بنى المسلمون في صقلية حضارة راقية ذات معالم بارزة، فكراً وعلوماً وزراعةً واقتصاداً وخلفهم في ذلك النورمان، فاتّبعوا نهج المسلمين بالاهتمام بالأدب وأخذوا يترجمون الكتب من العربية الى اللاتينية واهتموا بالمخطوطات[٢٤].

وكانت الحروب الصليبية من بين أهم الوسائل التي استطاع الاوربيون بواسطتها من الحصول على المخطوطات الإسلامية عن طريق حملاتهم العسكرية المتعدة والاستيلاء على عد كبير منها بالقوة أو عن طريق الإغراء بالمال.

وهناك عامل آخر هو إرسال البعثات العلمية لغرض طلب العلم من أمثال ادلارد اوف باث وقسطنطين الأفريقي وأسماء أخرى وتكليفهم بالحصول على عدد من المخطوطات أمّا عن طريق إهدائها لهم أو شرائِها بمبالغ مدفوعة لهم

من قبل ملوكهم.

وعلى هذا الأساس ظهر طور جديد من الاستشراق من خلال الاستيلاء على المزيد من التراث الإسلامي وكنوزه المخطوطة وتضاعفت جهود النصارى في الغرب لغرض ترجمة هذا التراث الى لغاتهم(٢٥).

وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي التالي لعصر قرطبة الذهبي المتزامن مع عهد ملوك الطوائف سعى الفرنسيون الى اللحاق بأسلافهم الاوربيين والوصول الى الأندلس الإسلامية لدراسة العلوم والمعارف والفنون، وكانت الوفود تقصد غرناطة وإشبيلية ومدن أخرى لغرض الانتهال من الحضارة الإسلامية وتقاليدها وثقافتها الى الحد الذي جعل بعضهم يعتنق الإسلام وفضل البقاء في ديار الإسلام(٢٦).

ومن المؤكد أن من عاد منهم الى فرنسا قد اقتنى من مخطوطاتها ما تيسّر له منها كهدايا أو عن طريق الشراء، وتحولت هذه المخطوطات بمرور الوقت الى كتب مطبوعة استفاد منها المسلمون في مختلف العلوم.

وخير مثال على ذلك ما قام به الملك الفرنسي فرانسوا الأوّل الذي حكم من سنة ٩٢١هـ -٩٥٤هـ/ ١٥١٥م-١٥٤٧م، فبعد أن تاثر هذا الملك بمبادئ النزعة الإنسانية في عصره وأدرك قيمة العلاقات الثقافية مع الشرق قام بإرسال مبعوثين من بينهم المستشرق فيليوم بوستل (٩١١-٩٨٩هـ) والحقه في السفارة الفرنسية في تركيا وطلب منه شراء كلّ ما يستطيع من مخطوطات شرقية سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م ودوّن بوستل بدقة الاختلافات العرقية والدينية والسياسية التي تغمر الدولة العثمانية بعد أن جعل اهتمامه ينصب في دراسة اللغة العربية فتعلّمها على يد أحد المسلمين العثمانيين(٢٧).

المحور الثالث

مناهج المستشرقين في دراستهم للمخطوطات الإسلامية

سلك المستشرقون طرقاً وأساليباً متنوعة في دراستهم للتراث الإسلامي بعلومه المختلفة دفعهم الى ذلك عوامل متعددة، وعلى الرغم من وقوف بعض الباحثين المسلمين على تلك الأسباب واتخاذهم أحكاماً مختلفة بحق المستشرقين إلّا أنّ التقييم المنطقي لجهودهم في مجال دراسة المخطوطات وما آلت اليه من نتائج تسجل وبوضوح الدور الذي اضطلع به هؤلاء في الحفاظ على جزء مهم من تراث المسلمين والاستفادة منه، وبذلوا جهوداً كبيرة في ظهور ما اكتنزته تلك المخطوطات الى حيِّز الوجود وتحوّلت بتلك الجهود الى كتب لها قيمة علمية ومعتمدة في الدراسات الإسلامية.

من بين المناهج التي اعتمدها المستشرقون منهج إسقاط الأحكام المسبقة المترسخة في أذهانهم نتيجة لأسباب دينية أو اجتماعية أو اقتصادية على الروايات الإسلامية دون أن يكون لتلك الأحكام أيّ واقع في الأحداث الجارية في حينها.

على سبيل المثال لا الحصر ما حدث مع المسلمين في الهجرة الى الحبشة، إذ أرجعوا ذلك الى هدف المسلمين بتكوين قوة وقاعدة ينطلقون منها لإيقاف تجارة قريش بتحويل طرق سير القوافل الى طرق بديلة عن مكة[٢٨].

وهذا التفسير المادي لحدث الهجرة من منطلق استشراقي قد ذهب اليه مونتغري وات (Montgomery Watt) لغرض الابتعاد عن السبب الحقيقي ألّا وهو حجم المعاناة التي تعرض لها النبي محمد ﷺ وأتباعه في مكة.

وفي السياق نفسه نجد أن (وات) قد جعل من اعتزال النبي محمدﷺ الناس والذهاب الى غار حراء فرصة لإيهام القاريء بأن السبب في ذلك هو الفرار من حرٍّ مكّة في فصل الصيف[٢٩].

ومن الشبهات التي أثارها المستشرقون على الإسلام في القرون الوسطى أنه دين يتيح لأتباعه الفرصة لإشباع شهواتهم الجنسية منها بشكل خاص، وكثيراً ما كانوا يحسبون أنه لا حدود لعدد الزوجات التي يرغب الرجل بالزواج منهن، ولا يمنعه من ذلك سوى قدرته المادية ومع علم من ذهب الى ذلك بأن الدين الإسلامي قد أباح الزواج بأربع نساء فقط ولكنّه غالط نفسه وذكر أن عدد النساء يصل الى سبع أو عشر، وكثيراً ما فسّروا آيات قرآنية بخلاف تفسيرها الحقيقي على أنها توحي الى توجه المسلمين نحو الجنس وشهوتهم[٣٠] المفرطة، وتلك الآيات براء ممّا ذهبوا اليه. ومن خلال هذا التفسير يتبين بأنهم قد أسقطوا أحكاماً سابقة لا أصل لها في العقيدة الإسلامية.

يضاف الى ذلك أنّ المستشرقين قد أثاروا إشكالاً آخراً متمثلاً بتأثر الإسلام بالديانة المسيحية[٣١] وأن النبي محمدﷺ هو المسيح الدجال، وأن الإسلام هو هرطقة مسيحية بل أنّ الإسلام أسوأ من ذلك ومن الواجب اعتبار المسلمين كفرة، وعلى وفق هذا التجنّي الذي وسم اتجاه الاستشراق في العصور الوسطى فإن محمداًﷺ ليس بنبي وبما انه أسس ديناً جديداً لذلك يعد مساهماً ايجابياً في مساندة قوى الشر[٣٢].

اتّبع المستشرقون منهجاً آخر أعربوا فيه عن حقدهم الدفين ضد الإسلام ألا وهو منهج تحريف الحقائق من بين هؤلاء هو المستشرق جولد تسهير الذي طعن برواة الحديث النبوي الشريف بوصفه إياهم بأنّهم مجروحون وكذابون إذ قال إنّ زياد البكّائي (وهو أحد رواة الحديث كان كذوباً، على الرغم من علو

منزلته في الحديث بشهادة وكيع الذي يعدّ أحد أعمدة الجرح والتعديل. فلو نظرنا الى أصل النصّ الذي حرّفه جولد تسهير: «جاء في التاريخ الكبير للإمام البخاري: وقال ابن عقبة السدوسي عن وكيع: وهو زياد بن عبد الله البكّائي أشرف من أن يُكذّب»(٣٣).

وجاء ول ديورانت (Will Durant) بتحريف آخر، وهذه المرة عن النبي محمدﷺ نفسه فقد قال عنه: «وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب، ولكنّه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أن يهود خيبر قد دسّوا السمّ في اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة....»(٣٤).

ومن المناهج التي وسمت كتابات كُثر من المستشرقين استخدام منهج التشكيك والنفي الاعتباطي فبروكلمان على سبيل المثال لا يشير الى دور اليهود في تأليب الأحزاب ومحاربتهم للرسول محمدﷺ، ولا الى نقض بني قريضة عهدها مع الرسولﷺ في أشدّ ساعات محنته ولكنّه قال: «ثم هاجم المسلمون بني قريضة الذين كان سلوكهم غامضا على كلّ حال»(٣٥).

ليس الشك والنفي الاعتباطي وحدهما، بل الاعتماد على الروايات الضعيفة الشاذّة التي لا تصمد أمام النقد، لقد عبّر عن ذلك الدكتور جواد علي (رحمه الله) بقوله: «لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذّ والغريب فقدّموه على المعروف المشهور، استعانوا بالشاذّ ولو كان متأخراً أو كان من النوع الذي استغربه النَقَدَه وأشاروا الى نشوزه، تعمّدوا ذلك لأن هذا الشاذّ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشكّ»(٣٦).

وفي سياق منهج الشكّ نفسه يقودنا الكلام عن موقف بعض المستشرقين من القرآن الكريم كمصدر أساسيّ من مصادر السيرة النبوية، وذلك أن اعتماد

القرآن الكريم في هذا المجال يُعد سيفاً ذا حدّين، أحدهما السلبيّ الذي يقضي بنفي الكثير من أحداث السيرة مادامت لم ترد في القرآن الكريم، وكأن القرآن كتاب تاريخي خاصّ بتفاصيل حياة محمدﷺ، وهذا ساعد المستشرقين في انتقاء مُغرض وهدّام على الشكّ أو نفي كلّ رواية لايوجد لها جذر في القرآن، ولاسيّما إذا كان في الرواية تمجيد للنبي محمدﷺ، أو إذا كان نفيها يتلاءم مع توجهات بعض المستشرقين، على سبيل المثال نجد شبرنجر يرى أن اسم النبيﷺ ورد في أربع سور من القرآن هي آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وكلها سور مدنية، ومن ثمّ فأن لفظة (محمد) لم تكن اسماً للرسولﷺ قبل الهجرة، وانما أتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى[٣٧].

ومن المفاهيم الأخرى التي حاول بعض المستشرقين تعميمها على الدعوة الإسلامية، تجريدها من العالمية وتحجيم حدودها ووصفها بالإقليمية محاولة منهم عدم شرعية الفتوحات الإسلامية وتعريتها من المبادئ الإنسانية التي سعت الى نشرها في الآفاق.

ومن ذلك ما ذُكر بشأن التخطيط السابق لكلّ خطوات الرسولﷺ فقد أشار يوليوس فلهاوزن (Julius Wellhausen) الى أن الدعوة الإسلامية لم تنتقل الى المرحلة العالمية إلا بعد أن أتاحت لها الظروف وان الرسولﷺ لم يفكّر بذلك من قبل[٣٨].

وأضاف فلهاوزن أن الرسولﷺ لم يلجأ الى العنف في مكةَ وإنما تحوّل الى استخدام القوة بعد أن شكّل دولة في المدينة وتجمّع حوله المقاتلون، وصف ذلك بالقول: «لقد كان في وسع محمد عن طريق عقيدة تتجاوز دائرة معتقديها الدائرة التي ترسمها رابطة الدم أن يحطّم رابطة الدم هذه لأنها لم تكن بريئة من العصبية وضيقها، ولا كانت ذات صبغة خارجية عارضة هذا هو الذي جعلها

لا تتسع لقبول عنصر غريب عنها، ولكنّ محمداً لم يرد ذلك، ومن الجائز أيضاً أنه لم يكن يستطيع أن يتصور إمكان رابطة دينية في حدود غير حدود رابطة الدم»[٣٩].

ورفض المستشرق السير توماس آرنولد (Thomas Walker Arnold) في كتابه (الدعوة الى الإسلام) هذه الرؤية الخاطئة فقال: «من الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قد قصد به مؤسسه في بادئ الأمر أن يكون ديناً عالمياً برغم هذه الآيات البينات»[٤٠] ومن بينهم السير وليم موير William Muir إذ قال: «إن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد، وإن هذه الفكرة وعلى الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها، لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض أنه فكّر فيها فقد كانت الفكرة غامضة، فإن عالمه الذي يفكّر فيه، انما كان بلاد العرب، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيّأ إلّا لها وأن محمداً لم يوجّه دعوته منذ بعث الى أن مات إلّا للعرب دون غيرهم، وهكذا نرى أن نواة عالمية الإسلام قد غرست ولكنّها قد اختصرت ونمت بعد ذلك، فإنّما يرجع ذلك الى الظروف والأحوال أكثر منه الى الخطط والمناهج»[٤١].

الخاتمة:

بعد أن تابعنا البحث في هذا الموضوع تبيّن لنا مايلي:

(١) تعدّ المخطوطات الإسلامية الأساس الذي انطلق منه المستشرقون لجمع مادتهم العلمية حول التاريخ الإسلامي

(٢) على الرغم من سبق الغربيين للعرب في مجال الاهتمام بالمخطوطات إلا أن المسلمين قد عرفوا فنّ التعامل مع المخطوطات في وقت سابق للغربيين وبشهادة المنصفين من الغربيين أنفسهم.

(٣) تعددت طرق حصول المستشرقين على المخطوطات بحسب الظروف التي

أحاطت بهم إضافة الى طبيعة الظروف التي مرّت بها الدولة الإسلامية.

(٤) تعلّم الاوربيون اللغة العربية كمدخل لدراسة المخطوطات الإسلامية وخصّصوا لذلك كراسيَّ في الجامعات لتعليم اللغة العربية خاصّة واللغات الشرقية عامة.

(٥) اتّبع المستشرقون مناهجَ مختلفة في دراستهم للتاريخ الإسلامي وبالتالي أثّر ذلك في الأحكام التي أصدرها حول أحداث التاريخ.

Summary:

Islamic manuscripts are of great importance in preserving the Islamic heritage because of the valuable information they contained, which carried within them the types of knowledge and Islamic sciences. Europe.

The Orientalists had a major role in the emergence of many Islamic manuscripts into the field of research and investigation as a result of the presence of these manuscripts in their libraries after they obtained them in different ways, as we will see through this research, God willing.

Based on this importance, the researcher decided to choose this research marked (Islamic manuscripts are an important source in the orientalists' studies of Islamic history).

الهوامش:

(١) إحصائية معهد المخطوطات العربية، العدد ٢٣، ج٢، ١٩٧٧م

(٢) عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، ص١٤، ١٥.
(٣) برجستراتر، جوتهلف، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص١١.
(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، ج١، ص٣٣٨.
(٥) محمود المصري، تأصيل قواعد تحقيق النصوص، مجلّة معهد المخطوطات العربية، ص٤٦ وما بعدها.
(٦) عبد السلام هارون، تحقيق ونشر النصوص، ص٨-١٤.
(٧) المرجع نفسه، ص٢٢.
(٨) صورية الخمليشي، ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجس لاشير، ص١٧.
(٩) صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، ص٤٣.
(١٠) رائد أمير عبد الله، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الإسلامي، مجلّة آداب الرافدين ص٤٤.
(١١) رائد أمير عبد الله، المصدر نفسه، ص٤٠.
(١٢) رائد أمير عبد الله، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية، ص١٠.
(١٣) المصدر نفسه، ص١٠.
(١٤) المصدر نفسه، ص١٢.
(١٥) محمد عوني عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ص٢٣. (١٦) برمستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص١١.
(١٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها
(١٨) نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٧-١٩.
(١٩) سامي الصفار، دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، مجلّة المنهل، العدد ٥٧١ ١٤٠١/١٩٨٩ سنة
(٢٠) دياب، تحقيق التراث، ص١٨٠؛ رائد أمير عبد الله، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، ص١٤.
(٢١) محمد ياسين عريبي، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص٩٤؛ رائد أمير عبد الله: المصدر السابق، ص١٤.
(٢٢) طارق سري، المستشرقون ومنهج التزوير، ص.
(٢٣) المسيري، أثر الحضارة الإسلامية على أوربا، ص٦٥.
(٢٤) جاد محمد أحمد، أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوربية، ص٢٣٧.
(٢٥) محمد ياسين عريبي، الدوافع الدينية للاستشراق، ص٩٧.
(٢٦) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٢٧) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٨٧.
(٢٨) نعمان الجعيفري، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثة عند المستشرق مونتغمري وات ص٢٠٨.
(٢٩) مونتغمري وات، محمد في مكة، ص٨١.
(٣٠) الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، ص٦٠.
(٣١) أوّل من ذكر أنّ الإسلام هرطقة مسيحية هو يوحنا الدمشقي في القرن الثاني للهجرة، ينظر: يوحنا الدمشقي والهرطقة المئة، مكتبة الكتب المسيحية، ٢٠١٧م.
(٣٢) الشرقاوي، المصدر السابق، ص٦١.
(٣٣) عبد العظيم الديب، المصدر السابق، ص٢٨.
(٣٤) المصدر نفسه، ص٣٢.
(٣٥) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٥٣-٥٤.
(٣٦) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص١٤٥-١٤٦.
(٣٧) ينظر: جواد علي، تاريخ العرب، ٧٨/ ١.
(٣٨) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص٤.
(٣٩) يستشهد آرنولد بالآيات التالية: الأنبياء/ الاية ١٠٧، النور/ الاية ٧، الفرقان الآية ١، يس/ الآية ٦٩-٧٠، الصف/ الآية ٩.
(40) The Caliphate, pp. 43-44
(٤١) حياة محمدﷺ، ص٧٣.

المصادر:

- أحمد، جاد محمد، أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوربية، مجلّة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٥٠، سنة ٢٠١٣هـ/ ١٤٠١م.
- ارنولد توماس، الدعوة الى الإسلام، الدار المصرية للطباعة، ١٩٨٤م.
- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.
- بروكلمان كارل تاريخ الشعوب الإسلامية من ترجمة نبيه أمين فارس، بيروت، ١٩٦٨م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- الجعيفري نعمان العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثة عند المستشرق مونتغمري واط، مجلّة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٩٧.
- جوتهولف، براجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٩٥م.

- الحلوجي، عبد الستار المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- حمدان نذير الرسول في كتابات المستشرقين، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، د.ت.
- الخمليشي، حورية ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، د.ت.
- الديب، عبد العظيم، المستشرقون والتراث، الوفاء للطباعة، مصر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الشرقاوي، محمد عبد الله، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، القاهرة، د.ت.
- الصفار، سامي دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، مجلّة المنهل لسنة ١٩٨٩/ ١٤٠٩
- طارق، سري، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- عبد الرؤوف، محمد عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين الحقيقة والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- عريبي، محمد ياسين الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، المجلس القومي للثقافة، الرباط، ١٩٩١م.
- عريبي، محمد ياسين، الدوافع الدينية للاستشراق في نشأته الثانية والمتجددة في مراحل تطوره، مجلّة الفكر الإسلامي، السنة التاسعة عشر، ١٤٠٩هـ
- علي جواد، تاريخ العرب في الإسلام، تقديم فرحان صالح، د.ت.
- فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٦٨م.
- المصري، محمود، تأصيل قواعد النصوص، مجلّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.
- المنجد، صلاح الدين المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧٨م.
- موير، السير وليم، حياة محمد ﷺ، دار المعارف، مصر، القاهرة، د.ت.
- عبد السلام محمد هارون: تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- وات، مونتغمري، محمد ﷺ في مكة، ترجمة شعبان بركات، بيروت، د.ت.

المصدر: وقائع المؤتمر الدولي الثالث للجمعية العراقية العلمية للمخطوطات المنعقد في تركيا، فبراير ٢٠٢٣.

المخطوطات التاريخية غير المحققة

في مكتبة المسجد الأقصى

أ.د. مازن صباح عبد الأمير

الملخص:

المخطوطات هي المؤلّفات والمصنفات المكتوبة بخطّ اليد، ويرى كثير من المهتمين أن لفظة (المخطوط) ولدت بعد حدوث الطباعة، فأصبحت الكتب تقسم بعد ذلك إلى قسمين: مخطوط ومطبوع وتكتسب المخطوطات أهميّة كبيرة لاستيعابها دين الأمم وحضارتها، وعلومها وتاريخها، ولغتها، ولو نظرت إلى عدد المخطوطات التي تمت طباعتها قياساً على كمية التراث العربي والإسلامي المخطوط والمنتشر في دول العالم كافّة لوجدتها ضئيلة جداً. ومن هذه الدول فلسطين.

تعد فهارس المخطوطات الدليل الإرشادي لكل باحث ودارس ومحقق للوصول إلى النسخ المخطوطة المراد العمل عليها أو الرجوع إليها وأماكن حفظها حول العالم، ولكن لا زالت هناك نسبة غير معروفة من المخطوطات غير مفهرسة، الأمر الذي يجعل أمر الوصول إليها من الصعوبة بمكان في ظل افتقاد وجود فهارس مكتملة في بعض مراكز حفظ المخطوطات المتعددة في بلادنا العربية فقد سرّني أن يكون بين يدي فهارس قام بإعدادها الأستاذ خضر إبراهيم سلامة: (فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى) والذي اختصّ باثنا عشر مورداً وهي: علوم القرآن (قراءات وتجويد)، التفسير، الحديث ومصطلحه، أصول الدين، التصوف والآداب الشرعية، أصول الفقه، الفقه بفروعه الأربعة، الميقات، اللغة العربية، الأدب العربي، التاريخ، والتراجم (بما في ذلك السيرة النبوية)، المنطق. حيث جمع في هذا الفهرس عناوين مخطوطاتها وأسماء مؤلفيها وتاريخ وفياتهم وأرقامها وأماكن حفظها، وقد هدف من عمله أن يكون دليلاً إلى التعريف بالتراث الفكري والعلمي في القدس، وتيسير مهمّة تحقيق ونشر المخطوطات التراثية الموجودة في مكتبة المسجد الأقصى، وتسهيل الوصول إلى تلك المخطوطات المتفرقة في أماكن عديدة والحقيقة أن الأستاذ خضر إبراهيم

سلامة بذل في هذا الفهرس جهداً مشكوراً خدمة للعلم والتاريخ.

المقدمة:

تعد مدينة بيت المقدس في طليعة عواصم ثقافتنا الإسلامية ومن أهم مراكز العلوم العربية على مدى عصور متطاولة منذ فجر الإسلام حتّى نهايات العهد العثماني تعاقب عليها العلماء والفقهاء والمدرسون ابتداء ببعض الصحابة ومن تلاهم من كبار التابعين.

وكان المسجد الأقصى أوّل معهد في بيت المقدس تجمع فيه العلماء من المدرسين والمتعلمين من تلامذتهم في حلقات لدراسة الفقه والتفسير والحديث والأدب واللغة والسير والتاريخ وغيرها من فنون العلوم، ثمّ سرعان ما انتشرت من حوله المدارس والتكايا والخوانق والزوايا والربط وكان لكثير من هذه المؤسسات التعليمية والدينية مكتباتها الخاصّة بها التي تضمّ في خزائنها أعداداً من مختلف فروع المعرفة، تتفاوت في مقاديرها وفي أنواعها بتفاوت قيمة المؤسسات. وكان أهمّها وأكبرها خزائن المسجد الأقصى وقبة الصخرة وتضم بعض الكتب التي صنفها مؤلفوها وكتبوها بخطّ أيديهم في هذه المدينة.

وكثيراً من هذه المخطوطات لا يزال محفوظاً في صناديق غير مفهرس. فبدأ أمين المكتبة السيد خضر إبراهيم سلامة بفهرستها وأصدر الجزء الأوّل سنة ١٩٨٠ وبلغت عدد المخطوطات فيه ٢١٣ مخطوطة. وقد رأى المَجْمَع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية أن مثل هذا العمل سيصبح أعمّ نفعاً وأوسع فائدة لو كان أكثر ضبطاً وإتقاناً، فكلّف المجمع السيد خضر إبراهيم سلامة بالاستمرار في عمله وزوّده بأنموذج للعمل وبطاقات موحدة البيانات، وان يدرج الوصف المفصّل للمخطوطات على هذه البطاقات وَفق أسس الفهرسة الحديثة. ومن ثمّ أصدر الجزء الثاني سنة ١٩٨٣ وبلغت عدد المخطوطات

المفهرسة ٢٢١ مخطوطة وتمّ الجزء الثالث سنة ١٩٩٦ وبلغت فهرسة ٢٢١ مخطوطةً والجزء الرابع تمّ في سنة ٢٠٠٨ وبلغ عدد المخطوطات المفهرسة ٤٨٩ مخطوطةً.

موارد مخطوطات المسجد الأقصى:

جمعت مخطوطات المسجد الأقصى من مصادر متعددة غير أنّ كثرتها هي من بقايا مخطوطات دار كتب المسجد الأقصى التي أسست عام ١٩٢٢ وكانت في القبة النحوية على سطح الصخرة المشرفة والبعض الآخر من مكتبة مفتي القدس الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسيني المتوفى في مطلع القرن الثالث عشر الهجري؛ ومن الموارد الأخرى هي مكتبة رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس الشيخ خليل الخالدي المتوفى عام ١٩٤١.

وتضمّ فهارس المسجد الأقصى مخطوطات نادرة بعضها مكتوب بخطّ مؤلفيها، والبعض مكتوب في زمن هؤلاء المؤلفين وبعضها فريد لم تشر اليه المصادر والفهارس ولا توجد منها غير هذه النسخة الفريدة.

أقدم المخطوطات كتبت في المائة السابعة للهجرة وعددها ثلاث مخطوطات وفي المائة الثامنة عشرون مخطوطةً وفي المائة التاسعة إحدى وثلاثون مخطوطةً.

وقد تضمّنت هذه المخطوطات على البيانات والإشارة الى علامات التملك والإجازات التي وردت على هذه المخطوطات ولهذه العلامات قيمة كبيرة للمؤرخين في توثيق المخطوطة وترجيح زمن كتابتها حين لا يكون عليها ما يدلّ دلالة صريحة على تاريخ نسخها وفي تتبع أسماء الأعلام وضبطها الى غير ذلك من الاستنتاجات والترجيحات التي يعنى بها الباحثون.

وتُعَدّ المخطوطات التراثية وعملية البحث فيها من أهمّ الأدوات التي تشتدّ

حاجةٍ الدارسين إليها في شتّى العلوم؛ نظراً لأنها الوعاء الذي حفظ لنا تراث الأمة وعلومها، وبها يُعاد إحياء التراث من جديد. ولا شك أنّ رجوع الباحث للمخطوطات والتعامل مع فهارسها أمر لا غنى عنه في البيئة العلمية الجادّة، ويأتي بحثنا لإلقاء الضوء على فهرسة المخطوطات التاريخية غير المحقّقة في مكتبة بيت المقدس لغرض الاستفادة منها من قبل الباحثين وبيان قيمة الاطلاع على فهارسها ومعيار الحكم عليها، وغير ذلك من الأمور المهمّة.

انتهج السيد خضر إبراهيم سلامة في إخراج فهارسه وفق المنهج العلمي المتّبع في الفهارس المشهورة للمخطوطات العربية وحسب التقسيم الآتي:

١- سجل المخطوطات الذي يتألف من:

أ. الرقم المتسلسل.

ب. ذكر موضوع المخطوطة ورقمها ضمن مجموعة

٢- العنوان: ويتضمّن وضع إشارة على شكل (*) الى يسار العنوان لتنبيه القارئ الى المعلومات الواردة في الهامش التي تبيّن النسخ الأخرى لهذه المخطوطة في كتاب تاريخ الأدب لكارل بروكلمان وقد اشير في الهامش الى المخطوطة التي طبعت سابقاً.

٣- المؤلّف ذكر اسم المؤلّف كاملاً فضلاً عن تاريخ ولادته ووفاته (في حال معرفته)، وجمعت أسماء المؤلفين في كشاف خاص في نهاية الفهرس.

٤- الموضوع الفرعي: لم يكتفِ بالترتيب الموضوعي، بل ذكر الموضوع الفرعي لكل مخطوطة ومعلومات توضّح فيما إذا كانت هذه المخطوطة مؤلفاً مستقلاً أم شرحاً على مؤلف سابق، وفي حالة وجود شرح للمخطوطة فقد ذكرت معلومات توضيحية أساسية تتعلق بالمؤلف السابق ومؤلفه.

٥- تاريخ النسخ واسم الناسخ: جمعت أسماء النسّاخ الذين ورد ذكرهم في المخطوطات في كشاف خاص في نهاية الفهرس

٦- عدد الأوراق وقياساتها حيث أشار الى عدد السطور في كلّ صفحة وميز بين قياسات الصفحة طولاً وعرضاً وبين المساحة المكتوبة بذكر الأخيرة بين قوسين، لقد اعتمدت فهارس بيت المقدس على منهج المطبق في فهرس ماخ (كاربت بيرنسون) وذلك لتسهيل تجميع أوراق مبعثرة لمخطوطة بعينها، (قياسات الورقة وحدها لا يمكن أن يعتمد عليها في مثل هذا العمل إذ ربّما أصاب الورقة تآكل أو قُصّت هوامشها فاختلفت بذلك قياساتها).

٧- بداية المخطوطة وخاتمتها: لقد أثبتت بداية المخطوطة وخاتمتها كما وردت في النسخة التي عدّها السيد خضر إبراهيم سلامة، نقلاً عن المخطوطات الأصلية، أمّا الكلمات التي لم يتمكن معد الفهرس من قراءتها فوضع نقاط بين أقواس مكانها.

٨- الملاحظات: وهي وصف مختصر للمخطوطة ذكر فيها إن كانت بحالة جيدة أو إن كانت بحاجة الى ترميم ونوع الخط الذي كتبت به المخطوطة وكذلك ما فيها من رسوم وعلامات كالتملك والإجازات.

اختصاص المخطوطة	عدد نسخ المخطوطة في فهارس الجزء الأول	عدد نسخ المخطوطة في فهارس الجزء الثاني	عدد نسخ المخطوطة في فهارس الجزء الثالث	عدد نسخ المخطوطة في فهارس الجزء الرابع
علوم القرآن (قراءات وتجويد)	٧٠	١٥	٤٣	٢٣
التفسير	١	١٣	٢	٢٧
الحديث ومصطلحه	١٣	٣٦	١٣	٦٨
أصول الدين	١٥	١٨	٣٤	٣٥
التصوف والآداب الشرعية	١٣	٢٧	٩	٤٥

أصول الفقه	١٠	٢٢	٢٥	١٢٨
الفقه بفروعه الأربعة	٣٧	٣٩	٢٦	–
الميقات	–	٢	–	–
اللغة العربية	٢٠٦	٣٠	٢٦	١٦
الأدب العربي	١٨	٤	٣	٢٤
التاريخ والتراجم والسيرة النبوية	–	١٣	١٠	٤٤
المنطق	–	٢	٨	١٢
الفلك	–	–	٢	–
الجان	–	–	١	–
علم الوضع	–	–	١٣	–
إجازات	–	–	٦	–
حساب	٥	–	١	–
متفرقات	٥	–	١٠	٤٥
المجموع	٢١٣	٢٢١	٢٢٢	٤٦٧

المخطوطات التاريخية غير المحقّقة من فهارس بيت المقدس:

١- التاريخ والتراجم ١-١١١-٢

«بعض مشاهير أهل فاس في القديم»[١].

المؤلف: سليمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمد بن أبي النصر إسماعيل الشريف يورد المؤلّف تراجم لبيوتات مدينة فاس المشهورة منذ القدم.

أول المخطوطة: «... رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ذكر بعض مشاهير

خاتمة المخطوطة:

«... التلمسانيون منهم المفتي أبو عبد الله محمد بن أحمد المري... ومنهم كتاب وعدول ومنهم أهل ثروة انتهى ما وجد».

عدد الأوراق: ٤١ ب – ٤٨ ب

عدد السطور: ٢٣

تاريخ النسخ: غير وارد (القرن الرابع عشر الهجري)

الملاحظات: المخطوطة بحالة جيدة والخط مغربي تركت فراغات بين السطور يبدو أن الناسخ كان سيكتبها بالحمرة لكنه لم يفعل لسبب ما.

٢- عناية أولي المجد بذكر ال العباس ابن أبجر[٢]: سليمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمد بن أبي النصر إسماعيل الشريف، يبحث في تاريخ عائلة آل الأبجر، وهو على ثلاثة أبواب:

١- في ذكر جملة من أئمة بني أبجر وما كانوا عليه في جزيرة الأندلس.

٢- في انتقالهم من جزيرة الاندلس

٣- في ذكر من اشتهر منهم من العلماء.

أول المخطوطة:

« الحمد لله الذي وصّى بالمحافظة على أبناء الصالحين وجعل كلمته باقية الى وبعد فيقول الراجي من ربه العفو والغفران.».

خاتمة المخطوطة: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وكان الفراغ من تأليفه سلخ رجب سنة ستة عشر ومائتين والف».

الملاحظات: المخطوطة بحالة جيدة والخط مغربي تركت فراغات بين السطور يبدو ان الناسخ لم يستطع قراءتها من النسخة المنقول عنها يورد أسماء المترجم لهم في الهامش.

٣- نشق الأزهار في عجائب الأقطار[٣]:

المؤلف: ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي، الجركسي ٨٥٢ - ٩٣٠هـ/ ١٤٤٨- ١٥٢٤م. الموضوع: يبحث في التاريخ حيث يذكر أخبار النيل والأهرام وخطط مصر وأقاليمها وأقطارها وغير ذلك، وفي أوّله ذكر نبذة في علم الفلك وعلم الهيئة.

أول المخطوطة: «الحمد لله الذي عرف وفهم... وبعد فإنّي لما طالعت كتب تواريخ الأمم الخالية، ورأيت ما فيها من العجايب المتوالية فأحببت أن أجمع كتاباً لطيفاً أذكر فيه من أغرب ما سمعته وأعجب ما رأيته...»

خاتمة المخطوطة: «... وهذا آخر ما انتهى الى ما جمعته في هذا الكتاب ووقع عليه الاختيار من الأخبار... فرغ في يوم الجمعة المبارك رابع عشر شعبان المكرم سنة اثنين وعشرين وتسعماية... تمّ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه».

تاريخ النسخ: غير وارد (القرن الحادي عشر الهجري بخطّ أحمد الجعفري الازهري المالكي).

عدد الأسطر: ١٨.

عدد الأوراق: ٤٦٤.

الملاحظات: المخطوطة بحالة متوسطة وكتب بخطين مختلفين من أوّله حتّى ورقة (١٣٩ب) بخطّ يختلف عن باقي المخطوطة، يورد أسماء الأماكن التي يتحدث عنها بالحمرة في الهامش.

في أوّله علامات تملك باسم:

١- محمد أبو زريعة.

٢- محمود بن حيدر البغدادي.

٣- الشهاوي الحنفي. أربعة أبيات من الشعر لعبد الله الدنوشري في تقريض الكتاب.

٤- ضياء الأنوار (ج٢)[٤]:

المؤلف: السماسي علي بن الحسين (ت؟).

الموضوع الفرعي: تاريخ عام يبحث في فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام وآل البيت عليهم السلام ونكبتهم في عصر الأمويين وهو خمسون مجلساً.

تاريخ النسخ: الاربعاء ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م.

عدد الأوراق: ٢٢٣ ورقة.

أول المخطوطة: «الحمد لله الذي أضاء لنا الأنوار من مطلع المشيئة الأولية وهدانا بأنواره الى طريقته المستقيمة... أما بعد فلمّا فرغت عن تأليف المجلّد الأوّل من ضياء الأنوار...».

خاتمة المخطوطة: «... حالت بفقدهم الأيام فغدت سودا فكانت بهم بيضا لياليا وههنا منتهى ما أوردنا وآخر ما قصدنا تمّ جلد الثاني».

الملاحظات: المخطوطة حالتها جيدة جداً والخط جميل في أوّله قصيدة اسمها القصيدة النوروزتية كتبت في شعبان سنة ١٣٠٨هـ وفي آخر المخطوط قصيدة أخرى للمؤلف في مدح فاطمة الزهراء من ورقة ٢٢١ ب.

٥- مولد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم[٥]:

المؤلف: المدابغي، حسن بن علي بن أحمد بن عبد الله الشفعي الأزهري المنطاوي (١٧٥٦/ ١١٧٠)

الموضوع الفرعي: السيرة النبوية وهو اختصار كتاب بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين تأليف الغيطي (٩٨١هـ).

تاريخ النسخ: غير وارد (القرن الثالث عشر الهجري تقريباً (بخط عز الدين السواح الحموي الشافعي.

عدد الأوراق: ٤٠ ورقة

أوّل المخطوطة: «الحمد لله الذي أنار الوجود بمولد سيد المرسلين.... أمّا بعد فإن شهر ربيع الأوّل اختص بمنقبة عظيمة فاق بها على ساير الشهور»

خاتمة المخطوطة: «... سألت الارض لم جعلت مصلى ولم كانت لنا طهرا وطيبا، قالت غير ناطقة لأني حويت محمد الطهر الحبيبا، تمّ المولد المشرف».

ملاحظات: المخطوط حالته متوسطة وآثار الرطوبة بادية في جميع أوراقه والخط نسخي مشكول عادي ويذكر بروكلمان سبع نسخ مخطوطة للكتاب[٦]

٦- رسالة في فضل مولد الرسول ﷺ[٧]:

المؤلف ابن عقيلة، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي الملقب بالظاهر (١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م).

أول المخطوطة: «الحمد لله الذي أظهر وجود محمد ﷺ... أحمده على نعمه الجزيلة... فهذه لطيفة وردت على منشي هذه المقالة ومبدي هذه الرسالة في فضل مولده عليه الصلاة والسلام وبيان ما خص به من الإجلال».

آخر المخطوطة: «... إلهي لأن فاتنا رؤية نبيك عليه الصلاة والسلام فلم

تفتنا أخباره حتّى تعطرت به الأنام وأسرار جوده التي استنار بها الظلام ولك الحمد في كلّ وقت وحين على ما تفضّلت به علينا من وجود سيد المرسلين وصلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين تمت هذه النسخة المباركة».

تاريخ النسخ: ربيع الأوّل ١١١٤هـ/ ١٧٣١م

موضوعها: يورد أقوال العلماء في فضل رسول الله ﷺ منذ حملت به والدته آمنة بنت وهب رضي الله عنها الى يوم مولده نسخة جيدة آثار الأرضة والترقيع في جميع أوراقها[٨].

٧- مطالع النور السني المنبئ عن طهارة نسب النبي العربي[٩]:

المؤلف: الخفاجي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م).

أول المخطوطة: «الحمد لله الذي أراد أن يفتق الرتق المختص بحضرة العلماء والأسماء ويفتح حضرات الكرم والجود... أما بعد فاعلم أن روح سيدنا محمد ﷺ لما كان مظهراً للجمع الاحدي الذاتي والرتق العمائي الاستمائي والصفائي...».

آخر المخطوطة: «... واي فساد اعظم في الدين والوجود من اضافة النبي صلعم الى عرق المشرك واضافة الشرك الى من منه طلعت شمس التوحيد والايمان ومنه اشرقت انوار الرحمة على اعيان الممكنات في بقعة الامكان وبالله التوفيق والله يهدي من يشاء الى صرط مستقيم والحمد لله رب العالمين».

تاريخ النسخ: ٢ رمضان ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م

نوع الخط: خط نسخ جميل.

موضوعه: يبحث في السيرة النبوية وهو مرتب على تسعة مطالع:

- في انبعاث الروح المحمدي من الجمع الذاتي الاحدي الى الصورة الكمالية الإنسانية.
- في إثبات إسلام أبويه.
- في الآيات التي دلّت على بقاء ملة إبراهيم في ذريته.
- الأحاديث التي دلت على طهارة نسبه الى آدم عليه السلام.
- في إحياء أبويه وإيمانهما به.
- في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار.
- في بيان الفترة وبيان أهلها.
- في بيان من بقى على دين إبراهيم عليه السلام.
- في عدم التعذيب لمن مات في الفترة.

الملاحظات: نسخة جيدة رغم آثار الأرضة المحدودة فيها في هوامش بعض الصفحات شروحات وتعليقات حول الموضوع في آخر المخطوطة ما يفيد ان هذه النسخة قوبلت على النسخة التي قوبلت على نسخة مؤلفهما. وجاء في الورقات (١٠٦ - ١٠٩ ب) ما نصه:« وبعد فهذه مناجات الالهية تتضمّن زيد ما تقدم في هذه المطالع النورية جعلتها لهذا المؤلّف الشريف خاتمة راجيا بها حسن الخاتمة فجاءت ولله الحمد كالشمس الضاحية في المطالع الصاحية وهي هذه هي الهي اني اشهدك واشهد الائمة من السماء...» الخ[١٠].

الخاتمة:

إن رجوع الباحث للمخطوطات أمر له أهميته بلا أدنى ريب، وذات الحال بالنسبة للباحث في الدراسات التاريخية وترجع أهميّة ذلك في حق باحث الدراسات التاريخية تحديداً لأنَّ الدراسات التاريخية في أغلب مباحثها تعتمد

على نقل آراء من سبقونا إلى يومنا هذا، والمخطوطات هي الوعاء الذي حفظ لنا هذه الآراء، فأي خلل في هذا الوعاء –سواء من حيث الحفظ، أو الإتاحة أو التعامل سينعكس على الدارس من ناحية وعلى النتاج العام للدراسات التاريخية ككل بوجه خاص؛ ولهذا ارتأيت ان اقوم بعرض المخطوطات التاريخية غير المحقّقة للباحثين ليسهل الوصول إليها ودراستها وتحقيقها وبشكل عام يمكن أن نقول: إنّ استفادة الباحث في الدراسات التاريخية من النظر في المخطوطات تبرز من جوانب وجِهَاتِ عدة:

١- محاولة استيعاب الآراء الواردة في المسألة محلّ البحث فمن المعلوم أن الكثير من تراثنا لم يُنشر بعد، ومن البديهي أنّ من يريد الإحاطة بهذه الأقوال الواردة في المسألة المبحوثة مضطر إلى متابعة آراء العلماء والتقاطها من بطون هذه المخطوطات التي لم تُنْشَر.

٢- التأكد من سلامة النصّ المنشور فيما نُشِرَ من تراث الدراسات القرآنية قبل أن تُبنَى عليه النتائج فمن المعلوم لكل مَنْ عانى النظر في المنشور من كتب التراث أن الكثير منها نَشَرَ نشرات مشوَّهةً: إما لنقص في نصوصها أو لتصحيفٍ وتحريف أصابها، وهذا النقص أو التحريف سينعكس بلا شكّ على النتيجة النهائية التي سيصل إليها الباحث؛ إذْ سينبني عليه: إثباتُ المنفي، أو نفي المثبت، أو نسبة الآراء إلى غير قائليها، إلى غير ذلك من الآثار السلبية التي يمكن أن تنتج عن التصحيف والتحريف.

وحتى الكتب التي حُقِّقت تحقيقا جيّداً الحكم عليها بالجودة حكم أغلبي: إِذْ لا يخلو أيُّ كتاب منشور – مهماً علا قدر محققه وتوافر له من الأدوات اللازمة من عباراتٍ قلقة يضطر الناظرُ فيها إلى إزالة ما اكتنفها من غموض، وقد لا يتأتّى للناظر فيها إزالة هذا الاضطراب إلا بإعادة النظر إلى النَّسَخ الخطيَّة ليستوثق من صحة النصّ قبل أن يعتمد عليه بالاستنباط وبناء النتائج.

٣- التاريخ للعلم عبر أطواره المختلفة، وهذا التاريخ يقومُ على تتبع عناوين الكتب المصنّفة في العلم، ثمّ البحث عن وجودها والنظر فيما وجد منها وتحليل نصوصه، وكثير من هذه المصنفات والنصوص لا يمكن الوصول إليها إلا عبر الوقوف على مخطوطات هذه المصنفات؛ إما لأنها لم تطبع بعد، أو طبعت طبعات مشوّهة كما ذكرنا. والخلاصة أن الباحث إذا لم يعرف كيف يصل إلى هذه المخطوطات أولاً، ثمّ كيف يتعامل مع نصوصها ويخلصها ممّا طالها من التصحيف والتحريف قبل أن يبني عليها نتائج: سينعكس هذا سلباً عليه وعلى العلم.

Summary:

Manuscripts are handwritten works and works, and many interested people believe that the word (manuscript) was born after the occurrence of printing, so books were divided after that into two parts: manuscript and printed. Manuscripts acquire great importance because they accommodate the religion of nations, their civilization, their sciences, their history, and their language, and if you look at the number of manuscripts that have been printed in comparison to the amount of the Arab and Islamic heritage written and spread in all countries of the world, you will find it is very small. One of these countries is Palestine.

Manuscript indexes are a guide for every researcher, student, and investigator to access the copies of the manuscript to be worked on or refer to and the places

where they are preserved around the world, but there is still an unknown percentage of manuscripts that are not indexed, which makes access to them very difficult, in light of the lack of indexes. Completed in some centers for the preservation of multiple manuscripts in our Arab countries, I was pleased to have in the hands of indexes prepared by Professor Khader Ibrahim Salama: (Index of Manuscripts of the Al-Aqsa Mosque Library), which is devoted to twelve resources, namely: Quranic sciences (readings and intonation), interpretation, hadith and its term. Usul al-Din, Sufism and legal manners, Usul al-Fiqh, Jurisprudence with its four branches, Miqat, Arabic language, Arabic literature, History and translations (including the Prophet's biography), Logic. Where in this index he collected the titles of its manuscripts, the names of their authors, their date of death, numbers and places of preservation. The aim of their work is to be a guide to the definition of intellectual and scientific heritage in Jerusalem, and to facilitate the task of investigating and publishing heritage manuscripts in the library of Al-Aqsa Mosque, and to facilitate access to those manuscripts scattered in places There are many, and the truth is that Professor Khader Ibrahim Salama made a commendable effort in this bibliography in the service of science and history.

الهوامش:

١- خضر إبراهيم سلامة: فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى، ط٢، القدس، ١٩٨٣، ج١، ص١٨١.

٢- خضر إبراهيم سلامة، فهرس مخطوطات، ج١، ص١٨٧.

٣- خضر إبراهيم سلامة فهرس مخطوطات، ج١، ص١٨٨.

٤- خضر إبراهيم سلامة، فهرس مخطوطات، ج٢، ص٢١٧.

٥- خضر إبراهيم سلامة، فهرس مخطوطات، ج٢، ص٢٢٤.

٦- ٢/ ٤٢٩، ملحق ٢/ ٤٥٥، ٢/ ٤٣٠، ملحق ٢/ ٤٦٧.

٧- خضر إبراهيم سلامة، فهرس مخطوطات، ج٣، ص١٦٥.

٨- سلك الدرر، ٤/ ٣٠-٣١. الأعلام، ٦/ ١٣.

٩- خضر إبراهيم سلامة، فهرس مخطوطات، ج٣، ص١١٦.

١٠- كشف الظنون، ٢/ ٧١٨؛ الأعلام، ١/ ٢٣٨؛ خلاصة الأثر ١/ ٣٣١، ٣٤١.

المصدر: وقائع المؤتمر الدولي الثاني للجمعية العراقية العلمية للمخطوطات المنعقد في تركيا، تموز ٢٠٢٢.

المخطوطات العربية في تركيا

الأستاذ الدكتور صباح نوري المرزوك

The manuscripts' locker in Turkey include agreat numbers of the Arabic manuscripts. and this large amount of the manuscripts represent the rich heritage of nation and there was indexing a great numbers of them to help the researcher but there were a great number of them didn't disclosed yet. some of these indexes were translated to the Arabic language

Les réservoirs de manuscrits en Turquie contiennent de grands nombres de manuscrits arabes. et cette quantité reflète le grand héritage de la nation qui reserve réellement les sciences et les connaissances qu'on en a indexé un grand nombre et les mit parmi les mains des chercheurs. mais d'autres nombres de ces manuscrits restent encore non divulgués attendant le temps pour les révéler à fin de les mettre parmi les mains des chercheurs et certains de ces indexes étaient traduits à la langue arabe.

المقدمة:

على مدى عصور وقبل ان تظهر المطبعة لم يتوقف العرب عن تسجيل معارفهم وعلومهم بل كان الناسخون في حواضر العالم يتسابقون الى إشباع نهم القراء الى الكتاب.

ولم يكن عمل جمهور النساخ مجرد حرفة لتأمين سبل العيش تتوفر لها كلّ دواعي الإتقان، بل كان أيضاً رسالة تؤدى بكل خشوع المؤمن وبسالة المرابط

إذ كان للكلمة في الوجدان العربي والإسلامي قيمة مقدسة؛ وهذا الفهم أضفى على كلّ من يقوم بإنتاج الكلمة أو نسخها أو تسويقها قدراً كبيراً من التبجيل.

وبهذا الدأب والاحترام لهذه المهنة كان الكتاب العربي المخطوط متاحا لكل من يطلبه من حدود الصين الى جبال إسبانيا ومن أدغال أفريقيا الى صحارى جزيرة العرب.

ومنذ أن نزل القرآن الكريم على العرب غارسا فيهم سر الخلق والانبعاث ومحرضا لهم على القراءة والتفكير والبحث اكتظت خزائن ديار الإسلام بمئات الآلاف من المخطوطات العربية، توزعت على المساجد والمدارس والمكتبات العامّة والخاصّة، تشهد لهذه الأمة أن شعلة الإبداع لم تنطفئ وان غشاها ضباب التخلف في بعض الفترات.

ولكن هذا التراث الزاخر الذي يمثّل رصيد الأمة وهويتها، عدت عليه عوادي الزمن وتظاهر عليه الغزو الخارجي والفتن الداخليّة والجهل والإهمال، لتؤول الكثير من روائعه الى الضياع، فيما الكثير من ذخائره بطرق غير مشروعة الى خزائن دول لم تشارك بإنتاجه.

ولقد احتضنت المكتبات العامّة والخاصّة والمساجد والمدراس في تركيا الكثير من المخطوطات العربية وقد تمّ فهرسة بعض الأدلة على ذلك، وقد توزع ذلك على جميع محافظات ومدن الديار التركية. ولقد أتاحت لي فرصة التفرغ العلمي الذي تمتعت به في جامعة أنقرة للعام الدراسي ٢٠٠٩-٢٠١٠م الوقوف على المخطوطات الموجودة داخل أنقرة، ولكن المخطوطات العربية التي كانت في كلية الآداب قريبة مني كونها مقر عملي، فقد اطلعت على محتوياتها عرفت من المعلومات العامّة أنها تضمّ ١٥٠٣٩ مخطوطةً بين كتاب ورسالة، مفردا ومجاميع، وقد قامت الكلية منذ عام ١٩٩١م بفهرسة هذه المخطوطات إذ

شكلت لجانا للفهرسة والتدقيق والإشراف وقد ظهر الجزء الأوّل عام ٢٠٠٦م بمجلّد ضخم بـ ٤٠٠ صفحة ضمّ محتويات خزانتين داخل المكتبة، فالخزانة الأولى تضمّ ٤٣٣ مجلّدا لـ ٧٨٩ عنواناً منها ٣١٦ عنواناً بالتركية و٣٠٣ عنواناً بالعربية و١٧٦ بالفارسية والخزانة الثانية تضمّ ٦٦ مجلّدا: ٢٥ باللغة التركية و٣١ باللغة العربية و٤ باللغة الفارسية.

وقد قمت بترجمة هذا المجلّد الى اللغة العربية مع كتابه مقدمة تتولى مؤسسة جائزة السيد عبدالعزيز البابطين في الكويت مهمّة طبعه ونشره.

وتبقى الحاجة الى فهرسة وترجمة بقية الخزائن في العاصمة أنقرة وغيرها حتّى يتمكن القارئ من معرفة هذا العالم المجهول الغريب.

الخزانة الأولى:

١	١: شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور لجلال الدين السيوطي ت٩١١هـ)، خطه نسخ، حجمه ١١٥×١٠٧ملم، ١٣ سطراً في الصفحة، ٢٩٩ ورقة، يبدأ الكلام بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، تاريخ النسخ: ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م، موضوعه العقائد (ظ هدية العارفين ٥٤٠/ ١)، رقمه.(٢٩٧.٤)
٢	١/ ١٠: رسالة في الروح الانساني: لمؤلف مجهول، خطه نسخ، حجمه ١٥٥×١١٠ ملم، ١١ سطراً في الصفحة (من ص١٢٧١)، مكتوب بالمداد الأسود، غير مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧,٧).
٣	٢/ ١٠: رسالة في القضاء والقدر لمؤلف مجهول خطه نسخ، حجمه ١٠٢×٥٣ملم، ١١ سطراً في الصفحة (من ص٢٨ب- ٤١ب)، النقاط: والخطوط بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود غير مجلّد، موضوعه العقائد، رقمه (٢٩٧.٤).
٤	٣/ ١٠: تلخيص رسالة في خلق الأفلاك تأليف محيي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، خطه نسخ، حجمه ١١٥×١٠ملم، ١١ سطر في الصفحة، ٢- ٤٩ ب، النقاط والخطوط بالمداد الاحمر، والمتن بالمداد الأسود، غير مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧)، (ظ هدية العارفين.(١١٥/ ٢

٥	١٨: الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين: لشمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت/ ٨٣٣هـ)، خطه نسخ، حجمه ١٧٥×١٣٠ملم، ٩اسطر الصفحة، ٩٣ ورقة، بدايته بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود مجلّد، موضوعه الحديث (ظ/ كشف الظنون (٦٦٩/ ١)، رقمه (٢٩٧.٣).
٦	٢٢: رسالة في أسرار معاملة الدين: لركن الدين حسين بن عالم الحسيني الهروي (ت ٧١٩هـ):خطه نسخ وتعليق حجمه ١٦١×١١٣ملم، ١٥ سطراً في الصفحة، ٢٣ ورقة، بدايته بالمداد الاحمر، والمتن بالمداد الأسود، غير مجلّد، موضوعه علم الكلام، رقمه (٢٩٧.٤).
٧	٢٨/١: السلوة في شرائط الخلوة: لصدر الدين الموفق بن محمد الخاصي ت ٦٣٤هـ)، خطه،نسخ، حجمه ١٧٥×١٣٣٥ ملم، ١٥ سطراً في/ الصفحة من اب ٦٤أ)، بداية الكلمات بالمداد الاحمر، والمتن بالمداد الأسود، نسخه عمر بن سليمان، سنة ٨٢٢هـ، مجلّد، موضوعه التصوف، (ظ) روكلمان (٧٧٣/ ١، ١٩٣٨)، رقمه (٢٩٧٧).
٨	٢٨/٢: الذخيرة لأهل البصيرة: لأبي سعيد محمد بن علي العراقي ت ٥٦١هـ)، خطه نسخ حجمه ١٧٥×١٣٥ملم، ١٥ سطراً في الصفحة، ١٧٥×١٣٥ملم، من ٦٤-٤٢(ب) بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التصوف، (ظ بروكلمان ٤٩٣/ ١، ط(١٩٣٨)، رقمه.(٢٩٧٧)
٩	٢٨/٣: العقد النفيس ونزهة الجليس للثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) (ت ٤٢٩هـ)، خطه نسخ مشكل، حجمه ١٧٥×١٣٥ملم، ١١ سطراً في الصفحة (من ١٤٤ب-١٩٥ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التصوف، (ظ ايضاح المكنون ١١٢/ ٢)، رقمه (٢٩٧٧).
١٠	٢٩/٣: رسالة في العالم: لمؤلف مجهول، خطه التعليق:حجمه ١٧٧×١٢٥ ملم، ٧ اسطر في الصفحة، (من ١٧٠ب-١٧٧ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود مجلّد موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧,٧)
١١	٣٠: شرح سلك العين لإذهاب الغين: لمؤلف مجهول (شرح القصيدة عبدالقادر بن محمد بن عمر بن حبيب الصفدي، ت ٩١٥هـ)، خطه: نسخ، ٢١ سطراً في الصفحة، ١٧٥،ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧).

١٢	٣٥: الرد والانتصار: لمحمد بن محمد بن عبدالستار العمادي الكردي ت ٦٤٢هـ)، رد على أبي حامد الغزالي)، خطه نسخ، حجمه ١٧٣×١٣٥ملم، ١٣ سطراً في الصفحة ٨٩ ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود مجلّد، موضوعه علم الكلام، رقمه (٢٩٧٤)، (ظ/ هدية العارفين ١٢٢/ ٢، الاعلام (٢٨/ ٧).
١٣	٢/ ٢٦: قصيدة يقول العبد لسراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني ت (٥٧٥هـ)، خطه التعليق، حجمه ٢٠٦×١٣٥ ملم، ١٩ سطراً في ٢٠٦×١٣٥ملم، الصفحة، (من (١٧٧٧٥)، المتن بالمركب الأسود، تاريخ النسخ ١١٧٨ هـ مجلّد، موضعه العقائد، رقمه (٢٩٧.٤)، (ظ كشف الظنون.(١٣٤٩/ ٢
١٤	٣٨: مطالع الانظار في شرح طوالع الأنـوار لشمس الدين محمود بن عبدالرحمن الاصفهاني (ت٧٤٩هـ) (الأصل للبيضاوي)، خطه التعليق، حجمه ١٣٧١٨٠ملم ٢١ سطراً في الصفحة ١٧٥ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، ناسخة: السيد علي بن مصطفى، في إسطنبول، مجلّد، موضوعه علم الكلام، رقمه (١٩٧.٤)، (ظ) كشف الظنون (١١١٦/ ٢.٣
١٥	٤٠: سنن ابن ماجة: لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت٢٧٣هـ)، خطه النسخ، حجمه ١٩٦×١٣٠ ملم، ٣١ سطرا في الصفحة ٢٥٢ ورقة، ١٩٦×١٣٠ملم، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، الناسخ: فضل الله بن نور الدين المقدادي، عام ١١٤٣هـ في القدس، مجلّد، موضوعه علم الحديث رقمه (٣, ٢٩٧)، نقصان في آخر الكتاب (ظ/ كشف الظنون.(١٠٠٤/ ٢
١٦	٤١: روضة الناظر ونزهة الخاطر: لعبد العزيز الكاشي (؟)، باللغتين العربية والفارسية خطه النسخ، حجمه ١٢٧١٩١ملم، ١٧ سطرا في الصفحة، ٨٣ ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود الناسخ: السيد علي الخراساني، في سنة ٨١٩هـ، مجلّد، موضوعه: الأدب العربي، رقمه (٧, ٨٩٢)، (ظ) كشف الظنون ٩٣٣/ ١).
١٧	٤٤: إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، الخط: ديواني، حجمه ١٨٧×٩٤ملم، ١٩ سطراً في الصفحة، ٢٩٦ ورقة، ١٨٧ بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود،مجلّد، موضوعه علم العقائد، رقمه (٢٩٧)، (ظ) كشف الظنون (٢٣/ ١).

١٨	٥٦/١: غنية السالكين لشاه ولي بن أويس الخلوتي العنتابي (ت ١٠٧٣هـ)، الخط نستعليق[١]، حجمه ١٩٩×١٣٠ملم، ١٧ سطراً في الصفحة (من اب ١٣٧ب) بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧)، (ظ) بروكلمان ٦٦٢/ ٢ الطبعة الألمانية). ملاحظة: المخطوط شرح لكتاب (فردوس الستار) السيد يحيى جلال الدين الشيرواني (ت٨٦٢هـ).
١٩	٥٦/٢: زاد المتزوجين في ذخر المتأهلين: لمؤلف مجهول، الخط: النسخ، حجمه ١٩٩×١٣٥ملم، ١٧ سطراً في الصفحة، (من (١٣٩ب- ٢٠١أ) مكتوب بالمداد الأسود، تاريخ النسخ ١١٠٣هـ، مجلّد، موضوعه الفقه، رقمه (٢٩٧٥)، (ظ دائرة المعارف الإسلامية للوقف الديني بتركيا.(١٩٣/ ٦ - ١٩٤)
٢٠	٥٧: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والزندقة: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣هـ)، خطه النسخ، الحجم ٢١٧×١٥٠ملم، ٢٣ سطراً في الصفحة ١٤٩ ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود الناسخ: عباس بن ناصر الحديثي، بتاريخ رجب ١٠٩١هـ، مجلّد، موضوعه علم الكلام، رقمه (٢٩٧)، (ظ كشف الظنون:.(١٠٨٣/ ٢
٢١	٥٨/ ١: الأصول الخمسة لحاجي باشا خضر بن علي آيديني (ت ٨٢٠هـ)، خطه: النسخ، حجمه ١٢٦١٧٢ملم، ١٣ سطراً في الصفحة، (من اب ٢٤ ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، الناسخ: عبد الأحد سليمان بن محمد القنوي، سنة ٩٨٨هـ، موضوعه: الطب، رقمه ٦١٠، دائرة المعارف الإسلامية، وزارة التربية التركية ٢٩/ ٥
٢٢	٥٨/٢: رسالة في الطب: لمؤلف مجهول، الخط النسخ، حجمه ١٧٢ ١٢٦ ملم، ١٢ سطراً في الصفحة، من (٢٥) ٣٩ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، غير مجلّد، موضوعه الطب، رقمه (٦١٠) ملاحظة: المخطوطة ناقصة من الآخر.

(١) نستعليق: نسخ وتعليق.

٢٣	:١/ ٥٩ بيان الأسرار للطالبين لمحمد بن رقية القراماني، الخط النسخ، حجمه ١٣٤١٩٦ ملم، ١٧ سطراً في الصفحة من (اب- ٣٥أ)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر المتن بالمداد الأسود تاريخ النسخ ١٠٣٣هـ ١٠٣٣هـ، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧).
٢٤	:٢/ ٥٩ حاشية على تفسير بعض السور: لمؤلف مجهول، خطه النسخ، حجمه ١٩٦ ١٣٤ ملم، ١٧ سطراً في الصفحة من (٣٧ ب- ١١٤أ) بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التفسير، رقمه (٢٣ ,٢٩٧). ملاحظة: يضمّ تفسير سور الإسراء والكهف ومريم والأنبياء.
٢٥	٦٢: إشراق التواريخ ليعقوب بن إدريس القرماني (ت ٨٣٣هـ)، خطه: النسخ، حجمه ١٤٣١٩٥ملم، ١٥ سطراً في الصفحة، ٧٦ ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود الناسخ حسين بن علي، سنة ٩٥٥هـ، مجلّد موضوعه تراجم الرجال، رقمه،٩٢٢، (ظ/ كشف الظنون.(١٠٣/ ١
٢٦	:٦٦: كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان: لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، خطه النسخ المشكل، حجمه ١٩٨×١٢٥ملم، ١٣سطراً في الصفحة، ١٠٨ ورقات، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، تاريخ النسخ سنة ١٠٢٦هـ، مجلّد، موضوعه العقائد رقمه (٤ ,٢٩٧)، (ظ) كشف الظنون ١٤٨٨/ ٢). ملاحظة: في المخطوط جداول بالمداد الأحمر وفي مقدمته أجوبة لثمانين سؤالا حول الجان.
٢٧	١/ ٧٣: التبيان في آداب حملة القرآن لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، خطه النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ملم، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، ١٧ سطرا في الصفحة من اب (٧٤ب الناسخ صالح بن علي بن حسن بن عمر السعدي، في سنة ٩٢٣ هـ، مجلّد، موضوعه علوم القرآن، رقمه (٢٩٧١)، (ظ) كشف الظنون ٣٤٠/ ١).
٢٨	:٢/ ٧٣ مولد جليل: لبرهان الدين الناجي، خطه النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ملم، ١٧ سطراً في الصفحة من (٧٥- ٩٩ أ، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود الناسخ: عبدالرحمن صالح السعدي، مجلّد، موضوعه السير، رقمه (٩ ,٢٩٧).

٢٩	:٣٧٣ معراج لطيف المعاني: لمحيي الدين عبد القادر بن صالح الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، خطه النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ ملم، ١٧ سطراً في الصفحة، من (٩٩ب - ١١٢ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، تاريخ النسخ ٩٢٣هـ،مجلّد، موضوعه السير، رقمه (٢٩٧٩)، (ظ) كشف الظنون ٢/ ١٧٣٨).
٣٠	٤/ ٧٣: الكواكب الدرية في مدح خير البرية لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري (ت٦٩٦هـ)، خطه: النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ملم، ١٧ سطراً في الصفحة من (٤١١٣ - ٤١١٨)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، تاريخ النسخ ٩٢٣هـ، مجلّد، موضوعه: الأدب العربي، رقمه (٨٩٢,٧)، (كشف الظنون ٢/ ١٥٢٢).
٣١	٥/ ٧٣: القصيدة الشيبانية: لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سليمان الشيباني (ت١٨٩هـ)، خطه النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ملم، ١٧ سطراً في الصفحة من (١١٨ب- ٤١٢١)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، تاريخ النسخ: ٩٢٣ هـ، مجلّد، موضوعه: العقائد، رقمه: (٢٩٧.٤)، (ظ كشف الظنون،١٣٤٠/ ٢، بروكلمان ٢٩١/ ١الطبعة الألمانية).
٣٢	٦/ ٧٣: زهر الربيع في مولد الشفيع لزين الدين عبدالرحمن بن سلطان الغزي، خطه: النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ملم، ١٧ سطراً في الصفحة، من (١٢١ب- ١٤١أ)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه السير، رقمه (٢٩٧,٩).
٣٣	:٧/ ٧٣: منظومة في نظر المرد لمؤلف مجهول، خطه النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ملم، ١٧ سطراً في الصفحة من (١٤١ب-١٤٢أ)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه الفقه، رقمه (٢٩٧.٥).
٣٤	٨/ ٧٣: رسالة في إجازة المؤدب: لمؤلف مجهول خطه النسخ، حجمه ١٨١×١٣٠ ملم، ١٧ سطر في الصفحة من (١٤٢ب- ١٤٥ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود،مجلّد موضوعه الفقه، رقمه (٢٩٧.٥).

٣٥	٢/ ٧٩ نصاب الصبيان لأبي نصر مسعود بن أبي بكر الفراهي (ت٦٤٠هـ)، خطه: التعليق، حجمه ١٩٠ ١٢٥ملم، ١٣ سطراً في الصفحة، من (١١٤أ – ١٣٤(ب) تاريخ النسخ: ١٧١٨م، مجلّد، موضوعه: قاموس عربي – فارسي، رقمه (٤٩١.٥٣٩٢٧)، (ظ بروكلمان، الطبعة الالمانية ٢٥٨). ملاحظة: قاموس لتعليم الصبيان الفرس اللغة العربية من خلال ٢٠٠ بيت و٤١،قطعة، وعليه إضافة بخطّ جديد ٥٤٢ بيتاً.
٣٦	١/ ٨١ عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفراديس الجنان لمحمد بن بسطام بن رستم بن خليل بن علي بن قنبر الواني (ت١٠٩٦هـ)، خطه: نسخ، حجمه ١٩٩×١٢٦ملم، ١٨ سطراً في الصفحة من (اب- ٩١ب) مكتوب، بالمداد الأسود، سنة ١١٠٥هـ، مجلّد:موضوعه تفسير، رقمه (٢٩٧٢١)، (ظ) كشف الظنون ١١٣١/ ٢، الاعلام (٦/ ٥٢).
٣٧	٢/ ٨١: رسالة في المبدأ والمعاد لمحمد بن بسطام بن رستم بن خليل بن علي بن قنبر الواني (ت١٠٩٦هـ)، خطه النسخ، حجمه ١٩٩×١٢٦ملم، الأسطر مختلفة في الصفحة الواحدة، من (٩٢ب – ١٢٢ب)، مكتوب بالمداد الأسود، سنة ١١٠٥هـ، مجلّد موضوعه علم الكلام، رقمه (٢٩٧.٤) (ظ الاعلام (٦/ ٥٢).
٣٨	:٨٢ شرح منازل السائرين لعبد الرزاق بن جمال الدين أحمد الكاشاني، (ت ٣٠هـ)، خطه نسخ، حجمه ١٩٢×١٤٠ملم، أسطره مختلفة في الصفحة الواحدة، ١١٩ ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، نسخه علي بن عمر بن عماد بن عيسى بن محمد، سنة ٧٦٥هـ، مجلّد، موضوعه تصوف رقمه (٢٩٧٧)، (ظ) كشف الظنون (٢/ ١٨٢٨). ملاحظة: أصل الكتاب لعبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (ت ٨٤١هـ).
٣٩	٢/ ٨٦: شرح قصيدة البردة: لعلاء الدين علي بن محمد الوردي الشاهرودي البسطامي (ت ٥٧٥هـ)، خطه الرقعة حجمه ٢١٥×١٥١ملم، ٢٣ سطراً في الصفحة من (٣١ ب- ٩٦(ب) بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، نسخه إسرائيل بن إسماعيل، سنة ١٠٠٥هـ، مجلّد، موضوعه الأدب العربي، رقمه (٨٩٢,٧)، (ظ) هدية العارفين (٨٣٥/ ١).

٤٠	١/ ٨٨: رسالة في تحقيق مذهب الصوفية لنور الدين عبدالرحمن بن نظام الدين أحمد بن محمد جامي (ت ٨٩٨هـ)، خطه النسخ، حجمه ٢٢٢×١٣٢ ملم، ٢٣ سطرا في الصفحة من (اب- ١٤أ بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، في قونيا سنة ١١٠١هـ، مجلّد، موضوعه: التصوف، رقمه (٢٩٧٧).
٤١	٢/ ٨٨: أنس التوحيد لأبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني (ت ٥٨٩هـ)، خطه: النسخ، حجمه ١٣٢٢٢٢ملم، ٢٣ سطراً في الصفحة الواحدة، من (١٤ب ١٧أ) مكتوب بالمداد الأسود، في قونيا سنة ١١٠٣هـ، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٩٧)، (ظ) معجم المؤلفين (٨١٥/ ١).
٤٢	٣/ ٨٨: المنقذ من الضلال: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، خطه: التعليق، ٢٣ سطراً في الصفحة من (٢١ب- ١٣٧)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود الناسخ: عبداللطيف المعني، في قونيا ١١٠١هـ، مجلّد، موضوعه العقائد، رقمه (٢٩٧.٤)، كشف الظنون (١٨٦٩/ ٢).
٤٣	١/ ٩٨: هيئة الإسلام وحكمة أهل الإيمان لإبراهيم القرماني الآمدي، خطه: التعليق حجمه ٢٠٣×١٥٠ ملم، الاسطر في الصفحة بين ٢٠ - ٢٥، من (١ (١١٨)، مكتوب بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه العقائد، رقمه (٢٩٧.٤)
٤٤	٢/ ٩٨: كتاب الكراهية لأحمد بن محمد بن سليمان العلامي، خطه التعليق، حجمه ٢٠٣ ١٥٠ ملم، ١٢ سطراً في الصفحة، من (١٩ب- (٩٨أ)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، منسوخ سنة ١٠٩٢هـ، مجلّد، موضوعه الفقه، رقمه (٥ ,٢٩٧)، (ظ بروكلمان الطبعة الألمانية ٩٤٩/ ٢).
٤٥	:٩٩ شرح التائية الفارضية: لعلوان عبد الله بن عطية الحداد الحموي الهيثمي (ت٩٣٦هـ)، خطه نستعليق حجمه ٢١١×١٥٥ملم، ٢٨ سطراً الصفحة، ١٤١ ورقة، الكلمات بالمداد الأسود والابيات بالمداد الاحمر، الناسخ: عبدالرحمن بن محمد بن عبد السلام العلواني، في حلب ٩٦٦هـ، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧)، (ظ بروكلمان، الطبعة الألمانية ٤٦١/ ٢).

٤٦	١٠٠: ديوان الصبابة لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلمساني (ت ٧٧٦هـ)، خطه: النسخ، حجمه ٢١٣×١٥٤ملم، ١٧ سطراً في الصفحة، ١٦٦ ورقة، تبدأ الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه الأدب العربي، رقمه (٨٩٢٧)، (ظ) كشف الظنون ٧٩٦/ ١).
٤٧	١/ ١٢: منهاج الصادقين: لفتح الله بن شكر الله الكاشاني (ت٩٧٨هـ)، خطه نسخ، حجمه ٢٠٩×١٥٦ ملم، ١٧ سطراً في الصفحة، من (اب- ٧٥ب) مكتوب بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه:٢/ ١ (٢٩٧٧)، (ظ) بروكلمان، الطبعة الالمانية ٥٨١/ ٢).
٤٨	:٢/ ١٠٢: كتاب الدعوات: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ)، خطه النسخ، حجمه ٢٠٩×١٤٩ ملم، ١٧ سطراً في الصفحة، من ٧٧ - ١١٨٠)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، منسوخ سنة ٩١٢هـ، مجلّد، موضوعه الدعاء، رقمه (٢٩٧.٨٤)، (ظ هدية العارفين) (٧٨/ ١).
٤٩	١٠٩: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، خطه النسخ، حجمه ١٣٤٢٢٠ ملم، ٢٥ سطراً الصفحة الواحدة، ٢٦٩ ورقة، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، منسوخ سنة ١١٧٤هـ، مجلّد ومذهب، موضوعه الحديث، رقمه (٢٣)، (ظ) كشف الظنون ١٠٥٢/ ٢، بروكلمان الطبعة الألمانية ٦٣٠/ ١).
٥٠	١١٣: مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم لشرف الدين داود بن محمود القيصري (ت ٧٥١هـ):خطه النسخ، حجمه ٢١٣×١٤٧ملم، اسطره مختلفة في الصفحة الواحدة، ١٩٠ ورقة، مكتوب بالمداد الأسود، الناسخ: أحمد بن تكيز باي محمد بن جان محمود البخاري، سنة ١٠٩٩هـ، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧)، (عثمانلي مؤلفلري (٦٧/ ١). ملاحظة: المخطوط شرح لكتاب فصوص الحكم لابن عربي.
٥١	:١/ ١١٦: مرآة العارفين ومظهر الكاملين في ملتمس زين العابدين: لمحيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، خطه النسخ، حجمه ٢٠٢×١٥٥ ملم، ٢١ سطراً في الصفحة من (اب ٦ب)، بداية الكلمات بالمداد الاحمر، والمتن بالمداد الأسود،مجلّد، موضوعه التصوف رقمه (٢٩٧٧)، (٢٨١/ ظ الاعلام) (٢٨١/ ٦).

٥٢	١١٦: الرسالة الأنفسية: للسيد أسعد البلخي، خطه النسخ، حجمه ٢٠٢×١٥٥ ملم، ٢١ سطراً في الصفحة من (٧أ – ٧ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود مجلّد، رقمه (٢٩٧٧).
٥٣	:٣/ ١١٦: رسالة في كيفيّة التوجه لصدر الدين محمد بن إسحاق القونوي (ت ٦٧هـ)، خطه النسخ، حجمه ٢٠٢×١٥٥ملم، ٢١ سطراً في الصفحة، من ١٨ – ١٤ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، تاريخ النسخ ١١٩٨ هـ، مجلّد موضوعه: التصوف، رقمه (٢٩٧٧)
٥٤	٤/ ١١٦: الرسالة الخلوتية: لمحيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي (ت٦٣٨هـ)، خطه: النسخ، حجمه ٢٠٢×١٥٥ ملم، ٢١سطراً في الصفحة الواحدة، من (١٤ب (٢١أ)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد موضوعه التصوف، رقمه (٧, ٢٩٧)، (ظ) بروكلمان – الطبعة الألمانية. (٧٩٥/ ١).
٥٥	٥/ ١١٦: حلية الأبدال: لمحيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، خطه النسخ، حجمه ٢٠٢×١٥٥ ملم، ٢١ سطراً في الصفحة من (١٢١(٢٥)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود، مجلّد، موضوعه التصوف، رقمه (٢٩٧٧)، (ظ –بروكلمان – الطبعة الألمانية.(٧٩٦/ ١).
٥٦	٦/ ١١٦: تفسير سورة الإخلاص: لمؤلف مجهول، خطه النسخ، حجمه)٢٠٢×١٥٥ ملم، ٢١ سطراً في الصفحة من (٢٥– ٢٨ب)، بداية الكلمات بالمداد الأحمر والمتن بالمداد الأسود تاريخ النسخ ١١٩٨هـ، مجلّد، موضوعه: التفسير. ملاحظة: المخطوط مؤلف في سنة ١١٩٨ هـ.

المصدر: مجلّة البحوث والدراسات الإسلامية: العدد ٤٤.

المستشرقون الألمان وجهودهم

تجاه المخطوطات العربية الإسلامية

أ.م.د. رائد أمير عبد الله

ملخص البحث:

تقوم هذه الدراسة على بيان دور المستشرقين الألمان وجهود هم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، من جمع وتحقيق ونشر وفهرسة، وتركز على موقفهم من التراث المخطوط وتبيان أساليبهم فيه.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي: التعرف على المدرسة الاستشراقية الألمانية، وبيان أهم أعلام المستشرقين الألمان الذين عملوا في مجال المخطوطات العربية الإسلامية، والاطّلاع على أهم جهودهم وأعمالهم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، والكشف عن مناهجهم في تحقيق المخطوطات.

الدراسة تقع في مبحثين: إذ قدّمنا تمهيداً للبحث تناول فيه: مفهوم الاستشراق، ونشأته وأهدافه، ووسائل المستشرقين في الاهتمام بالتراث العربي المخطوط.

أما **المبحث الأوّل** فتناول: الاستشراق الألماني، وأشهر المستشرقين الألمان الذين عملوا في مجال المخطوطات. فضلاً عن **المبحث الثاني** الذي تناول: جهود المستشرقين الألمان في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، المتمثل بحفظ المخطوطات، وتحقيقها، وفهرستها، ونشرها.

ABSTRACT:

This study is based on the statement of the role of German orientalists and their efforts in study the Arab and Islamic heritage of the manuscripts. From the collection and edit. dissemination and indexing. And focus on their position on the manuscript heritage and identify methods in which.

This research aims to achieve the following: Identify the school German Orientalist. and the statement of the most important flags of German orientalists who worked in the field of Arab and Islamic manuscripts. and access to most of their efforts and their work in the service of Arab and Islamic heritage of the manuscript. and disclosure of their curriculum to the achievement of the manuscripts.

This study is in two sections: We. as a prelude to research dealt with: the concept of Orientalism. and its origins. its objectives and the means of Orientalist interest in Arab heritage manuscript.

The first addressed the topic: German Orientalism. the most famous German orientalists who worked in the field of manuscripts. As well as the second section. which dealt with: the efforts of German orientalists in the service of Arab and Islamic heritage of the manuscript. the conservation of manuscripts. and achieved. and indexing. and dissemination.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تتجلى أهميّة المخطوطات وتظهر مكانتها من كونها جزءاً من التراث العربي

الإسلامي الذي قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية، ودراستها تدفع إلى التعرف على أسباب النهوض وعوامله والتطور والتقدم والإبـداع عند العرب المسلمين، ومعرفة الطريق الذي سار عليه الأقدمون في مسيرة بنائهم الحضاري، وأصبحت المخطوطات محلّ اهتمام عدد كبير من المستشرقين، نظراً لقيمتها العلمية والفنية، فضلاً عن كونها جزءا مهماً من التراث العربي الإسلامي العريق.

إن الاطّلاع على الاستشراق ومناهج المستشرقين وأعمالهم يُعدُّ ضرورة ملحة لكلّ باحث متخصص، حيث يبصره بالساحة الثقافية التي يتعامل معها، وبالخلفية الفكرية للصراع الحضاري مع الآخر، كما أن أعمال المستشرقين تنبع من بيئات مختلفة، وثقافات متعدّدة، ولذا يظهر التباين جليّاً بين تلك الأعمال.

وانطلاقاً من هذا المفهوم وقع اختيارنا على المدرسة الألمانية كنموذج للمستشرقين في معرفة أعمال المستشرقين الألمان، وجهودهم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط من جمع وتحقيق وترجمة وتصنيف وفهرسة...، وبهذا تتمحور مشكلة البحث في التساؤلات الآتية.. المدرسة الألمانية الاستشراقية وكيف ظهرت؟ وما هي أبرز أعمال المستشرقين الألمان نحو المخطوطات؟ وما هي المناهج العلمية التي سلكوها في تحقيق التراث العربي الإسلامي؟

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي: التعرف على المدرسة الاستشراقية الألمانية، وبيان أهم أعلام المستشرقين الألمان الذين عملوا في مجال المخطوطات العربية الإسلامية، والاطلاع على أهم جهودهم وأعمالهم في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، والكشف عن مناهجهم في تحقيق المخطوطات.

أما محاور الدراسة فتقع في مبحثين: حيث قدّمنا تمهيداً تناولنا فيه: مفهوم الاستشراق ونشأته، وأهدافه، ووسائل المستشرقين في الاهتمام بالتراث العربي

المخطوط.

أما المبحث الأوّل فتناول: مفهوم الاستشراق الألماني، وأشهر المستشرقين الألمان الذين عملوا في مجال المخطوطات. فضلاً عن المبحث الثاني الذي تناول: جهود المستشرقين الألمان في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط، المتمثل بحفظ المخطوطات،وتحقيقها وفهرستها، ونشرها.

ونسأل الله أن يتقبل منا ما قدّمناه، وأن يكون هذا العمل في خدمة تراثنا العربي الإسلامي، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

تمهيد:

إن موضوع الاستشراق والمستشرقين قد اكتسب في الوقت الراهن أهميّة كبيرة في العالم العربي والإسلامي، وقد اتّخذ النقاش الدائر حول هذا الموضوع طابعاً انفعالياً دون محاولة استيعاب أبعاده، وعندما نتكلم عن الاستشراق والمستشرقين فإننا نتكلم عن مدرسة أكاديمية تقوم على دراسة ثقافة وحضارة أخرى بمعنى: أننا نتكلم عن الغرب ودراساته للشرق.

والاستشراق (Orientalism) تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كلّ من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، التي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، وقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصّة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما[١].

والمستشرقون: هم جماعة من علماء الغرب، تخصصوا في لغات الشرق وعنوا بالبحث فيها[٢]، وتخصصوا في دراسة اللغة العربية، والحضارة العربية وبقضايا

العالم العربي وبالدين الإسلامي[٣].

لم يستطع المؤرخون أن يتفقوا على تحديد بداية الاستشراق، فبعضهم يعود به إلى الراهب الفرنسي جربير دي أورلياك[٤] (jerbert de Oraliac)(١٠٠٣-٩٣٨)، الذي قصد بلاد الأندلس الإسلامية، وبعض المؤرخين أرجع بداية الاستشراق إلى القرن الثاني عشر، وقد ظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، إذ ظهر أولاً في إنجلترا سنة (١٧٧٩م)، وفي فرنسا (١٧٩٩م)، وفي سنة (١٨٣٨م) أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية [٥]، ويُعدُّ القرنان التاسع عشر والعشرون عصرا الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية.

وفي منتصف القرن التاسع عشر قام المستشرقون بإنشاء جمعيات للدراسات الاستشراقية في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا، فتأسست أولاً الجمعية الآسيوية في باريس سنة (١٨٢٢م)، ثمّ الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا، وأيرلندا سنة (١٨٢٣م)، والجمعية الشرقية الأمريكية سنة (١٨٤٢م)، والجمعية الشرقية الألمانية سنة (١٨٤٥م)[٦]، وأول مجلّة استشراقية أصدرها همر پرجشتال[٧] (Joseph Freiherr on Hammer: Purgstall)، في فينا باسم (ينابيع الشرق) خلال السنوات (١٨٠٩-١٨١٨م)، وفي سنة (١٨٩٥م) ظهرت في باريس (مجلة الإسلام الاستشراقية)، وفي سنة (١٩٠٦م) ظهرت (مجلة العالم الإسلامي) التي أصدرتها البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، ثمّ تحوّلت هذه المجلة إلى (مجلة الدراسات الإسلامية)، وفي سنة (١٩١٠م) ظهرت (مجلة الإسلام الألمانية)، وفي سنة (١٩١٢م) ظهرت (مجلة عالم الإسلام الروسية)، وفي سنة (١٩١١م) ظهرت (مجلة العالم الإسلامي) الأمريكية برئاسة القس زويمر[٨] (Zweimer) رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، وشهد القرن التاسع عشر بداية عقد المؤتمرات الدولية الاستشراقية، ففي باريس سنة (١٨٧٣م)

عقد أوّل مؤتمر دولي استشراقي، ثمّ توالى عقد المؤتمرات الاستشراقية، وقد بلغ عددها العشرات[٩].

تأسس الاستشراق بوصفه مؤسسة فكرية بعد أن فشلت الحروب الصليبية، إذ تعززت قناعة رجال السياسة والكنيسة في الغرب، أن العالم الإسلامي لا يمكن إخضاعه بالقوة، فلجؤوا إلى أسلوب دراسة أحوال المسلمين، لتسهل السيطرة عليهم، واحتواء الإسلام بوصفه دينا وعقيدة، واختراق العالم الإسلامي، ومن ثمّ إحكام السيطرة عليه، فكان المشروع الاستشراقي نابعا من العلاقة بين الكنيسة والسلطة في الغرب، فتأسست المعاهد ومراكز الدراسات والبحوث لتشكل خلايا متشابكة، لتخدم غرضاً واحداً هو ضمان استمرار سيطرة الغرب على الشرق[١٠].

ومن هنا جاء دور المستشرقين وهم بوابة المنصرين في الحقيقة وبعض المستشرقين جمع بين هذا وذاك، ومع هذا تظل دراسات المستشرقين يحكمها الدافع التنصيري، أو الاستشراقي، أو المادي.... وهذه الدوافع كلّها لا قيمة لها بجوار دافع العقيدة الذي يربط المسلم بتراثه، حتّى ولو كان مفرطاً في حقه، وسجل المستشرق المشهور الأمير ليون كايتاني[١١](leone caetane) اعترافا صريحا، مفاده أنه يريد أن يفهم سر المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي الملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض[١٢].

لقد نال التراث العربي المخطوط نصيبه من هجمة المستشرقين عليه، فقد ذكر (محمود المقداد) الهدف من جمعهم المخطوطات قائلاً: «وهكذا حاول الفرنسيون أن يتعرفوا على أخلاق العرب والشرقيين، وعاداتهم، وتقاليدهم، وما لهم من معارف وثقافات... ولهذا اتجه الغربيون عامّة والفرنسيون خاصّة إلى جمع أعداد الى المخطوطات... وقد جُنّد لهذا الغرض رهبان، ومبشرون،

وتجار، وجواسيس، ودبلوماسيون، وسفراء في العالم العربي والإسلامي، ورحالة، وسوّاح، ومستعربون، كُلّفوا خصيصاً بهذا العمل[١٣]، ويؤكّد هذا الهدف ما قاله جون مول (JohnMole)[١٤] سنة (١٨٤١م) أيضاً: «بأنه مهما كررنا وأعدنا فإننا لا نكرر بما فيه الكفاية أن طبع المخطوطات الشرقية الأهم هو الحاجة الأكبر، والأكثر ضغطاً وإلحاحاً بالنسبة لدراساتنا، وبعد أن يكون العمل النقدي للعلماء قد مرّ على الأدبيات الشرقية، وبعد أن تكون الطباعة قد سهلت عملية تداول الكتب، بعد ذلك فقط يمكن للعقل الأوروبي أن ينفذ فعلاً إلى أعماق الشرق».

ويؤكد المستشرق كراتسكو فسكي[١٥] Kraitsk viski الهدف من البعثات قائلاً: «يتاح للمستعرب القيام باكتشافات كثيرة، ولعله يلقى منها على طريقه أكثر ممّا يلقى الباحثون في المجالات العلمية الأخرى التي هي أعمق تنقيبا وتستدعي عدداً أكبر من البحّاثة ولا داعي للتفكير أن هذه الاكتشافات لا ترتبط إلّا بالمخطوطات»[١٦].

المبحث الأول: الاستشراق والمستشرقون الألمان

أولاً: الاستشراق الألماني.

لم يبدأ الاستشراق الألماني بدايته الحقيقية، إلّا في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، عندما قصد نفر من الألمان هولندا، حيث تعلموا اللغات الشرقية، ولما عادوا إلى بلادهم، علموها جامعاتهم، وأخرجوها من نطاق التوراة إلى ميدان الثقافة العامّة[١٧]، ولم يشارك العلماء الألمان في الدراسات العربية اشتراكاً فعلياً إلّا بعد أن توغل الأتراك في قلب أوروبا، وبدأت أوروبا تهتم بدراسة لغات العالم الإسلامي لأسباب سياسية واهتم أمراء العالم المسيحي بشراء المخطوطات

الشرقية لبناء دعامة في دراسة تلك اللغات، وقدم كريستمان (Christmann. jacob (١٦١٣-١٥٥٤) أوّل محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية ونشرها، ووضع فهرساً مختصراً لمجموعة من المخطوطات اقتناها أحد النبلاء الألمان كذلك ألف كتيبا لتعليم الحروف العربية، وجمع بعض آيات الإنجيل المترجمة إلى العربية للتمرن على القراءة بل إنه أعد بنفسه الحروف العربية في قوالب من الخشب للمطبعة[١٨].

وتشير المصادر على أن بداية علاقة الألمان بالعالم الشرقي كانت في فبراير سنة (١٦٣٣م) حين أرسل الدوق فريدريش الثالث دوق شليرفيج هولشتين وجوتروب في أثناء حرب الثلاثين مجموعة من أربعة وثلاثين رجلاً إلى فارس وروسيا كي تتحالف مع الإمبراطور بفارس ضد الأتراك ودامت الرحلة خمسة أعوام ولكنّها لم تحقق الغرض المرجو منها وان كانت أدت إلى إقامة جسر ثقافي عبرت عليه أوروبا والألمان بخاصّة إلى الحضارة الشرقية[١٩]، وقد ساعدت النهضة الفكرية في أوروبا بالقرنين السابع عشر والثامن عشر في تحرير دراسة اللغة العربية من كلّ قيد، وفي مقدمتهم في هذا المجال رايسكة[٢٠] Reiske.j (١٧١٦-١٧٩٧) أوّل مستشرق ألماني وقف حياته على دراسة اللغة العربية في جامعة لايبزج،وجوستاف تيخسن[٢١] Tychsen.o.G (١٨١٥-١٧٣٤م) في جامعة روستوك... ولما اتصلت ألمانيا بالشرق سياسيا وتجاريا تشبهت بالنمسا وفرنسا، وأنشأت على غرارهما مدرسة للغات الشرقية في برلين (١٨٨٧م) وجمعت مخطوطاتها في مكتباتها[٢٢].

وفضلاً عن ذلك فقد قام المستشرقون الألمان بتأسيس الجمعيات والمكتبات، وإصدار المجلات، فمن الجمعيات والمجلات على سبيل المثال لا الحصر:

١. الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية، أسسها مارتن هارتمان[٢٣]

hartmann (١٨٥١– ١٩١٨م)، وأصدر لها مجلّة عالم الإسلام، سنة (١٩١٣م).

٢. الجمعية الشرقية الألمانية DMG، التي أسسها فلايشر[٢٤] fleisscher.h.l (١٨٠١–١٨٨٨م) في مدينة هالة سنة (١٨٤٥م).

٣. المجلة الشرقية الألمانية 2DMG، وكان تأسيسها في مدينة فيسبادن سنة (١٨٤٧م).

٤. مجلّة الإسلام، وقد أنشأها الوزير كارل هينريش بيكر[٢٥] karl heinrich bekker (١٨٧٦–١٩٣٣) لصالح الجمعية الشرقية الألمانية سنة (١٩٢٠م).

٥. مجلّة إسلامكا. إسلاميات، وقد أنشأها فيشر في مدينة لايبرج سنة (١٩٢٠م)[٢٦].

إن الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة للاستعمار – كما هو الحال في إنجلترا وفرنسا وهولندا أو يرتبط بأهداف دينية تنصيرية كسواه؛ فهو يمتاز بالموضوعية والعمق، والمتتبع لحركة هذا الاستشراق يلاحظ أنه اختص بمزايا واضحة هي:

١– لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية كالاستشراق في بلدان أوربية أخرى...فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق. لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان، وظلت محافظة على الأغلب على التجرد غالباً والروح العلمية.. وإذا ظهر في بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية بعض الانحراف في الرأي أو الخطأ فهذا أمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها.

٢– لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية – العربية متصفة على الأغلب بروح عدائية بالرغم من وجود

بعض المستشرقين الألمان الذين أتوا بآراء لا توافق العرب والمسلمين أو بآراء خاطئة تماماً كبعض أراء نولدكه[٢٧] Noeldeke عن الشعر الجاهلي والقران الكريم، أو آراء جوهان فولرز[٢٨] Vullers (١٨٨٠م) عن القرآن وتهذيبه، لكن هذه الآراء معدودة، فالاستشراق الألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا ديدنهم عداء الإسلام وتعمدوا الدسّ والتشويه في دراساتهم، بل بالعكس رافقت دراساتهم روح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف، وتجد هذه الروح عند رايسكة الذي سمى نفسه شهيد الأدب العربي، وتجدها عند جورج جاكوب[٢٩] GEORG JACOB (١٨٦٢-١٩٣٧م) في كتابه أثر الشرق في العصر الوسيط[٣٠].

٣- كانت لهم علاقات طيبة مع الدولة العثمانية من خلال دراساتنا واستقرائنا لتاريخ ألمانيا وعلاقاتها بالعالم الإسلامي.

وعند استعراض سِيَر كثير من المستشرقين، لا سيّما المستشرقون الألمان في غالبيتهم، وتتبع أنشطتهم الاستشراقية التي اتسمت بالعلمية أكثر من أنشطة المستشرقين الآخرين[٣١]، وهذا لا يعني أن الاستشراق الألماني خالي من الأهداف الاستشراقية المعروفة من توجيه العديد من الافتراءات حول الإسلام ورموزه... التي ترضي اللاهوتيين، وما كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان[٣٢] إلا دليل على ما نقوله، فلقد ورد في هذا الكتاب كثير من المغالطات والافتراءات حول الإسلام ونبوة الرسول محمد ﷺ[٣٣] بالمقارنة مع كتابه الأخر الذي نال شهرته بين الأوساط العربية والإسلامية (تاريخ الأدب العربي) في وصف المئات من المخطوطات المحفوظة في خزائن العالم، فقد تميّز الاستشراق الألماني بجمع المخطوطات ونشرها وفهرستها. مع اهتمام خاص بالجانب الفيلولوجي (فقه اللغة) والصرفي والأدبي، وعناية بوضع معاجم في اللغة العربية، ودراسته لجوانب الفكر العربي الإسلامي في القديم خاصّة.

وفي الجملة فإن معظم المستشرقين الألمانيين لم يخضعوا لغايات سياسية ودينية استعمارية بسبب عدم تورط ألمانيا بالاستعمار، وقد تميّز الاستشراق الألماني بالدراسات الشرقية القديمة، والاهتمام بالآثار والآداب والفنون، وهذا النوع من الدراسات عادة يكون خاليا من الأغراض السياسية، وكذلك غلب على الاستشراق الألماني الروح العلمية، والموضوعية والتجرد والإنصاف، ومردّ ذلك إلى خصال الألمان المجبولة على الدقة والصبر والمنهج العلمي الصارم.

ثانياً: أشهر المستشرقين الألمان الذين عملوا في مجال المخطوطات:

تعددت أسماء المستشرقين الألمان الذين عملوا في مجال المخطوطات، بل لمعت أسماؤهم في هذا المجال، وصاروا مراجعاً لكثير من الباحثين في الشرق والغرب، وقد اقتصرنا على بعضهم لكثرتهم، ومن أهم أعلام الاستشراق الألماني الذين عملوا في مجال المخطوطات:

١- وستنفلد فرديننند (١٨٩٩-١٨٠٨) (Wustenfeld)[٣٤]: ولد في أعمال هانوفر ودرس اللغات الشرقية على أكبر أساتذة وطنه، ثمّ جعل أستاذاً للعربية في غوطا، وتآليفه العربية عبارة عن مكتبة واسعة تزيد عن مائتي تأليف بين كتاب صغير وكبير، وقد أدى للعلوم الشرقية خدمة لا تنسى بما نشره من المصنفات القديمة، ومن أهمها: (آثار البلاد) للقزويني، (أخبار قبط مصر) للمقريزي.

٢- يوهان جاكوب رايسكه (Johann Jakob Reiske) (١٧١٦-١٧٧٤): يعد مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا حيث بدأ بتعليم نفسه العربية، ثمّ درس في جامعة ليبزيج Leipzig، وانتقل إلى جامعة ليدن لدراسة المخطوطات العربية فيها، كما عَنِي بدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية، وتحدث عن اهتمامه بالمخطوطات قائلاً: «ليس عندي أولاد، ولكن أولادي يتامى

بدون أب؛ وأعني بهم المخطوطات»[٣٥]، وهو أوّل من نشر معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن النحاس مع ترجمتها إلى اللاتينية سنة (١٧٤٢م)[٣٦].

٣- كارل بروكلمان (Carl Brockelmann) (١٨٦٨-١٩٥٦): ولد في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة فضلاً عن اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية)، ودرس على يدي المستشرق نولدكه Noldeke، ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، عُني بدراسة التاريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية)، ولكنّه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام، ومن أشهر مؤلّفاته كتاب (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة مجلّدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات، ووصفها وبيّن مكان وجودها، وحقّق المجلّد الثامن من طبقات ابن سعد، وصنف فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة البلدية في بروسلا وهمبورج.

٤- يوليوس فلهاوزن[٣٧] Jullius Wellhausen (١٨٤٤-١٩١٨): تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية، من أبرز إنتاجه تحقيق تاريخ الطبري، وألّف كتاباً بعنوان (الإمبراطورية العربية وسقوطها)، ومن اهتماماته بالفرق الإسلامية تأليف كتابيه (الأحزاب المعارضة في الإسلام) وكتابه (الخوارج والشيعة)، وكتب عن الرسول ﷺ في كتابه (تنظيم محمد ﷺ للجماعة في المدينة) وكتابه (محمد ﷺ والسفارات التي وجهت إليه).

٥- ثيودور نولدكه Theodor Noldeke (١٨٣٦-١٩٣٠): ولد في هامبرج في ٢ مارس ١٨٣٦ ودرس فيها اللغة العربية، ودرس في جامعة ليبزيج وفينا وليدن وبرلين. عيّن أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن،وعمل أيضاً في جامعة ستراستبرج اهتمّ بالشعر الجاهلي وبقواعد اللغة العربية وأصدر كتاباً بعنوان (مختارات من الشعر العربي)، ومن أهم

مؤلّفاته كتابه (تاريخ القرآن) نشره سنة ١٨٦٠ وهو رسالته للدكتوراه، وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم، وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعدّ شيخ المستشرقين الألمان.

٦- جوسف شاخت Josef Schacht (١٩٠٢-١٩٦٩م)[٣٨]: ولد في ١٥مارس ١٩٠٢، درس اللغات الشرقية في جامعة برسلاو وليبتسك، انتدب للعمل في الجامعة المصرية سنة ١٩٣٤ لتدريس مادة فقه اللغة العربية واللغة السريانية. شارك في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية. عرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي ولكنّه صاحب إنتاج في مجال المخطوطات وفي علم الكلام وفي تاريخ العلوم والفلسفة.

٧- هيلموت ريتر (١٨٩٢-١٩٧١م) Hellmut Ritter[٣٩]: ولد في ٢٧ فبراير ١٨٩٢، ودرس على المستشرق الألماني هينريتش بيكر، عمل في الجيش الألماني، عاش في إسطنبول بتركيا في الفترة من (١٩٢٧-١٩٤٩م) ممّا أتاح له الفرصة للاطلاع على ما في مكتبات تركيا من كنوز المخطوطات الإسلامية وله تحقيقات مهمّة من أبرزها ما يأتي: (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري؛ (الوافي بالوفيات)؛ (فرق الشيعة) للحسن بن موسى النوبختي؛ (أسرار البلاغة) للجرجاني، أسس المكتبة الإسلامية بألمانيا سنة (١٩١٨م) للعناية بحفظ ونشر المخطوطات الإسلامية، كما أسس مجلّة أوريانس (Oriens) سنة (١٩٤٨م).

المبحث الثاني

جهود المستشرقين الألمان

في خدمة التراث العربي الإسلامي المخطوط

تعرّضت العديد من المخطوطات العربية الإسلامية للضياع، بسبب ما

تعرّضت له الدولة العربية الإسلامية من حروب وفتن وغزوات، أشهرها احتلال هولاكو بغداد بجيوشه سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، إذ ألقيت مئات الآلاف من المخطوطات في نهر دجلة، كذلك حين سقوط غرناطة على يد الإسبان سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٩٢م) إذ أحرقت عشرات الآلاف من المخطوطات، أما الذي سلم من هذه الكوارث والنكبات فقد نقل معظمه إلى دور المخطوطات، والأديرة، والمتاحف الأجنبية خلال الحروب الصليبية، ثمّ خلال الاستعمار الحديث للبلاد العربية، ويقدرها معهد المخطوطات العربية بما يقرب من ثلاثة ملايين مخطوط، وخير ما عبر عن ضياع المخطوطات أسامة بن منقذ عندما استولى الصليبيون على أسرته قائلاً: «فهون علي سلامة أولادي وأولاد أخي، وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال إلا ما ذهب لي من الكتب، فإنها كانت أربعة آلاف مجلّد من الكتب الفاخرة، فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت»[٤٠].

لقد عنيت الدراسات الاستشراقية في إحدى مراحلها بجمع المخطوطات الإسلامية وتحديدا في القرن السابع عشر[٤١]، وتمّ نقلها إلى الغرب، والقيام بحفظها وفهرستها وتحقيق بعضها ونشرها، فالمرحلة التي جاب المستشرقون والرحالة الغربيون الديار الإسلامية بحثاً عن المخطوطات، كان الكثير من هذه المخطوطات عرضة للضياع والإهمال، وحتّى الامتهان فالأحداث السياسية التي تعرضت لها الأمة وتغيراتها، أثرت بشكل سلبي على جميع الجوانب الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والعلمية... وعندما نريد تقييم جهود المستشرقين، يجب علينا أن لا نكتفي بالظاهر، بل علينا أن ندرس المخطوطات التي حققوها ونشروها؛ ونطرح العديد من الأسئلة والاستفسارات، فهل كان تحقيقهم مبنياً على أسس علمية؟ وما المخطوطات التي قاموا بتحقيقها؟ وهل عنوا بتحقيق ما يظهر تفوق المسلمين ونبوغهم وعبقريتهم، أم أنهم حققوا من المخطوطات ما يخدم أغراضهم؟.

لقد نجحت العقلية الأوربية بداية في السيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي، عن طريق الاستشراق والمستشرقين بواسطة التحقيق والتمحيص والطبع والنشر لمجموعة من أكبر وأهم المصادر التراثية، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد، إلاّ أنها في النهاية وبكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثقافي، وقد نجحت أيضاً في فرض شكلية معينة من التحقيق والتقويم والنقد، وأوجـدت القدوة والأنموذج، ويمكن القول: إن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث قد سارت على هذا النهج، ولم تتجاوزه إلا في القليل النادر، إلى درجة إيجاد ركائز ثقافية عربية معبرة، ومتبنية لوجهة نظرها، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي شغلتها؛ وحتّى في الجامعات والمؤسسات العلمية لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية التي اكتسبها المثقفون المسلمون من الجامعات الأوروبية، ونستطيع القول: إن آثار الاستشراق وإنتاج المستشرقين لا يزال يشغل الكثير من مواقعنا الثقافية، وسوف لن يفيدنا في المواجهة مواقف الرفض والإدانة أو الهروب من المشكلة(٤٢).

ولقد اخترنا المدرسة الألمانية الاستشراقية كنموذج للتعامل مع المخطوطات العربية الإسلامية، وتتلخص جهود المستشرقين الألمان نحو المخطوطات العربية الإسلامية بما يأتي:

أولاً: جمع التراث المخطوط:

عني المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كلّ مكان في بلاد الشرق الإسلامي، وكان هذا العمل مبنياً على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم(٤٣).

لقد تميز الألمان عن باقي المستشرقين الأوربيين أنهم جمعوا المخطوطات

من خلال طريق واحد هو الإهداءات والشراء، بعكس المستشرقين الإنكليز والفرنسيين... الذين تعددت طرقهم للجمع منها الاعتداء والسرقة... وهذا ما لم يثبت عن الألمان، حيث كان عدد المخطوطات حتّى مطلع القرن الثامن عشر قليلاً، وبعد ذلك الزمن دخلت كميات هائلة من المخطوطات الشرقية النفيسة، التي لا يحصى عددها، في حوزة المكتبات الألمانية حتّى منتصف القرن العشرين من خلال الشراء والإهداء، ومن الأمثلة على ذلك أنه كان المستشرق ويلهم بوستل[٤٤] Guillaume postel (١٥١٠-١٥٨١م) الذي جعلته الضائقة المالية يفرط بما جمعه من مخطوطات ويبيعها إلى مكتبة هايرلبرج، ثمّ صارت تلك المخطوطات نواة أصلية في دراسة المستشرقين في ألمانيا [٤٥] وشراء مكتبة برلين من البروفسور هينريش بيترمن[٤٦] PETERMANN (١٨٠١-١٨٧٦م) حوالي ألف مخطوط، وجلب القنصل البروسي في دمشق لتلك المكتبة ألفين ومائة مخطوطة، وترك المستشرق لمكتبة برلين ألفين ومائة جلد[٤٧]، وفي أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، اقتنى يوهان كريستوف Johann Christoph مكتبة للمخطوطات العربية، كما كان فيهم شيكار، الذي شغل كرسي اللغة العبرية في جامعة توبنجن من سنة (١٦١٩-١٦٣٥) قد تعمق في دراسة العربية عن طريق نسخة من القرآن الكريم... وأنه قام بتأليف عديد من البحوث في مجال اللغة العربية[٤٨].

وقد أسهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم بجمع المخطوطات العربية ونشرها وفهرستها، لاسيّما كتب المراجع والأصول المهمّة، وحفظت في مكتباتها حيث إنه يوجد في ألمانيا سبعة آلاف مكتبة ملحقة بالبلديات وإحدى عشر ألفا تابعة للكنائس، وتعدّ مكتبة برلين الوطنية ومكتبات جامعات توبنجين، وهايدلبرج، وماينس من أغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية ولاسيّما العربية، وقد قرر مجلس العلوم الألماني توسيعها وإنشاء مثيلاتها للمعاهد[٤٩]، ولقد

صدر سنة (١٩٥٧م) قرار برصد وإحصاء المخطوطات الشرقية غير المفهرسة من خلال الفهارس المطبوعة في قسمي ألمانيا وفق قواعد الفهرسة الألمانية للمخطوطات الشرقية، وهنا يتعلق الأمر بفهرسة ١٤ ألف مخطوطة، يعود نصفها إلى ملكية مكتبة الدولة البروسية في برلين، وكانت (٥٠٦٦) مخطوطة محفوظة إبان الحرب العالمية الثانية، وبعدها بسنوات في مكتبة ألمانيا الغربية Westdeutsche Bibliothek بمدينة ماربورغ Marburg وفي مخازن مكتبة الدولة البروسية في مكتبة جامعة توبنغن Tubingen.

أما المخطوطات الباقية فكانت موزعة على مدن ألمانية أخرى على النحو التالي في برلين (Berlin (٨١٤) مخطوطة، وبون Bonn (١٣٦) مخطوطة وبريمن Bremen مخطوطتان، ودار مشتات Darmstadt (٧١) مخطوطة، ودساو Dessau(٦) مخطوطات، دوناوشنجن Donauschingen ودرسدن Dresden (١١) مخطوطة، وديسلدورف Düsseldorf مخطوطة واحدة، وأرفورت Erfurt مخطوطتان، وفرانكفورت Frankfurt (١٧٧) مخطوطة، وفرايبورغ Freiburg (٢٤) مخطوطة، وفولدا Fulda (٢) مخطوطة، وغيسن Giessen مخطوطتان، وغوتنغن Göttingen (١٨٧) مخطوطة، وغرايسفالد Griswald (٣٧) مخطوطة، وهالة/ سالة Halle/ Saale (٤٧٩) مخطوطة، وهامبورغ Hamburg (٦٤٥) مخطوطة، وهانوفر Hannover مخطوطة واحدة، وهاربورغ Harburg (٣٢) مخطوطة، وهايدلبرغ Heidelberg (٣١١) مخطوطة، وبينا Jena (٦٦) مخطوطة، وكارلسروهه Karlsruhe (١٢) مخطوطة، وكاسل Kassel وكيل Kiel (٣١) مخطوطة، وكولونيا Köln (٥٧) مخطوطة، ولايبزغ Leipzig (٢٦٤) مخطوطة، وليبك Lübeck خمس مخطوطات، وماينز Mainz (٩) مخطوطات، ومانهايم Mannheim (٢٨) مخطوطة، وماربورغ/ لان Marburg Lahn ثلاث

مخطوطات في مكتبة الجامعة Manchen (٥٨٤) مخطوطة، وفي المكتبات البافارية الأخرى (٤٠٢) مخطوطة وأولدنبورغ Oldenburg ست مخطوطات، وبادربون Paderborn وروستوك Rostock (١٥٠) مخطوطة، وشفرين Schwerin مخطوطة واحدة، وسيغمارنغن Sigmaringen أربع مخطوطات، وشتوتغارت Stuttgart (١٨٨) مخطوطة، وترير Trier (١٤٦) مخطوطة، وفايمار Weimar (٩٥) مخطوطة، وفيسبادن Wiesbaden مخطوطة واحدة، وفولفن بيتل Wolfenbüttel وتسفيكاو wickau (٤٧) مخطوطة، وتوبنغن Tubingen (٧٦٤) مخطوطة[٥٠].

ولقد جاءت في المرتبة الثالثة بين المكتبات الألمانية، فيما يختص بعدد ما تمتلكه من مخطوطات، وذلك بعد مكتبة الدولة البروسية في برلين (وقف الممتلكات الثقافية البروسية)، ثمّ مكتبة الدولة البافارية في ميونخ، إذ بلغت مجلّداتها سنة (١٩٧٤م) في مختلف وجوه الدراسات الشرقية فقط مئة وخمسة وعشرين ألف مجلّد، منها عدد يتراوح بين ٧٠ و٨٠ ألف كتاب تختص بالثقافة والأدب في العربية هذا إلى جانب عدد كبير من المخطوطات العربية التي تحتل جزءا من مبنى المكتبة القديم، وقد صنفت فهارس المخطوطات العربية في ثلاثة مجلّدات هي: المجلّد الأول: وهو بعناية المستشرق كريستيان فريدريش زايبولد[٥١] Seybold. ZDMG (١٨٥٩م ١٩٢١م)، وقد صدر في توبنجن سنة (١٩٠٧م)، والمجلّد الثاني، وقد عني به ماكس فايس فايلر، وصدر في مدينة لايبزج سنة (١٩٣٠م)، والمجلّد الثالث: ولا يزال مخطوطاً وتحرص المكتبة على زيادة عدد محتوياتها من المخطوطات، وتخصص لهذا الغرض جانباً من ميزانيتها، وتحتفظ من بين مخطوطاتها على بعض النوادر، من حيث الموضوع وقدم العهد، كـ «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، التي يعود تاريخ نسخها إلى أواسط القرن السادس الهجري، ونسخة

(نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب) للفقيه الأندلسي على بن موسى بن سعيد (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)[٥٢].

ثانياً: نشر وترجمة المخطوطات العربية إلى اللغة الألمانية.

عني المستشرقون الألمان عناية خاصّة بنشر المخطوطات العربية وترجمتها أحياناً إلى اللغة الألمانية، فقد ترجمت العديد من المخطوطات في مجالات متنوعة منها: كتاب (الأدب الصغير) لابن المقفع، الذي ترجمه أ. ريشر[٥٣] Rescher، وكذلك ترجم (أحسن ما سمعت) للثعالبي، وطبع في لايبرغ سنة (١٩١٦م)، وترجمت مختارات من (يتيمة الدهر) للثعالبي، و(المزهر) للسيوطي، وترجم ريشسير أيضاً الكتب اللغوية وأهمها (المعجم في بقية الأشياء) لأبي هلال العسكري وطبعت الترجمة سنة (١٩١٥م)، وترجم غوستاف فايل[٥٤] Gustav fwell (١٨٠٨-١٨٨٩م) عدداً من المخطوطات منها: (السيرة النبوية) لابن هشام وطبع سنة ١٨٦٤م، وكتاب (أطواق الذهب) للزمخشري، و(ألف ليلة وليلة)..[٥٥]، وترجم ادوارد سخاو[٥٦] Sachau أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة «، وترجم ا. فيدمان[٥٧] Eilhard wiedemann (١٨٥٢-١٩٢٨) رسالة في الفيزياء (رسالة في استخراج الأبعاد بذات الشعبتين) ونشرت سنة (١٩١٠م) وترجم ماكس مايرهوف[٥٨] MaxMeyerhof (١٨٧٤-١٩٤٥م) مقدمة كتاب (الصيدنة) للبيروني، ثمّ ترجمها مرة أخرى المستشرق كرينك والى الانجليزية، واهتمّ الألمان أيضاً بترجمة المخطوطات الجغرافية فقد ترجم كرينكو نصّاً عن مخطوط (المسالك والممالك) بعنوان كتاب (في تحديد نهايات الأماكن وتصحيح مسافات المساكن)[٥٩].

ثالثاً: تحقيق المخطوطات ونشرها:

لم يقتصر دور المستشرقين الألمان على حفظ المخطوطات فحسب، بل عمدوا

إلى تحقيقها تحقيقاً علمياً ذا فهارس متعددة، ويُعدّ فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في فيينا من المؤلّفات الرائدة التي يعتمد عليها المحققون العرب، وقد حقّق المستشرقون الألمان عدداً كبيراً من أمهات التراث العربي، لقد كان رايسكه أوّل من نشر معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن النحاس مع ترجمتها إلى اللاتينية سنة (١٧٤٢م)، وترجم ونشر العديد من التراث العربي، فحقّق وترجم ونشر المقامة السادسة والعشرين من الحريري، وترجم الجزء الأوّل من المختصر في أخبار البشر (١٧٥٤م)، والرسالة الجدية لابن زيدون بشرح الصفدي (ليبزيج ١٧٥٥م)، ولامية الطغرائي (ليبزيج ١٧٥٦م)، وسبعة أمثال للميداني (ليبزيج ١٧٥٨م)، ومقالة أكثم بن صفي، ورسالة الوليدي ومنتخبات من أشعار المتنبيّ (١٧٦٥م)[٦٠]، ثمّ ازدهرت نشر النصوص في القرن التاسع عشر، ونشر المئات من النصوص في اللغة والشعر والأدب والتاريخ والجغرافية والفلسفة والفرق والجبر والحساب والفلك والطب.... وان مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والانكليز معاً[٦١]، فضلاً عن ذلك نالوا بهذا التراث شهادات علمية فعلى سبيل المثال: نال (فريدريش زايبولد) رسالة دكتوراة سنة (١٨٨٦م) بتحقيقه لكتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري.

لقد نشر ماكس فون من حيث العدد: (الكامل) للمبرد، و(تاريخ الرسل والملوك) للطبري الذي استمر تسعة عشر عاماً من العمل المتواصل، ومؤلّفات البيروني، و(بدائع الزهور) لابن إياس، فضلاً عن عدد كبير من دواوين الشعراء القدامى، وقد عكف إيفالد فاجنر Ewald Wagner على (ديوان أبي فراس) نحو عشرين عاماً حتّى أكمله تحقيقاً، ولا يمكن لأي دارس في الأدب والنقد العربيين أن يتجاهل أعمال مستشرقين ألمان كبار مثل كارل بروكلمان، وكتابه (تاريخ الأدب العربي) - الذي له فضل السبق في التعريف بالتراث العربي

الإسلامي المخطوط في مكتبات العالم جميعها. وعنوا بعلم الببليوجرافية[٦٢]، (علم وصف الكتب) وفهرسة المخطوطات، وتصنيف المعاجم العربية وتحريرها[٦٣].

وحقق سخاو ورفاقه (١٩٠٣) كتب الطبقات والتراجم كـ (الطبقات الكبرى) لابن سعد، وحقّق البرت (١٩٠٣م) (أخبار الحكماء) للقفطي، وحقّق أوغست ملر[٦٤] August Muller، (عيون الأنباء) لابن أبي أصيبعة، وحقّق فلوجل Flugel (١٨٧٢م). (الفهرست) لابن النديم.

لقد كان للمستشرقين دور بارز وكبير في تحقيق المخطوطات ونشر النصوص العربية القديمة في مختلف مجالات العلوم وميادين المعرفة، ولم يكن جهدهم العملي هو الوحيد في هذا المضمار بل راحوا ينظّرون تنظيرات منهجية تتناول الآليات الصحيحة للعمل التحقيقي، فأنشأوا بذلك المحاضرات المتخصصة، وألّفوا الكتب، ولعل من أبرز تلك الأعمال: (محاضرات برجستراسر) في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)[٦٥]، وهي محاضرات ألقاها المستشرق الألماني برجستراسر[٦٦] Bergstraesser (١٩٣٣-١٨٨٦م) على طلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة (١٩٣١م)، والتي تمّ طرحها في كتاب لأول مرة سنة (١٩٦٩م)، وهو أوّل مؤلف يوضع بين أيدي المحققين العرب، يرشدهم إلى أصول تحقيق الكتب ونشرها وينبههم إلى الأخطاء الكثيرة التي رافقت تحقيق الرواد من العرب لكتب التراث[٦٧].

قال يوهان فوك: «وبذلك مهد الطريق وان تمّ مرارا على مخطوطات غير كافية – أمام حقل عمل لم يطرقه أحد من قبل»[٦٨]. كما ذكر براجستراشر جهود العلماء العرب أيضاً في نقدهم للنصوص وتحقيقها في أكثر من موضع من كتابه، فذكر عمل اليونيني، الذي تبعه القسطلاني في ذكر المكان الذي حفظت فيه

المخطوطات التي رجعا إليها لكتاب صحيح البخاري[٦٩].

ومن الطبيعي أن نجد بين المستشرقين أنفسهم تفاوتاً في الضبط والإتقان، فما أنجزه (دي خويه) في التاريخ والجغرافيا، وما أنجزه (سخاو) وتلامذته ورفاقه يعد متميزاً إذا وازنّاه بالأعمال الكثيرة التي أصدرها فردناند وستنفيلد (١٨٠٨-١٨٩٩م) ذلك أن هذا المستشرق الدؤوب قام بتحقيق (وفيات الأعيان) لابن خلكان (جوتنجين) (١٨٣٥-١٨٥٠م)، و(طبقات الحفاظ) للذهبي (جوتنجين) (١٨٣٣-١٨٣٤م)، و(اللباب في معرفة الأنساب) لابن الأثير (جوتنجين) (١٨٣٥)، ومصادر ابن خلكان (جوتنجين) (١٨٣٧م)، وتواريخ مكة المكرمة الجزء الأوّل من (أخبار مكة) للأزرقي (جوتنجين) (١٨٥٨م) و(المنتقى في أخبار أم القرى) وهو من منتخبات من تاريخ مكة للفاكهي، و(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) للفاسي، و(الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) لابن ظهيرة مع مقدمة بالالمانية (ليبزيج ١٨٥٩م)، وكتاب (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) للنهرواني (جوتنجين - ليبزيج ١٨٥٧م) وكتاب (مكة وأنساب أشراف مكة) (ليبزيج ١٨٦١م)، و(معجم البلدان) لياقوت الحموي، (وآثار البلاد وعجائب المخلوقات) للقزويني، و(معجم ما استعجم) للبكري، و(السيرة) لابن هشام، و(تهذيب الأسماء واللغات) للنووي (جوتنجين ١٨٤٢-١٨٤٧م)، و(الاشتقاق) لابن دريد (جوتنجين ١٨٣٥-١٨٥٥م)... وقد زادت آثاره على المائتين[٧٠]، ولكن نشراته لا سيّما (معجم البلدان)، و(وفيات الأعيان) مليئة بالأخطاء والأوهام، على الرغم ممّا كان يبذله من جهد في إصدارها، حتّى إنه نسخ بعضها بخطه ونشرها بطريقة الليثوغراف (الطباعة الحجرية)[٧١]. فقد قال (مصطفى السقا): حين أراد أن يعيد تحقيق (معجم ما استعجم) في ضوء طبعة (وستنفلد) Wustenfeld، ومخطوطات أخرى جديدة لم تقع للمحقّق الأول: أما المستشرق

(وستنفلد)، صاحب الفضل على المكتبة العربية بما نشر من نفائسها وذخائرها فقد حقّق (معجم البلدان)، و(معجم ما استعجم)، وبذل قصارى جهد العالم الضليع في الضبط والتحري، ومقابلة النسخ، والاعتماد على الأصول، وأضاف إلى الكتاب فهرسة شاملة للمواضع التي وردت قصداً في أماكنها، وعرضاً في غير أماكنها[٧٢].

لقد قَدّمَ المستشرقون جهوداً طيبة في تحقيق المخطوطات، إلّا أن أعمالهم هذه لا تعدّ كاملة حتّى توزن بميزان المنهج العلمي الصحيح، فمن خلال ما قدّمنا نجد أن أعمالهم متفاوتة، ولقد أكد هذا الكلام الأب أنستاس ماري الكرملي[٧٣] إذ قال: «إن علم المستشرقين عرضة للنقد والتحقيق، كسائر الناس، ولابد أن ينتقدوا الانتقاد الصحيح ليظهر الغثاء وينبذ، ويبلغ إلى صميم الحق فيتبع، ولقد وجدنا هفوات لا تغتفر لهؤلاء المستشرقين من جميع الأمم وفي جميع التصانيف وما نشروه من الكتب، ولا يمكننا أن نتعرض لجميع هفواتهم فهذا يدعونا إلى وضع سفر ضخم»[٧٤]، ولهذا نجدهم عُرْضةً لسوء النقل، وسوء الاقتباس وسوء الاستشهاد ضاربين صفحاً عن ضوابط علمية كالأمانة والدقة والتجرد والموضوعية، وهم بهذا يلجؤون إلى المعلومات الغربية غير الموثقة في أمهات الكتب العربية فيتكئون عليها، وتراهم يحيلونك إلى المصادر التي يستشهدون بها أو يقتبسون منها ببياناتها الوراقية (الببليوجرافية) التامة، فتعود إلى هذه الإحالات في هذه المصادر فلا تجد لها أثراً فيها، أو ربّما يتبيّن لك عندما تعود للموضع المستشهد به، أو النص المقتبس منه أنه على خلاف تام ومناقض للمقصود من الاستشهاد أو الاقتباس، وربما يتبيّن أنّ في الأمر تحريفاً، أو تصحيفاً مع الرجوع إلى المصادر العربية التي تترك عند القارئ أثراً بأن المستشرقين قد اعتمدوا على مصادرنا في تعضيد أفكارهم التي يسعون إلى الإتيان بها، أو تراهم من وجه رابع يسعون إلى تفسير بعض المعلومات بما يؤمنون به هم أو بما يريدونه

من المتلقين أن يؤمنوا به إزاء معلومات حول حادثة تاريخية لها مساس بالثقافة والخلفية الفكرية والعلمية التي يتبناها المسلم في حياته(٧٥).

فلقد عني المستشرق الألماني (يوليون فيلهاوزن) بملء الفراغ الذي كان في المجلّد ١٤ من المخطوط المحفوظ بميونيخ تحت رقم ٤٧٠، وذلك سنة ١٨٩٦م، وإلى جانب ما لاحظه المحققون من خلل واضطراب في بعض النسخ، نجد ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ) قد أحس بسقوط شيء من الكتاب فقال في (معجم الأدباء): «فطالعته مرارا، وكتبتُ منه نسخة بخطي في عشر مجلّدات ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بـ(أخبار الشعراء)، فأكثرت وجمعت تراجمه فوجدتُه يَعِدُ بشيء ولا يفي به في غير موضع منه...، وما أظن إلا أن الكتاب سقط منه شيء، أو يكون النسيان قد غلب عليه»(٧٦).

وكتب (هلموت ريتر) عن مخطوطات الأغاني في مجلّة Oriens سنة ١٩٤٩م، وقد كان مكلّفاً في إستانبول ما بين (١٩٢٧ و١٩٤٩) بتحقيق المخطوطات العربية والفارسية ونشرها، وذلك من طرف الجمعية الشرقية الألمانية، ودائرة المعارف الإسلامية التي وضعها أعلام المستشرقين خصصت لصاحب الأغاني ترجمتين؛ أولهما وضعها (بروكلمان) وقال فيها عن كتاب الأغاني: « إنه لا يُعتبر أهم مرجع للتاريخ الأدبي إلى القرن الهجري الثالث فحسب، بل يعتبر أيضاً أهمّ مصدر لتاريخ الحضارة»(٧٧)، وأشار بروكلمان في هوامشه إلى بعض جهود المستشرقين في خدمة كتاب الأغاني والتعريف الثاني بصاحب الأغاني وضعه المستشرق نالهو (Nalho)، وقد اعتبر كتاب الأغاني معرضاً للحضارة العربية جمعاء من الجاهلية إلى نهاية القرن الهجري الثالث، ومصدراً زاخراً بتفصيلات كثيرة عن القبائل العربية وأيامها وحياتها الاجتماعية، وحياة البلاط في عهد الأمويين، وحال المجتمع أيام العباسيين. ولاحظ هذا المستشرق أن الاستشهادات الواردة

في كتاب الأغاني، والفقرات الطويلة من المؤلّفات السابقة له والتي لم تصلنا؛ تجعل من الكتاب مرجعاً أيضاً لتطور الأسلوب العربي[٧٨].

رابعاً: منهجهم في تحقيق المخطوطات:

اهتم الألمان بتحقيق كتب التراث الإسلامي وخاصّة في فن القراءات القرآنية كـ (أسرار التأويل وأنوار التنزيل) للبيضاوي، تحقيق المستشرق الألماني (فرايتاج)، و(القراءات الشاذة في القرآن) لابن خالويه، و(المصاحف) لابن أبي داود، وإبراز الروايات الشاذة في كتاب (الإتقان) للسيوطي تحقيق المستشرق الألماني (برجشتراسر)[٧٩]، ولعلّ أهم ما تميز عملهم هو اهتمامهم بالدقة والضبط في التحقيق، واستعانوا بعلماء وأساتذة العرب والمسلمين كشيوخ الأزهر، في مقدمتهم الشيخ محمد عبده[٨٠] (ت ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م)، ومن الأساتذة المبدعين الأستاذ فؤاد سزكين[٨١] وغيرهم، بعكس الاستشراق الغربي الذي لم يتصلوا أو يستعينوا بالعرب المسلمين، فعلى سبيل المثال فقد أرسل المستشرق (سخاو) مسودات طبع من تحقيقه إلى وزير المعارف المصرية آنذاك فخري باشا لعرضه على علماء الأزهر لمراجعته، فكان الشيخ محمد عبده أحد العلماء الذين راجع وصحّح أكثر من مائة وخمسين موضعاً... وكان المستشرق يعدل بعض الكلمات ويصححها على تصحيح الشيخ محمد عبده حتّى نجده يشير إلى ذلك في الهامش بقوله: «أُقِرُّ قراءة الشيخ محمد عبده»[٨٢].

ولمعرفة منهجهم في تحقيق النصوص فقد اخترنا برجشستراسر الذي ألّف أوّل كتاب في أصول تحقيق النصوص، ويمكن متابعة منهجه من خلال تحقيقه كتاب (مختصر في شواذ القرآن) لابن خالويه:

١- اهتمّ بضبط ما يحتاج إلى ضبط من كلمات وقراءات.
٢- قسم المتن إلى فقرات، كلّ فقرة خمسة أسطر.

٣- ذكر في الهامش رقم السطر بين معقوفتين، ثمّ يذكر الكلمة التي أثبتها، ثمّ نقطتين فوق بعضهما، ثمّ الكلمة الخاطئة ويتبعها رمز النسخة التي وردت فيها كما في الشكل المجاور: مثل: (٦) حيوة: حبوة (ب) وكذا في غير هذا الموضع(٨٣).

٤- بالنسبة للتصحيح فإنه لا يصحح في النص ويصحح في المتن، ويصحح حتّى في تشكيل الكلمة، ويستخدم عدة صيغ في التصحيح منها: [١١] يُخّدَّعُونَ: كذا في (أ) وفي (ب) يخدَّعون(٨٤)، [١٤] مستهزيون: كذا في النسختين وهو غلط والصواب مستهزُون؛ [١٦] بعد (السمال) كلمة غير مفهومة وهي في (آ) (أدم) وفي (ب) (لام) ويلزم أن تكون إشارة إلى من هو الذي قرأ اشتروا الضلالة بالفتحة، ويصحح من مصادر غير النسخ كالرسم القرآني في المصحف ويضع الآية بين قوسين( ) مثل: (١٦) ما يعبدوهم إلا لتقربونا: غير مفهوم والمشهور عن ابن مسعود (قالوا ما نعبدهم إلّا ليقربونا)(٨٥)، [١١] ظهره: هو في المصحف العثماني (وظهره).

٥- تعليقات على النص مثل: [٥] الفاء غير موجود في (ب) وهو مكتوب على الهامش في (آ) ولعله ليس من أصل الكتاب(٨٦).

٦- بالنسبة للسقط يستخدم الصيغ التالية في المقابلة بين النسخ والنص. مثل: [١] أبو: غير موجود في (أ)(٨٧). [١٥]...: لابد من أن تكون قد سقطت عبارة مثل (حلقيا).

٧- لم يخرج الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الأشعار.

٨- لم يترجم للأعلام حيث ورد العديد من الأسماء والأعلام غير المعروفة، ولم يوضح المعاني الغامضة.

٩- لم نجد له مقدمة لعمله في التحقيق كما نجدها عند المحققين العرب من أهميّة الكتاب المراد تحقيقه وأسباب اختياره للتحقيق ومنهجه في التحقيق ودراسة المخطوط... لكن وجدنا تقديم لآرثر جفري في مقدمة كتابه يمهد

لبرجشستر سبب عمله في اختيار هذا الكتاب، وقدم نبذة وجيزة عن ذلك، كما قدم نبذة مختصرة أيضاً عن مؤلف الكتاب ابن خالويه، ووصف النسخ التي اعتمدها برجستر في المقابلة حيث اعتمد برجستر في إثبات نص الكتاب على نسختين إحداهما من إستانبول مشار إليها فيما يأتي بعلامة (أ) والأخرى من مصر مشار إليها بعلامة (ب)، وكان كلا النسختين ممتلئتين غلطا من إهمال الكاتبين لذلك كان إثبات النص صعباً[٨٨].

من خلال ما تقدم نجد أن منهجه يركز على المقابلة الدقيقة بين النسخ، ويعلق على الاختلافات بين النص والنسخ حتّى في اختلافهم في تشكيل الكلمة.

خامساً: فهارس المخطوطات:

لم تقف جهود المستشرقين الألمان عند حد جمع المخطوطات وتحقيقها فقط، بل امتدت الى ما هو أبعد من ذلك إلى عمل فهارس بيلوغرافية لتلك المخطوطات التي يقتنوها، وعمل العديد من المستشرقين الألمان في فهرسة المخطوطات، إذ صدرت في المدة الواقعة (١٨٥٠م-١٩١٠م) عدة فهارس للمخطوطات العربية والإسلامية والشرقية في برلين Berlin، وغوتنغن Göttingen، وغوتا Gotha، ولايبزغ Leipzig، وميونيخ München،وتوبنغن Tubingen... فقد وضع الورد فيلهلم[٨٩] alwardt.w. (١٨٣٨-١٩٠٩م) فهرساً لنحو عشرة آلاف مخطوط في عشرة مجلّدات لمكتبة برلين سنة (١٨٨٧م-١٨٩٩م)، ووضع جوزيف أومير[٩٠] aumer.j (١٨٦٦-١٩٢٢م) فهرسة المخطوطات العربية والفارسية في المكتبة الملكية والعالمية في ميونيخ سنة(١٨٨٦م)، ووضع جراتس[٩١] gratzle فهرس المخطوطات العربية في مجموعة جلازر الدراسات الشرقية سنة (١٩١٨م)، ووضع بيرتش[٩٢] pertsch (١٨٣٢-١٨٩٩م) فهرس المخطوطات في مكتبة جوتنجين ووصف (٢٨٩١) مخطوطاً في خمسة

مجلّدات سنة (١٨٧٨-١٨٩٢م)، ووضع بروكلمان فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة برسلاو سنة (١٩٠٠م)، ووضع (برنباخ) فهرس المخطوطات العربية في جامعة هايدلبرج سنة(١٦٥٨م) ووضع كلّ من كارل فوللرس[٩٣] ..K.Vollers (١٨٥٧-١٩٠٩م) فهرس المخطوطات الإسلامية والمسيحية الشرقية في مكتبة جامعة ليبزيج واصفاً (٨٩٨) مخطوطاً سنة (١٩٠٦م)، ومارتن هارتمان فهرس المخطوطات العربية الإسلامية في جامعة ليبزج أيضاً، و(فايسفايلر) فهرس المخطوطات العربية الجزء الثاني سنة (١٩٣٠م) في مكتبة ليبزيج وكذلك هانز فير[٩٤] chans (١٩٠٩م) وضع فهرس الجزء الثاني سنة (١٩٤٠م)، ووضع (زايبولد) فهرسة المخطوطات العربية في مكتبة جامعة تونبجين سنة (١٩٠٧م)، ووضع مارتن هارتمان فهرس المخطوطات العربية في مجموعة هاوبت في مكتبة هالة سنة (١٩٠٦م)، ووضع يوجين ميتفوخ E.Mittwoch (١٨٦٧-١٩٤٢م) المخطوطات العربية في مكتبة الورد سنة (١٩٢٢م)، ووضع أوجست فشر[٩٥] august fischer (١٩٤٩-١٨٦٥م) فهرس المخطوطات العربية والفارسية الخاصّة بالرحالة برتشارد في ليبزيج سنة (١٩٢٢م)[٩٦].

الخاتمة:

بعد الانتهاء من دراسة موضوع (المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية)، فقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١- إن الصفة البارزة للاستشراق الألماني أنه لم يزدهر نتيجة الاستعمار - كما هو الحال في إنجلترا وفرنسا وهولندا - أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواه؛ فهو يمتاز بالموضوعية والعمق.

٢- استفاد المستشرقون الألمان عند تحقيقهم للمخطوطات العربية من مناهج نشر النصوص اللاتينية، ومناهج المسلمين الأوائل في التوثيق، ووضعوا القواعد في التحقيق وفي مقدمتهم (برجشستراسر) الذي وضع أوّل مؤلف في هذا المجال وصار مرجعا للباحثين العرب، ولذا سبقوا العرب في هذا الميدان، فعرفوا قيمة تلك النصوص، وسعوا إلى نشرها وتحقيقها.

٣- عَني المستشرقون الألمان عناية جليّة بحفظ المخطوطات وصيانتها وترميمها وفهرستها وترجمتها وتحقيقها ثمّ نشرها، وفاقوا العرب في تلك المرحلة.

٤- اتصف منهجهم في ضبط نصوص التحقيق بالدقة والضبط والموضوعية، وكانوا غالباً ما يستعينون بالعرب المسلمين من شيوخ وعلماء وأساتذة في ضبط النص، بعكس المستشرقين الأوربيين الذين لم يستعينوا بالعرب المسلمين.

٥- يسجل للمستشرقين الألمان السعي الحثيث والجدّة في خدمة المخطوطات العربية الإسلامية، ممّا يدفعنا إلى ضرورة العناية بتلك المخطوطات وحمايتها وصيانتها وتحقيقها ونشرها باعتبارها تراثنا الأصيل.

هوامش البحث:

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٢، الرياض/ ١٩٨٩م)، ص٣٣.

(٢) عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، (القاهرة د.ت)، ص١٧٦.

(٣) ميشال جحا، الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، (د.م/ د.ت)، ١/٨٢

(٤) هو البابا رقم ١٤٦ رحل من فرنسا إلى الأندلس، فدرس الهندسة والميكانيك والفلك، وأدخل الأرقام العربية والساعة إلى فرنسا، تقلد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م). ينظر ترجمته: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين (بيروت/ ١٩٩٣م)، ص١٧٨-١٧٩.

(٥) ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف،

القاهرة/ ١٩٩٧م)، ص٢٠؛ الموسوعة الميسرة في الأديان، ص٣٣.

(٦) زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٤٣.

(٧) مستشرق نمساوي، ولد في جراتز وتعلم في مدرستها ثمّ في جامعة فينا، وبرع في العربية والفارسية والتركية، وصنف بالألمانية كتبا كثيرة منها: تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلّدات، ولم يتمّه، وتاريخ الدولة العثمانية، وكان شاعرا بالألمانية، توفي سنة ١٨٥٦م. ينظر ترجمته خير الدين الزركلي، (الأعلام) قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، دار العلم للملايين (بيروت (١٩٨٠م)، ٢٢٣/ ٨؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٦١٣-٦١٤.

(٨) صموئيل زويمر، رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، وقد أُسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين. ينظر ترجمته: الموسوعة الميسرة في الأديان، ص١٦٠.

(٩) ينظر: مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق، د.م/ د.ت)، ص٣٧-٣٨؛ زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٤٣-٤٥؛ الموسوعة الميسرة في الأديان، ص٣٣. (د.م/)

(١٠) رعد شمس الدين الكيلاني، الإسلام والاستشراق، الناشر مركز البحوث والدراسات الإسلامية، (بغداد/ ٢٠٠٦م)، كلمة الناشر

(١١) ليون كايتاني (١٨٦٩م-١٩٣٥م) مستشرق إيطالي وأمير من آل كيتاني، جمع ومخطوطات كثيرة، وألّـف عدة كتب أشهرها حوليات الإسـلام. ينظر ترجمته: البدوي موسوعة المستشرقين، ص٤٩٣-٤٩٦.

(١٢) عائشة عبد الرحمن، التراث العربي بين ماض وحاضر، (القاهرة/ ١٩٧٤م)، ص٥٤.

(١٣) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، الكويت/ ١٩٩٢م)، ص٥٦-٥٧.

(١٤) مستشرق ألماني (١٨٠٠-١٨٧٦)، عمل أستاذا في توبنجهن، وله مؤلّفات سياسية عدة. ينظر ترجمته: البدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٧٦.

(١٥) كراتسكو فسكي (١٨٨٣-١٩٥١م) مستشرق روسي، اهتمّ بجمع المخطوطات ودراستها وبخاصّة مخطوطات أبي العلاء المعري، تولّى إدارة معهد روزن للغات الشرقية وعمل بالتدريس وله مؤلّفات أشهرها بين المخطوطات العربية. ينظر ترجمته: البدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٦٨.

(١٦) طارق سرى، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ط١، مكتبة النافذة مصر/ ٢٠٠٦م)، ص٢٦.

(١٧) صلاح منجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت/ ١٩٩٨م)، ص٧.

(١٨) الرؤوف: محمد عوني، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٤م)، ص٢٣.

(١٩) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٢٠) ينظر ترجمته: نجيب العقيقي، المستشرقون، ط٤، دار المعارف، (القاهرة/ ١٩٨٠م) ٣٥٤/ ٢؛ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتّى بداية القرن العشرين، ترجمة: عمر لطفي العالم، ط٢، دار المدار الإسلامي، (ليبيا/ ٢٠٠٠م) ص١١٠؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٩٨-٣٠.

(٢١) ينظر ترجمته: المستشرقون، ٢/ ٣٥٦.

(٢٢)صلاح منجد، المستشرقون الألمان، ص٧.

(٢٣) ينظر ترجمته: العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٩٤.

(٢٤) ينظر ترجمته: المرجع نفسه، ٢/ ٣٦٢.

(٢٥) ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١١٣-١١٦.

(٢٦) للاستزادة عن الجمعيات والمجلات. ينظر: العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٤٩-٣٥٣.

(٢٧) تيودور نولدكة (١٨٣٦-١٩٣١م)، وهو شيخ المستشرقين الألمان، عَني باللغات والمخطوطات. ينظر ترجمته بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٩٥- ٥٩٨.

(٢٨) مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٠٣م حقّق العديد من المخطوطات مثل معلقة الحارث بن حلزة، ومعلقة طرفة بن العبد... ينظر ترجمته: المرجع نفسه، ص٤١٩-٤٢٠.

(٢٩) مستشرق الماني ولد في مدينة كوينسبرج، نال الدكتوراة من ليبزيج سنة ١٨٨٧م، له عدة مؤلّفات منها العمارة الإسلامية، في سبيل فهم (الشرق). ينظر ترجمته: العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٤٠٧.

(٣٠) صلاح منجد، المستشرقون الألمان، ص٧.

(٣١) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير، ص٢١.

(٣٢) ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٩٨-١٠٥.

(٣٣) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: شوقي أبو خليل، كارل بروكلمان في الميزان، ط١، دار الفكر المعاصر، (بيروت/ ١٩٨٧م)، ص٢٥-١٧٠.

(٣٤) ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٩٩-٤٠٢؛ اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي، (القاهرة ١٩٢٨) ٢/ ١٩١٧؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٩٩-٤٠٢.

(٣٥) ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص١٩٠.
(٣٦) صلاح منجد، المستشرقون الألمان، ص٨.
(٣٧) ينظر ترجمته: العقيقي، المستشرقون ٣٨٦/ ٢؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٠٨-٤١٠.
(٣٨) ينظر ترجمته: العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٤٦٩؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٦٦-٣٦٨.
(٣٩) ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٧٧-٢٨٠.
(٤٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة د.ت)، ص٣٥.
(٤١) زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٣١.
(٤٢) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مؤسسة الرسالة، (بيروت/ ١٩٨٧م)، كلمة عمر عبيد حسنة.
(٤٣) المرجع نفسه، ص٦٣.
(٤٤) مستشرق فرنسي. ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١٣٥-١٣٨.
(٤٥) المنجد، المستشرقون الألمان، ص١٥.
(٤٦) مستشرق ألماني حصل على الكثير من المخطوطات عيّن أستاذاً للغات الشرقية في برلين وله رحلات حول المشرق. ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١٤٩.
(٤٧) طارق سرى، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ص٢٧.
(٤٨) جرنوت روتر، الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنجن الاستشراق الألماني، الطبعة العربية، دار صادر، (بيروت/ ١٠٧٤)، ص١٠.
(٤٩) العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٤٣.
(٥٠) للاستزادة ينظر: د. عدنان جواد طعمة، قواعد الفهرسة الألمانية للمخطوطات الشرقية مطبعة النجف الأشرف، (النجف/ ١٩٧٧م).
(٥١) ينظر ترجمته: العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٤٠٤.
(٥٢) للاستزادة ينظر: إميل كرومر، رعاية الدراسات العربية في مكتبة توبنجن، الاستشراق الألماني، ص٢٨-٣٠؛ يحيى جبر، الدراسات الاستشراقية في جامعة توبنجن، عالم الكتب، (السعودية/ ١٩٩٤م)، عدد خاص عن الاستشراق، ٨٠-١٠٨
(٥٣) من كبار العلماء في الأدب العربي ولد سنة ١٨٨٣م، ينظر ترجمته: العقيقي المستشرقون، ٢/ ٤٤٧.
(٥٤) ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٩٠-٣٩١.
(٥٥) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٩٠.

(٥٦) مستشرق ألماني (١٨٤٥-١٩٣٠م)، تعلم العربية في بلاده، وعين أستاذاً للغات السامية في جامعة فينا، وفي سنة ١٨٧٦ أستاذاً للغات الشرقية في برلين. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢١١.

(٥٧) ينظر ترجمته: بدوي، مرجع سابق، ص٤٢٥-٤٣٠.

(٥٨) ينظر ترجمته: المرجع نفسه، ص٥٤٠-٥٤٣

(٥٩) ينظر: سماء زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد، (الرياض/ ١٩٩٩م)، ص٦٦-٧٠.

(٦٠) العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٥٥.

(٦١) المنجد، المستشرقون الألمان، ص٨.

(٦٢) هي التصنيف لكل فرع من فروع المعرفة وتصنيف العلم المعين إلى أقسام متعددة والمفردة ذات أصل يوناني مأخوذة من كلمة كتاب أو كتابة وتعني أيضاً فهرس العناوين الشاملة لا كتاب من وجود قائمة بأسماء الأعلام والأمم والقبائل والجماعات والمواضع الجغرافية وعناوين وأقسام الكتب. ينظر: لويز نويل ماكليس، البيبلوغرافيا، ترجمة: بهيج شعبان، مراجعة: هنري رغيب، منشورات عويدات، ط١، (بيروت/ ١٩٧٤م)، ص١٠-١١.

(٦٣) للاستزادة ينظر: صلاح منجد المستشرقون الألمان، ص١٠-٧؛ رودي بارت (١٩٠١ ١٩٨٢م)، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ نولدكة، ترجمة: مصطفى ماهر، ط١، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة/ ١٩٦٧م)، ص١٥.

(٦٤) مستشرق ألماني (١٨٤٨-١٨٩٢م). ينظر ترجمته الزركلي، الأعلام، ٢٦/ ١؛ العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٩١.

(٦٥) مستشرق ألماني (١٨٠٢-١٨٧٠م). ينظر ترجمته الزركلي، الأعلام، ١١٩/ ٢؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ٤١١-٤١٣.

(٦٦) اهتم الكتاب ببعض القواعد التي تفيد في تحقيق المخطوطات فالأخذ بالحسبان طبيعة المخطوطات العربية من حيث اختلاف النسخ وأفضليتها والعناية باللغات والترجمة والتأكيد على النقد في فهم النص، ويخلص إلى قاعدتين أولاهما: أن النص للأقصر هو الصحيح لاحتمال إدخال الناسخ في النص ما ليس منه طلبا لشرحه، والثانية إن النص الأصعب هو الصحيح. إياد خالد الطباع منهج تحقيق المخطوطات، دار الفكر، دمشق/ ٢٠٠٨)، ص١٥.

(٦٧) مستشرق ألماني، كان أبوه وجده من قساوسة البروتستانت، علم في جامعة ليبزيج، قام برحلة إلى الشرق، فزار الأناضول وسورية وفلسطين ومصر. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، ١٤٣/ ٢؛ بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٨٥-٨٨.

(٦٨) العرب سبقوا المستشرقين في تحقيق النصوص والمتمثلة في منهج رواة الحديث، والمستشرقون اكتسبوا من منهج علماء العرب القدماء، أما تاريخ بدء التحقيق عند العرب فاختلف الباحثون في تحديده، ويغلب الظن أن تكون محاولاته الأولى قد بدأت في القرن ١٨ أو ١٩، أو ٢٠. ويبدو أن اختلافهم مآله إلى تباين نظريتهم إلى مفهومهم لمعنى النشر أو التحقيق فإذا انحصر معنى النشر في تحويل مخطوط إلى مطبوع، فزمن نشر المخطوطات من هذه الزاوية لازم ظهور الطباعة العربية في المشرق العربي (أول مطبعة عربية ظهرت في حلب سنة ١٧٠٢م)، وفي لبنان سنة ١٧٣٣م. وفي مصر سنة ١٨٢١م. وفي العراق وفلسطين سنة ١٨٣٠م). وإذا كان النشر يعني تصحيح الأخطاء الإملائية وشرح الغوامض من المعاني واعتماد النسخة الواحدة لمخطوط متعدد النسخات فزمن نشر التراث العربي يعود إلى القرن التاسع عشر، وإذا كان المقصود إتباع القواعد العلمية الدقيقة في التحقيق، كما عرّفها الغرب ومعظم المستشرقين وبعض المحققين العرب فزمن النشر يكون منذ أوائل هذا القرن. ينظر: مجلّة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد ١٨، السنة الخامسة، دمشق، كانون الثاني ١٩٨٥م.

(٦٩) تاريخ حركة الاستشراق، ص٣٤٢.

(٧٠) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ط٢، دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٩٥م)، ص٢١.

(٧١) العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٦٨؛ المستشرقون الألمان، ص٨.

(٧٢) الليثوغراف: الطباعة المسطحة بواسطة قوالب الحجر.

(٧٣) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥م، مقدمة المحقّق، الصفحة (ح).

(٧٤) أحد رهبان الآباء الكرمليين في بغداد، صاحب مجلّة لغة العرب، وعضو في مجلس المعارف بالعراق له من التأليف المطبوعة: (خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا) ينظر. ترجمته سركيس، معجم المطبوعات، ١/ ٤٨١.

(٧٥) دياب، تحقيق التراث، ص٢٠١.

(٧٦) علي بن إبراهيم النملة، أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، مجلّة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٧، السنة السابعة، ص٥١٩-٥٦٤.

(٧٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: د. إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت/ ١٩٩٣)، ٤/ ١٧٠٨.

(٧٨) دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالألمانية والإنجليزية والفرنسية جماعة من المستشرقين، نقلها إلى العربية عبد الحميد يونس وزملاؤه، ط١، (القاهرة/ ١٩٣٣م): ١/ ٥٧٠.

(٧٩) المرجع نفسه، ١/ ٥٧١، نشر هذا المقال بمجلة جذور، دورية تعنى بالتراث وقضاياه، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد الخامس ذو الحجة ١٤٢١هـ/ مارس ٢٠٠١م، ص٢٠١-٢٠٨

(٨٠) ينظر: عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث، ص٣٤٩.

(٨١) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد في الإسلام، أصدر مع أستاذه جمال الدين الافغاني جريدة (العروة الوثقى)، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف له عدة مؤلّفات منها: (تفسير القرآن الكريم) لم يتمّه، و(رسالة التوحيد). ينظر ترجمته الزركلي، الأعلام، ١٤/ ١٤١.

(٨٢) هو البروفسور الدكتور محمد فؤاد سزكين التركي الأصل، ولد سنة (١٩٢٤م)، أصدر أكثر من ألف مجلّد تخصُّ العلوم العربية والإسلامية. واشتهر بكتابه (تاريخ التراث العربي)، أشرف على معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت في جمهورية ألمانيا الاتحادية.

(٨٣) عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث، ص٤٩.

(٨٤) ينظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبيّ، (القاهرة د.ت)، ص١٠.

(٨٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٠.

(٨٦) ينظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٣.

(٨٧) ينظر: المصدر نفسه، ص١٢.

(٨٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٢١.

(٨٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٨.

(٩٠) ينظر ترجمته العقيقي، المستشرقون، ٢/ ٣٨٣.

(٩١) ينظر ترجمته المرجع نفسه، ٢/ ٤١٧.

(٩٢) ينظر ترجمته: المرجع نفسه، ٢/ ٤٠١.

(٩٣) من علماء المخطوطات الشرقية وكبار مفهرسيها. ينظر ترجمته المرجع نفسه، ٢/ ٣٧٨.

(٩٤) ينظر ترجمته المرجع نفسه، ٢/ ٤٠٣.

(٩٥) ينظر ترجمته: المرجع نفسه، ٢/ ٤٧٤.

(٩٦) ينظر ترجمته: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٠٣-٤٠٧.

المصادر والمراجع:

١- أصول نقد النصوص ونشر الكتب: برجشستر، ط دار الكتب المصرية، (القاهرة/ ١٩٩٥م).

٢- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت/ ١٩٨٠م).

٣-الاستشراق: مازن بن صلاح مطبقاني، (المدينة المنورة د.ت).
٤- الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: محمد ياسين عربي، ط١، المجلس القومي للثقافة العربية الرباط (١٩٩١م).
٥- الاستشراق وجه للاستعمار الفكري: عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة، ط. ١ (القاهرة/ ١٩٩٥م).
٦- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، (القاهرة/ ١٩٩٧م)؛
٧- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، مؤسسة الرسالة، (بيروت/ ١٩٨٧م).
٨- الاستشراق الفرنسي والأدب العربي: أحمد درويش، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، (القاهرة/ ١٩٩٧م).
٩- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: مصطفى السباعي، دار الوراق، (د.م/ د.ت).
١٠. الإسلام والاستشراق: رعد شمس الدين الكيلاني، الناشر مركز البحوث والدراسات الإسلامية (بغداد/ ٢٠٠٦م).
١١- إضاءات على الاستشراق الروسي: فاطمة عبد الفتاح، مكتبة الأسد اتحاد الكتاب العرب، (دمشق/ ٢٠٠٠)
١٢- الاعتبار: أسامة بن منقذ، تحقيق فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة د.ت).
١٣- البيبلوغرافيا: لويز نويل ماكليس، ترجمة بهيج شعبان، مراجعة هنري رغيب، منشورات عويدات، ط١، (بيروت/ ١٩٧٤م).
١٤- تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتّى بداية القرن العشرين: يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم، ط٢، دار المدار الإسلامي، (ليبيا/ ٢٠٠٠م).
١٥- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا: محمود المقداد، عالم المعرفة، (الكويت/ ١٩٩٢م).
١٦- تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: عبد المجيد دياب، دار المعارف، (القاهرة د.ت).
١٧- تراثنا بين ماض وحاضر: عائشة عبد الرحمن، (القاهرة/ ١٩٧٤م).
١٨- جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة: محمد عوني عبدالرؤوف ط١، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة/ ٢٠٠٤م).
١٩- دراسات في المخطوطات العربية: سماء زكي المحاسني، مكتبة الملك فهد، (الرياض/ ١٩٩٩م).
٢٠- الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا: ميشال جحا، معهد الإنماء العربي، (د.م/ د.ت).
٢١- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ نولدكة): رودي بارت، ترجمة: مصطفى ماهر، ط١، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة/ ١٩٦٧م).
٢٢- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها: محمد فتح الله الزيادي، ط١، المنشاة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، (طرابلس/ ١٩٨٣م)
٢٣- فن فهرسة المخطوطات مدخل وقضايا: تحرير د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية،

(القاهرة ١٩٩٩م).
٢٤- الفهارس عند أحمد محمد شاكر في مقدمة الجامع الصحيح: تحقيق وشرح أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي (بيروت/ د.ت).
٢٥- فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة الغازي خسرو بيك: قاسم دوبراجا، نشر المشيخة الإسلامية، (سراييفو/ ١٩٦٣م).
٢٦- قواعد الفهرسة الألمانية للمخطوطات الشرقية: د. عدنان جواد طعمة، مطبعة النجف الأشرف، (النجف/ ١٩٧٧م).
٢٧- كارل بروكلمان في الميزان: شوقي أبو خليل، ط دار الفكر المعاصر، (بيروت/ ١٩٨٧م).
٢٨- مجلّة التراث العربي: تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد ١٨، السنة الخامسة دمشق، كانون الثاني ١٩٨٥م.
٢٩- مجلّة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين علي بن إبراهيم النملة، العدد ٧، السنة السابعة.
٣٠- مجلّة جذور: دورية تعنى بالتراث وقضاياه النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد الخامس ذو الحجة ١٤٢١هـ/ مارس ٢٠٠١م.
٣١- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ابن خالويه: مكتبة المتنبيّ، (القاهرة/ د.ت)
٣٢- المستشرقون: نجيب العقيقي، ط٤، دار المعارف، (القاهرة/ ١٩٨٠م)
٣٣- المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية: صلاح منجد، ط١، دار الكتاب الجديد، (بيروت/ ١٩٩٨م).
٣٤- المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي: طارق سرى، ط١، مكتبة النافذة، (مصر/ ٢٠٠٦م).
٣٥- معجم المطبوعات العربية: اليان سركيس، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي. (القاهرة/ ١٩٢٨م).
٣٦- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنّى، بيروت د.ت).
٣٧- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق النصوص: محمد التونجي، عالم الكتب، (د.م/ د.ت).
٣٨- منهج تحقيق المخطوطات: إياد خالد الطباع، دار الفكر، (دمشق/ ٢٠٠٨).
٣٩- موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، ط(بيروت/ ١٩٩٣م).٣، دار العلم للملايين،
٤٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، (الرياض/ ١٩٨٩م).

المصدر: مجلّة كلية العلوم الإسلامية، مج٨، ع١٥، حزيران ٢٠١٤م.

أولوية العمل على النّظر

حسن حنفي
مفكر وفيلسوف مصري

هل للنّظر أولوية على العمل؟

الدعوى النقيضة، للنظر الأولويّة على العمل، فإنّها دعوى تظهر في لحق تاريخيّة معيّنة عندما يستحيل العمل ثمّ يأتي النظر تعويضاً عن هذا العجز، وتفريغاً للطاقة في ميدان آخر أكثر أمناً. عندما تُسَدّ طرق العمل لا تجد الطاقة أمامها إلّا أن تظهر في النظر بوصفها طريقاً فرعياً حتّى ينزاح السد، وتعود الطاقة إلى مسارها الطبيعي في العالم من خلال الفعل الإنساني.

في الحضارة الإسلامية، صحيح أن أوّل ما نزل من القرآن ﴿**اقرأ**﴾[١]، ولكن القراءة لا تعني التعرُّف على الخطوط، قراءة المكتوب فقد كان جبريل يعلم أن الرسول أُمّي لا يقرأ ولا يكتب؛ إنّما القراءة هي التعرف على أفعال الله في الطبيعة ﴿**اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَق**﴾[٢].. والعلم فعل التعليم ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٣]. والنظر في القرآن ليس مجرد تأمل ومعرفة نظريّة؛ بل هو إبصار ونظر بالعين. ليس فكراً مجرداً؛ بل هو إعمال للحس، نظر للطبيعة والناس. وهو بداية السلوك والتوجيه في العالم، وليس التأمل النظري الخالص. النظر هو الإبصار ﴿**وَتَرَاهُم يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾[٤]، والنظر في الطبيعة أيضاً لأخذ العبرة ﴿**أفلم ينظروا إلى السَّمَاءِ فَوقَهم كيفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا**﴾[٥]، والنَّظَر إلى الحيوان ﴿**أَفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإبل كيفَ خُلِقَتْ**﴾[٦]، والله أيضاً ينظر كيف يعمل الناس ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِيَ الأَرْضِ مَن بَعْدِهِم لِنَنْظُرَ كَيْف**

(١) الآية ١،العلق/ ٩٦
(٢) الآيتان: ٢-١١، العلق ٩٦.
(٣) الآيات،٣،٤،٥، العلق/ ٩٦.
(٤) الآية ١٩٨، الأعراف/ ٧.
(٥) الآية ٦، ق/ ٥٠.
(٦) الآية ١٧، الغاشية/ ٨٨.

تَعْمَلُونَ﴾[١]. فالنظر علم والله عالم، والإنسان عالم. وهو أيضاً نظر في الآثار كعظة وعبرة، تنظر النفس ماذا قَدَّمَتْ ﴿**أفلمْ يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذين مِنْ قَبْلَهُم**﴾[٢]. والنَّظر إلى سُنَنِ المجتمع والتاريخ ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلين**﴾[٣]. وهو أيضاً انتظار، كما أوّل المعتزلة ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرةٌ * إلى ربّها نَاظِرَةٌ**﴾[٤]؛ أي منتظرة للثواب أو العقاب، وذلك مثل انتظار الساعة وانتظار النعيم وانتظار العذاب. وهو الاشتقاق نفسه ﴿**قالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ لِمَنَ الْمُنْظَرِينَ**﴾[٥].

دعوة القرآن إلى طلب البرهان ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين**﴾[٦]؛ إِنَّمَا هو تحدّ لاستحالة وجود البرهان على الكذب والبهتان وعندما يدعو القرآن إلى التعقل ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٧] وإلى التفكر ﴿**أَفَلا تَفَكَّرُون**﴾[٨] فإن القصد هو الاعتبار والعظة؛ أي دلالة الواقع للاستفادة به في الحياة العمليّة وليس تشييد بناء نظري خالص كبديل عن الواقع. المرّة الواحدة التي ورد فيها فعل «فكر» يُقرن بالقرار وبالفعل ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**﴾[٩]، والباقي كلّه «التفكر»؛ أي التدبر في آيات الله في الكون وهي أغلب الاستعمالات ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون**﴾[١٠]. والتفكر في خلق السماوات والأرض ﴿**ويَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ**

(١) الآية ١٤ يونس/ ١٠.
(٢) يوسف: الآية ١٠٩.
(٣) الآية ٤٣، فاطر/ ٣٥.
(٤) الآيتان: ٢٢، ٢٣، القيامة/ ٧٥.
(٥) الآيتان: ١٥-١٤ الأعراف/ ٧، ورد لفظ «نظر» ومشتقاته في القرآن (١٢٩) مرّة أكثرها بمعنى الإبصار.
(٦) الآية ٦٤، النّمل/ ٢٧.
(٧) الآية ١٦٩، الأعراف/ ٧.
(٨) الآية ٥٠، الأنعام/ ٦.
(٩) الآية ١٨ المدثر/ ٧٤.
(١٠) الآية ٣ الرعد/ ١٣. ورد لفظ «فكر» ومشتقاته في القرآن (٢٨) مرّة أغلبها بمعنى التفكر

السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾[١]. والتفكير في الناس ﴿**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصاحِبِهِم مِن جِنَّةَ﴾**[٢] والتفكير في النفس ﴿**أولَمْ يَتَفَكَّرُوا في أَنْفُسِهِمْ﴾**[٣]. والتفكر فرادى وجماعة ﴿**وَأَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾**[٤]. وقد يكون التفكر في التاريخ وأحوال الأمم والشعوب بعد سماع قصص الأنبياء ﴿**فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٥]. فلا يوجد تفكير نظري؛ إنّما التفكير تفكير في شيء.

قد ورد لفظ (العقل) في القرآن أكثر الاستعمالات في صيغة استفهام استنكاري ﴿**أَفَلا تَعْقِلُون﴾**[٦] وفي المضارع أكثر من الماضي، كحقيقة ثابتة أبدية وليست كحقيقة زمانيّة ماضية. وبالإضافة إلى الصيغة الاستفهاميّة الاستنكارية هناك صيغة التمنِّي ﴿**لَعَلَّكُم تَعْقِلُون﴾**[٧]، والصيغة الشرطية ﴿**إِنْ كُنتُم تعقلون﴾**[٨]. والأهم هو الموضوع الذي يفكر فيه العقل. يأتي كلام الله أولًا، ثمّ الآخرة والطبيعة، ثمّ الأحداث التاريخية والمجتمع، ثمّ الأفعال والأمثال والوصيّة. ويتطلب العقل الفعل، وعدم أمر الناس بأعمال البرّ دون فعل ذلك ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأَنْتُم تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾**[٩]. والعقل النظري هو الذي يُوجّه العقل العملي ويمنع من الضَّلال ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ**

في الآيات.

(١) الآية ١٩١، آل عمران ٣.

(٢) الآية ١٨٤، الأعراف/ ٧.

(٣) الآية ٨، الروم/ ٣٠.

(٤) الآية ٤٦، سبأ/ ٣٤.

(٥) الآية: ١٧٦، الأعراف/ ٧.

(٦) الآية ٣٢، الأنعام/ ٦.

(٧) الآية ٧٣، البقرة/ ٢.

(٨) الآية ١١٨ آل عمران.٣. ورد لفظ «عقل» في القرآن (٤٩) مرة ٢٩ منها استفهام استنكاري، والماضي (أفلم تعقلون مرة واحدة.

(٩) الآية ٤٤، البقرة/ ٢.

مِنْكُم جِبِلاً كَثِيراً أفلم تَكُونُوا تَعْقِلون﴾[١]. وهو الذي يمنع من الهلاك يوم القيامة ﴿**وقالوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَّا في أَصْحَابِ السَّعِير﴾**[٢].

ولقد صحّ ما يرويه المسلمين من أنّ: «أوّل ما خلق الله خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل أدبر فأدبر، وعزتي وجلالي ما خلقت إليّ أعزّ منك» فالعقل هنا هو العقل العمليّ، العقل الإرادي الذي يطيع وطلب الحديث عدم التفكير في ذات الله والتفكر في آثاره ومخلوقاته؛ إنّما هي دعوة إلى التفكير في الطبيعة من أجل اكتشاف قوانينها، والسيطرة عليها من أجل إعمارها، والتوجه إلى ما هو أنفع وأكثر يقيناً. فخبر الواحد يعطي معرفة ظنّيّة، ولكنّه يؤسّس عملاً يقينياً.

الفكر تفكر؛ أي فكر منعكس على الذات تأمل وتدبر. الفكر تفكير في النفس وهو التفكر. وهو أيضاً تفكر في الطبيعة والكون[٣].

لقد ورد لفظ (عقل) في الحديث بمعناه الاشتقاقي الحسّي عقل البعير؛ أي ربطه. فالعقل رباط وعلاقة وليس عقلا من دون رباط يهيم في أي وادٍ. هو عقل مُوجّه نحو غاية. وفي غياب العقل يكون البله، والجنون. والصبية والحيوانات لا تعقل. والنساء ناقصات عقل طبقاً للرواية المشهورة «ناقصات عقل ودين» وتمرّد عائشة عليه بأنّها أعقل النساء. والعقل للكلمات وللكتب؛ أي للوحي المقروء أو المدوّن. ويُفهم بالعقل والقلب والعقل للشعائر والعبادات لفهم دلالاتها ومقاصدها. وأفضل إنسان ما اجتمع فيه العقل والنسك[٤].

كما اتضح في علم أصول الدين عندما جعل المتكلمون موضوع العلم ليس

(١) الآية ٦٢ يس/ ٣٦.
(٢) الآية ١٠ الملك/ ٦٧، الآخرة، الطبيعة (٣) حوادث، مجتمع (٢)، أفعال، أمثال، وصيّة (١).
(٣) استعمل لفظ «فكر» في الحديث (١٠) مرات.
(٤) ورد لفظ «عقل» في الحديث حوالي (١٥٠) مرة، نصفها للبعير وبعضها للنساء والصبيان والمجانين.

الذات الإلهيّة؛ بل الطبيعة والنظر في ظواهرها ومكوّناتها وجواهرها، وحركاتها وعِلَلِها وبعد ذلك تأتي الأدلة على وجود الله؛ فالنظر في الطبيعة سابق على النظر في الله، والبحث في المحسوس سابق على البحث في المعقول ومشاهدة المرئيّ سابق على غير المرئي، الذي لا يعرف إلا عن طريق قياس الغائب على الشاهد؛ بل إنّ نظريّة الذات والصفات والأفعال، لبّ النسق الأشعري؛ إنما تقوم على قياس الغائب على الشاهد، قياس الذات الإلهيّة على الذات الإنسانيّة، في الإنسان حقيقة وفي الله مجاز.

فالإنسان عالم قادر حي سميع بصير متكلم مريد بالحقيقة، والله كذلك بالمجاز كما قال ابن الأيادي اللغوي قديماً، وكما يروي الأشعري في (مقالات الإسلاميين). والنبوّة فعل في التاريخ وحركة فيه، وتحقق لحقائقها في توالي الأزمان. ليست النبوة فقط معرفة نظريّة؛ بل تحقق عملي وحركة تاريخية تساعد على تقدّم الشعوب والمعاد ليس مجرّد إيمان بالبعث والنشور؛ بل هو استعداد له بالعمل الصالح، والإيمان والعمل والإمامة كلّ ذلك يشير إلى تحقق الوحي في التاريخ في الفرد والجماعة في المواطن والدولة.

في أصول الفقه، وبالرّغم ممّا يبدو على الأدلة الشرعيّة الأربعة: الكتاب والسُّنَّة، والإجماع، والقياس من طابع استدلاليّ إلّا أنّ الكتاب نشأ في المكان والزمان في (أسباب النزول) و(الناسخ المنسوخ). الواقع يسأل والوحي يُجيب. والسُّنَّة أيضاً التحقق النموذجي الأوّل للوحي في الواقع، وللشريعة في المجتمع، وللنبوة في الدولة. والإجماع أمة في التاريخ، وشعوب في الزمان والمكان. لكلّ إجماعه طبقاً لظروف العصر دون إلزام اللاحق بالسابق. والاجتهاد بالرغم ممّا يبدو عليه من طابع استدلالي، استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها اليقينية إلا أنه يقوم على التعليل، تعليل الأفعال ومعرفة مكوّناتها وعللها. والأشكال

الحرّة للقياس مثل: الاستحسان والاستصلاح والاستصحاب إنّما تعتمد على المصالح المرسلة في العالم خارج العقل تحقيقاً لمنافع الناس.

عرض له الحكماء أيضاً في الأخلاق التأملية مثل: ابن سينا، ومسكويه. وهي في الحقيقة أخلاق نظريّة طبقاً لقسمة قوى النفس إلى ثلاث: القوة الشهويّة وفضيلتها العفّة، والقوّة الغضبيّة وفضيلتها الشجاعة والقوّة العقليّة وفضيلتها الحكمة.

ومن التوازن بين هذه القوى تنشأ فضيلة رابعة هي العدالة وأعلاها الحكمة وبصرف النظر عن مصدر تلك القسمة، أفلاطون أو غيره، إلا أنها عُرضت على العقل فقبلها، والعقل أساس النقل. وهو القاسم المشترك بين القرآن واليونان بين الشريعة والحكمة بين الدين والفلسفة. في الظاهر، تبدو الأخلاق نظرية تأملية. وفي الحقيقة، هي أخلاق عمليّة تبدأ من النفس كي تنتهي إلى تقوى القلب.

بالرّغم من أنّ المدينة الفاضلة عند الفارابي يتربع على قمتها الملك الفيلسوف والنَّبي والإمام، ويقبع في قاعدتها العمال والفلاحون والصيادون، وما بينهما الجند والعلماء إلّا أنّ ذلك نوعٌ من تقسيم العمل، والتدرّج في السلطة. الكل عمل سواء من يعمل بعقله، أو من يعمل بيده.

إنّ المعرفة الإشراقية عند الحكماء، أو النُّور، الذي يقذفه الله تعالى في القلب عند الصوفيّة ليست معرفة نظريّة خالصة؛ بل هي نتيجة لإعمال القلوب، وتصفية النفس؛ فالعمل يسبق النظر. ومن أراد أن يعرف مثل معرفتنا فليجرب مثل تجربتنا كما قال الغزالي في (المنقذ من الضَّلال).

في العلوم النقليّة الخمسة: القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه، اثنان منها عمليّان؛ السيرة والفقه وثلاثة منها نظرية؛ القرآن، والحديث،

والتفسير وهي نظريّة في الظاهر عمليّة في الباطن. فالقرآن رسالة عمليّة للفعل والتحقق وحمل الأمانة وأداء الرسالة. وقد تمّ جمعه وترتيبه بفعل البشر. والحديث تفصيلات وإيضاحات عمليّة للقرآن جمعه الـرُّواة. ومن شروط الرواية تطابق النّظر مع العمل عند الراوي والتفسير لا يهدف فقط إلى إعطاء مزيد من المعلومات التاريخية أو اللغويّة، أو التشريعيّة عن القرآن؛ بل يهدف إلى توجيه الأمة وإصلاحها كما هو الحال في تفسير «المنار» لرشيد رضا، و«ترجمان القرآن» لأبي الأعلى المودودي و«في ظلال القرآن» لسيد قطب.

العلوم العقليّة الرياضيّة والطبيعيّة الخالصة تبدو في الظاهر أبنية معرفية وهي في الأصل علوم عمليّة. فالحساب؛ إنّما نشأ لضبط المواريث، والهندسة لبناء المساجد، والفلك لمعرفة مواقيت الصلاة والحج، والاهتداء بالنجوم في الأسفار. ونشأ الطب لمعالجة جرحى الفتوحات والكيمياء لصناعة الأدوية والطبيعة لصناعة السلاح.

في الحضارة اليونانية، لم يضع فيثاغورس فقط أسس علم الحساب؛ بل كان صاحب نحلة صوفية عملية تقوم على التطهير. ونظريّة المُثل عند أفلاطون تبدو في الظاهر أنموذجا لأولوية المعرفة على الوجود مع أنّها استقراء للكليات من الجزئيات طبقاً للجدل الصاعد، كما هو الحال في الفن المصري القديم، الذي نقله أفلاطون إلى نظرية المعرفة وعلاقتها بالوجود.

بل إنّ المنطق الذي يُعدّ خالدة أرسطو، وأعظم ما عبّر عن عبقرية اليونان؛ إنما هو تجريد لممارسات السوفسطائيين، وتنظير لجدل سقراط معهم، وتحليل لأشكال القول دون مضمونه. وهو مرتبط أشدّ الارتباط بخصائص اللغة اليونانية كما لاحظ المسلمون منذ الشافعي في «الرسالة» حتّى ابن تيمية في «الردّ على المنطقيّين» و«نقض المنطق».

لا فرق بين الطبيعيّات والإلهيّات؛ فهما علم واحد يتجاذبه جدل السلب والإيجاب، المقولات واحدة، الحركة والسكون، الجوهر والعرض، الصورة والمادة القوّة والفعل، مرة إثباتاً للطبيعة ونفياً لما بعد الطبيعة فتنشأ الطبيعيّات، ومرةً نفياً للطبيعة وإثباتاً لما بعد الطبيعة فتنشأ الإلهيّات.

ترجع أولويّة النظر على العمل إلى نزعة معرفيّة إشراقية صوفية خالصة بدأها أفلوطين عندما اعتقد أن الفعل ضعف في التأمل، يفيض عن الواحد بفعل التأمل وليس بفعل الخلق. وربما كان ذلك رد فعل على المسيحيّة ووقوعها في التشبيه، الله المشخّص والخلق بالفعل. وربّما كان أثراً من آثار الغنوصية الشرقية.

استمر في تلك الدعوة أوغسطين باحثاً عن الحقيقة سواء في حواراته الفلسفية أم في تنظيره للعقائد المسيحيّة وأوغسطين بعد تحوّله إلى المسيحية كان يعرف الحقيقة سابقاً، ثمّ استخدم ثقافته الأدبية والفلسفيّة لتبريرها. كان هدفه عمليا وليس نظريا، الدفاع عن المسيحيّة ضدّ الشكاك والمانويين والدوناتيين والوثنيين وكل خصوم الإمبراطورية الرومانيّة، فقد كان مفكر السلطان.

استمر ذلك التيار الإشراقي الأفلاطوني طوال العصر الوسيط المتقدم عند القديس بونافنتورا «في طريق الرُّوح إلى الله». وتحوّل إلى نزعة صوفية خالصة تبدأ بمجاهدة النّفس، وتصفية القلب. فالعمل شرط النظر. وتحوّل إلى شعار «الإيمان بحثاً عن العقل» عند القديس أنسيلم، الإيمان أولا ثمّ البرهان ثانيا؛ ما يقتضي أيضاً تصفية القلب قبل صفاء الذهن.

ثم بدأ عصر الإحياء في القرن الرابع عشر، إحياء الآداب القديمة، تخلّصا من الفلسفة المدرسيّة والعقائد المسيحيّة وصولا إلى الأساطير اليونانية وعظمة الإنسان. لم تكن نظريّة في المعرفة بقدر ما كانت نهضة حضارية جديدة لإنهاء العصر الوسيط وبداية فجر العصور الحديثة.

كان الإصلاح الديني في القرن الخامس عشر ليس فقط نقداً للعقائد «الكاثوليكية»؛ بل احتجاجًا دينيّاً على القديم وسلطة التراث والتوسط بين الإنسان والله، واضعاً بدائل مضادّة، الكتاب وحده، حرّيّة التفسير، والكتاب المقدّس باللغة الوطنيّة، وحرّيّة المسيحيّ، والعلاقة المباشرة بين الإنسان والله والبساطة في بناء الكنائس دون بقايا الوثنية الرومانيّة القديمة. كانت البروتستانتية مرحلة في مسار التاريخ، وتحوّلاً فعلياً في الوعي الأوروبي.

جاء عصر النهضة في القرن السادس عشر ليغيّر ليس فقط مصدر المعرفة من القديم إلى الجديد، ومن بطليموس إلى كبلر وجاليليو ثمّ إلى نيوتن، ومن النقل إلى العقل، ومن النفس إلى البدن؛ بل ليغير مسار التوجه الحضاري العملي من العودة إلى الماضي إلى التوجّه نحو المستقبل بعد أن كسب المحدثون المعركة ضدّ القدماء في الفكر والأدب والفن والعلم وفي كلّ مظاهر النشاط الإنساني.

في بداية العصور الحديثة أسس الوعي الأوروبي مشروعه المعرفي في «الكوجيتو» الديكارتي «أنا أفكر فأنا إذن موجود». وبدأ الاعتزاز بالمعرفة الجديدة و«العلم الجديد»، و«العلوم الجديدة» و«الأورجاتون الجديد»، والتحقق من صدق تلك المعارف باتفاقها مع العقل ومع الطبيعة، والحقيقة أنّ ذلك المشروع المعرفيّ الضخم؛ إنما كان الهدف منه السيطرة على الطبيعة وتأسيس المجتمع المدني من أجل السيطرة على العالم. فقد واكب ما سُمّي بالكشوف الجغرافيّة منذ أواخر القرن الخامس عشر بعد سقوط غرناطة ونهاية فترة الحكم الإسلامي في المغرب مع بني الأحمر وبدايته في المشرق مع محمد الفاتح. لم يكن مشروعاً نظريا خالصا؛ بل كان وراء الالتفاف حول القارات من البحار والمحيطات بعد أن فشل الدخول إلى القلب عن طريق البحر الأبيض المتوسط كبحيرة شبه مغلقة. وتمّ الالتفاف حول نصف الكرة الغربية من الشرق من

الساحل الأطلنطي ثمّ الاندفاع نحو الغرب حتّى الساحل الغربي على المحيط الهادئ. ثمّ تمّ الاندفاع جنوباً حول أفريقيا ثمّ شرقاً إلى جنوب شرق آسيا. ومِنْ ثَمَّ، الاستيلاء على العالم القديم كلّه في أفريقيا وآسيا. العقل المطلق والسيطرة المطلقة صنوان. والعقل الشامل والحكم الشامل قرينان. وكان ذلك كلّه لخدمة التجارة عبر البحار في العصر التجاري ما قبل المرحلة الرأسمالية.

ثمّ تحوّل العقل من أداة معرفية ومنهج للكشف إلى عقل اجتماعي يفجر الأنظمة السياسيّة غير العقليّة مثل: الأنظمة الكنسيّة، والملكيّة. فقامت الثورة الفرنسيّة بعد أن تحوّل العقل إلى تنوير والتنوير إلى ثورة. واكب العقل الملكيّات، وواكبت الثورة الجمهوريات، وكان عرض ماركوز في «العقل والثورة». ووضع العقل مُثُل التنوير؛ الحرّيّة، والإخاء، والمساواة، والعدالة الاجتماعيّة، والطبيعة، والتقدّم أفضل ما أخرج الوعي الأوروبي للإنسانية.

كما امتدّ العقل من الإنسان إلى المجتمع، امتدّ مرّة ثانية من المجتمع إلى التاريخ، وتحوّل إلى عقل تاريخي مكتشفا قانون التاريخ ومسار التقدم وأصبح لكلِّ شيءٍ عند هيجل تاريخ؛ الفلسفة، والدين، والفن، والجمال. وأصبح تاريخ العالم هو قضاء العالم، فيه يتحقق كلّ شيء، ويصدر الحكم على كلّ شيء[1].

ثم جاء القرن العشرون ليكمل المشروع المعرفيّ الغربيّ في الظاهريات. والظاهريات في تأويل آخر نزعة إشراقيّة تطهيريّة. فالقاعدة الأولى «الرد»، أو «التوقف عن الحكم»، أو إخراج الواقع المادّي خارج دائرة الانتباه هي إبعاد للعالم وزهد فيه حتّى يظهر عالم الماهيات وينكشف في النفس. فالحقيقة كشف، كما يقول تلميذه هيدجر مطبقاً منهج الأستاذ والوجود إنارة. كما أن هوسرل في أواخر حياته في المرحلة الثالثة من فلسفته منذ «التجربة والحكم» عاد إلى العالم

(١) هي عبارة هيجل الشهيرة: Weltgeschichte is Weltgericht

تأكيداً على شعار الفينومينولوجيا «العود إلى الأشياء ذاتها»، والبحث عنها في التجارب السابقة على الحمل المنطقي. كما أن المخطوطات التي تركها والمُصنّفة تحت حرف (K) تعطي وجهة نظر أخلاقيّة دينية صوفيّة للعالم، ونظرة إيمانية مسيحيّة قلبية ما دفع عدداً من الأنصار إلى تأسيس فينومينولوجيا الدين.

ظهرت دعوات عنصرية في الغرب تدَّعي أن الغرب وحده هو القادر على التنظير، والبحث المعرفي الخالص دون أدنى اهتمام عملي مصلحي نفعي. البحث عن الحقيقة المجردة مثل النقطة في الهندسة، التي لا طول ولا عرض ولا عمق لها. وهي في الوقت نفسه أساس الهندسة.

جعل ماكس فيبر التنظير Rationalization خاصّيَّة فريدة في الوعي الأوروبي بعد أن درس تاريخ الديانات واكتشف الطابع العملي لديانات الشرق. ومِنْ ثَمَّ، فالماركسيّة بنقدها النظر نزعة غريبة على الفلسفة الغربية والبحث عن الأنماط المثالية Ideal Types هو البحث في ما يتحكم في العالم. النظر سلطة، والعمل ضعف والحقيقة أن ماكس فيبر يريد السلطة؛ أي يريد العمل عن طريق النظر كعمل غير مباشر، وليس عن طريق العمل المباشر؛ أي الممارسة الفعلية.

سار في التيار نفسه هوسرل مؤسس الفينومينولوجيا المعاصرة عندما جعل التنظير Theoretization صفة خاصّة في الوعي الأوروبي، البحث عن الحقيقة المجرّدة، وبالنظر المجرّد عن مثال أفلاطون والماهية الخالصة مع أن مثال أفلاطون هو الخير، وهي مقولة عمليّة. لذلك، عُدَّ أفلاطون مُؤسّس الفلسفة وليس سقراط لأنه شابته النزعة الأخلاقيّة. وعُدَّ سقراط أقرب إلى الشرق منه إلى الغرب. فالشرق أخلاقي عملي صوفي ديني، في حين أن الغرب معرفي نظري عقلي «علماني».

قد تزدهر الدراسات الصورية الخالصة في المنطق والرياضة في النظم الشمولية

نظراً لصعوبة التعرّض للواقع الاجتماعي والسياسي خوفاً من الاضطهاد. فآثر العقل الاتجاه نحو العلوم الصورية الخالصة، كما كان الحال في بولندا إبان الحكم الشيوعيّ. فالنظر هروب من العمل وتعويض عنه. كما ازدهرت الرياضيات في أواسط آسيا بعد أن توقفت الفتوحات وضعفت الخلافة، ولم يعد ينشغل الناس بهموم الدنيا. ولم يعد أمامهم إلا أمور الآخرة، النظريات الخالصة في العلوم، أو تمنّي الفوز والنجاة في التصوّف، أو «الحكمة المتعالية» و«شاهد الربوبية»، كما هو الحال عند صدر الدين الشيرازي.

في الوقت الراهن، غابت فلسفات العقل وفلسفات الفعل معا، ولم يعد الوعي الأوروبي يعطى شيئاً؛ فبعد تحطيم العقل وسيادة غير المعقول، ظهرت التفكيكية لتقضي على ما تبقى من وظيفة للعقل وفككته وقضت على التمركز حول العقل Logocentricity وكلّ ما أبدعه العقل من قانون ونظام. وتأتي ما بعد الحداثة أيضاً لتقضي على كلّ شيء، العقل والفعل والبداية من الصفر بعد أن تنبأ نيتشه بعصر العدمية الشاملة.

يبدأ الفعل من جديد خارج الوعي الأوروبي في حركات التحرر الوطني، وفي الصحوة الإسلاميّة، وفي حركات المقاومة لما تبقى من احتلال استيطاني في فلسطين وجنوب لبنان، بعد انتهاء النظام العنصري في جنوب أفريقيا في العام نفسه الذي قُسّمت فيه فلسطين ١٩٤٨م بعد تقسيم الهند في ١٩٤٧م، واحتلال كشمير، وما زالت محتلة حتّى الآن.

ربما انتهى العقل والفعل من الغرب، وبدأ الفعل في الشرق قبل أن يزدهر العقل تأكيداً على الكوجيتو العمليّ في الشرق في مقابل الكوجيتو النظري في الغرب. وإذا كان المشروع الغربي قد بدأ بالعقل والسيطرة؛ فإنّ المشروع الشرقي قد بدأ بالفعل والتحرّر. لذلك، يشتدّ عليه الآن الحصار والغزو والتهديد

والتهميش حتّى تظلّ السيطرة للغرب باسم ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات، وصراع الحضارات، ونهاية التاريخ.

فهل يعي العرب في أي مرحلة من التاريخ نحن نعيش؟

أولوية العمل على النَظر:

هو اختيار رئيسي في كلّ حضارة. وهو الاختيار وراء قيامها وانتشارها قبل أن تهرم وتتوقف، فيتحول الهمّ العملي إلى همّ نظري. هو الاختيار، الذي يبني الدول ويقيم العمران، كما حدث في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى[١].

لذلك، تظهر أمور المعاد النظريّة في لحظات الضيق والعجز، كما ظهرت في تاريخ بني إسرائيل أثناء الأسر البابلي، وفي المسيحيّة أثناء سيطرة اليهود والرومان في فلسطين، وعند الصوفية عندما استحالت المقاومة الفعليّة بعد استشهاد أئمة آل البيت وسيطرة آل عثمان. وفي لحظات الخلاص تعود هذه الأخرويات من الخيال إلى الواقع، ومن عالم التمنّي إلى عالم الفعل، وتحرّك الناس نحو الخلاص القريب، كما هو الحال المهديّة والمشيانية ولدى فرقة الأنا بابتست Anabaptism ولدى الحركات الألفية Millenarianism، التي تعتقد بظهور المُخلّص كلّ ألف عام مرة، والتي كان يتنسب إليها نيوتن.

في اللغة العربيّة يتشابه لفظا «علم» و«عمل». يتكوّنان من الحروف نفسها (ع، ل، م). ومعهما لفظ ثالث «عالم»؛ أي الكون مع إضافة (أ) ممدودة بعد العين دلالة على الأفق والاتساع وبتأويل من نوع ابن عربي أو هيدجر العلم والعمل والعالم أبعاد ثلاثة لحقيقة واحدة النظر والعمل وميدان التحقق.

لقد ورد لفظ العمل في القرآن مئات المرّات. ومن حيث الاشتقاق ذكر

(١) يُروى أنّ إبراهيم باشا، وهو في الشام أرسل لوالده محمد علي كتاباً في التاريخ وجده هناك؛ كي يقرأه ويستفيد منه فأرسل إليه محمد علي قائلاً: أنت تقرأ التاريخ، أما أنا فأصنع التاريخ.

العمل فعلاً أكثر منه اسماً ما يدلّ على أن العمل فعل. والمخاطب الجمع أكثر الصيغ للدلالة على الخطاب[١]. وأكثر الأزمنة المضارع ما يدل على أن الفعل حقيقة مستمرّة[٢]. وفي الاسم الجمع أكثر من المفرد ما يشير إلى العمل الجماعي[٣]. والإضافة إلى الضمير، خاصّة ضمير الجمع أكثر من غير المضاف. وكذلك الأمر في اسم الفاعل[٤].

من حيث المضمون، يدفع القرآن الكريم نحو العمل ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ والمُؤمِنُون**﴾[٥]. وقد ورد لفظ «العمل» في القرآن مئات المرّات ليفيد ارتباط الإيمان بالعمل الصالح ﴿**إن الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات**﴾[٦]، وَأَنّ فوز الإنسان في الآخرة بالعمل الصالح ﴿**وأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى**﴾[٧]، وأنّ العمل الصالح له قيمته في ذاته بصرف النظر عن الإيمان والكفر ﴿**لَعَلِّي أَعْمَل صَالحاً في ما تَرَكْت**﴾[٨]. الاستحقاق قانون جزاء الأعمال ﴿**فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَه**﴾[٩]، والإنسان مسؤول عنه ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ ولَكُم ما**

(١) الصيغ الفعلية: تعملون (٨٣).

(٢) المضارع يعملون (٥٦)، يعمل (١٤)، نعمل (٦)، أعمل (٤)، تعمل (٢) الماضي: عملوا (٧٣)، عملت (٥)، عملتم، علمته.(١) الأمر اعملوا (٩)، اعمل (٢).

(٣) أعمالهم (٢٧)، أعمالكم (٩) عمل (١٧)، عمله (٥) عملكم،(٤)، عملهم، أعمال (٢)، عملي (١).

(٤) عاملين (عاملين) (٨)، عامل (عاملة) (٥).

(٥) الآية ١٠٥ التوبة ٩.

(٦) الآية ٩٦، مريم ١٩.

(٧) الآية ٨٨ الكهف.١٨.

(٨) الآية ١٠٠ المؤمنون ٢٣ ورد لفظ «عمل» ومشتقاته (٣٥٩) مرة منها ارتباط الإيمان بالعمل الصالح (٧٣).

(٩) الآيتان ٨-٧، الزلزلة ٩٩.

كَسَبْتُم ولا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]. ويتمّ في وقته المحدد كالصلاة ﴿**فهل لنا من شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لنا أو نُرَدَ فَنَعْمَل﴾**[٢]، والعمل عمل اليد ﴿**ليَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِم﴾**[٣]. وهو عمل في الأرضِ ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُم في الَأرض فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون﴾**[٤]. ﴿**ثمَّ جَعَلْنَاكُم خلائف في الَأرْضِ مَن بَعْدِهِم لَنَنْظُرَ كَيْفَ تعملون﴾**[٥]، وعمل في البحر ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِيَن يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ﴾**[٦]. والقول والإيمان والعمل شيء واحد ﴿**وَمَنْ أَحْسَن قولاً ممَّنْ دَعَا إلى الله وَعَمِلَ صالحاً﴾**[٧]، والعمل فرديّ ﴿**وَلَنَا أَعْمَالُنَا ولَكم أعمالكم﴾**[٨]؛ لأنّ المسؤوليّة فرديّة، والجزاء فرديّ والاستحقاق فرديّ؛ فالعمل عمل الفرد الدعوة إلى العمل صريحة وواضحة في القرآن ﴿**قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكَانَتِكُم إِنِّي عَامِل﴾**[٩]، ﴿**لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾**[١٠]، ﴿**فَاعْمَلَ إِنَّنَا عَامِلُون﴾**[١١].

يظهر في القرآن لفظ (فعل)، العمل أقرب إلى العمل في الخارج والتأثير في العالم، في حين أنّ الفعل أقرب إلى العمل الذاتي التعبير عن جوهر الذات ﴿**فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُم في ما فَعَلْنَ في أَنفُسِهِنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾**[١٢]. وهو ما يوجد أيضاً في اللغات الأجنبيّة في التمييز بين العمل Action، والفعل Act، وترد معظم

(١) الآية ١٣٤ البقرة ٢.
(٢) الآية ٥٣، الأعراف/ ٧.
(٣) الآية ٣٥ يس٣٦.
(٤) الآية ١٢٩ الأعراف/ ٧.
(٥) الآية ١٤ يونس/ ١٠.
(٦) الآية ٧٩ الكهف/ ١٨.
(٧) الآية ٣٣، فصلت/ ٤١.
(٨) الآية ١٣٩، البقرة/ ٢.
(٩) الآية ١٣٥، الأنعام/ ٦.
(١٠) الآية ٦١، الصافات/ ٣٧.
(١١) الآية ٥ فصلت/ ٤١.
(١٢) الآية ٢٣٤، البقرة ٢.

استعمالات لفظ «فعل» في القرآن بمعنى سلبي لتطهير الذات[١]؛ وهي أفعال الظالمين والسفهاء والمبطلين، والكافرين، والجاهلين، والضالين، والمجرمين، والخاسرين، والصاغرين، والنادمين. في حين أن الأفعال الإيجابية قليلة، أفعال المُتقين والصابرين[٢] وهي أيضاً أفعال فرديّة أصحابها مسؤولون عنها. والله يفعل أيضاً بعقابهم، كما فعل بعاد وثمود وأصحاب الفيل وهي أفعال المنكر والفحش، والبغضاء، والكراهية، والضلال، والكفر والافتراء، والفساد في الأرض، والفتنة والظلم والقتل والجهل والإثم والخسران والبؤس.

الفعل أيضاً مرتبط بالقول ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون**﴾[٣]. وفي هذا المعنى نقد الله سلوك الشعراء ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمَ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُم يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُون**﴾[٤]، وهو مرتبط أيضاً بالإرادة. لذلك، كان الله ﴿**فعّال لما يُريد**﴾[٥]، ﴿**إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ**﴾[٦] ﴿**وكانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً**﴾[٧]، وكان الإنسان المتشبه بالله كذلك ﴿**والذينَ هُم للزَّكاةِ فَاعِلُون**﴾[٨].

كما ورد لفظ (العمل) في الحديث. وفي معظم الاستعمالات مرتبط بالعلم النافع وضرورة تطابق علم العالم مع أفعاله وأقواله، «**تعلموا، تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا**». فالعلم نهاية العمل، العلم بداية والعمل نهاية، «**لا تكن**

(١) ورد لفظ فعل (١٠٨).
(٢) الأفعال السلبية (٩٩) الأفعال الإيجابية (٩).
(٣) الآيتان ٣-٢، الصف/ ٦١.
(٤) الآيتان ٢٢٦-٢٢٥، الشعراء/ ٢٦.
(٥) الآية ١٠٧،هود/ ١١.
(٦) الآية ١٤، الحج/ ٢٢.
(٧) الآية ٤٧، النساء/ ٤.
(٨) الآية ٤ المؤمنون/ ٢٣.

بالعلم عاملاً حتّى تكون به عالماً»[1]. العلم مقدّمة والعمل نتيجة. ولا يوجد علم نظري إلى ما لا نهاية «**فإذا عرفتم منه فاعملوا**».

والعلم قراءة القرآن، وقراءة القرآن تؤدّي إلى العمل به «من قرأ القرآن وعمل بما فيه»، «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به». وهو عمل في الأرض لتعميرها وفي الدنيا تحقيقاً لرسالة الإنسان واستخلافه في الأرض. هو العمل اليدوي المنتج «**خير الكسب كسب يد**». هو العمل المأجور وليس المستغلّ «**أعطوا العامل أجره قبل أن يجف عرقه**». ولا ينقص من أجره شيئاً قيمة عمله «**لا ينقص من أجر العامل**». هو العمل في الزمان في الوقت المحدد في الساعة واليوم والفترة والعمر.

لذلك، كانت العبادة في مواقيت الصلاة والصيام، والزكاة والحج. وكان الوحي أيضاً في مواقيت طبقاً لمراحل التاريخ وأكملها المرحلة الأخيرة، التي اكتملت فيها النبوّة وأفضل الفعل أدومه وإن قلّ، وهو العمل الضروري، وفي الوقت نفسه الاختياري، الذي يقوم على التطوع والسبق والمنافسة في الخير. وأفضل الأعمال على ظهر الفرس الجهاد في سبيل الله. هو العمل طبقاً للقدرة والطاقة «اعلموا فكل ميسر لما خلق له». وهو ضد الاتكال. ولئن جمع حاطب ليل وباع بالنهار خير من أن يسأل الناس أعطوه، أو منعوه. ولم يشأ الرسول البشارة بالجنة حتّى لا يتكل الناس اعملوا ولا تتكلوا». والعمل سُنَّة، اتباع وإبداع، تقليد وتجديد، تواصل وانقطاع في التاريخ. وهو عمل يُجازى الإنسان عليه يوم القيامة طبقاً لنوعه صلاحاً أم فساداً، حسناً أم سيئاً، طبقاً للنية الصادقة، ولوجه الله أم طمعا في مدح الناس؟! ومَنْ هَمَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له، ومَنْ هَمَّ بسيّئة ولم يعملها غُفِرَت له «العمل بالنيّة» و«**إنّما الأعمال**

(١) ورد لفظ «عمل» في الحديث حوالي (٢٨٠) مرة أكثرها مع العمل وأجر العمل، وجزاء العمل والكسب والقدرة.

بالنيّات».

العلوم الإسلاميّة العقليّة النقليّة أربعة: اثنان عمليّان واثنان نظريان العمليّان علم أصول الفقه، وعلوم التصوّف، والنظريّان علم أصول الدين، وعلوم الحكمة.

في علم أصول الفقه غاية الوحي العمل تحويل الوحي إلى نظام للعالم. الفعل صيغة،أمرية إيجاباً أم سلباً. والمقاصد للامتثال والتكليف. والأحكام للوجوب، أو للتحريم ضرورة (الواجب والمُحرّم)، أو اختيار (الندب والكراهة)، أو طبيعة (الإباحة). ولا يجوز تكليف ما لا يُطاق مع التخيير بين العزيمة والرخصة طبقاً للقدرة. وكلّ مسألة لا ينتج عنها أثر عملي، كما يقول الشاطبي في «الموافقات» عارية عن العلم. وتطابق عمل المفتي مع قوله شرط للإفتاء وتحقيق المصالح العامّة هو الهدف الرئيس من العلم بصرف النظر عن طرق الاستدلال.

التصوّف نزعة عمليّة تقوم على الرياضة والمجاهدة. الشريعة قبل الطريقة، والطريقة قبل الحقيقة والمقامات جهد مبذول وعمل محصول قبل ورود الأحوال من عين الجود المقامات مكاسب والأحوال مواهب هو تصفية للقلب، وجلاء للمرآة قبل أن تنعكس عليها صور المعارف وحقائق العلوم لا يعرف الله إلّا ببطن جائع وببدن عار. التصوّف علم وعمل نظريّة وتجربة. هناك تصوّف نظريّ وتصوّف عمليّ، والعملّي شرط النظريّ.

في علم أصول الدين جعل الخوارج العمل جوهر الإيمان. ومن لا عمل لـه لا إيمان له ومرتكب الكبيرة الكافر؛ لأن عمله خرج عن إيمانه، ولا توسط بين الاثنين. وحكـم الكافر هـو الإقصاء من جماعة المسلمين؛ بل وجواز قتله إن لم يستتب. والعمل عند المعتزلة جزء مُكمّل للإيمان. الإيمان بلا عمل نفاق أو معصية ينافي الإخـلاص والصدق فالتوسط هنا في صالح العمل. وهو

أساس قانون الاستحقاق في المعاد ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مثقال ذرةٍ شَراً يَرَه**﴾[1]. وفي الأصول الخمسة عند المعتزلة العدل جوهر التوحيد الجوهر بلا عدل ظلم، والعدل بلا توحيد قد يُؤدّي إلى نسبيّة العدل. ومن مظاهر العدل: الحرّيّة، والعقل. يثبت وجود الله بالتوحيد، ويثبت وجود الإنسان بالحرّيّة «أنا حُرّ. إذن، أنا موجود». فالكوجيتو الإسلامي عملي وليس نظريا. الإنسان يتفرّد عن الله بخلق الأفعال. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس علاقة الحاكم بالمحكوم، مثل الدين النصيحة. في تلك الحالة قول الحق فعل، فالساكت عن الحق شيطان أخرس. وأعظم شهادة مقولة حقّ في وجه إمام ظالم؛ بل إنّ من صفات الله القدرة والإرادة. ومن صفات الإنسان؛ كي يكون حرا قادراً على الفعل الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل قبل الفعل استعداداً، ومع الفعل إنجازاً، وبعد الفعل أثراً وامتداداً. ثمّ أتت المسائل النظرية بعد ذلك؛ الذات، والصفات والأسماء والأفعال أو النبوّة والمعاد. فعلم أصول الدين عملي النشأة وإن كان نظري النهاية.

الحكمة قسمان: حكمة نظريّة؛ المنطق، والطبيعيّات، والإلهيّات. وحكمة عمليّة: النّفس، والأخلاق، والاجتماع، والسياسة الأخلاق علم عملي. لذلك، ارتبطت بالتربية، كما هو الحال عند مسكويه في «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق». والاجتماع وصف لأنواع المدن وتقسيم العمل والتركيب الطبقي، كما هو الحال عند الفارابي. وإذا كان اليونان قد أضافوا «تدبير المنزل»؛ أي الاقتصاد كونه علماً عمليا، فإن الحكماء قد أضافوا السياسة أحياناً مرتبطة بالاجتماع، وأحياناً أخرى بالتاريخ كونه تراكما سياسياً وميدانا تتحقق فيه قوانين السياسة.

من العلوم النقليّة الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه.

(١) الآيتان: ٨-٧، الزلزلة/ ٩٩.

السيرة والفقه من العلوم العمليّة الخالصة؛ فالسيرة أنموذج للاتّباع وقدوة للاحتذاء والفقه قسمان: عبادات ومعاملات، وكلاهما سلوك؛ العبادات سلوك رأسي مع الله والمعاملات سلوك أفقي مع الإنسان وفي المجتمع.

إذا كانت الحضارة الإسلامية وسطا بين الشرق والغرب فقد استطاعت الحضارة الشرقية الإفلات من هذا الإشكال بطابعها العمليّ. الشنتوية عبادة الإمبراطور في اليابان والكونفوشوسيّة تنظيم علاقات الفرد بالآخرين في الأسرة والمجتمع في الصين. والبوذيّة قدرة على السيطرة على الأهواء والانفعالات. وديانات فارس المانوية والزرادشتية نزعات أخلاقيّة عمليّة من أجل انتصار الخير على الشر، والنور على الظلمة ولا توجد نظريّة سابقة للفنّ أو الصناعة في اليابان. هناك ممارسات عمليّة واتحاد بالطبيعة، وإحساس بالجمال. الإبداع عمليّة آنية وليس تطبيقاً لنظرية سابقة في الجمال. لذلك، غابت الأخرويات في الديانات الشرقية. ولا يوجد فيها عالم لا مرئيّ يُضحي في سبيله بالعالم المرئي. لا يوجد إلّا العالم المرئيّ، والإنسان جزء منه ويعيش فيه. يتحد معه ويشعر به فالطبيعة خير معلم.

إذا كانت الحضارة الغربيّة قديمة ووسيطة وحديثة ويونانيّة ومسيحيّة وحديثة معاصرة فقد بدأت الحضارة اليونانيّة السابقة على سقراط بنزعة عمليّة تحت أثر الشرق القديم في النحلة الأورفيّة، التي ارتبطت بالأساطير وبمقاومة الموت. والأساطير اليونانية السابقة على الفلسفة وأحد مصادرها كلّها صراعات بين الآلهة والبشر، أو بين الآلهة والآلهة، أو بين البشر والبشر. وأوليس رمزها. فالأسطورة Mythos سابقة على الفلسفة Logos. والأسطورة صياغة خياليّة لأفعال الأبطال وصراعات الشعوب.

منذ أن وعى سقراط أنّ «العلم فضيلة والجهل رذيلة» بدأت أولوية العمل

على النظر. فالعلم ليس بحثاً نظريّاً مجرّداً؛ بل هو سلوك عمليّ. إنّ المعرفة النظرية عن ماهيّات الأشياء؛ إنّما تأتي عن طريق الحوار القائم على التهكم والتوليد، والحديث مع الناس في الأسواق والمشاركة في تجارب الحياة اليومية، بالرغم من نقده للسوفسطائيين، الذين لا يريدون البحث عن المعاني المجردة، ويكتفون بإثبات الحركة بالتحرّك بالفعل دون أدلّة نظريّة، أو بحث عن معانيها، كما يريد سقراط. الفلسفة عند أفلاطون هي تعلّم الموت؛ أي القدرة على الزهد في الدنيا من أجل معرفة الحقيقة، والتحوّل من الدنيا إلى الآخرة طبقاً لأسطورة الكهف المعروفة. فالأخلاق شرط المعرفة والعمل أساس النظر؛ بل إن أفلاطون فيلسوف عمليّ تربوي في «الجمهورية»، يريد تأسيس المدينة الفاضلة، والانتقال من النظر إلى العمل، ومن التأمل إلى الممارسة، ومن الكهف إلى الدولة. كان فيلسوف ورجل دولة، صاحب نظريّة ومطبّق لها.

(الإرادة الخيّرة) عند أرسطو، ثمّ بعد ذلك عند كانط توجه عمليّ. فهي إرادة طيبة؛ لأنّ الطبيعة خيّرة، كما عرض روسو فيما بعد. وقد أثرت «الأخلاق إلى نيقوماخوس» في البشريّة بقدر تأثير المنطق.

بعد نسق أرسطو، هذا الصرح الشامخ للمنطق والطبيعة، وما بعد الطبيعة تحوّلت الفلسفة اليونانيّة بعده إلى مدارس خلقيّة عمليّة كالرواقيّة والإبيقورية، تجعل الفلسفة أسلوب حياة حتّى لو كانت على طرفي نقيض الزهد في الدنيا، أو التكالب عليها، إيثار الآخرة على الدنيا، أو إيثار الدنيا على الآخرة؛ فالتطوّر الطبيعي للفكر من النظر إلى العمل، ومن التأمل إلى الممارسة.

في العصور الوسطى، قامت العقائد المسيحيّة كلّها على القنوط والخلاص، سقوط آدم والخلاص بالمسيح. خرج آدم من الجنّة إلى الأرض بفعل الغواية ولضعف الإرادة وحمل الخطيئة يتوارثها أبناؤه جيلاً بعد جيل. لذلك، أرسل

الله المسيح ليُخلّصه من غواية الشيطان وما ترتب عليها من سقوط؛ فالمسائل النظرية عن طبيعة السيّد المسيح؛ إنّما أتت بعد المسائل العمليّة. الخلاص بالسيد المسيح الذي أتى فداء للبشر. وقد ظهر في نشأة المسيحيّة تيّاران في الصلة بين النظر والعمل تيّار يعقوب الحواري كاتب رسالتين في العهد الجديد في آية مشهورة لـه «ليس المهم أن تقول إلهي إلهي ولكن المهم من يطبّق كلامه في العمل». وتيار بولس، الذي تحوّل إلى المسيحيّة بعد صعود المسيح إلى السماء وكان من كبار مُضطهدي أنصاره، وظهور المسيح له وهو في طريقه إلى دمشق؛ وهو تيار لاهوتي فقهيّ نظري نظراً؛ لأنّ بولس كان حبراً يهودياً من مدرسة الجميل المشهورة بالتأويل. حوّل بولس كلّ خصائص التوراة إلى صفات المسيح الحق، الألوهية، الخلاص. وحوّل المسيحيّة الأخلاقيّة العمليّة عند متّى ومرقص إلى مسيحيّة لاهوتية نظرية مثل: مسيحيّة يوحنّا. فبولس هو المسؤول عن تحوّل المسيحيّة الأخلاقيّة العمليّة إلى مسيحيّة لاهوتية نظريّة. وهو ما لاحظه ابن حزم أيضاً في «الفصل» ثمّ رينان بعد ذلك في «مصادر المسيحيّة خاصّة في الجزء عن «بولس».

قامت العقائد اليهوديّة على الأساس العمليّ نفسه؛ أنّ الله اختار ذلك الشعب ووعده بتلك الأرض والمدينة والمعبد والهيكل، وأيّده بالنصر والغنـم. وهـو عـهـد إلهيّ، مطلق من طرف واحد ودون مقابل من إيمان أو إخلاص أو تقوى أو طاعة للشريعة. يكفي إيمان بعضهم؛ كي يتمّ خلاص المجموع. لذلك، نقض الله كما نقضوا عهدهم معه. وجعل العهد لكلّ البشر عهداً فردياً مشروطاً بالطاعة، عهداً أخلاقياً وليس عهداً مادياً. اليهوديّة ليس بها عقائد نظريّة والعهد عهده معهم، عند اختيار عملي. جوهرها الشريعة، وهو تطبيق عملي في الفرد والجماعة.

في العصور الحديثة، بالرّغم ممّا يبدو عليها في بداياتها عند ديكارت وبيكون من البحث المعرفي المنهجي إلا أنّها بدأت أيضاً بالعمل. فعند ديكارت الإرادة أوسع نطاقاً من الذهن، كما يعرض في التأمل الرابع في «التأملات في الفلسفة الأولى». لذلك، يخطئ الإنسان؛ لأن العقل لا يستطيع أن يسيطر على كلّ مظاهر الحياة الإنسانية. يُطبّق العقل في الرياضيات وفي العلوم الطبيعيّة. أما في الحياة الإنسانية؛ فالإنسان بحاجة إلى «أخلاق مؤقتة» تسيّر أمور حياته طبقا للعادات والأعراف، والتقاليد الموروثة، والحسّ المشترك، والرأي العام. ثمّ رفض تلميذه اسبينوزا الأخلاق المؤقتة، الدين والسياسة، وطبّق فيهما روح المنهج، فرفض الثيوقراطيّة (حكم رجال الدين أو الحكم الديني)، ونادى بالديموقراطيّة (حكم الشعب) والمعرفة عند بيكون تبدأ أيضاً بالتخلّص من الأوهام الأربعة؛ أوهام الكهف، وأوهام المسرح، وأوهام السوق، وأوهام القبيلة، حتّى يمكن تأسيس المعرفة التجريبية الصحيحة. وهو جهد عملي مثل الشك ديكارت للوصول إلى اليقين.

ظهرت أولوية العمل على النظر في الفلسفة النقديّة عند كانط بالرغم من أن «نقد العقل النظري» يأتي من حيث الترتيب قبل «نقد العقل العملي»؛ فالمعرفة لا تُدرك إلّا بالظاهر، أما الباطن فلا يُعرف إلّا بالأخلاق. لذلك صرّح في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب «نقد العقل النظري»: «كان لزاماً عَلَيَّ هدم المعرفة لإفساح المجال للإيمان والإيمان تقوى باطنية، وعمل صالح، وإرادة خيرة، وأداء الواجب. ونقد كلّ الأدلّة القبليّة والبعدية على وجود الله، وأنها لا تثبت شيئاً سواء كانت استنباطيّة أم استقرائية، عقليّة أم طبيعيّة، وأن الدليل الوحيد على وجود الله هو القانون الخلقي، أو الغائيّة في النفس، أو الجلال في الطبيعة ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ**﴾[1]. وفي رسائله، بَيَّنَ أنّ هناك

(١) الآية ١٩١، آل عمران/ ٣.

عدداً من المسائل النظرية ليس لها إلّا حل عمليّ.

أدرك الفلاسفة بعد كانط روح المذهب الكانطي، وأعطوا الأولوية للعقل العملي على العقل النظري، وللحياة على الفكر، وللإرادة على العقل جوهر العقل النظري عند فيشته المقاومة، «الأنا تضع نفسها حين تقاوم». وعند هيجل الجدل، والجدل ليس فقط في العقل؛ بل في التاريخ وعند شلنج الوحدة أو الهوية، والهوية ليست مبدأً صورياً؛ بل هي تطابق الروح والطبيعة. وعند شوبنهور الإرادة، والإرادة ليست مجرد فعل؛ بل هي إرادة الحياة، أو الموت وأحدثت صوريّة العقل عند كانط ردّ فعل في «العاصفة والاندفاع» عند الرومانسيين. وسار في الطريق نفسه الكانطيون الجدد مثل هرمان كوهين بتطبيق الفلسفة النقدية في عالم الإرادة والعواطف.

ثمّ أدرك جوته جوهر القضيّة عندما غيّر أوّل آية في إنجيل يوحنا «في البدء كانت الكلمة» إلى «في البدء كان الفعل ليعبّر عن روح العصر بأكمله، أولوية الفعل على التأمل والإرادة على العقل، روح فاوست والعصر الحديث. فالإنسان شيطان، يتميّز بروح التمرّد والعصيان.

ثم فجر ماركس القضية بعبارته الشهيرة في «البيان الشيوعيّ»، «ليس المهم فهم العالم؛ بل تغييره». وأصبح الفهم من سمات العقل البرجوازي، الذي يريد الإبقاء على الوضع القائم. الفهم مثل الدين والفلسفة النظرية تعويض عن العجز عن العمل في الدنيا، فتتسرّب الطاقة إلى أعلى بدلاً من أن تتحقق إلى الأمام. البروليتارليا (طبقة العمال) هي الوريث الوحيد للأفكار. ووحدة العمّال «يا عمال العالم اتحدوا» تسبق وحدة المعرفة في «جدل الطبيعة».

بدأت الفلسفة المعاصرة بالتحوّل من الماهيّة إلى الوجود ومن النظر إلى العمل ومن الفكر إلى الواقع، ومن العقل إلى الفعل؛ بل إنّه لا يوجد فيلسوف

معاصر لا يبدأ بتحطيم العقل، كما يقول لوكاتش والبداية بنقيضه. أعلى نيتشه من شأن ديونيزيوس إله الخمر والحياة على أبوللو، إله العقل والحكمة. ودعا إلى إرادة القوّة وخلق السوبرمان. وجعل بلوندل العقل هو أحد مظاهر التجلّي الإلهي في الإنسان، وأحد تحققات الفكر في العالم. واعتقد برجسون الفكر النظري المجرّد، الذي وراء المذاهب الألمانية نقصاً في الإرادة، وأن المقولات في العقل وقوالبه كطفل يلعب بظلال الأشياء بدلاً من أن يلعب بالأشياء ذاتها، وأنّها أشبه بشيك بلا رصيد. وأدرك ماكس شيلر أنّ عالم المُثل ليس معطى جاهزاً؛ بل هو عملية تحويل الواقع إلى مثال Ideation، تتطلب جهداً، كما أثبت مين دي بيران وجود الأشياء عن طريق الجهد والمقاومة.

ثم ظهرت الفلسفات البرجماتية سواء تلك، التي تعتمد على المثالية مثل: بيرس، أم التي تعتمد على المنفعة مثل: جيمس، أم التي تقوم على الذرائع مثل: ديوى؛ لتؤكد أهميّة الفعل، وأن شيئاً واحداً يتمّ فعله خير من عشرة أشياء يتمّ التفكير فيها. وتجعل الشخصانية الفعل أحد أبعاد الوجود الإنسانيّ. وعند ماكس شيلر فعل التضحية وقيمة الشخص أعلى قيمتين في تراتب الفضائل. أما فلسفات الوجود فقد اتفقت كلّها على البداية بالوجود الإنساني، بالأنا موجود وليس بالأنا أفكر، كما بين جان بول سارتر في «تعالى الأنا موجود»، ثمّ في الفعل الجماعي التاريخي في (نقد العقل الجدلي).

المنزل يحترق، فمن يُطفئ النار؟

أولوية العمل على النظر أحد متطلبات الواقع العربي المعاصر. المنزل يحترق فمن يطفئ النار؟ والوجود مهدّد فمن الذي يصارع من أجل البقاء؟ والمشروع الصهيوني يتحقق يوماً وراء يوم من احتلال أكثر من نصف فلسطين في ١٩٤٨م إلى ابتلاع النصف الآخر في ١٩٦٧م، ومن احتلال جنوب لبنان إلى احتلال

الجولان في سوريا، ومن الهجرات الروسية إلى تأسيس إسرائيل الكبرى. فمن الذي يحمي الدار ويذبّ عن الديار؟ وما دور كلٍّ من الفيلسوف، والمفكر، والمثقف؟ أيقبع في فلسفته يعلمها صنعة لجيل قادم من الحرفيين؟! أينظر بفكره الحريق والهدم وتجريف الأراضي واغتيال الأطفال والنساء والشيوخ وتصفية المقاتلين؟! أيبقى في ثقافته، فالثقافة شيء والعالم شيء آخر، وما شأن عالم الأذهان بعالم الأعيان؟ لذلك، قال الغزالي من قبل لو أنّي أشعر بثعبان تحت الجبة فهل أسأل: ما طوله؟ ما عرضه؟ ما شكله ؟ ما لونه ؟ سام أم غير سام؟ أم أنّي أقذفه أولا خارج الجبة ثمّ بعد ذلك أنظر إليه وأصفه ؟ هنا يسبق العمل النظر في مواقف الخطر، وتهديد الوجود والبقاء.

في الوقت الراهن يشعر الجميع بمدى الامتهان عندما نواجه الاحتلال بالبيان والاجتياح بمؤتمر القمة، والعدوان بالشجب والإدانة فأين الفعل في مواجهة الفعل؟! والألم في مواجهة الألم؟! ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه**﴾[1]؟ يسهل الكلام، ويصعب الفعل ويعلو الصوت إذا ما صمت الفعل. هو نفاق ذاتي، وتعويض نفسي، وإبراء للذمة، وتخفيف من عذاب الضمير. لذلك، اتهمنا في ثقافتنا وتراثنا. وقيل: إنّ العرب ظاهرة صوتيّة، وإن بضاعتهم بضاعة كلام. وفي المثل «عصاية تجمعهم وعصاية تفرّقهم». في حين أن الشعر العربي خيال وكرامة، عزّة ونخوة، سموّ ورفعة. وفي تاريخ العرب «وامعتصماه!» صراخ امرأة في الشام ينتهك الروم حرمتها لخليفة بغداد. وفي الشعر العربي، المهلهل بن أبي ربيعة بعد مقتل أخيه كليب «اليوم خمر، وغداً أمر». وهو طريق ما زال مفتوحاً للحكام العرب إذا ما أراد أحد منهم نصر إخوته في فلسطين.

(١) الآية ١٤٠، آل عمران: ٣

نظراً لغياب الفعل الكلّ يريد أن يضع الكرة في ملعب الآخر، ويعيب سكوته وصمته. يقول السوريون للمصريين والأردنيين: اقطعوا العلاقة مع إسرائيل واسحبوا السفير. ويقول المصريون والأردنيون للسوريين: افتحوا جبهة الجولان فهي ليست أقل من الجنوب اللبناني. ويقول اليمنيون للمصريين: لمَ لا تفتحوا جبهة في سيناء للتخفيف عن الفلسطينيين؟ ويقول المصريون لليمنيين: احضروا جيوشكم إلى سيناء، وتعالوا لتحرير فلسطين. ويقول العرب للأوروربيين: لماذا لا تناصرون الحق الفلسطيني ضدّ العدوان الصهيوني، وتقطعون عنهم المعونات وتوقفون التجارة، ولا تجعلونها من الدول الأكثر رعاية؟ ويقول الأوروبيون للعرب: ولماذا لا تقومون بواجبكم تجاه إخوانكم في فلسطين ؟ لماذا لا تمدونهم بالمال والسلاح والدواء والغذاء؟ ولِمَ لا تقاطعون إسرائيل تجارياً، وتمنعون قدوم السيّاح إليكم، وتوقفون خطوط الطيران؟ ويطالب العرب الأميركيين بأخذ موقف الحكم العادل والشاهد المنصف، والضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي المحتلة، والعودة إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م. وتقول أمريكا للعرب ولماذا لا توقفون العنف والعمليات الانتحارية ضد إسرائيل، وتوقفون دعايتكم العدوانية ضد شعب إسرائيل؟ وتطالب روسيا أمريكا بالتدخل لمصلحة العدل في المنطقة. وتطالب أمريكا روسيا بالتعقل دفاعاً عن شعب إسرائيل من الإرهاب العربي. وفي غياب أي فعل ذاتي من أي طرف بداية بالطرف العربي يتمّ اجتياح الأراضي الفلسطينية، وتدمير المدن والقرى، وتسوية المخيمات بالأرض. والكل يستصرخ أخاه؛ بل عدوه. ولم يبق أمام العرب إلا استجداء العدوّ الأكبر، الخصم والحكم.

نظراً لما نحن فيه من مآسٍ وأحزان، وإحساس بالعجز والامتهان، وشعور بالضعف والهوان؛ فإنّ الحاجة إلى الفعل تبدو مُلحّة في وقت يتساءل فيه الجميع

أين العرب؟ ولمّا تحرك الشارع العربي تنفّس الجميع الصعداء. وشعر كلّ عاجز أنه تخلّى عن عجزه بفعل الآخرين. وأصبح الشارع العربي هو المُخلّص من كلّ ذنوب أنظمة الحكم وأيديولوجيات المُنظرين.

بحثاً عن الفعل في ميدان العجز، بدأ المُنظّرون في تحيّة الشعب الفلسطيني؛ لأنّه يأخذ قضيّته بيده، وأنه يحارب لأوّل مرة لاسترداد أرضه. فقد حارب العرب بدلاً منه في ١٩٤٨م، و١٩٥٦م، و١٩٦٧م. ولحق بثوراته المستمرة قبل النكبة، ثورة عز الدين القسّام وما سبقتها من ثورات. فالانتفاضتان: الأولى، والثانية من صنعه أعطته الأولى السلطة الوطنيّة الفلسطينية، وتعطيه الثانية الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

لأوّل مرّة تختفي الحروب النظامية بين جيشين؛ الجيوش العربية متفرقة، أو مجتمعة وبين جيش الدفاع الإسرائيلي، ويحارب شعب جيشًا. وتقف مقاومة شعبية أمام أعتى الجيوش وأقواها عدة وعتاداً. ولأوّل مرّة تفوق خسائر العدوّ خسائره في حروب الجيوش النظامية. وتأتي العمليات الاستشهادية في المقدّمة، التوحد بين الفعل والوجود شباب حريصون على الموت قدر حرص العدوّ على الحياة؛ فالاستشهاد الفلسطيني قمة الفعل في وسط «التخاذل العربي قمة العجز.

تحاصر الأنظمة العربية بين المطرقة والسندان المطرقة الأمريكية بالوعد والوعيد، وقطع المعونات، وإخراج ملفات حقوق الإنسان والفساد، والسندان غضب الشارع العربي وثورته وتراهن الأنظمة على الولايات المتحدة الأمريكية ضد الشارع العربي. وهو برهان برويز مشرف نفسه حاكم باكستان، الذي آثر أن يخسر الشارع ويكسب ودّ الولايات المتحدة لضرب أفغانستان، والقفز فوق آسيا، وإقامة القواعد في قازقستان وتهديد كلا مِنْ الصين وماليزيا وروسيا، والوقوف أمام الاقتصاد الياباني والكوري، والاستيلاء على السوق الآسيوي

لمنتجات هونج كونج وتايوان وسنغافورة، والوقوف على حافة نفط بحر قزوين، وخوفاً من حصار باكستان وقدرتها النووية بين الهند شرقا وإسرائيل غربا، قد يكون الرهان على الولايات المتحدة كسباً للنظام على الأمد القصير، ولكنّه خسارة له على الأمد الطويل، إذا ما تحوّلت حركة الشارع إلى ثورة شعبيّة بمساندة بعض العناصر الوطنية في القوات المسلحة.

في الوقت الراهن، ما دور المثقف؟ يشعر بعضهم بأن المدخل الأيديولوجي للواقع العربي المعاصر قد تجاوزه الاجتياح الصهيوني لما تبقى من فلسطين. فقد تمّ توحيد المقاومة في اللجنة العليا للمقاومة الفلسطينية. ولم يعد تعدّد الأطر النظرية بين قوميّين وإسلاميّين وليبراليين وماركسيّين بذي دلالة. ومنذ معركة الكرامة في ١٩٦٧م حتّى انتفاضة الاستقلال في سبتمبر ٢٠٠٠م يصدق علينا ما أنشده نزار:

الفدائي وحده يكتب الشعر وكل الذي كتبنا هراء

ماذا يغني النظر عن العمل؟ وَفِيمَ الخلاف الأيديولوجي بين فرقاء النضال والخطر على الجميع، وأفعال المقاومة تتجاوز الاختيارات الأيديولوجية؟ وبدلاً من الحروب المعلنة وغير المعلنة بين المثقفين، والتخوين والتكفير المتبادلين يقوم الشهيد بالتوحيد بين الفكر والواقع، بين الحياة والخلود، بين السماء والأرض. الشهيد هو فعل الشهادة وليس منطلقه النظري الإسلامي، أو القومي، أو الماركسي، أو الوطني الليبراليّ. الفعل يُوحد النظريات والنظريات أفعال وهمية.

إن التمترس حول البحث النظري، والتخندق في التحليل الإبستمولوجي، والتستُّر بالغطاء المعرفي؛ إنّما هو نقص في الالتزام والأخذ بالأسهل والأحوط فالتحليل المعرفيّ يتمّ في المكتبات وعلى المكاتب، في حين أن النضال الوطني يكون في الناس. الإبستمولوجيا (نظرية المعرفة العلمية) تنتشر في دور النشر،

وتدرّ بالأموال والجوائز العلميّة في الخليج. في حين أن الفعل يؤدّي إلى السجون والمعتقلات والاغتيالات والتصفيات. وهو المصير نفسه للفقهاء القدماء. فريق أخذ الصُّرَرَ، والحُلَلَ، والجاه،،والمنصب، والصدارة، والرياسة، فقهاء السلطان، وفريق آخر سُجن، وعُذِّب، وصُلب وذُبِح، فقهاء الأمّة والنّاس.

لذا، إنّ البحث العلمي والتحليل المعرفي يجفّان ويموتان دون الممارسة الفعلية. فالتجربة الاجتماعيّة للفيلسوف مثل المختبر والمعمل للعالم. لذلك، يُسمّون فريق البحث العلمي في الجزائر «المخبر» نقلا عن الفرنسيين Laboratoire، مخبر علم الاجتماع، مخبر الفلسفة. وقد أكد معظم الفلاسفة وليس التجريبيين وحدهم أهمّيّة الخبرة بصرف النظر عن مستواها ومدى اتساعها بين الخبرة الحسّيّة، أو الخبرة الحياتية، الخبرة الفرديّة والخبرة الجماعيّة. ويتبادل اللفظان الخبرة والتجربة، الخبرة البشريّة والتجربة العلميّة وأحياناً يتمايزان. وكثيراً ما يسأل الأساتذة الطلاب أين الباب الأوّل في رسائلهم عن حياة الفيلسوف وعصره، والظروف الاجتماعية والسياسيّة التي نشأ فيها ؟ فالفيلسوف ابن عصره. وفي الوقت نفسه، يحلو لبعضهم التشدّق بمصطلح «المثقف العضوي» لجرامشي، مُعتقدين أنهم أنموذجه حتّى يلحق بثقافة العصر.

إنّ الفلسفة رسالة وليست مهنة، قضيّة وليست حرفة. وأستاذ الفلسفة هو الأمين عليها. صحيح أن مهمته هي التعليم ولكن ليس الصنعة؛ بل ممارسة أفعال الفكر وتحليل الواقع لا فرق بين المدرج والشارع، بين عالم الأذهان وعالم الأعيان. ليس من المعقول أن يعطى درس في حقوق الإنسان في الأروقة، وتنتهك حقوق الإنسان في المجتمع دون ربط بين هذا وذاك، ودون قياس الفارق بين النظرية والواقع بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن. ليس من المعقول أن يُعطى درس في منطق أرسطو وأشكال القضايا، وضروب القياس المنتج وغير المنتج،

والشارع العربيّ ينتفض، والأراضي تُحتلّ، والشهداء يتساقطون، والطالب مُشتت في الجامعة وقلبه في الشارع. إنّه مُعلّم الصنعة وليس شاهد العصر، الذي قد يكون شهيداً فيه. في تلك الحالة، يكون العلم تعويضاً عن الفعل، والصنعة غطاء لغياب الرسالة والتخصص الدقيق بديلاً عن العمل العام، وإيثار الأسهل على الأصعب والجنّة محفوفة بالمخاطر.

إنّ الأستاذ يحمل هموم الفكر والوطن على حدّ سواء، يقوم بالعلم وبالمواطنة دون تمييز حتّى يؤثر في الطالب، فيكون الطالب معه بالعقل والقلب، بدلاً أن يكون عقله داخل المدرج وقلبه في الشارع والطريق، وحتّى يحترم الطالب الأستاذ، ويعلم أنه ليس موظفا في الجامعة؛ بل صاحب موقف، وحتّى لا يعتقد الأستاذ الطالب مشاغباً سياسيا يُبلّغ عنه سلطات الأمن، يُعكر عليه صفو العلم، ويمنع الطلاب من التحصيل.

إننا ليس الجيل، الذي سيخرج منه الفلاسفة. فما زلنا جيل عصر النهضة الأوّل بعد أن كبا بعد مائتي عام ليعود فجر نهضة عربيّة جديدة. ما زال الواقع لدينا مغطى بالأنساق المعرفية والقيميّة القديمة وما زالت الأسئلة الثلاثة التي جعلها كانط شرط التفلسف ماذا يجب عَلَيّ أن أعرف؟ ماذا يجب عليَّ أن أفعل؟ ماذا عَلَيَّ أن آمل؟ ما زالت إجاباتها القديمة مطروحة. ومِنْ ثَمَّ، فلا سؤال. أعرف عن طريق الوحي، وقيمي من أحكام الشريعة وأملي بالفوز في الآخرة، نيل النعيم وتجنُّب العذاب. والأسئلة الكبرى في كلّ فلسفة من أين آتي؟ ومن أين أتى العالم؟ وإلى أين أنتهي ؟ الإجابة عنها معروفة. الله موجود والعالم مخلوق، والنفس خالدة، تنتظر الثواب والعقاب طبقاً للأعمال. فما دامت الإجابة موجودة فلا سؤال. وما دام لا سؤال فلا تفلسف فأي سؤال متنطع: هل لدينا فلاسفة؟ سؤال خارج عن سياقه التاريخي؛ فالفلسفة تبدأ بالسؤال،

ويوضع السؤال عندما تغيب الإجابة، والإجابات عندنا جاهزة تعطينا وئاماً معرفيا بيننا وبين الواقع.

لقد نشأت الفلسفة في الغرب في بدايات العصور الحديثة بعد أن تكسر الغطاء النظري بين القديم والجديد، وثبت أن أنساق أرسطو وبطليموس والكنيسة لا تتفق مع العقل والطبيعة والإنسان والمجتمع. فبدا الواقع عارياً من أي غطاء نظري. وبدأت التساؤلات والإجابات البديلة. فنشأت الأنساق الفلسفية والتيارات الفكرية للإجابة عن تلك التساؤلات. الفيلسوف بذلك المعنى هو صاحب النسق الفلسفي. وليس لدينا فيلسوف بذاك المعنى صاحب النسق، واضع نظرية في المعرفة ونظرية في الوجود، ونظرية في القيم.

إنّما الفيلسوف لدينا هو المفكر والناقد، وربما المثقف والأديب، صاحب الموقف النقدي من الموروث القديم، الذي يحاول التخلّص من سيطرته، والتحرّر سلطانه، ورفضه كسلطة للتقليد من أجل إفساح المجال للاجتهاد والردّ على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كلّ عصرٍ فرض»، كما قال السيوطي. الفيلسوف هو الذي يعيد بناء التراث القديم؛ بحيث يكون أصلح لروح العصر. ويعيد الاختيار بين البدائل، واختيار بديل أنفع للناس. فما زالت الاختيارات عندنا منذ القرن الخامس الهجري عصر الغزالي هي السائدة بالرغم من مرور ألف عام عليها. فيها سقطت دول وقامت أخرى، وانتهت حضارات ونهضت أخرى وتمّ اكتشاف نصف العالم أمريكا وأفريقيا. وسقطت غرناطة، وفتحت القسطنطينية. وسقطت الخلافة، واحتلت الأمصار وتحرّرت البلاد ثمّ عاد إليها الاستعمار المحتل من جديد في أشكال جديدة للهيمنة.

الفيلسوف هو الذي يحاول أن ينقل حضارته من مرحلة إلى أخرى، من الإصلاح إلى النهضة، ومن الهيمنة إلى التحرّر، ومن التَّبعيّة إلى الاستقلال،

ومن التجزئة إلى الوحدة، ومن الاحتلال إلى حق تقرير المصير، ومن الظلم الاجتماعي إلى العدالة الاجتماعيّة، ومن الاغتراب إلى إثبات الهويّة، ومن السلبيّة واللا مبالاة والفتور إلى الالتزام والفعل وأخذ المواقف. الفيلسوف هو ابن عصره، والقادر على تشخيص طبيعة المرحلة، التي تمر بها حضارته، والتأثير في أكبر قدر ممكن من الناس، ومخاطبة الخاصّة بالقول البرهاني، والمثقفين بالقول الجدليّ، والعامّة بالقول الخطابي.

الفيلسوف ثانياً هو الذي يتمثل الوافد بعد نقله والتعليق عليه وشرحه وتلخيصه وعرضه والتأليف في موضوعاته ثمّ الإبداع فيه. ولما كان الوافد الحديث هو الوافد الغربي وليس الوافد اليوناني، فكلّ ناقل له من أجل تمثله وليس من أجل شيوعه وإذاعته والترويج له ولاء للثقافة الغربية، وكل من يشرحه ويلخصه نقلاً له من حضارة إلى أخرى، ومن وظيفة إلى أخرى، وكل من يعرضه ويؤلف فيه ويبدع في موضوعاته ولا يكتفي بحمله فهو فيلسوف.

ليس من مهمّة الفيلسوف، الذي يتعامل مع الوافد الغربي نقله وانتزاعه وغرسه من بيئة لزرعها في بيئة أخرى، وبناء مذاهبه ومدارسه في بيئة غير مؤاتية. فقد حاول روّاد النهضة ذلك ببناء صروح ليبراليّة، أو قومية، أو اشتراكية، أو حتّى إسلاميّة مستنيرة فوق أرضيّة تراثيّة محافظة موروثة ترفض الجسم الغريب. فسرعان ما انهارت وظهر الموروث القديم حاملا لحركات إسلامية محافظة تتهم التنوير بالتغريب. وكلّما تفاقمت الأزمات وتعاظمت التحدّيات واتسعت رقعة احتلال الأراضي، وزاد البون بين الأغنياء والفقراء، وازداد التشرذم والتفتت والتجزئة، واشتدّ التغريب ظهرت الحركات الإسلاميّة كونها المُخلّص من أزمات الأيديولوجيات العلمانية للتحديث؛ الليبراليّة، والقومية، والماركسية.

فكلّ من يأخذ موقفاً نقدياً من الغرب متميّزاً عنه دون الانبهار به، والذوبان

فيه، والترويج لبضاعته، مُحوّلا الغرب من كونه مصدراً للعلم؛ كي يصبح موضوعا للعلم فهو الفيلسوف، كما كان الكندي والفارابي وابن سينا، وابن رشد، فلاسفة بالنسبة إلى الوافد اليوناني، ومسكويه بالنسبة إلى الوافد الفارسي، والبيروني بالنسبة إلى الوافد الهندي.

الفيلسوف ثالثاً هو الذي يُنظّر للواقع تنظيراً مباشراً ويُحوّله إلى نص. ولا يكتفي بتأويل النصوص القديمة، أو الحديثة وإلا كان عبداً للنصوص. لا يستطيع أن يرى العالم إلا إذا وضع على عينيه نظارة نص يرى الواقع من خلالها. فلو كانت النظارة بيضاء لظهر العالم أبيض، ولو كانت سوداء لظهر العالم أسود، ولو كانت حمراء لظهر العالم أحمر والأصدق فينا ما قاله محمود درويش:

واحتمى أبوك بالنصوص

فدخل اللصوص

لذلك، اتهمنا بأنّنا حضارة نص، وفكر كتاب مثل أهل الكتاب. ويزهو الغرب علينا بأنّه وحده صاحب حضارة الفعل، وحُجّة العقل بعد أن قضى على حجّة النَّص. ونحن ما زلنا نعتمد على حُجّة النَّص. فالنَّص أساس العقل، كما ورثنا عن الأشعريّة القديمة. وعرفنا بالتأويل والاشتباه والظاهر والباطن والفكر والازدواجية والنّفاق في السلوك، نُظْهِر غير ما نُبْطِن، ونُبْطِن غير ما نُظهر، نقول ما لا نعتقد، ونعتقد ما لا نقول. وهو ما لاحظه القرآن من قبل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون**﴾[1]، كما نقد القرآن ﴿**ويحُبُّون أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾[2].

الفيلسوف هو الذي يعطينا نظريّة في تحرير الأرض المحتلة، ويُقدّم لنا ثقافة

(١) الآيتان ٣-٢، الصف/ ٦١.

(٢) الآية ١٨٨، آل عمران/ ٣.

المقاومة، لاهوت الأرض، وعقائد التحرير. وهو الذي يعطينا نظريّة في حرّيّة المواطن، ويبحث عن الجذور التاريخيّة لأزمة الحرّيّة والديموقراطية في وجداننا العربي المعاصر، وكما حاول الكواكبي في «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد». وهو الذي يصوغ نظريّة ويضع آليّة للعدالة الاجتماعيّة. فأغنى أغنياء العالم منا. وأفقر فقراء العالم فينا. وهو الذي يضع عقيدة للوحدة لحماية الأمة من التشرذم والتجزئة، كما فعل الرومانسيّون الألمان، فيشته وهيجل وشلنج تدعيما للوحدة الألمانية. وهو الذي يدافع عن الهويّة ويضع قانوناً للذاتية، كما حاول إقبال ضدّ التغريب، والتميّع في الغرب، والاغتراب في الآخر. وهو الذي يعطي نظرية في التنمية المستقلّة ضدّ التَّبَعيّة والمعونات الأجنبيّة والاستيراد وقيم الاستهلاك. وهو القادر على تجنيد الجماهير وحشد الناس، ونقلهم من اللامبالاة إلى الالتزام ومن الفتور إلى الحماس، كما حاول الكواكبي من قبل في (أمّ القرى).

الفيلسوف هو صاحب الموقف الحضاري، والذي يعي المرحلة التاريخية، التي تعيشها حضارته وينقلها من مرحلة إلى أخرى. الفيلسوف ابن عصره، وابن وقته وابن زمنه وابن مجتمعه ليس هو الذي يعيش خارج الزمان، يعلِّم أرسطو كما يعلّم،حرفة، ويلقِّن المنطق، كما يفعل الشيخ مع المريد، والذي ما زال يعيش في العصر العثماني.

ليس الفيلسوف هو مؤرخ الفلسفة، الذي يحمل بضاعة يبيعها لمن يشاء لأبناء وطنه ولدور النشر. الفيلسوف هو صاحب الوعي الفلسفيّ؛ فالفلسفة ليست معلومات فلسفيّة ينقلها مُعلّم إلى تلميذ؛ بل المُعلّم، الذي يُمارس فعل التَّفَلْسُف؛ وفي فعل التفلسف تتوحد الذات والموضوع فلا ذات بلا موضوع، ولا أستاذ بلا قضيّة، ولا موضوع بلا ذات ولا وطن بلا مواطن.

إنّ الأستاذ المهني، صاحب الصنعة هو وليد ظروف العصر، البحث عن

الإعارات في دول النفط، التي تريد الصنعة لا الرسالة، والحرفة دون القضيّة، أو التكسب بالعلم في الداخل عن طريق الكتب الجامعيّة إذا ما ندرت،الإعارات، كما أنّه وليد الخوف في الداخل من بطش الحكّام.

كان معظم الفلاسفة في التاريخ كالأنبياء أصحاب قضايا وحملة رسالات يصدق عليهم مقولة «العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء». كان سقراط صاحب قضيّة تنوير الناس. وأفلاطون حامل رسالة تربية المجتمع الأثيني، وتكوين المدينة الفاضلة. وأوغسطين صاحب موقف الدفاع عن المسيحيّة ضدّ الشكاك والمانويين والوثنيين في الخارج والفرق الضالّة أنصار دوناتوس وآريوس في الداخل. ودافع سيجر البرابنتي باسم الرشدية اللاتينيّة عن العقل والطبيعة عن الفكر الحرّ، والعلم الدقيق وأراد ديكارت وبيكون أن يُؤسّسا المعرفة الجديدة، كما أراد كانط أن يُبيّن إمكانيات العقل، وهيجل أن يكشف عن قوانين الجدل، وفشته أن يُؤسس نظرية في العلم كونها حرّيّة، وماركس أن يغيّر العالم، وهوسرل أن يكمل المثالية الترنسندنتالية منذ البداية في «الكوجيتو» حتّى النهاية في «الكوجيتاتوم»، منذ «الأنا أفكر» حتّى «الأنا موضوع التفكير».

في تراثنا القديم كان المُتكلّمون والفلاسفة والصوفية والأصوليون أصحاب قضايا. كانت الفرق الكلامية أحزابا سياسيّة، تؤول العقائد الدينية إلى أيديولوجيات للسلطة القائمة أو للمعارضة السياسيّة. وأراد الحكماء تمثّل الوافد داخل الموروث في جدل ثقافيّ بين الحضارات. وكان الصوفية يريدون الاستمرار في المقاومة مقاومة النّفس، إذا ما استعصت مقاومة الظلم والطغيان في العالم الخارجيّ. وأراد الأصوليون وضع مناهج للتشريع، ومنطق للاستدلال في ظروف متغيرة، وعصور متوالية.

المصدر: مجلّة جامعة المعارف: العدد (١)، بيروت - ٢٠٢٠م.

المقتنيات الأثرية

وطرق إخراجها من البلاد

د. شاكر محمود عبد الله خضير

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير من وطئت قدمه الأرض محمدﷺ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عليكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عليكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عليكَ عَظِيماً**﴾[1] صدق الله العلي العظيم.

التراث المخطوط هو كلّ ما يتضمّنه من علوم وفنون متنوعة وكل ما خلفه الأجداد من إرث ثقافي سواء كان مادياً ملموساً أو معنوياً، وهو التراث الذي تتشبث به الأجيال القادمة لأصالة هذه الأمة وعراقتها وتاريخها وهويتها العربية والإسلامية فكلّ ذلك يعتبر ثروة لا تقدر بثمن نظراً لأهميته التاريخية وارتباطه بالعالم العربي والإسلامي وكجزء من حياة الإنسان المسلم الذي يعتبر هو الإرث الحقيقي ليس لحقبة مرّت بها هذه الأمة وإنما امتداد لمستقبل واعد للإنسان العربي والمسلم الذي ينهل في المرتبة الأولى من تراثه القديم.

فالاهتمام بالتراث المخطوط لا يأتي فقط من خلال المحافظة على المخطوطات والمباني القديمة والقلاع الأثرية وهو أيضاً المحافظة على الأدوات والمقتنيات والأشياء الملموسة التي كان يستخدمها أجدادنا وما توارثوه من أجدادهم، فهذه المقتنيات تحكي عن تاريخ ومراحل تطوره، وما تميزت تلك المرحلة التاريخية من نمط حياة وسلوك العلماء وعكست تلك الحياة أدوات كان يستخدمها العلماء والنسّاخ وفي مراحل تطور حياتهم المعيشية عبر الزمن.

المقدمة:

ومن خلال دراستي لعلم المخطوطات رأيت أن هناك تغيرا في تبعثر وانتشار المخطوطات في أماكن متفرقة بالعالم قد حدث نتيجة استخدام عدة وسائل في

نقل هذه المخطوطات من أماكن وجودها بشتّى الطرق والوسائل المعترف بها وغير المعترف بها، ويجب إلقاء الضوء على ذلك، وبالرغم من خوض الكثيرين من الباحثين والمهتمين بالمخطوطات والكتاب السابقين في تلك الأمور، إلا أن الأمر لم يعد كونه قشوراً خارجية وهامشية دون تعمق وتوضيح.

أهمية البحث:

في العالم الإسلامي والعربي تشمل كلّ الكتب التي كانت مخطوطة حتّى إدخال الطباعة عندما ظهرت الآلة الطابعة على يد الألماني يوهانس غوتنبرغ سنة ١٤٣٦م. حيث كان النسخ من الكتب بالكتابة اليدوية مستمراً، وما زالت الطباعة مكلفة.

وهنا تبدو أهميّة التراث المخطوط في مجال تحقيق النصوص القديمة وهو كلّ ما وصل إلينا مكتوباً، في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، وهو بالتالي: كلّ ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة، ولهذا فإن ما وصلنا من تراث أجدادنا كنز ثمين مختلفة جواهره، ومتنوعة، ولأنه ضاع منه الكثير وبقي منه الكثير ويحتاج إلى إخراجه إلى النور قصد الإفادة منه والاستقاء من معينه باعتباره قوة دافعة نحو استشراف مستقبل حضاري لأمة كان لها السبق في شتى مجالات العلم وفروع المعرفة، وهي الآن أحوج ما تكون للالتفات لهذا التراث لتحيي به الثقة بالذات ولترسخ قيم العلم والعطاء المعرفي، متجاوزة حالة الضعف والوهن التي تعيشها، ومتطلعة لبناء حضارة إنسانية منارة بالعلم ومتوهجة بالبحث والاستكشاف، إلّا أن هذا التراث الثمين مازال في حاجة لمن يخرجه في أبهى حلله موثقاً ومحققاً تحقيقاً خاصاً.

المبحث الأول

نظرة تاريخية لبداية الكتابة والمخطوطات

يعد ظهور فن الكتابة بين الناس في العصور القديمة فاصلاً تاريخياً مهماً في حياتهم، وصفحةً مشرقة أضاءت ما قبلها، فالعصور الإنسانية قبل معرفة الكتابة هي عصور حجرية حاول المؤرخون فهمها اجتهاداً من خلال تحليل الصور والرسومات والرموز التي خلفها إنسان العصر الحجري، ولكن بعد ظهور الكتابة لم يعد هناك مجال للاجتهاد، وصار كلّ شيء واضحاً. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن متى ظهرت الكتابة؟

إنّ الاجابة على هذا السؤال لا تصح أن تكون إجابة مطلقة برقم ثابت، بل ينبغي علينا أن نفصل في أنواع الكتابة لنحدد تاريخ ظهور الكتابة المسمارية في العراق القديم، إذ تعرف الكتابة المسمارية بأنها نقوش معينة يتمّ رسمها على ألواح صلصالية مصنوعة من الطين، أو الشمع، أو الحجر أو المعدن فيتمّ الكتابة عليها وهي طرية بآلات حادة مدببة تعرف بالأزميل ثمّ يتمّ حرقها لتتصلب وقد انتشرت لدى شعوب جنوب غرب القارة الآسيوية، ويعود تاريخ أوّل لوحة إلى عام ٣٦٠٠ قبل الميلادي، وقد انطلقت شعلة اختراع الكتابة المسمارية لأول مرة في التاريخ البشري في بلاد الرافدين أي العراق حالياً على يد الشعوب السومرية، وظلت سائدة حتّى القرن الأوّل الميلادي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد شهد تحولاً في اعتماد الخط المسماري للغة الأكدية، والآشورية، والبابلية، وتمّ فك رموز هذه الكتابة والتعرّف عليها مؤخراً في القرن التاسع عشر الميلادي، فتمكّن العلماء من

فهم النصوص التي خلّفها القدماء من رسائل وملاحم وسجلات رسمية ومعاملات تجارية مسمارية.

وظهرت الكتابة الهيروغليفية لأول مرة بعد الكتابة المسمارية بفترة بسيطة، وقد أرّخ العلماء تاريخ ظهورها ما بين عامي ٣,٣٠٠ حتّى عام ٣,٢٠٠ قبل الميلاد، وقد استخدمت فيها الصور والرموز الشائعة في البيئة المصرية؛ كالطيور والحيوانات وأجزاء جسم الإنسان، بالإضافة إلى الأزميل وهو آلة من حديد أَحدُ طَرَفَيْها حاد ينقر بها الحجر والخشب، أو تُزال بها الزَّوائد من المصنوعات الخشبيّة، والمطرقة والقلم.

وظلت هذه الكتابة متداولة بين الناس حتّى القرن الرابع قبل الميلاد، ثمّ حلّت محلّها كتابة مشتقة منها ولكنّها على نحو أكثر بساطة وهي الكتابة الهيراطيقية الخاصّة بتدوين الوثائق الإدارية والقانونية وكانت تستخدم الحبر العادي وورق البردي المصنوع من جلد الحيوانات، وظلّت سائدة حتّى القرن السابع قبل الميلاد لتحلّ محلّها بعد ذلك اللغة الديموطيقية.

وبعدها ظهرت الكتابة الأبجدية عن طريق الشعوب السامية الشمالية الغربية، وهي شعوب بلاد الشام وسيناء وهي على عدة أنواع كالأوغاريتية في أوغاريت، والفينيقية الخاصّة بسكان شرق حوض المتوسط، والأبلوية الخاصّة بشعوب مملكة أيبلا شمال سوريا والأنكا الخاصّة بالمكسيك.

فمع تطور حياة الإنسان الأوّل وتكوين المجتمعات البشرية، وجد نفسه غير قادر على التفاهم مع الآخرين فاهتدى إلى اللغة واخترع الكتابة لحفظ انتاجه الفكري وميراثه الثقافي، ومنذ البداية ابتدع الإنسان في بلاد الرافدين الكتابة على الالواح الطينية مع التوسع في الزراعة ورواج التجارة وظهور العربة ذات العجلة، والسفن الشراعية، فبالكتابة يتمّ تسجيل تاريخ الشعوب والقوانين

الخاصّة بها لغرض الحفاظ على العلوم والمكتشفات من الضياع لتوريثها للأجيال القادمة دون عناء وتكلّف، وتعدّ الكتابة لغة اتصال وتواصل مفهومة يتمّ من خلالها تبادل الرسائل بين الملوك والمعاملات الرسمية والسجلّات التجارية فكانت اللغة أداة اتصال وتفاهم بين الناس.

وبما أن الوطن العربي يعتبر مهداً لأقدم الحضارات التي ترجع الى بداية التاريخ وشهد ميلاد حضارات كبرى متميزة لعبت دوراً مهماً في تقدم الإنسانية وتطورها قبل الميلاد، ومن هذه الحضارات:

١. حضارة العراق القديمة السومرية والبابلية والآشورية والتي فيها ظهرت الكتابة لأول مرة قبل الميلاد في حدود عام ٢٩٠٠ قبل الميلاد.
٢. ومن ثمّ ظهرت الحضارة المصرية التي ظهرت فيها الكتابة المصرية الهيروغليفية القديمة.
٣. وحضارة بلاد الشام وفلسطين ظهرت حضارة الحيثيين والفينيقيين، حيث ابتكر الفينيقيون الكتابة حوالي سنة ١١٠٠ق.م، وهم سكان السواحل الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، استمدوها من الكتابة السومرية والمصرية القديمة. فابتكروا الأبجدية الفينيقية وجعلوا لها حروفاً وكل حرف يمثّل صوتاً معينا. وهذه الحروف أصبحت سهلة الكتابة. وكانت أساساً للكتابة في الشرق والغرب بالعالم القديم.

كما ازدهرت على أرض تونس الحضارة البونيقية واللغة البونيقية، تسمّى أيضاً القرطاجية أو الفينيقية البونية. كان يتحدث بها في الإمبراطورية القرطاجية في شمال إفريقيا والعديد من الجزر المتوسطية من قبل الشعب البونيقي في العصور القديمة الكلاسيكية. واستدلّ عنها من خلال بعض الآثار والكتابات القديمة. وكانت لغة العلم والثقافة بشمال أفريقيا، في القرن الخامس للميلاد. وفي بلاد العربية السعيدة (اليمن) ازدهرت الحضارات المعينية والسبئية والحميرية.

ومع ظهور الإسلام واتساع حركة الفتوحات العربية فإن القرآن الكريم يعدّ أوّل كتاب مخطوط تتكامل فيه العناصر المادية في تاريخ الحضارة الإسلامية فكانت مراحل جمعه وتدوينه بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت حركة صناعة الكتابة والكتاب، حتّى إنه «لم تكد مصاحف عثمان بن عفان عنه – على سبيل المثال – تصل إلى الأمصار حتّى تلقفها النسّاخ فأجادوا نقلها وتنافسوا في كتابتها، وتفننوا في استنساخها وقبل الحديث عن أثر هذا العامل نلقي الضوء على بعض مراحل جمع القرآن وكتابته ومنها كتابة القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: مع أن الرسول لم يعرف الكتابة ولم يمارسها، حيث ذكر ذلك الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[٢].

والجدير بالذكر أن العصر الجاهلي يبدأ من قبل قدوم الإسلام بقرن ونصف إلى قرنين وينتهي بقدوم الإسلام، حيث يبدأ بعد ذلك بما يسمّى بعصر صدر الإسلام، حيث إن حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تأثرت بقدوم الإسلام، فكان فاصلاً بين عصرين مختلفين.

وبذلك ورث الإسلام أرض الحضارات القديمة وأسّس نمطاً حضارياً جديداً استمدّه من روحه وتعاليمه، كما تأثّر بالمعطيات المحلية للبلدان المفتوحة، حيث امتدّ الفتح الإسلامي متخطياً موطن حضارات الشرق القديم إلى حضارات الهند والصين شرقاً وإلى بلاد الأندلس وجنوب أوروبا غرباً مؤثراً ومتأثراً بها.

ومن المعروف أن الأمة العربية بعد أن بزغ فيها نور الإسلام ودخلت تحت لوائه، وضع المسلمون الأوائل حجر الأساس للثقافة والحضارة، وبمرور الزمن وإقبال الناس على دين الإسلام أخذت هذه الأمة تنزع عنها ثوب البداوة،

لتستقبل وتستوعب ما دخل حضارتها من المثل والقيم العليا الأصيلة المستمدّة من كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم)، هذا الكتاب الذي حفظ اللغة العربية ومدّها بالقدرة على البقاء والاستمرار، فالدين الإسلامي يدعو إلى العلم، بل جعله بمعناه الأعمّ وسيلة للخروج من ظلمات الجهل والشرك والضلالة إلى النور والتوحيد والهداية[٣]، لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[٤].

اهتمّ المسلمون بعلم التاريخ لتسجيل سيرة نبيّهم وترجع بداية معرفة المسلمين بالتاريخ بحفظهم لأنسابهم وروايات القصّاص عن أيام العرب قبل الإسلام وأزدادت حاجة المسلمين للتاريخ بعد الهجرة وبعد أن أصبحت لهم دولة عاصمتها المدينة المنورة واتخذوا حدث الهجرة بداية لتاريخ دولة الإسلام وأعتمدوا على التقويم القمري وأخذوا بالأشهر العربية، ولذلك فقد ترك العرب المسلمون الأوائل تراثاً فكرياً ضخماً لا تجده عند أية أمة من الأمم الأخرى ولا في لغة من اللغات العالمية الحيّة، ويتمثّل هذا التراث في الكتب والرسائل التي ألّفها أصحابها المبدعون في شتى مجالات العلوم والمعارف الإنسانية فكان نتاجهم ضخماً ومتنوعاً ومستوعباً لكل المعارف والفنون، امتدّ إلى أكثر من أربعة عشر قرناً تضافرت عليه جهود الآلاف من العلماء والأدباء والخطّاطين والنسّاخين والورّاقين ويقدّر العارفون بهذه المخطوطات والمتتبعون لمظانها أن الموجود منها اليوم في مشارق الأرض ومغاربها كثير جداً انتشرت في بقاع العالم ولقد كانت دعوة الإسلام إلى العلم والإقبال على طلبه مدعاة للمسلمين لأخذه والسعي إليه، فكان شغفهم بالعلم منقطع النظير وتجلّى ذلك في الإقبال الكبير على القراءة والكتابة والتأليف والتدوين، خاصّة في العصور الأولى للإسلام، وقد ازدهرت حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي بعد

تأسيس بيت الحكمة، كما قويت العناية بالمكتبات والكتب والمخطوطات.

المخطوطات هي: كلّ مكتوب بخطّ اليد دون استعمال الطباعة، سواء كانت الكتابة على ورق البردي أو اللفائف أو سعف النخل، أو عظم الكتف أو الورق. فتكوّن رصيد من المؤلّفات والكتب والمخطوطات يعكس ما وصل إليه بحث المسلمين في مختلف الميادين، ومنها علوم حديثة جاءت بمجيء الإسلام اهتدى إليها المسلمون ببديهتهم وأبحاثهم.

المبحث الثاني

ضياع الكثير من المخطوطات

مما يؤسف له هو أن عدداً كبيراً من المؤلّفات والمخطوطات ضاعت بسبب الفتن والحروب والغزوات وخاصّة حرب التتار، إضافة إلى ما تعرّض له التراث الإسلامي في الأندلس بعد سقوط غرناطة في يد الإسبان، فقد تسببت هذه الحروب في إحراق المكتبات والمخطوطات والمؤلّفات، كما ألقي كثير منها في البحر، وما سلم منها تمّ نقله إلى دور المخطوطات والأديرة والمتاحف الغربية خلال الحروب الصليبية وإبّان الاستعمار الإمبريالي الحديث، كما تزخر الأرشيفات ودور الوثائق والمتاحف في دول العالم بنفائس المخطوطات العربية الإسلامية التي سلمت من الكوارث والنكبات، وهي في حاجة إلى جهود كبيرة لحمايتها.

سرقة الاحتلال والمحتل للمخطوطات:

وهي السرقة الممنهجة التي قام بها روّاد الاستشراق والرحالة والمكتشفون الذين كانوا يجرون خلف الجيوش الجرارة التي أطبقت على العالم الإسلامي، وضاعت عديد المؤلّفات التي طمرت تحت الأرض حتّى لا ينالها المصير المؤلم،

فانتقلت آلاف المخطوطات إلى عواصم الدول الغربية ثمّ بدأت الكتب تخرج تباعا محققة من جامعاتها (مكتبة بريل بجامعة ليدن الهولندية على سبيل المثال وغيرها، وربما كانت تلك هي النافعة الوحيدة من الضارّة التي حاقت وأحاطت بالكتاب الإسلامي، وخير شاهد على ذلك تلك الجهود التي قدّمها المستشرق كارل بروكلمان في موسوعته الموسومة باسم (تاريخ الأدب العربي).

ومما لاشكّ فيه أن المستشرقين الأوربيين هم أوّل من تنبّه في العصر الحديث إلى أهميّة تراثنا الفكري القديم، فأخذوا منذ مطلع القرن التاسع عشر، يقتنون وبشكل واسع نوادر المخطوطات العربية والإسلامية، ويصنعون لها الفهارس المتقنة للتعرف عليها، كما عملوا على تحقيق الكثير من هذه المخطوطات ونشرها وفق الأصول والمناهج العلمية، وترجموا بعضها إلى لغاتهم[٥]، ولعل المتصفح للكثير من هذه الفهارس يجد كثيراً من الأعلام المستشرقين ناشرين لهذه الكتب والمصنفات العربية.

وفي محاولات رصد التراث العربي وتوثيقه نجد أن الباحث يهمّه بالدرجة الأولى التعرّف على ما هو موجود من المخطوطات وأماكنها ليتسنّى له الاطّلاع عليها، ثمّ اختيار ما يرغب فيه للقراءة أو التحقيق أو النشر، وفي ما يتعلق بالمخطوطات وأماكنها، يمكننا الاعتماد على العمل الرائد الذي قام به المستشرق الألماني كارل بروكلمان ونشره تحت عنوان (تاريخ الأدب العربي)[٦] وذكر فيه ما يقارب عشرين ألف مخطوط، تعدّ حصراً شاملاً للتراث المخطوط الموجود في مختلف مكتبات العالم عند وضع الكتاب.

وفي منتصف الستينيات بدأ العالم التركي المقيم في ألمانيا فؤاد سزكين بوضع كتاب عنوانه (تاريخ التراث العربي) باللغة الألمانية، قاصداً في بداية الأمر أن يجعل منه ملحقاً يكمل فيه عمل كارل بروكلمان الآنف الذكر، ولكنّه أدرك

أن العمل سيكون أضخم ممّا توقّع، فعزم على أن يصدر كتاباً جديداً يضمّنه مادة بروكلمان ويستكملها، فذكر مكتبات كثيرة، وتوقّف فؤاد سزكين في عمله عند سنة (٤٣٠ هجرية/ ١٠٣٩م) لأن هذا التاريخ في رأيه يمثّل نهاية العصر الذهبي للثقافة والفكر في الحضارة العربية الإسلامية(٧).

وإلى جانب العملين الببليوغرافيين اللذين وضعهما كارل بروكلمان وفؤاد سزكين نجد الكثير من الفهارس الواصفة للمخطوطات الموجودة في المكتبات العامّة والخاصّة في مختلف بلدان العالم، التي وضعها بعض العلماء والمكتبيين المختصّين بكتب التراث من مستشرقين وشرقيين وعلماء مصريين وعراقيين وعرب. وهذه الفهارس وأن اختلفت في أسلوب الوصف وترتيب المعلومات ومدى الدقة فيها فإنها تؤلّف في مجموعة رصيداً مهماً للمخطوطات العربية وأماكن وجودها وتستكمل عمل كارل بروكلمان وفؤاد سزكين في بعض الحالات وتسدّ ثغرة واسعة في السيطرة الببليوغرافية على تراثنا.

ومما لاشكّ فيه فقد خلّفت الحضارات المتميزة على امتداد سبعة آلاف عام، مخلفات ثقافية أثرت التراث الإنساني متمثلة في ملايين المخطوطات وأوراق البردي والوثائق الرسمية وحجج الأوقاف والسجلّات الشرعية. إضافة الى مئات الآلاف من العمائر الدينية والمدنية الضخمة والآثار الثابتة والمتنقلة كالتماثيل والأحجار والواجهات المنحوتة والقطع الفنية من المعادن والأخشاب والخزف والحجر البلوري والمنسوجات والنقوش والمسكوكات، وبسقوط الدولة المملوكية في مصر والشام وهزيمة الصفويين في إيران مع مطلع القرن السادس عشر أمام الدولة العثمانية فقدت البلاد العربية استقلاليتها وتضاءل دورها في السياسة العالمية وسادها لفترة طويلة نوع من الضعف السياسي والخمول الفكري والثقافي(٨). وقد تعاصر ذلك مع بداية عصر النهضة الأوروبية وبدء

الغرب الأوروبي في مدّ الجسور بينه وبين ثقافة اليونان والرومان وفي التعرّف على النتاج الثقافي والفنّيّ والفكريّ للحضارات القديمة التي أصبحت أرضها من ممتلكات الإمبراطورية العثمانية.

ومن حيث الخلفية التاريخية للقضية فمنذ البداية نقل العثمانيون إلى الأستانة الكثير من التحف الفنية والمشغولات الإسلامية وعدداً ضخماً من المخطوطات العربية والمصاحف الشريفة، وكذلك فقد بدأ الرحّالة الأوربيون وقناصل الدول الأجنبية يصلون إلى البلاد العربية ويتعرّفون على روائع التراث التاريخي للمنطقة ونقلوا ما توافر في أيدي الناس من هذه التحف إلى أوروبا بسبب جهل أهلها بقيمتها وضعف السلطات المحلية، ثمّ أدّى الاحتكاك العسكري وخاصّة منذ حملة نابليون على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، والتنقيبات العلمية التي قام بها علماء الحملة إلى الكشف عن الكثير من المخلّفات الثقافية التي أخرجتها الحملة من مصر.

ثمّ وقع معظم العالم العربي ابتداء من عام ١٨٣٠م تحت نيّر الاحتلال، فأصبحت المناطق الأثرية مكاناً مباحاً للمغامرين والباحثين العلميين تحت إشراف القناصل وبتمويل من المتاحف الغربية وأثرياء أوروبا، وبعيداً عن رقابة السلطات المحلية التي كانت تجهل الكثير عن قيمة هذه المخلفات، فتسرّب العديد من المخطوطات والتحف والآثار والقطع الفنية التي عرفت طريقها إلى متاحف أوروبا الغربية ثمّ الولايات المتحدة الأمريكية، وبرغم ذلك فإنّ للمستشرقين دوراً كبيراً في خدمة التراث العربي الإسلامي وذلك لوجود هذا التراث بين ظهرانيهم...، بعدما تحوّلت معظم المخطوطات العربية إلى مكتبات الغرب وأديرته، فكانت اهتماماتهم متعددة من حيث الحفظ والدراسة والتحقيق والنشر والترجمة والتكشيف، فوصلتنا بسبب عملهم درر ثمينة من

أمثال فتوح البلدان، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وفهرست ابن النديم وأخبار الحكماء وتاريخ ابن جرير والمسعودي، إضافة إلى دواوين الشعر وكتب الأدب.... وقد استفاد التراث المخطوط في غربته عن دياره وأهله في حفظه مادياً وصيانته من حيث التحقيق والنشر والترجمة وإعداد الدراسات، وإن لم تخل هذه الجهود من ملاحظات وانتقادات في الجوهر والمنهج فإننا يمكن أن نجمل إسهام المستشرقين في خدمة التراث فيما يلي:

* البحث في المخطوطات والرحلة إليها وجمعها وصيانتها وحفظها.
* فهرسة المخطوطات وتوثيقها وتكشيفها وأحياناً تلخيصها.
* التحقيق.
* الدراسة مع العناية بالمعاجم.
* الترجمة إلى اللغات الأوربية.

إضافة إلى نسخ بعض المخطوطات وتحريرها أو تصويرها ونشر اقتباسات من بعضها، كما استحدثوا وظائف النسّاخ وهكذا فاهتمام المستشرقين بالتراث سبق اهتمام المسلمين المعاصرين لهم والذين دفعتهم تجربة المستشرقين إلى التخصّص في خدمة التراث جمعاً وتوثيقاً وتحقيقاً وممن اشتهر في تحقيق المخطوطات في الوطن العربي: عبد السلام هارون وأحمد زكي وغيرهم.

ريادة المسلمين في المنهج التوثيقي:

إذا كان للمستشرقين فضل كبير في التحقيق والنشر بعد تأسيس الطباعة، فهذا لا يعني أن وضع أسس تحقيق النصوص غريب عن علمائنا، فقد كان لعلماء الحديث السبق والريادة في المنهج التوثيقي، فأصول التحقيق موجودة في كثير من قواعدهم، مثل طرائق التحمل والأداء وما يندرج فيها من معارضة ومكاتبة

ووجادة وشروط كلّ ذلك، ومباحث الضبط وما يتبعها من معرفة بالخطوط قديمة وحديثة، ومصطلحات حديثية كالمقلوب من المتون،والأسانيد والمدرج والمصحف وغيرها، وكان لعلم الحديث وتوثيق الأحاديث وتصحيحها أثر واضح على مجالات علمية أخرى كالتاريخ واللغة والشعر وغيرها من ضروب الثقافة، حيث تأسس التحقيق وفق منهجية علمية يلزمها المحقّق، حتّى يخرج النصوص بأمانة علمية، وخطوات ثابتة متسلسلة، تضمن أكبر قدر من الصواب والصدق والعلمية في البحث.

المبحث الثالث

طرق إخراج المخطوطات والتحف الفنية والممتلكات الثقافية خارج البلاد

وفي واقع الأمر فإن تجارة المخطوطات والتحف والآثار والمنقولات الثقافية تعد من أكبر مشاريع الاستثمار وتدر على أصحابها عائداً كبيراً وأصبحت الدول في ظلّ هذه التجارة تنقسم إلى أنواع ثلاثة[٩]:

١- دول مصدّرة للممتلكات الثقافية: وهي في الأغلب الدول النامية ذات الحضارات القديمة (البلاد العربية) ومعظم دول أمريكا اللاتينية وكثير من الدول الإفريقية – وبعض البلاد الأسيوية – ودول البحر الكاريبي والدول الأقيانوسية المنتشرة بين أستراليا وآسيا).

٢- دول مستوردة للممتلكات الثقافية: هي غالباً الدول الرأسمالية الغنية (الولايات المتحدة- دول أوروبا الغربية – اليابان).

٣- دول وسيطة: تشجع ظروفها وتسمح قوانينها بعبور المهربات كبعض دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

الخاتمة:

فإن ما تعرضت له مقتنيات التراث العربي والإسلامي والمخطوطات من النهب والسلب ومن حيث طرق خروج التحف الفنية والممتلكات الثقافية للأسف الشديد خرجت الكثير من هذه التحف والقطع الفنية ابتداء من القرن الماضي بطرق معترف بها وبطرق غير شرعية هي أقرب إلى النهب والسرقة والطرق المعترف بها تمت بواسطة:

١- الإهداء: حيث أهدى ملوك الدول الكثير من هذه القطع إلى ملوك أوروبا بناء على طلبهم ووضعت في متاحفها.
٢- القوانين التي وضعها الاحتلال أو الانتداب.
٣- الاتجار: حيث سمحت بعض قوانين الدول العربية بالاتجار بالآثار
٤- بيع النسخ المكررة أو قليلة القيمة.
٥- المقاسمة بين البعثات الأجنبية والسلطات الوطنية.

وكذلك خرجت الكثير من هذه الممتلكات الثقافية بطرق غير شرعية هي أقرب إلى النهب والسرقة عن طريق

١- الحفائر غير الشرعية.
٢- السرقة من المواقع الأثرية والمتاحف ومراكز المخطوطات
٣- الحقيبة الدبلوماسية.
٤- عيوب القوانين الخاصّة بالآثار.

كما أن الدول العربية التي تنبّهت لإنشاء إدارات للآثار منذ نهاية القرن التاسع عشر سيطر عليها الأجانب وانعدمت فيها تقريباً الكوادر المحلية، ممّا ساعد على تسرب حصيلة الحفائر العلمية غير المراقبة إلى الخارج.

Summary:

Praise be to God. Lord of the worlds. and prayers and peace be upon the best of those whose feet set foot on the earth. And the grace of God upon you was great. God the Great has spoken the truth.

Manuscript heritage is all that it contains of various sciences and arts and all that the ancestors left behind in terms of cultural heritage. whether material. tangible or moral. Historic history and its association with the Arab and Islamic world and as part of the life of a Muslim who is considered the true legacy not of an era that this nation went through. but an extension of a promising future for the Arab and Muslim man who draws first from his ancient heritage.

Interest in written heritage does not come only through preserving manuscripts. ancient buildings. and ancient castles. it is also preserving the tools. collectibles. and tangible things that our ancestors used and what they inherited from their ancestors. Scientists and that life reflected tools that were used by scientists and scribes and in the stages of development of their living lives over time.

الهوامش:

(١) سورة النساء: الآية ١١٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.
(٣) تفسير الجلالين.
(٤) سورة الجمعة، الآية ٢.
(٥) انظر: عبد الجبار عبد الرحمن ذخائر التراث العربي الإسلامي، ط١، ١٩٨١.
(٦) انظر كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي.
(٧) انظر: نفس المصدر السابق، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي.
(٨) انظر مقالة أ.د. أيمن فؤاد سيد في كتاب التراث الحضاري الغربي الإسلامي خارج الوطن العربي ص١٧٣، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٩١.
(٩) انظر: نشر هذا البحث المميّز في مجلّة تراثيات – ص٥٧ الى ص٦٦ التي تصدر عن دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة وذلك في العدد الثامن (جمادى الأولى ١٤٢٧هـ، الموافق يوليو ٢٠٠٦م).

المصدر: وقائع المؤتمر الدولي الثالث للجمعية العراقية العلمية للمخطوطات المنعقد في تركيا، فبراير ٢٠٢٣.

المكتبات في بغداد بين الماضي والحاضر

مكتبات شارع المتنبيّ

د. وفاء أحمد سعيد

المقدمة:

حظيت القراءة بالعناية والتقدير من لدن مختلف الديانات والمجتمعات، وكانت محطّ أنظار المفكرين والباحثين الذين من خلالها شكّلوا موضوعات العلوم المختلفة وتناولتها النظريات والأطاريح الكثيرة والمتعددة فهي تنطلق من جوانب متعددة تتناولها جميعها خلال الكتابات المختلفة مثل اللغة التي كتبت بها، التي من خلالها يستطيع القارئ ان يفهم ما فيها أو تشير لقضايا في علم النفس وهذا يكون مدعاة لإبراز العمليات الذهنية التي قد تكون معقّدة وذلك حسب نوع النص أو النصوص المكتوبة وكيف سيكون فهمها وإدراكها.

ومن خلال القراءات والاطّلاعات المختلفة نجد على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره البرتو مانغويل[١] في كتابه (تاريخ القراءة) من محاولة التاريخ للقراءة من خلال الكتابة، وذلك حين لاحظ أن الكتابة بدأت في سوريا والعراق، وأن السومريين هم أوّل من اعتمدها أساساً للتعبير عن الحقائق والأفكار. وهذه الإشارة التي ذكرها البرتو تهرّباً من تحديد تاريخ لبداية عمليات القراءة نجدها في مراجع ومصادر أخرى سبقت كتابة هذا. كما يجد البرتو في قراءة القرآن الكريم وعلومه الكثير ممّا يمكن أن يضعه في تاريخ القراءة وإن لم يستوعب جيداً أو لم يشغل نفسه بفهم القضية المشهورة التي سجن بسببها الإمام أحمد بن حنبل وعُذّب حين قال «إن القرآن كلام الله وليس خلق الله كما كان يعتقد الحكام المعتزلة»، ولكنّه التقط مقولة إن القرآن هل هو كلام الله الذي أوحاه الى النبي محمدﷺ أم هو ما تقرؤه الأعين والألسنة الكثيرة؟ كما أشار الى آداب قراءة القرآن الكريم التي ذكرها الغزالي.

ومما سبق كتاب البرتو هذا ما قاله الصولي مثلاً في أدب الكاتب[٢]: روي عن كعب الأحبار أنه قال: « أوّل من كتب الكتاب العبري والسرياني وسائر الكتب

آدم قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين ثمّ طبخه، فلمّا أغرق الله الارض أيام نوح بقي ذلك فأصاب كلّ منهم كتابهم، وبقي الكتاب العربي الى أن خصّ الله به إسماعيل عليه السلام فأصابها وتعلّمها».

وهناك نصوص أخرى كثيرة من هذا القبيل نجدها في كتب التراث المختلفة، بل هناك من ذهب الى تأكيد صحة ارتباط القراءة بالخلق منطلقاً من بعض الإشارات الواردة في الكتب السماوية وخاصّةً تلك المتعلقة بتعليم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء التي ورد ذكرها في الآية (٣١) من سورة البقرة وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء﴾.

وسواء ارتبطت الكتابة والقراءة في نشأتها بالمجتمع السومري أو كانتا من الصفات التي رافقت خلق الإنسان. فإن أغلب الدارسين نظروا اليهما بوصفها نقلة متميزة في حياة الإنسان.

ولقد أثار الجاحظ والتوحيدي مسألة القراءة من زاويتي اللذة والقلق، ودفعا بالقارئ الى استحضار كامل قواه أثناء عملية القراءة.

ولم تتوقف كتب التراث العربي الإسلامي عند هذا المقدار، بل أثيرت قضايا متعددة تتعلق بالقراءة والكتابة كاستنساخ الكتب وإعارتها، وإستعارتها والتهميش والمحافظة عليها واختيار وقت قراءتها وضرورة إعادة عملية القراءة حتّى تركز في الذهن. وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية قد أخذت بإعجاب كثير من الدارسين والباحثين فإن ذلك راجع في الأساس الى اعتنائها بالقراءة وبما يستتبعها من فعاليات أخرى كالكتابة والتحصيل والعمل وهو اهتمام يتجاوز كلّ تصور.

هدف البحث:

يصعب في بحثنا هذا تتبع أوائل المكتبات البغدادية، وتكمن الصعوبة في ضياع الكثير من الأصول، ففي غياب تشريع قانونيّ عراقيّ متكامل للكتاب تصبح مهمّة البحث عن أهم المكتبات التي أسست، والكتب التي طبعت في تلك السنوات مغامرة، إذ أن عدم احتفاظ أغلب باعة الكتب بسجلّات توثّق عملهم، أو ضياع وتلف هذه السجلات بعد وفاتهم خاصّةً وأن أغلب هذه المكتبات قد أغلقت أبوابها ولم تعد موجودة. كلّ هذه العوامل وغيرها الكثير تجعل مهمّة البحث في هذا المجال تواجه صعوبة. وتجدر الإشارة الى عدم وجود مؤرخين في تلك الفترة يعملون على تسجيل حركة الكتب وتوثيقها وهذا يعتبر أمراً في غاية الأهميّة لتوثيقه دور روّاد نشر الثقافة في العراق. إلا أنها برزت خلال عقدين سابقين من الزمان وتمّ نشر عدد من الدراسات والمقالات التي فيها محاولة للتوثيق وتؤرّخ وترصد بعض جوانب التاريخ الثقافي في العراق كعرض تاريخ سوق السراي المركز الأوّل لتجارة الكتب في بغداد. من هنا يهدف البحث الى محاولة توثيق تاريخ بعض من المكتبات التي أسست وازدهرت وأنتشرت في شارع المتنبيّ وخلفية كلّ مكتبة بدايةً من مؤسسها والى نهاية بعض منها أثر التفجيرات الأخيرة في هذا الشارع العريق.

المكتبات في بغداد وعراقة ماضيها:

تمثّل المكتبات وسيلة من وسائل الاتصال مع العالم وقناة من قنوات متعددة، توصل المعلومات لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، فهي تمدّ المجتمع بمعلومات أساسية تساعد على تقدمه وتطوره وازدهاره، وأيضاً على تقدّم الصناعة والزراعة والتجارة والسياسة والاقتصاد وغيرها. كما أنها يمكن أن تقدم البحوث العلمية والتقارير في جوانب الحياة الفكرية المختلفة وتمنح

القارئ أو المستفيد منها باختلاف خلفياته الثقافية أو تعطياه فرصة للاطلاع والقراءة والاستفادة ممّا هو مكتوب.

وتجدر الإشارة هنا الى أن مصطلح أو لفظة المكتبات ظهر حديثاً، ففي سابق الزمن اختلفت التسميات فمثلاً استخدمت لفظة خزائن الكتب والتي أشار إليها الأستاذ كوركيس عوّاد في كتابه (خزائن الكتب القديمة في العراق)[٣]. ولايشكّ امرؤ في أن مبعث الثقافة والحضارة في كلّ عصر وأوان هو العلم، ولا يقوم علم إلا على مؤلّفات تُدَوّن ومعلومات تُكتنز في أسفار، يتألف من اجتماع شملها وانضمام بعضها الى بعض ثروة أدبية وعلمية زاخرة، يطلق عليها اسم (خزنة كتب أو (دار كتب) أو غير ذلك من الأسماء.

كما يذكر أيضاً استخدام لفظة (سوق الورّاقين) و(الورّاقة) و(الورّاقون)[٤]، ويذكر المؤرخون ومنهم الطبري (٣١٠هـ) أن سوق الورّاقين في بغداد كان قريباً من باب البصرة أحد أبواب مدينة المنصور وتمتدّ بين منطقتي القنطرة وطاق الحرّاني في قطيعة (وضّاح) في الكرخ - تمثّل هذه المنطقة حالياً المنطقة المسماة بالشالجية - ووضاح هذا من موالي الخليفة المنصور. واستمرّ الحال هكذا حتّى العهد البويهي حيث انتقل سوق الورّاقين الى الجانب الشرقي من بغداد، ومن المعروف أن الخليفة المنصور كان قد أخرج الأسواق خارج أسوار المدينة المدوّرة ولعلّ إقدامه على تشييد بعض البنايات في الجانب الشرقي وبناء قصر الخلد على الشاطئ الغربي كان لإفهام الناس بأنّه لا خوف عليهم من وجودهم خارج الأسوار. ويقال: إن السبب الذي دفع المنصور الى نقل الأسواق ما بلغه أن تجار غرباء يبيتون داخل أسواق المدينة وأن وجودهم خطر على المدينة[٥].

ويذكر نيبور[٦] في رحلته في القرن الثامن عشر عند مروره ببغداد: «لم يكن

هناك وراقين وسوق كتب مثل القاهرة التي اشتهرت بسوق الورّاقين حيث إن الذي يحتاج الى كتاب يستطيع الحصول عليه بسهولة من سوق الورّاقين بعد أن يدفع ثمن معيّن وبعد فترة يتمّ الإتفاق عليها حسب حجم الكتاب وسعته وحسب رغبة الراغب في إضافة بعض النقوش والزخارف والتذهيب وغيرها من أمور التزويق، أمّا في بغداد فأنك لن تستطيع الحصول على ما تحتاج من الكتب إلا بعد وفاة أحد العلماء إذ يتمّ بيع كتبه في مزاد يعدّ لهذا الغرض.. هكذا جرت العادة حيث يذكر نيبور.

ويمكن أن نفسر كلام نيبور هذا بما حدث في بغداد من مآسي على مرّ الزمن من غزوات متلاحقة وحروب وحرق كتب وأنهار اسوّدّ لونها من الحبر الذي كتبت فيه كتبها بعد غزو هولاكو واستمرار تلك المصاعب والمصائب ممّا جعل إمكانية حفظ تاريخها وتراثها أمراً صعباً ولولا هذه المصائب لانفردت بغداد بالكتب والكتابة، الورق والورّاقة، النسخ والمنسوخ والتأليف وغيرها.

المكتبات البغدادية في العصر الحديث وشارع المتنبيّ:

انتشرت المكتبات البغدادية وتعددت وازدهرت في مراحل من تاريخ العراق كونه مهد الحضارات وصاحب تاريخ أقدم المكتبات. ولعدم وجود مؤرخين وموثقين لتلك المكتبات وتاريخها، بداياتها ومراحل تطورها أو نهاياتها اندثر العديد منها ولم يعلم عنها أو يذكر إلا الشيء القليل، إلا أن هناك بعض المكتبات التي تمّ تسجيل معلومات عنها وتحديداً الموجودة في شارع المتنبيّ والتي سيتناولها بحثنا هذا في محاولة لتوثيق عدد منها والتي استطعنا الحصول على معلومات عنها منذ بداياتها ولحدّ الوقت الحاضر وسيتمّ عرض المكتبات حسب القدم. وقبل ذكرها سنقوم بالإشارة الى شارع المتنبيّ تسميته موقعه، أهميته وبشكل مختصر لأن الحديث عن هذا الشارع العريق يحتاج الى عدّة دراسات وكتابات.

شارع المتنبيّ:

التسمية:

سمّي بشارع المتنبيّ تكريماً لشاعر العرب أبي الطيّب المتنبيّ صاحب القول المشهور:

أعــزُّ مـكـانٍ في الـدنـا سرجُ سابـحٍ وخــيرُ جـلـيسٍ في الـزمـانِ كِـتـابُ

ويمتدّ تاريخ هذا الشارع الى العصر العباسي [٧] إذ كان يسمّى بدرب زاخا وهي مفردة آرامية، وكان مشهوراً بالمؤسسات الثقافية والدينية ومنها مدرسة الأمير سعادة الرسائلي، ورباط أرجوان (أي تكية أرجوان)، وفي العهد العثماني سمّي بشارع الأكمكخانة أي المخبز العسكري الذي كان يتولّى تجهيز الوحدات العسكرية بالخبز أو ما يسمّى في العراق بالصمون.

الموقع:

يقع هذا الشارع في الجانب الشرقي من نهر دجلة وسط العاصمة بغداد، والمسمّى جانب الرصافة، حيث يتفرّع من أقدم شوارع بغداد وأشهرها – شارع الرشيد وينتهي – بسوق السراي من جهة اليسار، وجديد حسن باشا من جهة اليمين وينتهي بأقدم مقهى للكتاب والأدباء وهو مقهى الشابندر. ويبلغ طول الشارع حوالي ٢٥٠ متراً كما في الصورة رقم (١).

وتتفرّع من جانبيه عدّة أفرع وأزقّة كما في الصورة رقم (٢) والصورة رقم (٣) التي تبيّن موقعه مع عدد من المناطق المهمّة المحيطة بمنطقة تواجده في تلك الجهة من العاصمة بغداد.

صورة رقم (١) والتي تبيّن موقع شارع المتنبيّ من شارع الرشيد وسوق السراي

صورة رقم (٢) والتي تعطي صورة أكبر لجانب الرصافة والذي تقع فيه شوارع المتنبيّ والرشيد

صورة رقم (٣) والتي تكون فيها الصورة من مكان أبعد وتبدو فيها المدرسة المستنصرية

ويحتوي الشارع على عدد من المكتبات التي تضمّ كتباً ومخطوطات نادرة فضلاً عن بعض المباني البغدادية القديمة، وتجدر الإشارة الى أن هذا الشارع له شهرة واسعة في الدول العربية حيث يسمّيه بعضهم بشارع المثقّفين أو حي الكتب وهو من أهم مراكز مكتبات الأرصفة ومعروف ومشهور أيضاً بأنه صاحب يوم الجمعة التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

في الخمسينيات من القرن الماضي بدأت المكتبات تنتقل من سوق السراي الى شارع المتنبيّ وبدأت المطابع ومحلّات تجليد الكتب تنسحب الى داخل أزقته حيث كانت أوّل مكتبة تنتقل اليه هي المكتبة العصرية) ثمّ تبعتها (المكتبة الأهلية) ثمّ (المثنّى) التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

أما الحديث عن الأهميّة فيتأتى من خلال فتح مكتبات جديدة قدم أصحابها من مناطق مختلفة في العراق حتّى تحول الشارع الى معرض دائم للكتب يزوره معظم الكتّاب العرب والأجانب الذين يقدمون الى بغداد ويزورون الشارع

وكـان من أشهر الـروّاد كبار الرؤساء والسياسيين والشخصيات الأدبية والفنانين مثل: عبد السلام محمد عارف، خالد الشوّاف، عبد الرحمن البزّاز، إسماعيـل الشيخلي، لويس ماسينيون، بدر شاكر السيّاب، عبد الوهاب البيّاتيّ والمستشرقين الفرنسيين لوي ماسينيون وجاك بيرك.

مكتبات شارع المتنبيّ:

شارع المتنبيّ ذلك الجمع المتحرك بهدوء بين الكتب التي تتشمس فوق الممرات والأرصفة وتنظرها العيون المتطلعة الى العلم والمعرفة بشغف اهتمام. ذلك الشارع الذي يتقاسمه المكتبيّون ممن أمتهنوا (مهنة التجارة بالكتب) كأجمل مهنة تعنى بالمعرفة والتطلع الى المستقبل، بعضهم تقاسموا طرقاته ومحلاته وأزقّته ومن لم يكن ذا حظّ جيد في الحصول على محلّ أو ركن فيه افترش رصيفه وجوانب شارعه بالكتب ومصادر المعلومات التي يملكها ليعرضها على روّاد الشارع من مثقّفين وطلّاب علم وباحثين ومهتمّين أو ممن تَملكَهُم حب الفضول والاستطلاع والرغبة في معرفة ما معروض وبعضهم الآخر ممن يملكون المحال أو ما مدرج على تسميتها بالمكتبات والمنتشرة على جانبي الشارع كلّ منها له حكاية ورواية سنوردها وسنذكر بعضاً منها وحسب قدمها ووجودها في هذا الشارع وسيقتصر بحثنا هذا على المكتبات الموجودة في شارع المتنبيّ فقط.

١- المكتبة العصرية:

وهي أقدم مكتبة موجودة في بغداد، إذ أسست في العام ١٩٠٨ ومؤسسها كان محمود حلمي. كانت بداية تأسيسها في سوق السراي ولكنّها في نهاية الأربعينيات كانت أوّل مكتبة أنتقلت الى شارع المتنبيّ بعد حركة الانتقال للمكتبات الى هذا الشارع. وتضم المكتبة الآف الكتب التاريخية الثمينة والتي لا يمكن أن تقدر بثمن ولا يمكن أن نجدها في مكان آخر، ولكن لسوء الحظّ تمّ

تدمير واحتراق المكتبة بالكامل في عام ٢٠٠٧ إثر تعرض شارع المتنبيّ الى هجوم بسيارة ملغومة أدى الى مقتل العشرات من المتسوّقين والروّاد للشارع وتدمير عدد من المكتبات والمباني. ويُذكر أن محمود حلمي استورد الكتب من مصر وبلاد الشام وطبع أوّل أعمال القاص الرائد محمود أحمد السيد ووزّع دواوين الرصافي والشبيبي محمد رضا. وكان وكيلاً لدار المعارف بمصر. ثمّ انتقلت ملكية المكتبة الى السيد محمد صادق القاموسي بعد وفاة محمود حلمي[٨].

٢- مكتبة الزوراء:

أسسها المرحوم (حسين الفلفلي) عام ١٩٣٠، والآن يمتلكها نجله أكرم الفلفلي. وتقع في سوق السراي والذي أبى أصحابها مغادرة مكانها الأصلي. تضمّ هذه المكتبة كتباً قيّمة في جميع الاختصاصات واللغات، ومنها ما يعود تاريخها الى العام ١٨٠٠ وكذلك مخطوطات نادرة، وهي الملاذ الذي يلجأ اليه الباحثون وطلبة الدراسات العليا. وكانت تعقد فيها اللقاءات الثقافية، كما أن أصحابها يرشدونك الى أيّ كتاب أو مصدر قد يساعدك. لقد كان مؤسسها يستورد الكتب من مصر العهد الملكي وكان يسافر لأجل التجارة والترفيه، وكان في الخمسينيات من القرن الماضي يسافر أحياناً برفقة أستاذ اللغة العربية (الدكتور مهدي محبوبة) يرافقهم (الدكتور علي الوردي والدكتور جواد علي) صاحب الكتاب المشهور المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ومن الطرائف التي يذكرها أكرم الفلفلي باستمرار أن رئيس الوزراء نوري السعيد آنذاك (رحمه الله) كان يمرّ أحياناً من سوق السراي فناشده والده ذات مرة في أن يساعده ليحصل على خطّ هاتف، وقد نُصِبَ ذلك الخطّ في اليوم التالي. وكان ذلك في عام ١٩٤٩. وذكر أكرم ومعلوماته جزء من ذكريات يجدر توثيق معلوماتها وأرشفتها أهمّ المكتبات القديمة في شارع المتنبيّ مثل: مكتبة (أحمد كاظمية)،

مكتبة (محمود القالبجي)، مكتبة (الحيدري)، مكتبة (إبراهيم الأعظمي) التي أنشأها في الأربعينيات، مكتبة (نعمان الأعظمي) وأنشأت في نحو الثلاثينيات، مكتبة (إبراهيم السدايري) إشارة الى ارتداء صاحبها السدارة البغدادية، مكتبة (سيد باقر)، مكتبة (المثنّى) لصاحبها قاسم الرجب، مكتبة (النهضة) لعبد الرحمن حياوي، المكتبة الأهلية لشمس الدين الحيدري، مكتبة (التربية) لعبد الحسن الراضي، مكتبة (المعارف) لمحمد جواد.

وأضاف في مستهل حديثه أن تجارة الكتب ليست كما كان متوقعاً منها، فالكساد خيّم عليها لهجرة الكثير من المثقفين وقرّاء الكتب ورغم ذلك فهو مستمر في هذه المهنة لعشقه لها ولأنه من الصعب ترك تاريخ الوالد والأخ والجهد الذي قاما به خلال عشرات السنين لإنشاء هذه المكتبة[٩].

٣- مكتبة المثنّى:

تعد مكتبة المثنّى لصاحبها محمد قاسم الرجب الذي أسسها عام ١٩٣٠ أعظم مكتبات العراق وأوسعها نطاقاً. وسميت بالمثنّى تيمناً بنادي المثنّى القومي[١٠] ولد قاسم محمد بن رجب في الأعظمية عام ١٩١٩ واشتغل مع المرحوم الحاج نعمان الأعظمي حيث تعلّم منه كيفيّة بيع الكتب وشرائها وبقي معه سنين متعددة لينفرد بالعمل لوحده حتّى صار صاحب أكبر مكتبة في العراق، إذ ذاع صيتها في مصر ولبنان وسائر البلدان العربية والإسلامية والأجنبية ودوائر الاستشراق. وقد طبع على حسابه بالأوفست عدداً كبيراً من الكتب مثل (تاج التراجم في طبقات الحنفية) لابن قطلوبغا نشره في بغداد عام ١٩٦٢، كما أصدر عدة فهارس لمكتبة المثنّى عددها تسعة فهارس بدأت من عام ١٩٥٨ حتّى عام ١٩٦٨. كما طبع نوادر الكتب العربية القديمة في طهران بالأوفست عام ١٩٦٦ وقد نوّه بها جميعاً الأستاذ كوركيس عوّاد في رسالته (مشاركة العراق في نشر

التراث العربي) الذي نشره عام ١٩٦٩. وبقي المرحوم قاسم مثابراً ونشطاً في توسعة مكتبته حيث فتح له عدة فروع في البصرة والموصل ولبنان. وأصدر مجلّة المكتبة التي كانت تعنى بالكتب والمكتبات لعدّة سنوات وكان له مجلس عامر في مكتبته ضمّ الأدباء والشعراء الكتّاب وكان يسعى دائماً في مساعدة المؤلّفين بشراء عدد من مؤلّفاتهم عند طبعها تشجيعاً لهم وحثّهم على التأليف والإنتاج. ونشر من التراث العربي الإسلامي ما خفف العبء عن كاهل حكومات لدول كان يجب أن تضطلع بما حققه لتؤدي ما أدّاه من جليل الخدمات للثقافة العربية والإسلامية عبر العصور والأجيال.

ولم يدّخر وسعاً في زيارة أيّ بلد من بلدان العالم الشرقي والغربي يعتقد أنه سيقف فيه على نوادر المخطوطات والآثار العربية ليشتريها بأيّ ثمن تعرض فيه وليزوّد بها المكتبات العامّة العراقية التي أصبحت بفضل جهوده من أهم المراكز التي ينتهل منها روّاد المعرفة والبحوث ما يحتاجون إليه من المراجع والمصادر، وما ضمّته مكتبة المتحف العراقي ومكتبة المجمع العلمي ومكتبة جامعة بغداد ومكتبة الأوقاف ومكتبة الجامعة المستنصرية وغيرها من المكتبات العامّة كان بفضل إقدامه على جلب ماعجز الآخرون عن جلبه من الكتب والآثار وكذلك له الفضل في مدّ المكتبات الخاصّة المتعددة في العراق بما جعلها ترتفع عن مستويات أمثالها في العديد من الأقطار العربية.

إن الإقدام على تأسيس المكتبات العامّة والخاصّة والتوسع في الإنفاق على هذه المكتبات ماكان يتحقق لولا انصراف هذا الرجل الى توظيف كلّ ما يملك من الأموال والجهود لاستيراد الكتب والتعريف بها بشتّى الوسائل الإعلامية ليتعرّف عليها من لم يكن يعرفها وليجد من التعريف بها ما يحفّزه الى اقتنائها.

توفي محمد قاسم الرجب في العام ١٩٧٤ في بيروت ونقل جثمانه الى بغداد

ودفن في مقبرة الأعظمية. وتجدر الإشارة الى أنه كان يملك مجلساً يعقد في مكتبته يحضره رجال الفكر والأدب والمعنيّون بالكتب والمؤلّفات وبقي هذا المجلس عامراً لحين وفاته[١١].

وكان المرحوم يستورد المطبوعات العربية قديمها وحديثها من أوروبا وأميركا والهند وشمال أفريقيا وإيران والمغرب وسائر الأقطار العربية. ومن أعماله إعادة طباعة قصة ألف ليلة وليلة ويُذكر أن المكتبة قد أُسست في بادئ الأمر بدكان صغير في سوق السراي وظلّ يتنقل بها من مكان إلى آخر حتّى أشترى بيت الدكتور صائب شوكت فحوّله الى مكتبة المثنّى[١٢].

٤- مكتبة النهضة[١٣]:

مؤسسها عبد الرحمن حياوي، تأسست عام ١٩٥٧ وكان صاحب المكتبة في بداياته مع الحاج قاسم محمد الرجب (صاحب ومؤسس مكتبة المثنّى)، وكان الحاج قاسم مسانداً وداعماً لعبد الرحمن حياوي من بداية تأسيس المكتبة عام ١٩٥٥ لحين إكمال المكتبة واستقلالها وعدّها مكتبة خاصّة به في عام ١٩٥٧ في مكانها المعروف وسط شارع المتنبيّ إلى حين إغلاقها بسبب طمع أصحاب العقارات وتمّ إخلاؤها من مكانها الذي شغلته قرابة (٤٢) عاماً، إلّا أنها أعيدت بعد صدور بيانٍ نُشرَ في جريدة الوقائع العراقية الرسمية عام ١٩٧٧ والذي يقضي بمنع المساس بالأماكن والمواقع الأثرية في بغداد ومنها شارع المتنبيّ وكلّ ماموجود فيه من مكتبات قديمة.

ويعدّ الكتبي الراحل عبد الرحمن حياوي أوّل من قام بتصدير الكتاب العراقي الى بيروت ودمشق والقاهرة وتركّز نشاطه التصديري على بيروت بوصفها مركزاً لتسويق الكتاب العراقي. وساهم حياوي بجناح خاص باسم مكتبة النهضة في أوّل معرض دوليّ للكتاب في لبنان كما أسهم في عدّة دورات

لاحقة للمعرض وكذلك في معرض النادي الثقافي في حلب ومن ثمّ عمان.

ولنشاط المكتبة تمّ افتتاح عدد من الفروع لها، فتمّ افتتاح أوّل فرع لمكتبة النهضة في الباب الشرقي في ساحة التحرير سنة ١٩٦٥، ومن ثمّ في ساحة النصر عام ١٩٧٠، وفرع الموصل عام ١٩٨٠. وبعد تراجع سوق الكتّاب أغلقت جميع هذه الفروع وتمّ بيعها لزملاء المهنة من أصحاب مكتبات.

توفي الحاج عبد الرحمن حياوي في ١٧/ ٣/ ١٩٩٣، وتولّى أولاده الخمسة من بعده إكمال ما بدأه والدهم الذي وسّع نطاق عمله نتيجة استفادته من علاقته مع عدد من الناشرين المهمّين العرب وخاصّة (أكرم الطبّاع) صاحب (دار القلم) المعروفة، كما أقام علاقة مع الناشر إبراهيم شرف الدين صاحب (المكتبة الحديثة) في بيروت.

استمر أولاده الخمسة في إنجاح عمل المكتبة وتواصل العمل في ميدان النشر والطباعة وتوزيع الكتاب العراقيّ الذي برز فيه ولده (نجاح) الذي تميّز برعايته لأعمال ونشر المؤلّفات العراقية لأبرز المبدعين والأكاديميين وكذلك رعايته للمسابقات والأنشطة الثقافية التي تشرف عليها الدار وتسهم برعايتها.

وتعتبر مكتبة النهضة من أنشط المكتبات العراقية في مجال النشر والتوزيع، إذ إن لها مطبعة خاصّة وهي مطبعة بابل والتي تقع في منطقة (البتاوين) تطبع فيها عدد من الكتب وغيرها من المصادر فكان أوّل كتاب قامت المكتبة بطبعه هو (واجب الدولة في تأمين معيشة الفرد عام ١٩٥٨)، كما تشرّفت بطبع (المصحف الشريف) بمختلف الطبعات اللائقة والأنيقة، كما أصدرت الكتاب المهمّ (المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام) للعلامة جواد علي، وكذلك (الموسوعة الجنائية)، و(مختصر ابن كثير) للشيخ إبراهيم المشهداني ومجموعة مؤلّفات الشيخ محمد جواد مغنية.

كما افتتحت مكتبة القرآن الكريم في تقاطع ١٤ رمضان والمنصور والتي اشتهرت ببيع الكتب الدينية وإهداء المصحف الشريف زيادةً على مختلف أنواع التسجيلات الصوتية والمرئية للبرامج والمحاضرات الدينية وعدد من القضايا والموضوعات الخاصّة والمتعلّقة بالثقافة الإسلامية.

إلّا أن مكتبة النهضة (الأم) تعرّضت الى نكبة كبيرة شأنها شأن عدد من المكتبات في شارع المتنبيّ والذي أسفر عن استشهاد محمد عبد الرحمن حياوي وابن اخيه الذي كان يدير المكتبة القانونية وهي الوحيدة والمتخصّصة ببيع الكتب القانونية في العراق. وبقي نبيل عبد الرحمن في مكتبته حتّى بعد استشهاد أخيه محمد وابنه على أمل عودة الحياة الى شارع المتنبيّ لأنه وجه العراق الثقافي والتراثي. ومن هذا المنطلق أعاد نبيل إعمار مكتبته والذي كلّفه عشرات الآلاف من الدولارات، واستمر إخوانه المتبقون في دعمه ورفده بالكتب والمصادر الأخرى في محاولة لإعادة الحياة الى جدرانها وأداء دورها في مساعدة طالبي العلم والمعلومات.

٥- مكتبة الشطري[١٤]:

صاحبها في الوقت الحاضر (نعيم الشطري). أصل هذه المكتبة التي تقع الآن عند شارع المتنبيّ هو مكتبة النور التي أنشأها عام ١٩٥٨ في مدينة الشطرة التابعة للناصرية (محافظة ذي قار). وقد أقفل مكتبة النور وتوجه الى الكوت، ولكنّه بعد سنتين توجّه الى بغداد حيث تعرّف صاحب المكتبة على أحد بائعي الكتب (القديمة) وهي الكتب التي لم تلق رواجاً فبقيت في المخازن التابعة لدور النشر اللبنانية. وقال صاحب المكتبة: كنّا نقوم بجمع كمّيات كبيرة منها وبيعها شراكة. وكانوا يستخدمون لهذا الغرض عربة دفع. وتباع الكتب بمبلغ خمسين الى مائة وخمسين فلساً. ثمّ أخذوا يصدّرون هذه الكتب الى البصرة وغيرها من

المحافظات وبذلك يحصلون على بعض الأرباح.

وفي عام ١٩٧٠ وببناء العمارات الحديثة قام باستئجار محلين ومنذ ذلك الوقت باشر بافتتاح مكتبة الشطريّ ويعدّ نعيم الشطريّ أقدم بائع للكتب في شارع المتنبيّ في التسعينيّات وقد قام بتأسيس مزاد الجمعة الذي لاقى رواجاً وإقبالاً كبيرين. وقد عَدَّ روّادُ الشارع من مثقفين وباحثين وغيرهم نعيم الشطري مسؤول مزاد الكتب في سوق الجمعة.

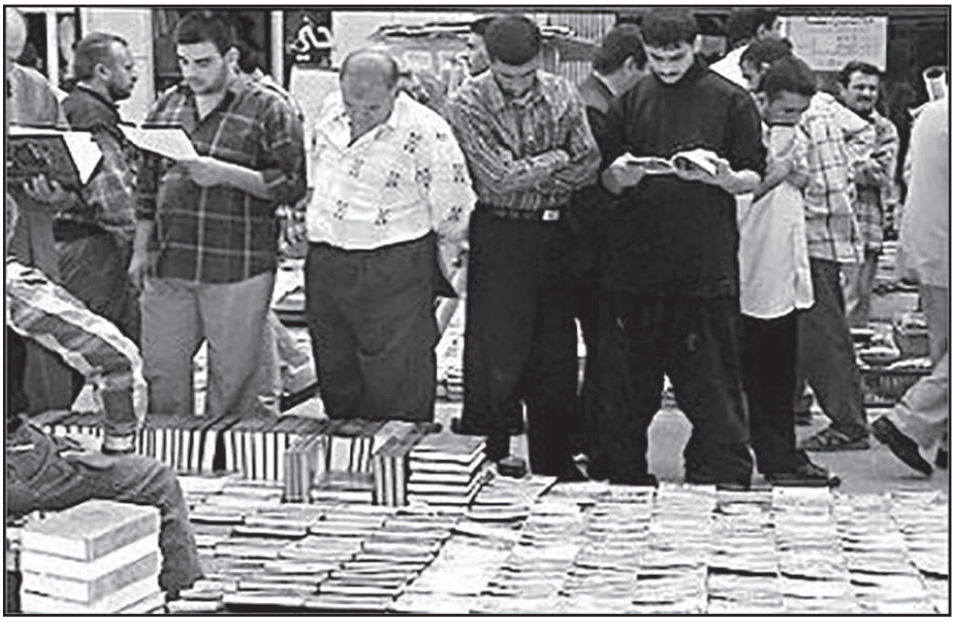

صورة رقم (٤) باعة الكتب في شارع المتنبيّ

وبعد أحداث التفجير في شارع المتنبيّ قال الشطريّ: إن هذا العمل جرى فقط في زمن هولاكو واليوم يحدث مجدداً من المجرمين القتلة الذين استرخصوا حياة الأبرياء ويضيف إن قتل الكتاب أخطر من قتل الإنسان؛ لأن الإنسان له عمر، أمّا الكتاب فيبقى خالداً وقد أحرقوه، إنهم يحاولون قتل المعرفة في هذا البلد وهم يقتلون الأساتذة والطلبة في الجامعات واليوم يقتلون الكتاب في أعرق شوارع بغداد التاريخية.

٦- مكتبة دار البيان[١٥]:

أنشأها الشيخ (علي الخاقاني) عام ١٩٦٢ في شارع المتنبيّ، وكانت محطّ أنظار الأدباء والعلماء والصحفيين، ينهلون منها معارفهم ويتفاعلون في منتداها مع نظرائهم من أهل الثقافة والأدب. وبعد وفاة الشيخ علي خلفه نجله (بديع الخاقاني). اشتهرت المكتبة وعرفت بأنها أوّل مكتبة أدخلت أسلوب الخصم على أسعار كتبها خصوصاً لطلاب الجامعات والمدارس، وكانت تتسامح وتتساهل عند بيع شريحة ذوي الدخل المحدود وتبيع لهم بالتقسيط إنطلاقا من مبدأ نشر الثقافة دون النظر الى أهميّة تحقيق الأرباح.

قام المرحوم علي قبل وفاته بتأسيس دار وطنية أهلية بالتعاون مع بعض دور النشر العراقية مثل مكتبة النهضة وصاحبها المرحوم (عبد الرحمن حياوي) ومكتبة التربية وصاحبها المرحوم (عبد الحسن الراضي)، والمكتبة الأهلية لصاحبها (شمس الدين الحيدري)، والمكتبة العصرية لصاحبها (محمود حلمي) ثمّ من بعده (صادق القاموسي) وشركة العروبة التي كان صاحبها لبناني الأصل وعندما اكتمل موضوع هذه الدار طرحت هيكليّتها وعرض الأمر على وزير الثقافة والإعلام المرحوم (شفيق الكمالي) في السبعينيّات لاستحصال الموافقات الرسمية والأصولية، إلّا أنّ الوزير كان يحبّذ أن تكون هذه الدار حكومية وليس أهلية. وبعد محادثات مع أصحاب الفكرة وخصوصاً (الشيخ علي الخاقاني) تمّ طرح عدد من المقترحات ومنها أن تكون هذه الدار معنية بواجب أساسي يتضمّن تصدير الكتاب العراقي على وجه الخصوص الى جميع أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي وفعلاً تمّت الموافقة بعد إجراء بعض التعديلات، وأنشأت دار حكومية وطنية تصدر الكتاب العراقي وقامت هذه الدار الحكومية بالاتّصال بالكتّاب والأدباء لغرض تصدير كتبهم بعد طبعها.

٧- مكتبة دار التربية[١٦]:

أنشأت في النجف عام ١٩٦٤ ثمّ انتقلت الى بغداد في شارع المتنبيّ عام وكان صاحبها المرحوم (عبد الحسن الراضي). وقد بقيت هذه المكتبة في موقعها ليومنا هذا وهي تتعاطى الكتب التراثية والتاريخية والثقافية والعديد من الكتب الرائجة هذه الأيام وهي كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ القديم والمعاجم والقواميس.

وهناك عدد من المكتبات التي يشار إليها بالبنان والتي لا تتسع الصفحات لذكرها أو التي لم يتمّ توثيقها وتدوين حاضرها وماضيها سنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- المكتبة العربية لصاحبها (نعمان الأعظمي) والتي تأسست عام ١٩٠٥، وكان هو مؤسس أوّل مطبعة كبيرة في العراق. وتقع في سوق السراي.
- المكتبة الأهلية لصاحبها (شمس الدين الحيدري) والتي تأسست عام ١٩٢٠.
- مكتبة (إبراهيم السدايري) نسبة الى ارتداء صاحبها السدارة البغدادية.

سوق الجمعة والثقافة البغدادية:

لقد شكّل سوق الجمعة ظاهرة حيّة في الثقافة البغدادية، فقد كان الأدباء والمثقفون وخصوصاً ممّن يلتقون في مقهى الشابندر الموجود في شارع المتنبيّ كلّ يوم جمعة ويتجوّلون في شارعه ويقفون بين مكتباته وتحديداً أمام مكتبة الشطريّ التي تقوم الجمعة بفتح مزاد علني لبيع الكتب المعروضة والواصلة حديثاً للسوق والتي قد تكون كتباً مباعة من أديب أو عالم اضطرّ الى بيع محتويات مكتبته لحاجة ما أو هي لورثة استغنوا عنها بعد وفاة صاحبها الذي قضى حياته ورحلته في البحث والقراءة. ويعدّ الشطريّ كما ذكرنا سابقاً مؤسساً

لمزاد الجمعة في بداية عقد التسعينيّات الذي لاقى رواجاً كبيراً واشتهر في جميع أرجاء الوطن العربي. ويتوافد روّاد الثقافة في بغداد والمحافظات القريبة منها لاقتناء ما يحتاجونه من كتب أو للاطلاع على المعروض الجديد، كما أنه المكان المناسب ليلتقي فيه الأساتذة والكتّاب والأدباء على غير موعد.

ولطلبة الجامعات وطلبة الدراسات العليا نصيب من هذه الظاهرة الثقافية المتجددة كلّ يوم جمعة حيث يسعى قسم كبير منهم لتأمين احتياجاتهم من كتب ومراجع وقواميس قد تباع بنصف سعر الطبعة الأصلية المعروضة الى جانبه في هذا السوق. أمّا بالنسبة للباعة من (أصحاب البسطات) فأنهم يتوافدون منذ الصباح الباكر حاملين معهم مايريدون عرضه من كتب ومجلات، حيث يعرضونها بطريقة منظّمة ومرتّبة ويحمل كلّ منها سعره ليتعرّف عليه الوافدون الى السوق ويعرفون ثمنه وكلّما اقترب الوقت من الظهيرة انخفضت أسعار هذه الكتب لأن الزبائن يبدأون بمغادرة الشارع إمّا لتأدية صلاة الجمعة أو العودة الى منازلهم حيث يرغب الباعة بالتخلّص ممّا لديهم من معروض أملاً في الحصول على مجاميع جديدة.

والحقيقة التي يجب ان تذكر هنا أن العراق يعدّ من أرخص أسواق بيع الكتب في العالم وحتّى في أحلك الظروف التي مرّ بها لأنه يحتفظ بخزين من الكتب سواء الموجودة داخل المكتبات المنزلية، أو المكتبات الخاصّة التي قد لا تجد ما يضاهيها في معضم بلدان العالم وحتّى المجاورة للعراق. وتجدر الإشارة الى معلومة في غاية الأهميّة هي أنه بعد أحداث عام ١٩٩١ وبدء الحصار فقد أقدم الكثير من أصحاب المكتبات وتحديداً الخاصّة الى بيع مقتنياتهم من كتب ومخطوطات نـادرة، ممّا جعل الكثير من تجار الكتب وخصوصاً في الأقطار العربية المجاورة الحضور الى بغداد وشرائها بأثمان لا تتناسب وقيمتها الحقيقية.

وقد لاحظت وزارة الثقافة والإعلام لاحقاً هذه الظاهرة وبحذر شديد ممّا دعاها في حينها الى إصدار بيان وتعميم بعدم السماح بإخراج أيّ كتاب أو مخطوطة الى خارج القطر إلّا بموافقات خاصّة وهذا التصرّف حدّ وبنسبة كبيرة من عملية الترحيل الى الخارج ممّا فسح المجال لأصحاب المكتبات الموجودة في شارع المتنبيّ تحديداً للحصول عليها واقتنائها وإيداعها مكتباتهم.

صورة رقم (٥) باعة الكتب على الأرصفة يوم الجمعة

ونتيجة للأوضاع السياسية والأمنية السيّئة وتزايد الانفجارات في العديد من مناطق بغداد والتي كان شارع المتنبيّ وسوق الغزل وسوق الشورجة أحد أسباب قيام الحكومة العراقية بإعلان حظر تجوال للمركبات يوم الجمعة من كلّ أسبوع، الأمر الذي قاد الى توقف حركة بيع الكتب والمزادات الخاصّة بها ممّا أثر سلباً على الكثيرين من روّاد ذلك الشارع وتحديداً روّاد يوم جمعته والعمل على توقف الحياة في ذلك الشارع العريق.

وفي أوّل يوم من أيام شهر رمضان والمصادف١٤ أيلول ٢٠٠٧م، قررت

السلطات الأمنية رفع حظر التجوال الصباحي ليوم الجمعة وتقليصه في بغداد. هذا القرار ساهم في إعادة الحياة الثقافية الى الشارع وقلّل من الحزن الكبير الذي ملأ المثقف العراقي في مختلف المدن وفي بغداد تحديداً. ويمكن أن نؤكد على أن شارع المتنبيّ يشكّل ملمحاً واضحاً في التلاحم الثقافي، فما أن يتوفر بصيص من الأمل لإعادة نشاطه وحيويته حتّى يقدم المثقفون الى هذا الشارع الذي يعد رمزاً للإلهام. إن إعادة الحياة له تعني إعادة الحياة الى كلّ شوارع بغداد ودروبها وأزقّتها ومحلّاتها.

حرق الكتب وتدمير المكتبات في التاريخ ولغاية اليوم:

إنّ حرق الكتب وتدمير المكتبات يعدّ من أكثر الكوارث التي واجهت الحضارة العربية وتحديدا الإسلامية منذ تاريخها الطويل وحتّى يومنا هذا.

هذه الكوارث كانت السبب الرئيس لتخلّف الأمة العربية وتأخّر نهضتها العلمية وسرّ ضعفها ممّا جعلها هدفاً سهلاً للمحتل وتحديداً بغداد (مدينة السلام).

لقد بنى العرب حضارات شامخة في البلدان التي فتحوها شرقاً وغرباً كالحضارة العباسية والفاطمية والأندلسية، إلّا أنّ تلك الحضارات أخذت بالأفول بمجرّد القضاء على المكتبات وحرق الكتب ومضايقة الأدباء والعلماء والمفكرين والكتّاب. كما واجه الكِتاب في الوطن العربي في العصور المختلفة تحديا كبيراً يتمثّل في حرقه وتدمير مراكز وجوده وملاحقة مؤلّفيه ومضايقتهم بل وقتلهم.

لقد تعدّدت أسباب تدمير المكتبات وحرق الكتب أو دفنها في الأرض أو رميها في مياه النهر، قد تكون هناك أسباب شخصية صرفة وأخرى تتمثل بالخوف من اقتناء الكتب باعتبارها محرّمة وممنوعة وبخاصّة الكتب الدينية

والفلسفية والكتب العلمية كما أن هناك أسباب أخرى مصدرها الحقد والتعصب الأعمى والجهل القاتل (كما حدث في تفجير شارع المتنبيّ بمكتباته ومطابعه وعلمه وعمره الطويل وثقافته).

وكان غزو البلاد العربية واحتلالها من الأجانب وتدمير مكتباتها وحرق ما فيها من كتب سبباً في ضياع الملايين من الكتب والتي هي ثمرة جهود العلماء والفلاسفة ورجال الفكر والأدب والطب والفقه في عصور إسلامية مختلفة ممّا أدّى الى ضياع الكثير من تراث الأمة العربية الإسلامي والفكري والثقافي بصورة خاصّة، وضياع التراث الفكري والثقافي الإنساني.

وتعدّ عملية حرق الكتب تحديداً من أبشع البلايا التي أحاطت بالكتب وأشدّها هولاً وأكثرها ضررا على مرّ العصور والأزمان. فلقد التهمت ألسِنة النار أُلوفاً بل ملايين لا تحصى من الكتب والمجلّدات، وممّا ساعد على ذلك جهل الناس والتعصب الأعمى لجهة ما والإهمال. وقد يكون حرق الكتب لأسباب شخصية مثل:

١- أبو حيان التوحيدي: من أولئك العلماء والأدباء الذين أصيبوا في حياتهم بالفقر والشقاء، وظلّ حياته يجاهد ويكافح في التأليف واحتراف الوراقة والنسخ وجَوْب الأقطار، يقصد الوزراء والأمراء لعلّهم يكافئون علمه وأدبه فلم يحظَ من كلّ ذلك بطائل.

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسنَ من حظّه في حياته، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخي الرجال لم يترجموا له، مع أنّه فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ولم يتمّ العثور فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلّا نتفاً قصيرة وأخباراً ضئيلة.

وأراد التوحيدي الانتقام من الناس الذين كفروا صنيعه، وجحدوا علمه

وأدبه فأحرق في آخر أيامه كتبه وقال: «على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم، ولمدّ الجاه عندهم... ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة الى أكل الخضر في الصحراء وإلى التكفف الفاضح عند الخاصّة والعامّة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، ويطرح في قلب صاحبه الألم»[١٧].

٢- منيت اللغة العربية بخسارة كبيرة عندما حُرِقَ كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد وصف الحادث ابن المعتز في ترجة الخليل بقوله: «انه اشترى جارية نفيسة فغارت ابنة عمّه، وقالت: والله لأغيظنّه! وإن غظته في المال لايبالي، ولكنّني أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الكتاب والله لأفجعنّه به فأحرقته فلمّا علم، اشتدّ أسفه ولم يكن عند غيره منه نسخة».

وقد كاد أمر هذا الكتاب بعد حرقه يطوى من صحيفة الوجود لولا أن الليث بن نصر بن سيار تلميذ الخليل، قد أقبل على حفظ هذا الكتاب في حياة مؤلّفه فحفظ منه النصف. فلمّا مات أستاذه أملى النصف من حفظه وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه وقال لهم: مثلوا واجتهدوا. فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس[١٨].

أمّا أحداث الحرق الأخرى التي تجدر الإشارة إليها لأهميتها:

١- شهدت مكتبة سابور التي أسست في عام ٣٨١هـ في مدينة بغداد مصيراً مأساوياً فهذه المكتبة تنسب الى مؤسسها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي وقد ذكرها المؤرخون تحت أسماء مختلفة فذكرها ابن الأثير تحت اسم (خزانة الكتب) وذكرها ابن تغري بردي وأبو العلاء المعري وياقوت الحموي تحت اسم (دار العلم). وتشير المصادر التاريخية الى أن عدد الكتب

التي احتوتها بلغ ما يقارب ١٠٤٠٠ كتاب من بينها ١٠٠ مصحف بخطّ ابن مقلة[١٩].

لم تعش هذه الخزانة طويلاً، بل لم يتجاوز عمرها سبعين سنة؛ لأن الأحداث الجسام التي حلّت ببغداد كان لها أسوأ الأثر على هذه الخزانة. قال أبو الفرج بن الجوزي في جملة حوادث سنة ٤٥١هـ (١٠٥٩م): «احترقت بغداد الكرخ وغيره بين السورين، واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها أردشير الوزير ونهبت بعض كتبها. وجاء عميد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلّد وأربعمائة مجلّد من أصناف العلوم، منها مئة مصحف بخطّ ابن مقلة وكان العامّة قد نهبوا بعضها لمّا وقع الحريق، فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره، وشتّان بين فعله وفعل نِظامُ المُلكِ الذي عمّر المدارس ودور العلم في البلاد الإسلامية، ووقف الكتب وغيرها»[٢٠].

٢- بيت الحكمة (دار الحكمة، خزانة الحكمة)[٢١]: ببغداد لها تسميات مختلفة وردت في عدد من المراجع العربية قديمها وحديثها ولكنّها اشتهرت بدار الحكمة وكانت من أعظم خزائن الكتب في العالم الإسلامي على اختلاف عصوره ودوّله وظلّت ردحاً من الزمن تمثّل الإشعاع الفكري العربي الإسلامي منذ أن أسّسها هارون الرشيد (١٩٣-١٧٠هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٩ م) ورعاها ابنه المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م) وقد امتاز على أكثر خلفاء بني العباس بثقافته الواسعة وبمحبته العظيمة للعلم وذويه، وبميله الظاهر الى الفلسفة إذ سعى الى توطيد أركان هذه الخزانة وتوسيعها وإغنائها بما استطاع جمعه من الكتب المختلفة الى حين تدميرها.

وقد ضمّت المكتبة مجموعات ضخمة من الكتب على اختلاف أنواعها، منها كتب التراث الإسلامي، والسِيَر والتراجم والكتب العلمية والفلكية،

وكتب الكيمياء والطب والرياضيات وكتب الفلسفة والأدب واحتوت المكتبة على مرصد فلكي ومخطوطات ومصورات بلدانية.

لم يتوقف دور بيت الحكمة على اقتناء الكتب وحركة الترجمة والمناظرات والندوات، وإنما تعدى ذلك الى رصد الأجرام السماوية وتسجيل نتائج تلك الأرصاد. كما حقّق العلماء العرب من خلال مرصد المكتبة الفلكي في كشوف بطليموس ودرسوا كلف الشمس ورصدوا مواضعها.

دُمِّرَت المكتبة على أيدي المغول عند اجتياحهم بغداد سنة (١٢٥٨/ ٦٥٦) وألقوا بجميع محتوياتها في نهر دجلة وتحوّل ماء دجلة الى اللون الأسود كما ذكر وهو لون المداد المستخدم آنذاك وأحرقوا المتبقي منها ودمّروها بالكامل.

٣- خزانة سفيان الثوريّ: وهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله الثوري الذي توفي سنه (١٦١هـ/ ٧٧٧م). ولقد امتلك مكتبة كبيرة فيها كتب مختلفة من الفقه والعلوم الأخرى. وقد خشي سفيان سطوة المهدي العباسي وبطشه فاختفى عن الأنظار وظلّ متستراً عن المهدي في البصرة حتّى وافاه الأجل هناك. وكان الثوري خائفاً على كتبه من المهدي فقام بدفنها، وأوصى عمّار بن سيف على خزانة كتبه الموجودة في مدينة الكوفة بعد خروجه منها الى البصرة وطلب منه أن يمحوها ويحرقها[٢٢].

٤- تعدّ مكتبة عبد السلام بن عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست ابن أبي عبد الله الجيلي البغداديّ المدعو (بالركن) المتوفى سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، المكتبة الثانية التي تحرق بأمر حاكم عربيّ وهو الخليفة العباسي الناصر لدين الله المتوفى سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م). واهتمّ عبد السلام بجمع الكتب الخاصّة بعلوم الأوائل، ومن بينها كتب الفلسفة واقتنى في هذا المجال وغيره كتباً كثيرة. ونالت مكتبته شهرة واسعة. خاصّةً وأنه جمع من كتب الفلسفة والكتب العلمية

مالم يجمعه غيره، ممّا أدّى الى التشهير به وإحراق كتبه، وكانت كتب الفلسفة خاصّة ممنوعة في تلك الأيام بوصفها في نظر الجهلة والمتشددين مفسدة للعقل، فقام الناصر بإعطاء الأوامر لإخراج كتب المكتبة كافة إلى موضع في بغداد يعرف بالرحبة لحرقها بحضور الجمع الغفير وقد كُلِّف بتنفيذ هذه المهمّة عبيد الله التميميّ البكريّ المعروف بابن المارستانية[٢٣].

تعددت الأسباب والموت واحد مثل يضرب ولايقاس عليه، يقال لتعدد المصائب وهو ماحصل لبغداد فتعددت الأزمات التي مرّت بها من حرائق وتدمير وهجمات وغزوات لكنّها تنهض بعد كلّ مصيبة، احترقت في البداية (قديماً) واحترقت كتبها (حديثاً) وعانت الثقافة ماعانت، وكان آخرها والذي نأمل أن يكون الأخير تفجير شارع المتنبيّ شارع الثقافة والعلم، شارع التاريخ القديم والحديث، شارع العلماء والأدباء وطلّاب العلم والمثقفين.

انفجار شارع المتنبيّ:

يقع شارع المتنبيّ (وكما سبق لنا الذكر) عند بداية شارع الرشيد أقدم شوارع مدينة بغداد وأحد أبرز معالمها. وتقع على مقربة من الشارع منطقة القشلة والتي كانت تمثّل مقر الحكومة العراقية في العهد الملكي. وشهد هذا المقر تتويج عدد من الملوك الذين حكموا العراق منذ استقلاله عن الدولة العثمانية ومازالت المنطقة حتّى يومنا هذا تحتفظ بمعمارها القديم وهي تمثّل شاهداً ومعلماً تاريخياً لمدينة بغداد القديمة. هذا الشارع وبكلّ ما يحمله من عراقة وأصالة وثقافة وأدب تعرّض الى حادث إنفجار بتاريخ (٢٠٠٧/٣/٥) وأعقب ذلك الانفجار حريقاً هائلاً ودماراً شاملاً للشارع وكلّ ما يحمله من ذكريات.

أعاد هذا الانفجار الذاكرة الى غزو المغول قبل قرون عندما تحوّل لون نهر دجلة في عاصمة الرشيد إلى أسود اللون ويقال: أزرق اللون، هذا الانفجار

خلط كتب شارع المتنبيّ معقل الثقافة العراقية والبغدادية تحديداً بدماء عشرات القتلى والجرحى، واختلطت أوراق الكتب المتناثرة بالدماء والجثث المتفحّمة على جانبي الشارع فيما كانت النار تلتهم المكتبات التاريخية وآلاف الكتب الدينية والتاريخية والعلمية والأدبية والقانونية القديمة والحديثة ولم يبقَ منها إلّا الأنقاض.كما في صورة رقم (٦) والتي التقطت بعد التفجير حيث تبيّن الدمار الذي حلّ بالشارع.

صورة رقم (٦) وتمثل الدمار الذي حلّ بالشارع بعد التفجير

ولم يكن من السهل التنقّل في ذلك الشارع بعد الانفجار الذي أحدث حفرة عميقة وسط الشارع وتحديداً قرب جامع الحيدرخانة، وألحق الضرر بسبعين متجراً. أربعون منها تضررت ودمرت بالكامل كما في الصور رقم (٦) ورقم (٧) التي توضّح الدمار الذي حلّ بمكتبة النهضة والتي أشرنا إليها في الصفحات السابقة. إضافة الى تدمير مايقارب ١٥ من المطابع الصناعية الموجودة في الشارع وسبع عمارات.

كما دُمِّر أيضاً مقهى الشابندر العريق وهو معلم من المعالم المهمّة في الشارع، إذ دُمِّر تدميراً كاملاً وسنتحدّث عنه مع مجموعة من الصور في (صفحات لاحقة) إذ لا يمكن وبأيّ حال من الأحوال تجاهله. وممّا تجدر الإشارة إليه تدمير المكتبة العصرية واحتراقها بالكامل وهى أقدم مكتبة في الشارع، إذ تأسست عام ١٩٠٨ وتضمّ الآف الكتب التاريخية الثمينة والتي لا يمكن أن تقدر بثمن ولا يمكن إيجاد بدائل عنها في مكان آخر. كما أن مكتبة النهضة وهي أكبر مكتبة في الشارع دُمِّرت واحترقت بالكامل، وكانت تضمّ آلافاً من الكتب التاريخية والدينية والقانونية ومراجع قيّمة تبحث في تاريخ العراق القديم والحديث.

صورة رقم (٧) وتبين الدمار الذي حل بمكتبة النهضة

كلّ هذا حدث في زمن هولاكو ومغول العصر الجديد وبات الجميع يتحسّر على ما مضى ويبكون ويرددون لاحول ولاقوة إلا بالله على أعزّاء فقدوهم قد يكونون إخوة، أبناء وأصدقاء.

تمّ بعد هذا التفجير وبمدة ليست بالقصيرة وبصعوبة بالغة إعادة الحياة

وبشكل بسيط جداً مقارنةً مع ما كانت عليه قبل التفجير الى هذا الشارع العريق الصامد بوجه أيّ ريح وشهد يوم افتتاحه مزاداً كبيراً لبيع الكتب حَضَرَهُ مثقّفون وأصحاب مكتبات وعشرات من باعة الرصيف الذين يقيمون مزادات الكتب في الهواء الطلق كلّ جمعة. لقد عبّر المزاد عن روح الشارع الذي يختصّ ببيع الكتب منذ قرون حيث يتمّ بيع وشراء الكتب والمخطوطات النادرة إضافة الى مؤلّفات أبرز الكتّاب من عرب وأجانب.

ومع الفرح العارم الذي ملأ قلوب الروّاد والمثقفين، إلا أن هذه الفرحة لم تكن كاملة، فليس هناك أثر لعدد من المكتبات كما أنه ليس هناك أيّ أثر لمقهى الشابندر حيث كان المثقفون يجتمعون هناك ويتناقشون وهم يرتشفون الشاي وسط الضجيج، فالمثقفون الذين يعدّون التسكّع في شارع المتنبيّ وتناول الشاي يوم الجمعة في المقهى من الطقوس الإلزامية والواجبة لديهم.

سيبقى شارع المتنبيّ العريق شارعاً للثقافة العربية والأجنبية المتنوّعة، وصاحب الكلمة الحرّة والتاريخ العريق وسينهض من جديد وسيظل عنواناً لمثقفي العراق وأدبائه وطلبته وكلّ روّاده وروّاد مقهى الشابندر وروّاد يوم الجمعة وسيعود هذا الشارع من جديد وسينهض من وسط الدمار وستعود شعلته ونوره من جديد يسطعان رغم الحاقدين والمتخلفين، فهو الرئة التي يتنفس منها مثقفو العراق هواء الحرية والمعرفة.

صورة رقم (٨) تمثّل الشارع قبل التفجير وبعده

لقد أثارت هذه التفجيرات ذكريات وأحزاناً عميقة وتساؤلات قد تتبادر الى الذهن خصوصاً أن التفجير الانتحاري كان متعمدا لهذا المكان الذي قدّسته المعرفة وخلّده التاريخ. الشارع الذي يريد أعداء العقل وقتلة الكلمة الحرّة نسفه ومحوه من الوجود والصورة أعلاه تجعل العين تبكي دماً وتخرج الآهات والحسرات بلا توقف، لكن هيهات سيبقى الشارع مخلداً وسيعود من جديد وستزدهر ثقافته مرة أخرى وسيعود الى النهوض كالعنقاء التي تأبى الخنوع، وسيظلّ شارع المتنبيّ حاملاً لمقولة: (مصر تكتب، وبيروت تنشر، والعراق

يقرأ). وسيعود الأدباء وطلّاب العلم والمثقّفون والروّاد كافّة لهذا الشارع الذي يقف على قدميه مرة أخرى وستبقى بغداد وشارعها العريض واقفان في وجه كلّ هجمة تريد قتل كلمة اقرأ التي تميّز بها الإسلام كونها أوّل لفظ نزل على نبينا محمد ﷺ.

مقهى الشابندر:

في نهاية شارع المتنبيّ المقابل لسوق السراي، تقع أشهر مقهى في بغداد حيث كانت الملتقى الأسبوعي لروّاد شارع المتنبيّ. هذه المقهى هي مقهى الشابندر والذي لا يمكن أن نتجاوزه في صفحاتنا هذه لأنه جزء لا يتجزّأ من شارع المتنبيّ وثقافته وعراقته.

تأسّست هذه المقهى عام ١٩١٧م (كما في صورة رقم ٩) وسميت بالشابندر نسبة الى أصحاب المبنى الذي تقع فيه هذه المقهى وهم ورثة (محمد سعيد الشابندر) من أعيان بغداد. وعند تأسيسها وبسبب قربها من خمس وزارات وبضمنها وزارة العدل، حيث تتواجد بعض دوائرها، فإن معظم روّادها كانوا من رجال القانون من الحكام والمحامين، وكذلك أصحاب الدعاوى الذين يراجعون المحاكم.

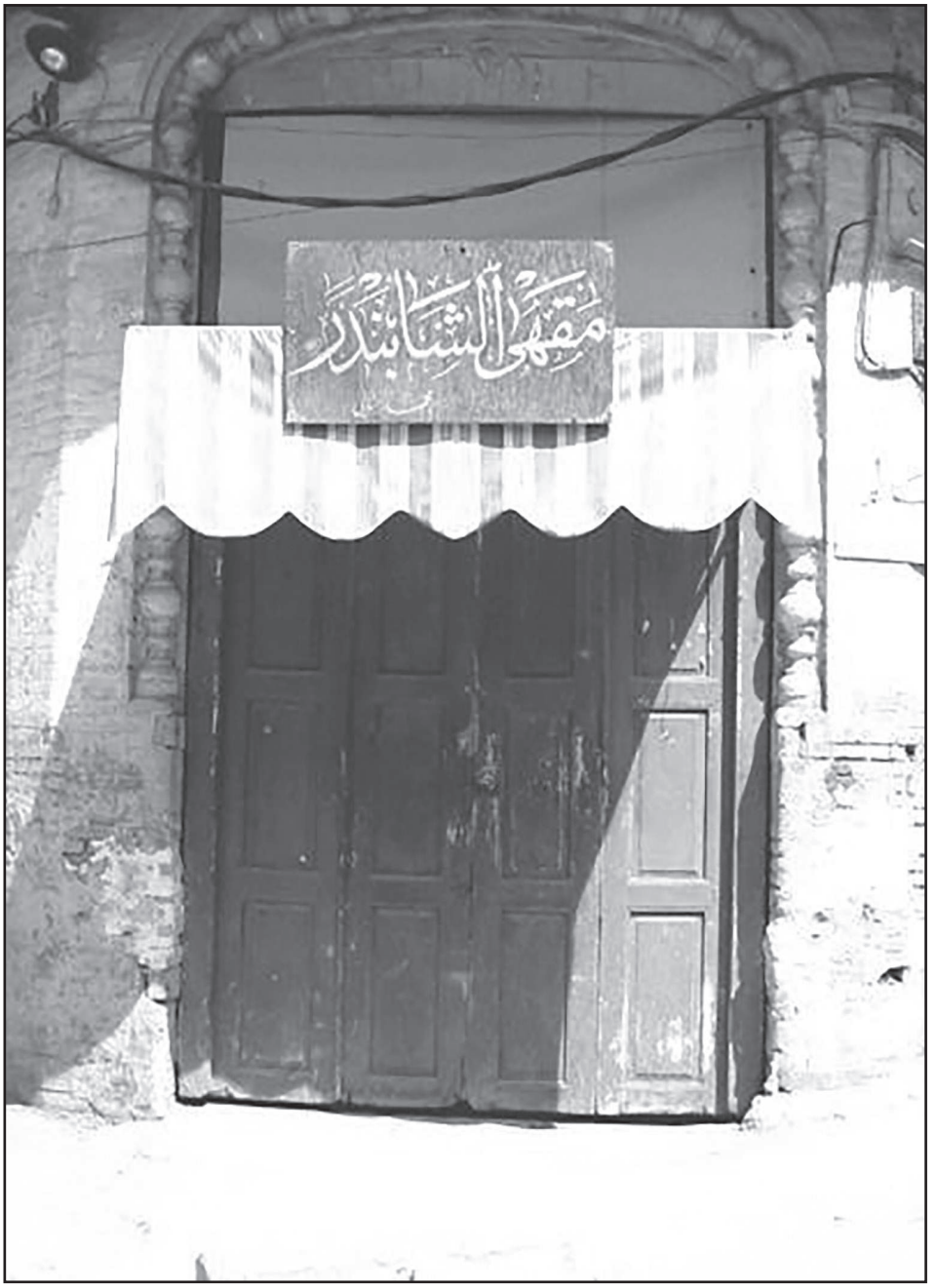

صورة رقم (٩) لمقهى الشابندر العريق

وبجوار مقهى الشابندر أيضاً دكان لبيع القرطاسية والطوابع المالية يعود لرجل من بيت الأحمدي.. وبجوار المقهى مصوران يعملان بالماكنة القديمة لتصوير من يحتاج الى صور خلال مراجعته للدوائر المجاورة وعلى الحائط في محلّ المصوّر قطعة من القماش الأسود فيها مختلف التصاوير.. وفي المساء كان مقهى الشابندر محلًّا لانتظار (فتح المايخانة) المجاورة له والتي تفتح بعد أذان المغرب أو بانتظار القَصّخون (راوي القصّة أو الحكواتي) في بعض أيـام السنة. كلّ هذا كان في زمن مضى أمّا في زمن ليس بالبعيد (أربعة عقود من الزمان) كان هذا المقهى الملتقى الذي قد يكون اليومي والأسبوعي للمثقّفين، حيث يرتادها معظم أساتذة الجامعات والأدباء ورجال الإعلام الذين يزورون شارع المتنبيّ بالإضافة الى الزوّار الأجانب. ولهذا المقهى طقوسٌ خاصّة حيث الكلام فيها بصوت منخفض ويمنع الكلام بصوت عالٍ، ولاتمارس فيها بعض ألعاب اللهو كالدومينو أو الزهر (الطاولي) كما في المقاهي الأخرى، بل يكتفى فيها بتناول الشاي والحامض وتبادل الأحاديث.

ولعل من أجمل جلسات هذا المقهى لجوء كلّ جماعة تحمل التخصّص نفسه أو تخصّص متقارب منه للجلوس معاً في أحد أركان المقهى. كما كان صاحب المقهى يجلس مع مجموعة من الحكّام والمحامين وهكذا الحال.

أمّا بعد التفجير الأخير فقد دُمّر هذا المقهى تدميراً كاملاً واحترق وانتهى بشكل كامل حيث كان على مقربة من موقع الانفجار وما زاد على ذلك قِدَم بنائه كما في الصورة رقم (٩).

صورة رقم (١٠) وتوضح التدمير الكامل للمقهى واحتراقه

ومن الصورة أعلاه رقم (١٠) تظهر لنا اللافتة السوداء التي خطّ عليها نعي صاحب المقهى لأولاده الخمسة، أثر هذا التفجير ومقدار الدمار الذي حلّ بها، وتمّ إعادة إعمار المقهى بعد حادث التفجير وعلى يد صاحبه الذي بالرغم من فقدانه لأولاده فقد أصرّ على إعماره وإعادة افتتاحه والجلوس فيه بالرغم من أن كلّ ركن فيه يذكّره بأولاده وما فقد.

صورة رقم (١١) وتمثل مقهى الشابندر الذي أعيد افتتاحه مرة أخرى عام ٢٠٠٩

الإستنتاجات:

حاولنا في الصفحات السابقة الذكر تدوين كلّ المعلومات التي تمّ الحصول عليها عن أوائل المكتبات البغدادية وتوثيقها. وتمّ التوصل الى جملة من النقاط:

١. منذ القدم ولغاية اليوم لم تنقطع رغبة الإنسان بتخليد الذكريات وتوثيقها سواء أكانت مفرحة أم مؤلمة. فنراه قد نقشها على الجدار أو الحجر أو الشجر وكتب معها عبارات تنمّ عن رغبة جامحة لغرض تخليدها للتواصل والمودة وعدم النسيان مهما اشتدّت قسوة وجور الزمان هذه الرغبة نقشت اليوم في هذه الصفحات التي تضمّنت شارعاً عريقاً بمكتباته وكتبه، مجالسه وروّاده هو شارع المتنبيّ ذلك الشارع الذي يعدّه المثقّفون والروّاد الشريان الثقافيّ البغداديّ العريق وجزءاً لا يتجزأ من الذاكرة التراثية والثقافية العراقية.

٢. ذلك الشارع التراثي العريق يضمّ بين جانبيه مكتبات عجز بعض أصحابها أو تناسى تدوين تاريخها ليشار إليها فيما بعد وتذكر بوصفها جزءاً من تاريخه العريق وماضيه الطويل. وتضمّ الصفحات محاولة لتثبيت تاريخ وتوثيق عدد من المكتبات الموجودة فيه قد يكون انتهى وجود بعض منها، وإعادة أحياء البعض الآخر من جديد لتواصل مسيرتها وتحافظ على البقية الباقية من الثقافة العراقية والعربية ليس من أجل العراق نفسه فحسب بل من أجل الأمة العربية وثقافتها.

٣. إن تدمير شارع المتنبيّ بتفجير سيارة مفخخة فيه أدّى الى تعطّل مصدراً كبيراً وواسعاً للثقافة العراقية بل تدمير رمزاً من رموزها التي يشار إليها بالبنان في مختلف أرجاء العالم. إن هذا التفجير يعيد الى الذاكرة المسيرة الثقافية العريقة لمدينة بغداد تاريخياً، فهولاكو الذي أحرق مكتباتها وألقى بكتبها في نهر دجلة لم يمنعها من التربّع على مجد الثقافة بين كلّ عواصم العالم، إذ وبعد كلّ نكسة ونكبة تتعرّض لها بغداد تعود فتنهض من جديد وتقف على قدميها وتعود ببناء مجدها وهذا هو شأن شارع المتنبيّ الذي ستعود إليه

بل وعادت اليه الحياة ولو بشكل بطيء وإن لم يتعافَ من جراحه ولكنّه سينهض من جديد ليثبت للجميع أن الثقافة لا يمكن أن تنتهي فالمكتبات عادت للحياة على الرغم ممّا مرّ بها حيث بدأت بلملمة جراحها وأعادت الحياة الى جدران مكتباتها وستعاود نشر الثقافة وستجمع من جديد روّادها ومحبيها حولها رغم حقد الحاقدين. وسيظلّ شارع المتنبيّ شارعاً للثقافة وظاهرة ثقافية فريدة من نوعها لكلّ المثقفين العرب والأجانب وسيظل الرئة التي يتنفّس منها المثقف العراقي.

الهوامش:

١. ألبرتو مانغويل: تاريخ القراءة، ترجمة سامي شمعون، سوريا، ٢٠٠١ دار الساقي، ص٧٥.
٢. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أدب الكتاب، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤، ص١١٨.
٣. كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتّى سنة ١٠٠٠ للهجرة، لبنان، دار الرائد العربي، ١٩٨٦، ط٢، ص٣-٩.
٤. نفس المصدر السابق.... ص٨.
٥. الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار السعادة، ١٩٦٦، ص٢٧.
٦. كارستن نيبور: رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة سعاد هادي العمري، بغداد، مطبعة دار المعرفة، ١٩٥٤.
٧. جريدة المدى للإعلام والثقافة والفنون، بغداد، مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون، ع ٨٩٦ بتاريخ الثلاثاء ١٢/ ٣/ ٢٠٠٧.
٨ جريدة الشرق الأوسط - المملكة العربية السعودية: شركة السعودي للنشر والبحوث ع. ١٠٣٢٦ بتاريخ الأربعاء ٧/ ٣/ ٢٠٠٧.
٩. نفس المصدر السابق.
١٠. محمود فهمي درويش، وأحمد سوسة ومصطفى جواد دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، بغداد، مطبعة التمدن، ١٩٦١، ص٥٤٤.
١١. البغدادي، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي مجالس بغداد، بغداد المكتبة العالمية.١٩٨٥ ط١، ص١٩٤-١٩٧.
١٢. دليل الجمهورية العراقية، مصدر سابق، ص٥٤٤.
١٣. مقابلة مع السيدين نبيل ونجاح عبد الرحمن حياوي بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٧. وترتبط عائلة

الباحثة مع عائلة المرحوم عبد الرحمن حياوي بعلاقة عائلية.

١٤. جريدة الشرق الأوسط، الرياض، المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق، ع. ١٠٣٢٧ بتاريخ الخميس ٨/ ٣/ ٢٠٠٧.

١٥. جريدة الشرق الأوسط، الرياض، المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق، ع. ١٠٣٢٦ بتاريخ الأربعاء ٧/ ٣/ ٢٠٠٧.

١٦. نفس المصدر السابق.

١٧. التوحيدي أبو حيان: كتاب الإمتاع والمؤانسة، بقلم أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، المكتبة العصرية، بدون تاريخ (ج١)، ص١٩، ج- د.

١٨. كوركيس عواد: خزائن الكتب، المصدر السابق، ص٢٩.

١٩. المصدر السابق، ص٢٨.

٢٠. الحسيني، السيد محمد صادق: عمران بغداد، بغداد، مطبعة السلام، (١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م)، ص٧٤.

٢١. كوركيس عواد: خزائن الكتب، المصدر السابق، ص١٩١-١٩٢.

٢٢. نفس المصدر السابق.

٢٣. المصدر السابق، ص٢٦٤-٢٦٦.

المصدر: مجلّة التراث العلمي العربي: مج٢٠٠٩، العدد (٨)، آب ٢٠٠٩.

وثائق وصور

من أرشيف العراق والموروث الشيعي

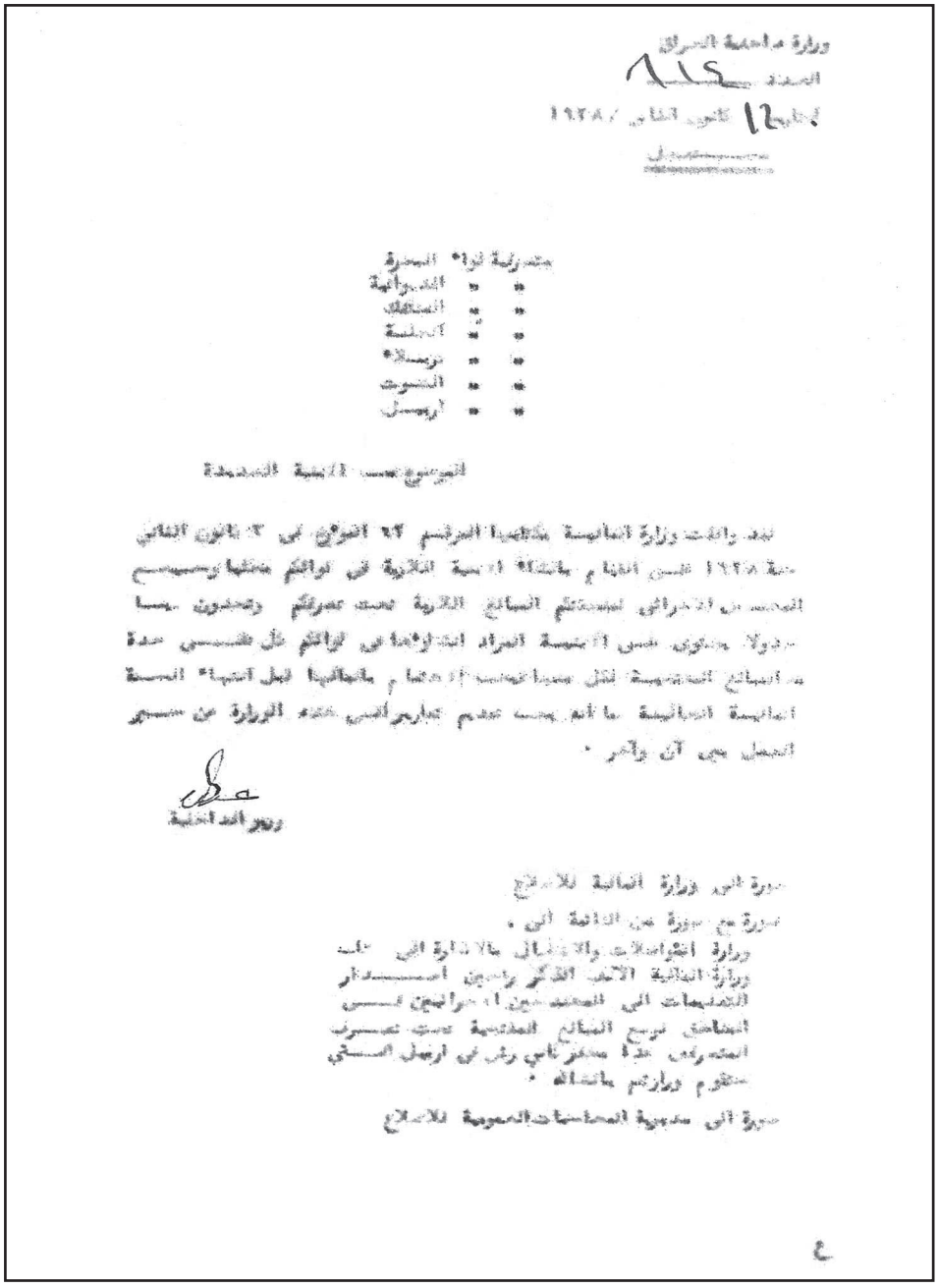

وزارة داخلية العراق
العدد ٨١٤
في ١٢ كانون الثاني / ١٩٢٨
موضوع

مديرية لواء البصرة
" " الديوانية
" " المنتفك
" " الحلة
" " كربلاء
" " الكوت
" " اربيل

المرسوم بشأن الأبنية الجديدة

قد وافت وزارة المالية بكتابها المرقم ٦٢ المؤرخ في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ عين الذي يتعلق الأبنية الآيلة في نواحيكم بتقاريركم بحسب التحسين الاداري لمستلزم المنافع العامة تحت نظركم وتحدون بما مدولا محتوى عين الأبنية المراد اتلافها في نواحيكم على ضوء مدة المنافع المتوقعة لكل منها بحسب تقاريركم بالمالية قبل انتهاء السنة المالية الحالية على أن يتم عدم تقاريركم عند الوزارة عن سير العمل بهذا الأمر .

وزير الداخلية

صورة الى وزارة المالية للاطلاع
صورة مع صورة من الدائمة الى .
وزارة المواصلات والاشغال بالاشارة الى كتاب
وزارة المالية الآنف الذكر بشأن اصدار
التعليمات الى المتعهدين الذين لهم
المناقص توريد المنافع العامة تحت تصرف
المتصرفين عند مطالبتهم رش في ارسال التي
ستقوم وزارتهم بانشائها .
صورة الى مديرية المحاسبات العمومية للاطلاع

٤

كتاب وزارة الداخلية في العراق الى متصرفية لواء كل من: البصرة والديوانية والمنتفك والحلة وكربلاء والكوت وأربيل بخصوص بعض الأبنية الجديدة عام ١٩٢٨م

LIST OF BUILDINGS ~~URGENTLY~~ REQUIRED BY THE MINISTRY OF INTERIOR BY 31-3-1928

1.	BASRAH LIWA		
	Shafi Serai	2,500	
	Stable for Police	4,000	
2.	DIWANIYA LIWA		
	Imam Hamza Serai	3,000	
	Mulaiha Serai	3,000	
	Ja'arah Serai	3,000	
	Suq Sha'lan Serai	4,000	
	Khidhr Serai	3,000	
3.	MUNTAFIQ LIWA		
	Suwaij Sagban Serai	2,500	
	Battha Serai	2,500	
4.	HILLAH LIWA		
	Imam Qasim Serai	3,000	
	Jurf as Sakhr Serai	3,000	
	Nahr Shah Serai	5,000	
	Abu Gharaq Serai	3,000	
5.	KERBALAH LIWA		
	Husainiyah Serai	1,000	
6.	KUT LIWA		
	Muhairijah Serai	4,000	
	Hashimiyah Serai	4,000	
	Jassan Serai	2,000	
	Police Post at Badrah	3,000	(To be built by the Police).
7.	ARBIL LIWA		
	Kani Rash Serai	14,000	(To be built by P. W. D.)
8.	AMARAH LIWA		
	Rest House at Ali Gharbi	3,000	(To be built by P. W. D.)
	Contingencies	3,500	
	Total Rs.	76,000	

L.

قائمة باسماء الوحدات السكنية المطلوبة والتي تشرف عليها وزارة الداخلية بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٢٨م

١٤ كانون الثاني/ ١٩٢٨

متصرفية لواء كربلا

الموضوع / سراي الحكومة في كربلا

بالاشارة الى كتابكم المرقم ١٥٤ والمؤرخ في ١٤ كانون الثاني/ ١٩٢٨
أعلمكم لعدم امكان القيام بانشاء سراي للحكومة في كربلا في هذه السنة.

وزير الداخلية

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص إنشاء سراي للحكومة في كربلاء عام ١٩٢٨م

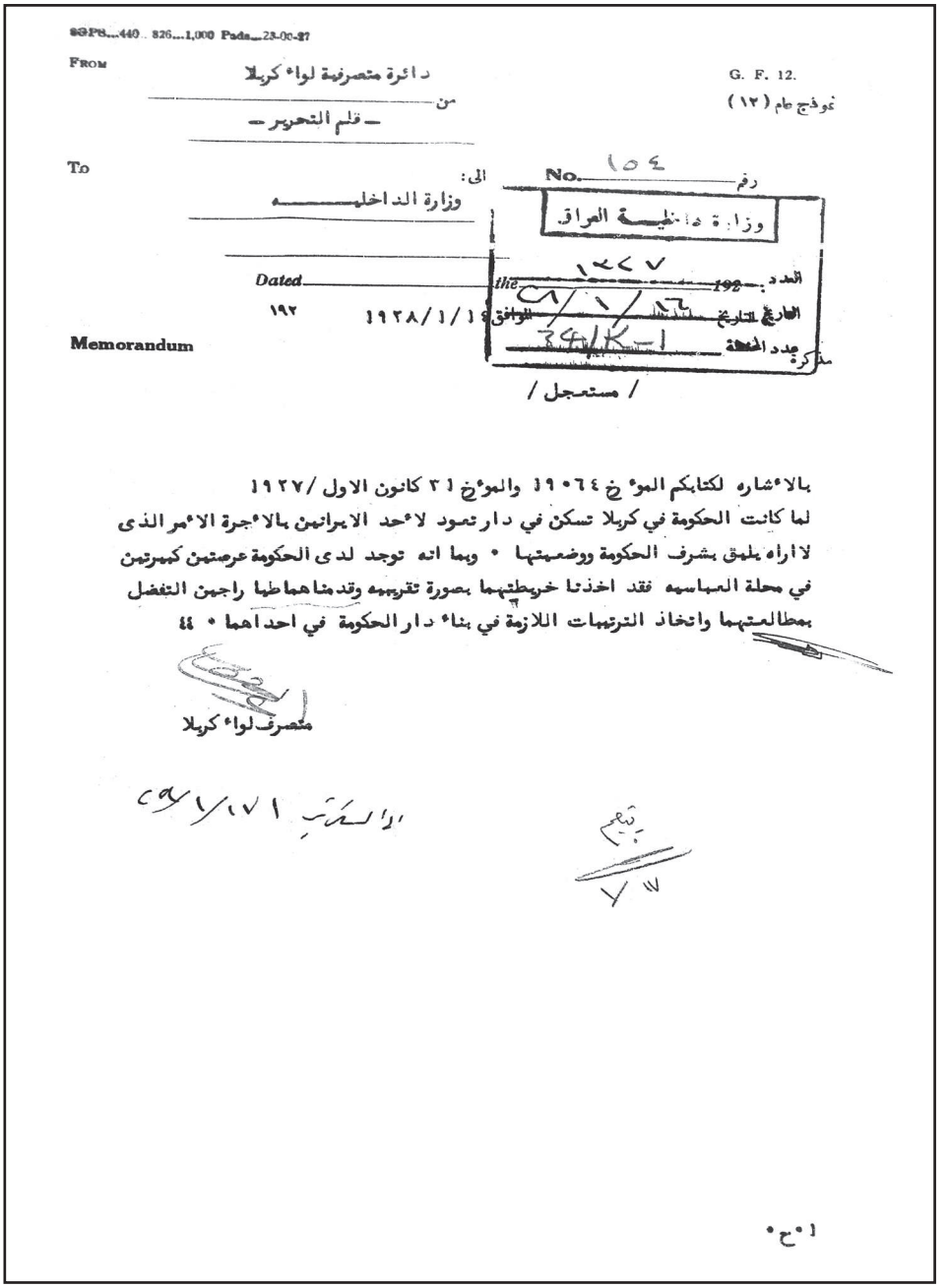

8GPS...440 826...1,000 Pads...23-0c-27

FROM دائرة متصرفية لواء كربلا
من
— قلم التحرير —

G. F. 12.
نموذج عام (١٢)

To الى: وزارة الداخلية

No. ١٥٤ رقم

وزارة داخلية العراق
العدد ١٢٧٧
التاريخ ٨/١/١٩٢٨ الموافق
مذكرة عدد الخطة ٣٩/K-١

Dated the ... 192
١٩٢ ١٩٢٨/١/١٨

Memorandum

/ مستعجل /

بالاشاره لكتابكم المؤرخ ١٩٠٦٤ والمؤرخ ٢١ كانون الاول /١٩٢٧
لما كانت الحكومة في كربلا تسكن في دار تعود لاحد الايرانيين بالاجرة الامر الذى
لا اراه يليق بشرف الحكومة ووضعيتها • وبما انه توجد لدى الحكومة عرصتين كبيرتين
في محلة العباسيه فقد اخذنا خريطتهما بصورة تقريبيه وقدمناهما طيا راجين التفضل
بمطالعتهما واتخاذ الترتيبات اللازمة في بناء دار الحكومة في احداهما • ٤٤

متصرف لواء كربلا

١٠ح•

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بخصوص دار الحكومة في اللواء عام ١٩٢٨م

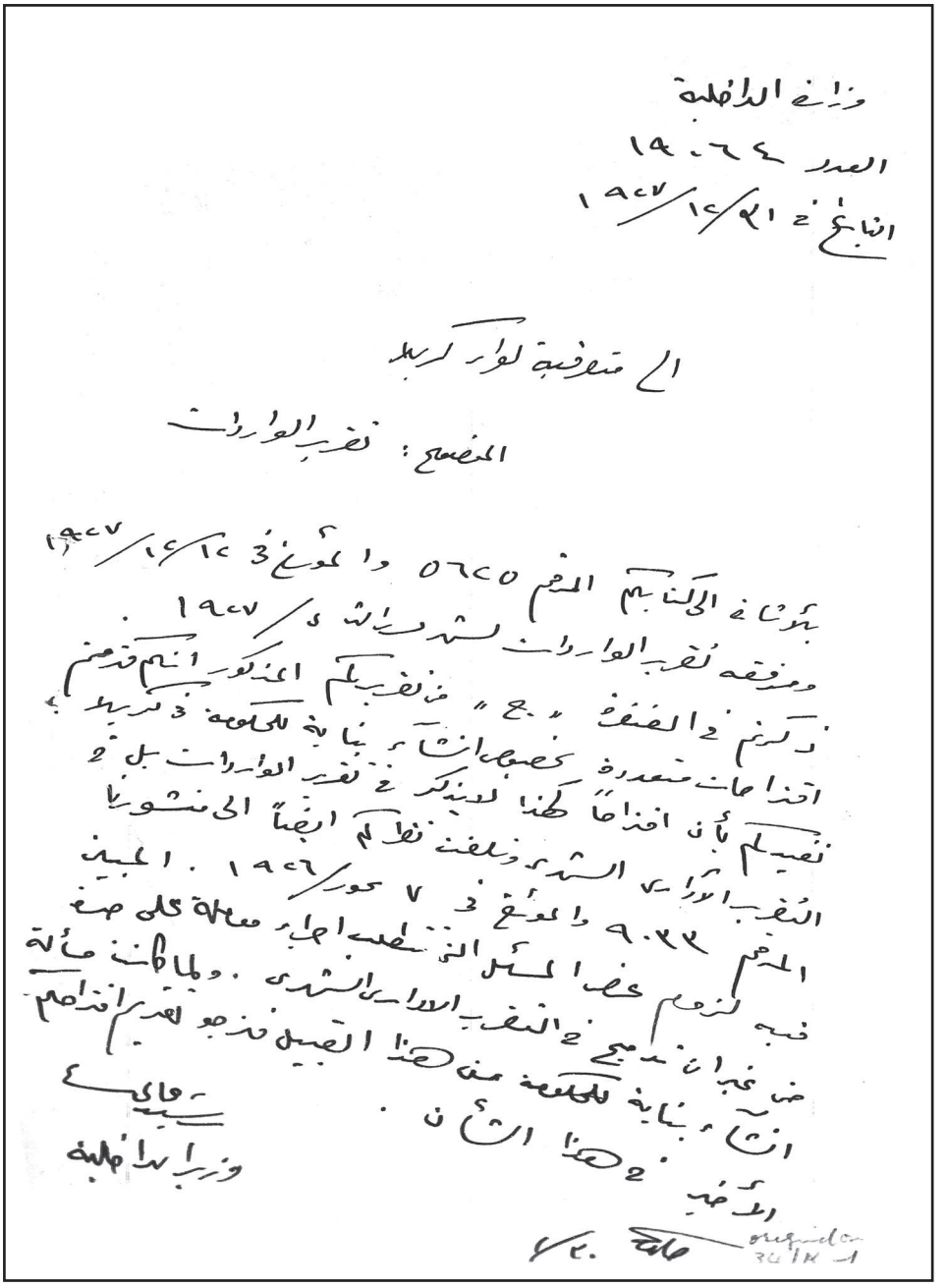

وزارة الداخلية
العدد ١٩٠٦٤
المؤرخ في ٢١/١٢/١٩٢٧

الى متصرفية لواء كربلاء

الموضوع: نقب الواردات

بكتابنا المرقم ٥٦٢٥ والمؤرخ في ٣/١٢/١٩٢٧ ومرفقه نقب الواردات لشهر تشرين الثاني ١٩٢٧. نرفق لكم في الضرف "ج" نقب الواردات الجديد الذي اقتضت ضرورة خصوصيات نيابة الحلة في تنظيمه نقبين بأن افتتاحا كهذا لم يذكر في نقب الواردات بل في نقب الواردات الشهري وملفت نظاركم ايضاً الى منشورنا المرقم ٩٠٢٢ والمؤرخ في ٧ حزيران ١٩٢٦. الخ الذي فيه لزوم عمل الكشف الذي تضمن اجابة مفصلة على كل ما ورد في نقب الواردات الشهري. ولما كان هذا النقب الجديد قد جمع افتتاح نيابة الحلة من هذا القبيل فنرجو اتخاذ ما يلزم.

وزير الداخلية

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص الواردات خلال الشهر الثاني من عام ١٩٢٧م

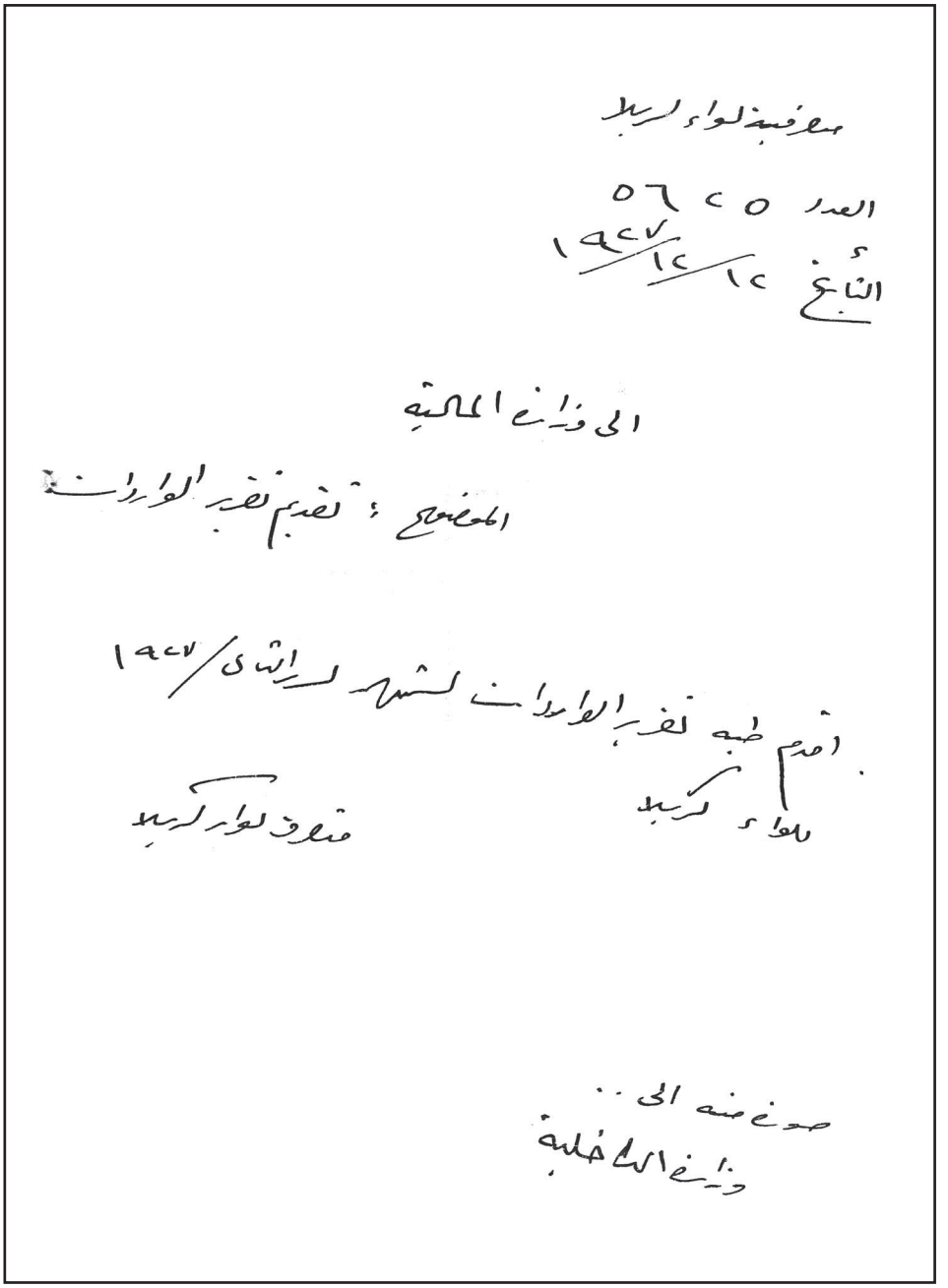

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة المالية العراقية بخصوص الواردات خلال الشهر الثاني من عام ١٩٢٧م

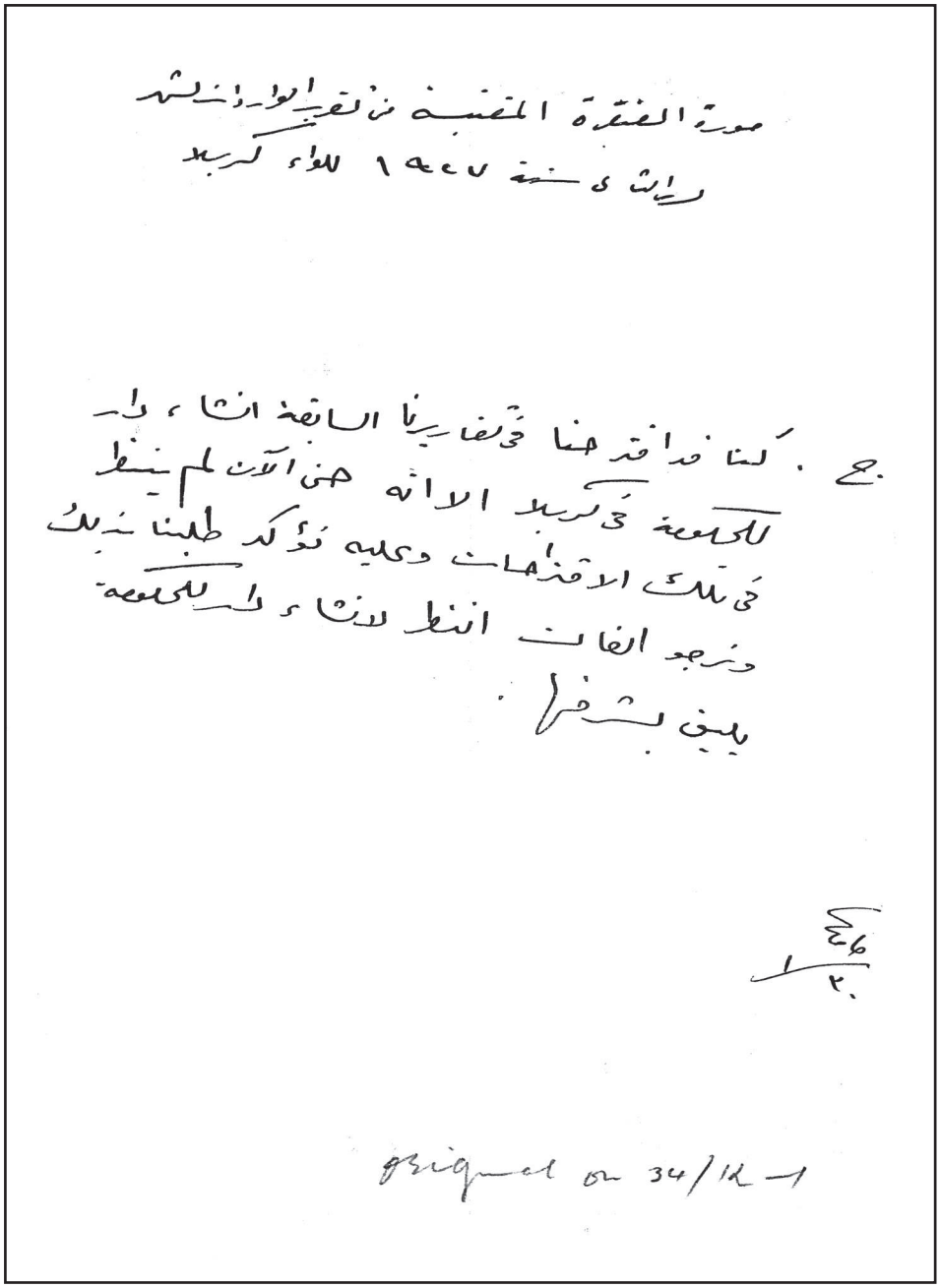

صورة الفقرة المقتبسة من تقرير الواردات لشهر شباط عام ١٩٢٧م في لواء كربلاء

كانون الثاني سنة ١٩٢٨

مديرية الصحة العامة

الموضوع صورة كتاب

بالاشارة الى كتابكم المرقم ٤٨٧ والمؤرخ في ١٧ ايلول سنة ١٩٢٧ نسبت ادناه صورة كتاب وزارة المواصلات والاشغال المرقم ٣١٣ والمؤرخ في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ لابداء المطالعة ·

وزير الداخلية

—

الموضوع — توسيعات المستشفى الملكي في النجف

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٧٥٦ المؤرخ في ٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ · زار مؤخرا مدير الاشغال العامة المستشفى الملكي في النجف وبين انه لا توجد في الوقت الحاضر مرضى في هذا المستشفى ·

وعليه اقترح اعادة النظر في الامر وبيان عما اذا كانت الحاجة ماسة الى التوسعات المذكورة قبل تخصيص الوقت الى تخصيص الرسوم واجراء الكشف اللازمة ·

وعلاوة على ذلك يلاحظ انه لم يدمج العمل المذكور في لائحة الاشغال الجديدة المصلوبة لعام ١٩٢٨ ولم يبحث عنه في الجلسة التي عقدت في هذه الوزارة بتاريخ ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ·

—

ع

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى مديرية الصحة العامة بخصوص توسيع المستشفى الملكي في قضاء النجف عام ١٩٢٨م

SGPS...274...600...3,000...27 7-27

MINISTRY OF COMMUNICATIONS AND WORKS, 'IRAQ.

Telephones: MINISTER—SERAI ... 19. ADVISER ... ... 21. SECRETARY ... ... 8.

Telegrams—"COMWORKS" BAGHDAD.

وزارة داخلية العراق

العراق
وزارة المواصلات والاشغال
بغداد

التاريخ ١٤٦١ / ١٢ / ١٧

عدد الصفة

وزارة الداخلية

العدد No. CW/41/73/ 313

To The Ministry of Interior, بغداد

B A G H D A D.

BAGHDAD 16th January 192 8. 17

التاريخ ١٧ كانون الثاني / ١٩٢٨

MEMORANDUM.

مذكرة

SUBJECT:- EXTENSION TO ROYAL HOSPITAL, NEJAF.

الموضوع— توسيعات المستشفى الملكي في النجف

No 115 — Reference your letter No. 14756, dated the 8th October, 1927.

This hospital was recently visited by the Director of Public Works who states that at the time there were no patients in the hospital.

I suggest, therefore, that the question as to whether an extension is really required be re-examined before time is devoted to the drawing up of the necessary plans and estimates.

Further it is observed that the work was not included in the list of new buildings required in 1928, and discussed at the meeting held in this Ministry on the 14th instant.

اشارة الى كتابكم المرقم ١١٥ / ١٤٧٥٦ المؤرخ في ٨ تشرين الاول / ١٩٢٧ زار مؤخرا مدير الاشغال العامة مستشفى الملكي في النجف وبين انه لا يوجد في وقت الحاضر مرضى في هذا المستشفى .

وعليه اقترح اعادة النظر في الامر وبيان عما اذا كانت الحاجة ماسة الى التوسيعات المذكورة قبل تخصيص الوقت الى تخطيط الرسوم واجراء الكشوف اللازمة .

وعلاوة على ذلك يلاحظ انه لم يدرج العمل المذكور في لائحة الاشغال الجديدة المطلوبة لعام ١٩٢٨ ولم يبحث عنه في الجلسة التي عقدت في هذه الوزارة بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ .

Minister of Commns: and Works.

وزير المواصلات والاشغال

A.K.

الرئيس
صفة للعموم العامة لدى الخفاجة

١٧ / ١

٢٨/١/١٨

كتاب وزارة المواصلات والأشغال الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص توسيع المستشفى الملكي في قضاء النجف عام ١٩٢٨م

٢ ٨ كانون الثاني ١٩٢٨/

متصرفية لواء كربلاء

الموضوع ـ تعمير سراي الحسينية .

بالاشارة الى كتابكم المرقم ٥٧٥٣ والمؤرخ في ١٩٢٧/١٢/٢٠
نلاحظ بان المبلغ الذي صودق عليه في كتابنا المرقم ١٦٨٦٥ والمؤرخ في ١٧
تشرين الثاني ١٩٢٧/ لتعمير سراي ناحية الحسينية هو الف وربية وان مصرفكم
قد بلغ (٨٠٠/٢) ربية كما جاء في كتابكم المرقم ٥٧٧٦ والمؤرخ في ٢١/١٢/٢٧
نرجو اعلامنا اذا لم يكن من الممكن صرف المبلغ الباقي لاجراء التعمير المطلوب الان

وزير الداخلية .

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص تعمير سراي الحسينية في اللواء عام ١٩٢٨م

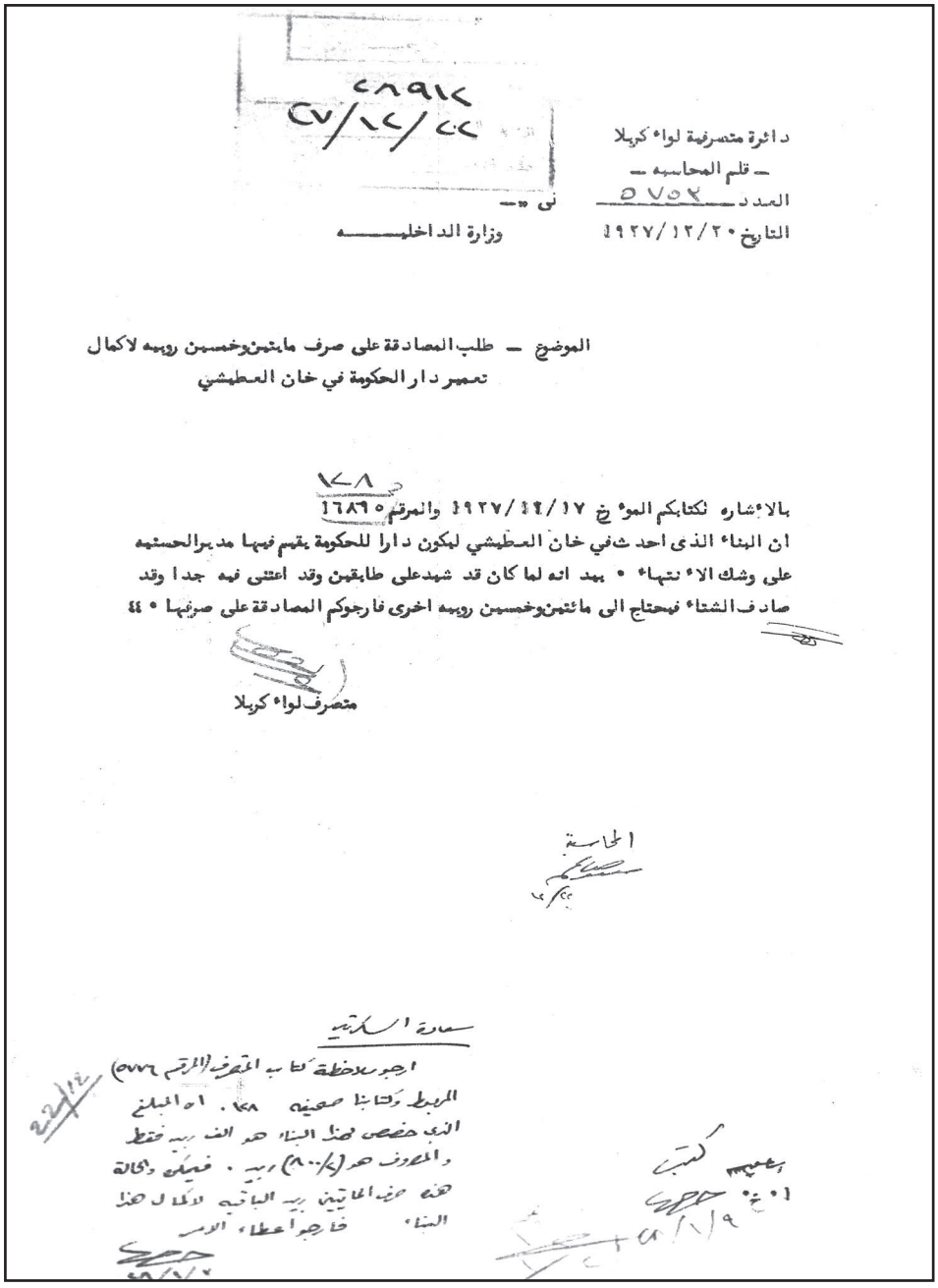

دائرة متصرفية لواء كربلا
– قلم المحاسبه –
العدد ٥٧٥٢
التاريخ ٢٠/١٢/١٩٢٧

الى «–
وزارة الداخلـــــــه

الموضوع – طلب المصادقة على صرف مايتمن وخمسين روبيه لاكمال تعمير دار الحكومة في خان العطيشي

١٧٨
بالاشاره لكتابكم المؤرخ ١٧/١٢/١٩٢٧ والمرقم ١٦٨٩٥
ان البناء الذى احدث في خان العطيشي ليكون دارا للحكومة يقسم فيها مدير الحسنيه على وشك الانتهاء • بيد انه لما كان قد شيد على طابقين وقد اعتنى فيه جدا وقد صادف الشتاء فيحتاج الى مائتمن وخمسين روبيه اخرى فارجوكم المصادقة على صرفها • ٤٤

متصرف لواء كربلا

المحاسبة

سعادة السكرتير
ارجو ملاحظة كتابه المتصرف (المرقم ٥٧٥٢) المربوط وكتابنا صحيفه ١٧٨ . اه المبلغ الذي خصص لهذا البناء هو الف ربيه فقط والمصروف هو (٨٠٠/-) ربيه . فيكون والحالة هذه خمسمائتين ربيه الباقيه لاكمال هذا البناء فارجو اعطاء الامر

كتب

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص المصادقة على صرف (٢٥٠) روبية لإكمال تعمير دار الحكومة في خان العطيشي عام ١٩٢٧م

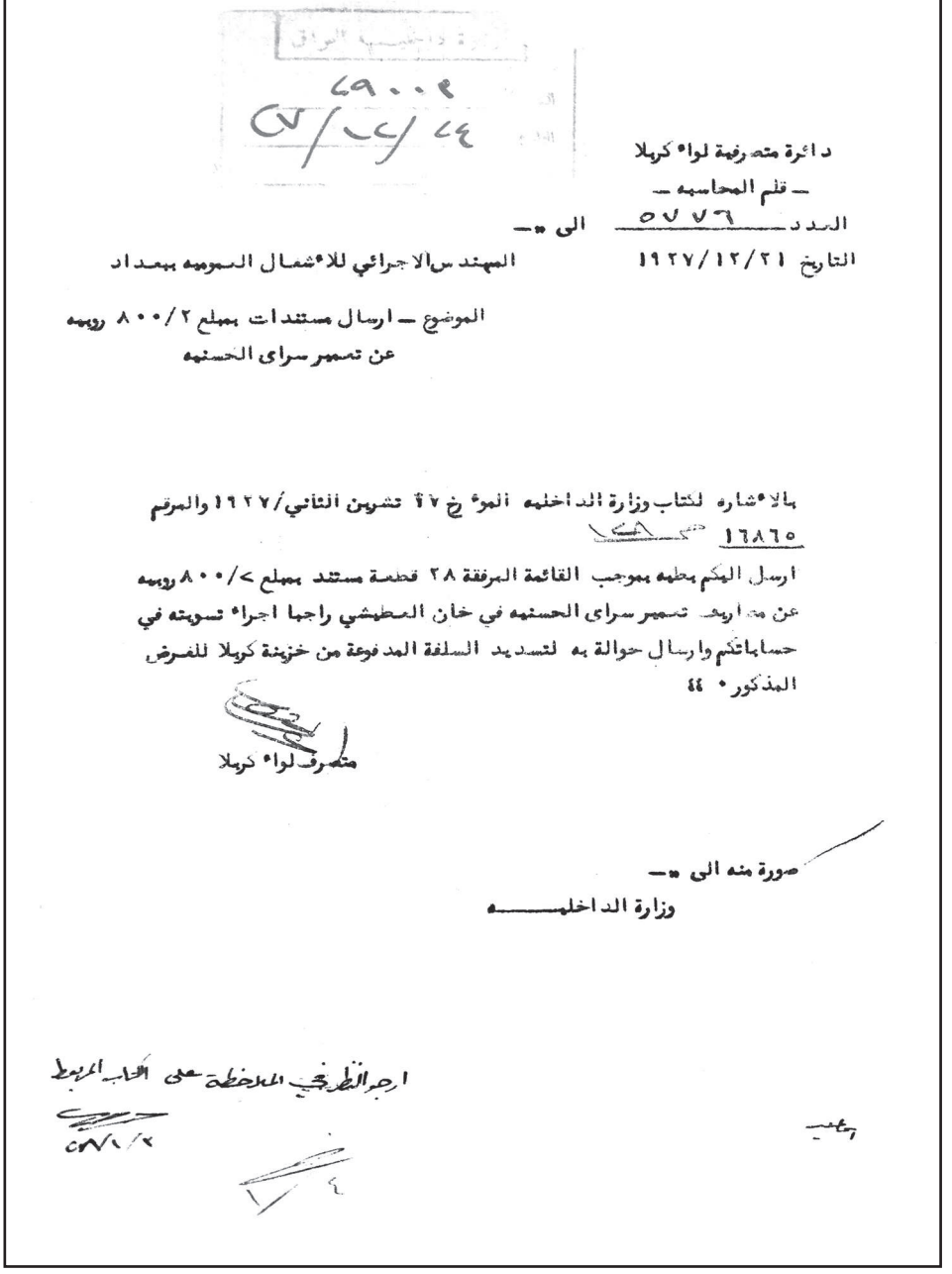

دائرة متصرفية لواء كربلا
ـ قلم المحاسبه ـ
العدد ٥٧٧٦ الى ـ
التاريخ ١٩٢٧/١٢/٢١ المهندس الاجرائي للاشغال العموميه ببغداد

الموضوع ـ ارسال مستندات بمبلغ ٨٠٠/٢ روپيه
عن تعمير سراى الحسنيه

بالاشاره لكتاب وزارة الداخليه المؤرخ ٢٧ تشرين الثاني/١٩٢٧ والمرقم ١٦٨٦٥

ارسل اليكم بطيه بموجب القائمة المرفقة ٢٨ قطعة مستند بمبلغ ٨٠٠/- روپيه عن مصاريف تعمير سراى الحسنيه في خان المطيشي راجيا اجراء تسويته في حساباتكم وارسال حوالة به لتسديد السلفة المدفوعة من خزينة كربلا للغرض المذكور ٤٤

متصرف لواء كربلا

صورة منه الى ـ
وزارة الداخليـــــه

ارجو التطرق المذكورة على الكتاب المربوط

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء الى المهندس الاجرائي للأشغال العمومية في بغداد بخصوص تعمير سراي الحسينية عام ١٩٢٧م

٣١ كانون الاول سنة ١٩٢٧

(٩/١/ج)

مديرية الشرطة العامـــــة •

الموضوع – سراى الكوفـــة •

نرسل اليكم في طيه صورة من كتابي مفتش لواء الديوانية الاداري المرقمين ١٢٧٢ و١٣٢٧ والمورخين في ١١ و ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٧ ونرجو اعلامنا عما اذا تتمكون من بناء اصطبل الشرطة من توفيرات المادة ال (١١) التعميرات الطفيفة من الفصل ال (٤٣) من ميزانية الشرطة للسنة المالية الحالية •

وزير الداخليـــــة •

٦٠ر

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى مديرية الشرطة العامة بخصوص سراي الكوفة عام ١٩٢٧م

Telegraphic Address:—ADMINTOR.

No. 1327

OFFICE OF THE
ADMINISTRATIVE INSPECTOR.

29044

Diwaniyah, dated the 22nd December, 1927.

24/12/27

To

The Adviser,
Ministry of Interior,
Baghdad.

MEMORANDUM.

SUBJECT: KUFAH SERAI. 1105

In contiuation of this office No. 8/3/739 of 14.8.1927 and No. 1272 dated the 11th December, 1927. (below)

May I be informed when money will be sanctioned to provide police stabling in the Serai ? The present police Khan is costing the government Rs. 840/- a year in rent, which would be economised if a stable were built in the Serai.

Administrative Inspector,
Diwaniyah.

S.A.
This really should be furnished urgently
27/12

مذكرة من مكتب المفتش الاداري في الديوانية الى مستشار وزارة الداخلية العراقية في بغداد بخصوص سراي الكوفة عام ١٩٢٧م

No. 1272

Office of the Administrative Inspector,
Diwaniyah dated the 10th December, 1927.

دائرة المفتش الاداري للواء الديوانية
وكربلا .
العدد ١٢٧٢
التاريخ ١١/ كانون الاول/ ١٩٢٧

To
The Mutasarrif,
Kerbela.

28014
12.12.27

السيد
متصرفية لواء كربلا

MEMORANDUM:

SUBJECT: KUFAH SERAI.

On a recent visit to Kufah, I noted that no progress has been made with the proposal to move the police into the Kufah Serai.

The proposal made was for the police to take over the rooms at present occupied by the Baladiyah in the Serai, which, being on the ground floor, would be convenient to the police for their proximity to the guard, and the stables. The mudir of the nahiyah appears to have received the impression that the baladiyah would have to move out of the Serai and hire a house in the town for its office.

I personally think it far preferable for the baladiyah to remain in the Serai, and would therefore suggest that it build its-self the necessary accommodation on the first floor. It has plenty of money for the purpose. Although this item of expenditure was not included in the baladiyah budget, special sanction could now easily be asked for from the Ministry of Interior.

(P.T.O.)

Administrative Inspector,
Diwaniyah.

الموضوع – سراي الكوفة

لدى زيارتنا الاخيرة الى الكوفة لقد شاهدنا بان لم يتقدم الاقتراح حول نقل الشرطة الى سراي الكوفة . وكان قد وُضع هذا الاقتراح بقصد ان الشرطة يأخذون الغرف المشغولة في الحال الحاضر من قبل البلدية في السراي وبمناهي واقعة في الطبقة السفلى ستكون ملائمة للشرطة نظرا الى قربهم من الحرس والاصطبلات . ويبدو انه خال للمدير بان يجب ان تنتقل البلدية من السراي وتستأجر منزلا في البلدة لدائرتها . هذا ونظن انه من الافضل ان تبقى البلدية في السراي ولذا نقترح على ان تبني لنفسها المحل اللازم للسكنة في الطبقة الاولى . لديها دراهم كثيرة لهذا الغرض . ولو لم تدخل هذه الفقرة من المصاريف في ميزانية البلدية يمكن الآن بسهولة طلب مصادقة خاصة من وزارة الداخلية .

المفتش الاداري للواء الديوانية

كتاب دائرة المفتش الإداري للواء الديوانية وكربلاء الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص سراي الكوفة عام ١٩٢٧م

٧٩١٩١

دائرة متصرفية لواء كربلا
– قلم المحاسبه –
العدد ٥٨١٧
التاريخ ١٩٢٧/١٢/٢٤

الـــى ـــ
المهندس الاجرائي للاشغال العمومية

الموضوع – ارسال مستندات بمبلغ ٢٠٠ روبيه عن تعمير سراى الحسينيه

الحاقا بكتابنا المرقم ٥٧٧٦ والمؤرخ ١٩٢٧/١٢/٢١
ارسل اليكم طيه ثلاث مستندات بمبلغ ٢٠٠ روبيه كمادون ادناه وذلك عن مصاريف تعمير سراى الحسينيه في خان العطشي راجيا تسويته في حساباتكم وارسال حوالة بها لتسديد السلفة المدفوعة لذلك ٠ ٤٤

متصرف لواء كربلا

صورة منه الى ـــ
وزارة الداخليـــه

المرفقات	
قطعه	مستند
١	بمبلغ ٨٢/٨ اقيام التوافذ
١	" ١١٢/٨ " الجص
١	" ٥/٠ " مزاب وسطل
٣	٢٠٠/٠

٢٠١ ٠ح

كتاب دائرة متصرفية لواء كربلاء الى المهندس الإجرائي للأشغال العمومية بخصوص مستندات مبالغ تعمير سراي الحسينية عام ١٩٢٧م

٢٩ تشرين الثاني /١٩٢٧

متصرفية لواء كربـــلاء .

الموضوع – تعمير سراى شفاثـــة.

بالاشارة الى كتابكم المرقم ٥٣١٧ والمؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ .
ان هذه الوزارة لم تتمكن من الحصول على الـ ١٥٠٠ ربية المخصصة لبناء سراى ناحية شفاثة الا بصعوبة واذا لم تباشروا فيصعب جدا الحصول على هذه المخصصات في السنة القادمة لذلك يجب اتخاذ التدابير اللازمة للقيام بالعمل المذكور في بحر هذه السنة .

وزير الداخليـــة.

ع.ر

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص تعمير سراي شفاثة (عين التمر) في اللواء عام ١٩٢٧م

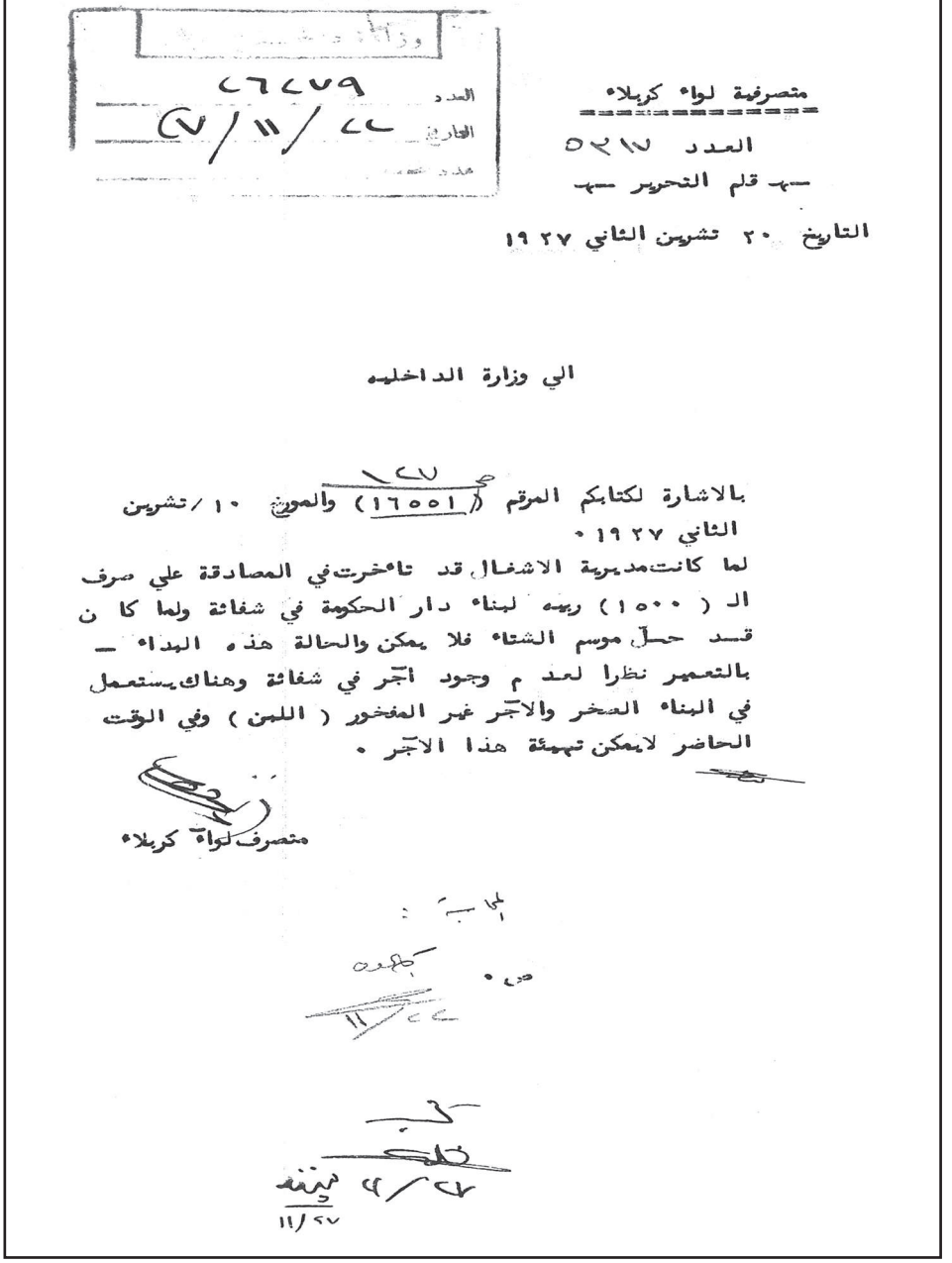

متصرفية لواء كربلاء
العدد ٥٢١٧
ـــه قلم التحرير ـــه
التاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٧

الى وزارة الداخليه

بالاشارة لكتابكم المرقم (١٦٥٥١) والمورخ ١٠/تشرين الثاني ١٩٢٧ .
لما كانت مديرية الاشغال قد تاخرت في المصادقة على صرف الـ (١٥٠٠) ربيه لبناء دار الحكومة في شفاثة ولما كان قد حل موسم الشتاء فلا يمكن والحالة هذه المداء بالتعمير نظرا لعدم وجود آجر في شفاثة وهناك يستعمل في البناء الصخر والآجر غير المفخور (اللبن) وفي الوقت الحاضر لايمكن تهيئة هذا الآجر .

متصرف لواء كربلاء

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص مصاريف بناء دار للحكومة في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م

متصرفية لواء كربلاء
قلم التحرير
العدد
التاريخ ١٥ تشرين الثاني ٩٢٧
٧٤٨٦/
٢٢/١١/
الى وزارة الداخلية

قصدت ناحية شفاثه يوم الاحد ١٣ تشرين الثاني ٩٢٧ وذلك لتفتيش شئونها مالها وادارياً . وها انا ابين نتيجة مشاهداتي كما ياتي .

١ – الادارة – لابأس بالحالة الادارية التي رأيت الناحية سائرة عليها ولم يقع مايدعو الى الاخلال بنظامها .

٢ – التحصيلات – نظراً للمرض الذي اصاب مدير الناحية فان امور التحصيل قد تعرقل سيرها وقد ظهر من المدير زيادة الاهتمام لسد الفراغ الذي حصل اثناء مرضه .

٣ – العشائر – احد البدو في هذه الايام يغدون الى شفاثه بكثرة وذلك لشراء الذخائر . وان ذلك مما يسبب كثرة ارباح طحم الوردية مع دون اعطاء الرسم له كان بزيادة فاحشة نظراً للسنة الماضية . وان قدوم البدو بهذه الكثرة سبب ارتفاع ثمن التمور وزيادة الارباح الى الاهلين .

(ب) نظراً لحلول موسم الشتاء فان محروت العذال رئيس عشائر العمارات وعزه انتقل مع قبائله من الاحمر الى الابيض بالنظر لوفرة المراعي وتكاثف الاعشاب في المحل الاخير .

٤ – الامن – بالنظر لقيام الشرطة بواجباتها فان الامن مستتب داخل الناحية . وقد ساعدتها بانشاء غرفة في الطريق المؤدي اليها لالتقاء العس واستراحتهم .

٥ – الزراعة – كنت قد اوعزت قبل هذا الى مدير الناحية بتكليف المتصرفين في العيون الامرية بزرع الاراضي التي تسقى منها واخطرتهم بان الاستمرار في تركها مما يودي الى اخذها منهم . فاهتم هؤلاء بالامر وصاروا يزرعون الاراضي حسب المطلوب ومن جراء ذلك سوف يؤمنوا لهم استفادة كانوا قد اهملوا كيفية الحصول عليها . والمتوقع ان الحكومة ايضاً سوف تستفيد من رسومها .

٦ – دار الحكومة – ان مديرية الاشغال كانت قد صادقت على صرف (١٥٠٠) روبيه لبناء دار الحكومة في شفاثه ولكن حيث انها قد تاخرت وحل موسم –

(١) كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص الأحوال في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م

الشتاء فلا يمكن والحالة هذه البدء بالتعمير نظرا لعدم وجود آجر
في شفاثه وهناك يستعمل في البناء الصخر والآجر غير المفخور ـ اللبن
وفي الوقت الحاضر لا يمكن تهيئة هذا الآجر وبالضرورة قد احرت البناء الى
الربيع المقبل ٠

٧ ـ عدت الى مـــــركز اللواء بعد ظهر اليوم نفسه ٠

متصرف لواء كربلاء

رش

(٢) كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص الأحوال في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م

No. M.I. 16805

MINISTRY OF INTERIOR,

BAGHDAD, ~~15~~ 17th November 1927.

وزارة داخلية العراق

العدد ١٨٦٥

التاريخ ١٧ تشرين الثاني/١٩٢٧

To

Mutasarrif,

Kerbala

متصرفية لواء كربلاء

Memorandum.

The Ministry of Finance has sanctioned the sums specified below for the construction of buildings in your Liwa. The sums in question will be placed at your disposal by the Executive Engineer, P.W.D. Baghdad Division, Baghdad The buildings should be completed before the end of the current financial year.

You should submit periodical reports on the progress of the work.

لقد وافقت وزارة المالية على صرف المبالغ المذكورة ادناه لتشييد الابنية في لوائكم . وسيضع المهندس الاجرائي لمنطقة بغداد هذه المبالغ بتصرفكم . فيجب اكمال الابنية قبل انتهاء السنة المالية الجارية وتقديم تقارير عن سير العمل بين حين وآخر .

وزير الداخلية

Minister of Interior.

صورة الى :-

مفتش لواء الديوانية الاداري

مديرية ~~الطرق~~ الاشغال العمومية

Copy to:-

The Administrative Inspector,

Diwaniyah

The Director of Public Works,

BAGHDAD.

Husainiyah Serai Rs. 1000/- ١٠٠٠ روپيه سراي الحسينيه

See file 56/14 V. II

ع

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص تشييد بعض الأبنية في اللواء عام ١٩٢٧م

~~٣١ تشرين الاول~~/١٩٢٧

١٠ تشرين الثاني

متصرفية لواء كربلاء

الموضوع — ترميم سراي شفاثة

بالاشارة الى الفقرة الثالثة من كتابكم السري المرقم ١٦ والمؤرخ في ١١ ايلول/١٩٢٧ وافق مدير الاشغال العمومية بكتابه المرقم ٦٨٩٢ والمؤرخ في ١١ تشرين الاول/١٩٢٧ على تخصيص (١٥٠٠) الف وخمسمائة روبية لاستئناف محلات جديدة لناحية شفاثة على ان ينفذ العمل من قبلكم هذا ويمكنكم مراجعة المهندس الاجرائي للاشغال العمومية في البصرة مباشرة في الموضوع .

وزير الداخلية

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص ترميم سراي شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م

PUBLIC WORKS DEPARTMENT,
'IRAQ.

ادارة الاشغال العمومية
فى العراق

Telephone:—SERAI 22.
Telegrams:—CIVWORKS, BAGHDAD.

تلفون — سراي ٢٢
العنوان البرقي — مديرية الاشغال بغداد

العدد ٢٢٠٠٧
التاريخ ٢٧/١٠/٢٥

To
Ministry of Interior,
Baghdad.
الى وزارة الداخليه بغداد

No. P. W. 63/6/ 6892
بغداد ١٣ تشرين الاول ١٩٢٧
Baghdad 11th October 1927.

Repairs to Shifatha Serai. P. 118

ترميم سراي شفاثه

Reference your No.14289 dated 29th September 1927.

I am prepared to find up to Rs.1,500 for the construction of new accommodation for Shifatha Nahiyah if the work is undertaken by the Liwa authorities.

The Mutasarrif, Kerbela, should communicate with Executive Engineer, Basrah, direct.

اشارة لكتابكم المرقم ١٤٢٨٩ والمؤرخ ٢٩ الماضي

نحن مستعدون لايجاد ١٥٠٠ روپيه لانشاء محلات جديدة لناحية الشفاثه اذا قامت سلطات اللواء بتنفيذ العمل

وعلى متصرف كربلا المخابرة مع المهندس الاجرائي في البصره مباشرة ٤

for Ag. Director of Public Works.

مدير الاشغال العامة

Copy to:
Executive Engineer, P.W.D., Basrah, reference his No.K/1/2506 dated 6th Oct. 1927.

نسخة منه الى المهندس الاجرائي للاشغال العامة في البصره اشارة لكتابه عدد ٢٥٠٦ بتاريخ ٦ الجارى

S

كتاب مديرية الأشغال العمومية الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص ترميم سراي شفاثة في لواء كربلاء عام ١٩٢٧م

TRANSLATION

Confidential letter No.16, dated 11/9/27, from the Mutasarrif, Karbala Liwa, to the Ministry of Interior, Baghdad.

On the 9th. inst. I paid a visit to the Shifata Nahia, and studied conditions there which I set down below in detail.

1- I found that the Gov.Officials live in a hired house which, owing to its unsuitable situation, is not fit as a Government place.

2- In the old Government place there are some rooms, in the lower storey, that require some repair. The upper storey is in utter ruin, and should therefore be pulled down to save the lower storey from collapse

3- There is a large open space in the said Gov. building, and to accomodate the Municipal and the Nahia officials, I suggest that another four rooms must be constructed in addition to the present rooms. Some of the latter are occupied by the Police Department. The cost of the above would not exceed Rs.1500, which amount should be met by the Municipality.

4- In the vicinity of Shifta Nahia there is a sping, round which an extensive arable land exists. At present the said spring is in the hold of one Hamad al Abbas, but owing to his financial inability this man could do nothing to improve the land. I shall therefore look for a financially able man and ask him to share the developement of the spring with the present holder. Should the latter refuse to ~~accept~~ agree to my proposal, I shall drive him off and instal a better man able to benifit the Goverhment.

The whole land existing at Shifta is Miri, and are not registered in the Tapu Department, so that it would not be difficult for the Gov. to give land to anyone able to develope it for mutual advantage. Besides thre are many springs at Shifta that are clogged by dirt and sand, which require immediate clearing up. Being lazy, the people have not taken the trouble to clear them, but left them in their present state. It would not have caused them great trouble and expenditure if they cared to do the work. So I shall take the necessary steps for the gradual cleaning of the said springs by their old owners.

6-The Nahia Mudir submitted to me the monthly return in respect to the income and expenditure of the Municipality. After investigation I found that the A/Reis al Baladyia had been drawing a salary of Rs.4

تقرير سري (مترجم) من متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض الأحوال في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م (١)

for the last three months. Whereas when this office entrusted to him that post he was not told to receive any amount of salary. I shall recover the amount he receiced , and shall appoin a member of the Municipal Council in his place.

7- There are some shortcomings in the transactions of the Nahia Mudir. He is so simple that he does not know which information he should mark as confidential. For instance , once he sent me a confidential letter informing me of the departure of Fahad Beg al Hathal to Baghdad for treatment and his subsequent death there. I do not mean that his services should be dispenced with at present, knowing that no better man would be sent in his place due to the repugnancy of most officials to accept this post here. Anyhow I shall watch his work from time to time and do my best to train him.

تقرير سري (مترجم) من متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض الأحوال في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م (٢)

متصرفية لواء كربلاء
العـــــدد ـــ ١٦
ـ قلم التحرير ـ
التاريخ ١١ ايلول ١٩٢٧

سري

الموضوع ـ دورة تفتيشيه

الى وزارة الداخلية

في اليوم التاسع من هذا الشهر زرت ناحية شفاثة وقد درست الحالة هناك وفيما يلي التفصيلات .

١ ـ وجدت موظفي الناحية يسكنون في الوقت الحاضر في دار استاجرت من صاحبها ونظرا لرداءة موقعها لاتصلح ان تكون محلا للحكومة .

٢ ـ توجد في القسم الاسفل من دار الحكومة القديمة عدة غرف للسكني تحتاج الى تعمير طفيف ولكن القسم الاعلى من الدار المذكوره خراب يجب هدمه لصان القسم الاسفل من الانهدام .

٣ ـ توجد في دار الحكومة المذكورة ساحة واسعة اري من الضروري ان يبنى فيها اربع غرف علاوة على الغرف الموجودة التي تشغل القسم منها دائرة الشرطة ليقيم فيها موظفو الناحية والبلدية معاولا يحتاج لتعميرها مصرف اكثر من (١٥٠٠) روبيه فاقترح ان تقوم البلدية في بنائها .

٤ ـ لبلدية شفاثة في المصرف الشرقي مبلغ زهاء ثلاثين الف روبيه فلم ار حاجة لصرف هذا المبلغ على احداث اي مشروع كان في شفاثة سوى صرف الفي روبيه منه لتعمير دارين لاقامة موظفي الناحية مع عائلاتهم باجرة يدفعونها الى البلدية .

٥ ـ توجد في القرب من شفاثة عين ماء تسمى (عين بركه) حولها ارض واسعة الارجاء قابلة للزراعة يتصرف فيها في الوقت الحاضر رجل يسمى حمد العباس غير ان هذا لم يقم بتعمير تلك الارض لانه فقير ولا يملك من النقود شيئا وسوف اتحرى على رجل ذو ثروة واكلفه بان يكون شريكا له فيها ليقوم بتعميرها وتزريعها فاذا لم يوافق على جعل شريك معه فانتزعها من يده واعطها لمن يقوم بتعميرها لتنتفع الخزينة من وارداتها اما الاراضي الموجودة في شفاثة كلها اميرية ولم تكن مسجلة في دائرة الطابو . فليس هناك من صعوبة فيما اذا ارادت الحكومة معالجة تعمير الاراضي الخالية وتزريعها قصد الاستفادة المتضامنة كما انه توجد في شفاثة عيون كثيرة مملوقتها الاوساخ

تقرير سري من متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض الأحوال في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م (١)

والرمال تحتاج الي تطهير وان اهالي شفاثة لم يعتنوا في تطهيرها ليستفيدوا من مياهها المتفجرة بغزارة بل تركوها علي وضعها الطبيعي مع ان تطهيرها لا يكلفهم بالحساب وبذل مصاريف كثيرة غير انهم قد حذوا المطالة علي العمل ولم يركنوا الي الاشتغال طول حياتهم فاصبحوا كسالي لايعرفون معني الحياة قط وسوف اتخذ التدابير اللازمة لتكليف اصحاب العيون للقيام بتطهير هذه العيون بصورة تدريجية .

٦ – ارسل مدير الناحية الجدول الشهري المختص بواردات ومصاريف البلدية ولما دققته وجدته قد تقاضا راتبا شهريا قدره (٤٠) ربيه باسم وكالة رياسة البلدية في حين ان هذه المتصرفية لما اودعت اليه وكالة الرياسة لم تجز له بان يتقاضا اي راتب كان وعند التدقيق وجدته قد تقاضي هذا المبلغ لثلاثة اشهر وقد اوصيته بان لا يتقاضا ه في المستقبل وسوف انظر في استرداده الي البلدية بصورة تدريجية وساعين لوكالة الرياسة عضوا من المجلس البلدي .

٧ – ان معاملات مدير الناحية نوري افندي فيها نقص وانه بسيط بدرجة لايفرق بين ما يجب ان يخبر عنه مكتوما او غير مكتوم ففي ذات يوم كان قد اخبرني عن ذهاب فهد بك الهذال الي بغداد للتداوي ومونه فيها بصورة سرية وان معاملاته مشوشة ومع هذا فاني لا احبذ في الوقت الحاضر الاستغناء عن خدمته ولا ارغب في نقله الي محل اخر لانني لااعتقد بان مرسل الي هذه الناحية مديرا قديرا لعدم رغبة الموظفين فيها وسوف اراقب اعماله من وقت الي اخر الي ان اتمكن من تدريبه .

متصرف لواء كربلاء

تقرير سري من متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص بعض الأحوال في قضاء شفاثة (عين التمر) عام ١٩٢٧م (٢)

صورة كتاب متصرفية لواء كربلاء المرقم ٣٨٨٧ المؤرخ
في ٧ ايلول سنة ١٩٢٧ الموجه وزارة الداخليـــة

بالاشارة لكتابكم المؤرخ ١ ايلول سنة ١٩٢٧ والمرقم ١٢٩٩٤ .
نقدم طيا صورة الكشف الجاري من قبل المعمار البلدي على المحل المراد اتخاذه
مركزا لناحية الحسينية في خان العطيشي فيظهر منه ان المبلغ المراد صرفه عمارة
عن (٨٣٠) ربية لبناء ثلاث غرف فارجو الامر بصرف المبلغ المذكور .

صورة كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص إنشاء ثلاثة غرف في خان العطيشي لاتخاذها مركزاً لموظفي شعبة أنهار الحسينية في لواء كربلاء عام ١٩٢٧م

كشف اول الى انشاء ثلاثة غرف في خان العطيشي لاتخاذها مركزا لشعبة انهار الحسينيـــــــــــة.

ربيـــة	
٢٠٠	طابوق عدد ١٠٠٠٠ كل الف ٢٠ ربية
٢٠٠	جص تغار ٢٠ كل تغار في ١٠ ربية
٨٠	جذوع الى التسقيف
٤٠	دعامات الى الطارمة ٣
٦٠	اخشاب الى الطارمة مع جسر
٢٠	ابواب الى الغرف عدد ٣ كل واحد في ١٠ ربية
٥٠	منافذ الى الغرف عدد ١٠ كل واحد في ٥ ربية
٦٨٠	
١٢٠	اجرة عملة
٣٠	مصاريف متفرقة
٨٣٠	يكون فقط ثمنمائة وثلاثون ربية لاغيرها.

بحسب الامر لقد اجريت الكشف على خان العطيشي وقدرت المصاريف اللازمة لانشاء ثلاثة غرف لاتخاذها مركزا لموظفي ناحية الحسينية وقد بلغت المصاريف ثمنمائة وثلاثون ربية وعليه اقدم هذا الكشف.

معمار البلدية احمد قاسم.

كشف أولي لمعمار البلدية (أحمد قاسم) لإنشاء ثلاثة غرف في خان العطيشي لاتخاذها مركزاً لموظفي شعبة أنهار الحسينية في لواء كربلاء عام ١٩٢٧م، وقد بلغت المصاريف حسب هذا الكشف (٨٣٠) ربية

صورة كتاب متصرفية لواء كربلاء المرقم ٣٥٥٥ المؤرخ ١٦ آب
سنة ١٩٢٧ والموجه الى وزارة الداخلية.

وجدت مدير الحسينية والسعاة الذين معه مقيمين في غرفة دار الحكومة وهم مشغولون في جباية الواردات من المكلفين ولما كان الغرض الوحيد من تشكيل هذه المديرية هو ان يتجول المدير والسعاة في المقاطعات لحث الزراع على حراثة الاراضي والوقوف على كل ما يحدث بين العشائر القاطنة ضمن منطقة الناحية من الاحوال الاعتيادية وتقديم التقارير اللازمة عن شئون ادارتها وان بقاء الموظفون في مركز اللواء لايجدي نفعا للحكومة من كافة الوجوه فلذا اقترح على الوزارة الجليلة بنقل مركز الناحية الى خان العطيشي الكائن ضمن منطقة الناحية واتخاذ دار مناسبة فيه يسكن فيها الموظفون فان راق لدى الوزارة هذا الاقتراح فارجو اصدار امر الموافقة لتجرى الكشف المقتضي لتعمير الدار المطلوبة.

صورة كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص أبنية الحكومة في قضاء الحسينية والعطيشي عام ١٩٢٧م

١٣٧١١

١٢٧١١

١٧ ايلول سنة ١٩٢٧

ايلول سنة ١٩٢٧

متصـــــرفية كربـــــلاء

الموضوع – التعـميرات

بالاشارة الى كتابكم المرقم ٣٨٨٧ والمؤرخ في ٧ ايلول سنة ١٩٢٧
بما ان المبلغ المراد صـرفه يتجاوز الـ (٢٥٠) ربية نرجو مراجعة
مدير الاشغال العمومية مباشرة لاجراء التعـميرات في مركز ناحية الحسينية

وزير الداخليـــة

صورة مع صورة الكتاب المجاب عنه والكشف الـى –
مديرية الاشغال العموميـة

اصدر أوراق محفظة

كتاب وزارة الداخلية العراقية الى متصرفية لواء كربلاء بخصوص تعميرات مركز ناحية الحسينية عام ١٩٢٧م

دائرة المفتش الاداري للواء الديوانية
العدد ٧٥٩/٢/٨
التاريخ ١٣ آب ٢٧

No. 8/3/789
Office of the Administrative Inspector,
Diwaniyah dated the 13th August, 1927.
١٣ ١٨١٠٢ CV/8/16

To
The Inspecting Officer of Police,
Dulaim and Kerbela liwahs,
Ramadi.

ضابط التفتيش لوائي كربلا والدليم .

الموضوع — مركز الشرطة في الكوفه

Memorandum:

قد تبلغنا بان كان مرفع سنويا — وذلك منذ اربعة سنوات — مشروع لتشييد ابنية اضافية في صحن الكوفه لانتقال مركز الشرطة لذلك البناء . وحسب ما تبلغون تدفع الحكومة الآن سبعين روبية بدل الايجار الشهري لمركز الشرطة الحالي . وعلاوة على ذلك ان صاحب البناء يطلب اعادته ولذا ان انتقال المركز المذكور الى الصحن يسبب اقتصاد جوهري فضلا على استحصال الراحة الزائدة . ان مفوض الكوفة اخبرنا بان

Subject: KUFAH POLICE STATION.

I am informed that a scheme has been put forward annually for the last four years, to build additional accommodation in the Kufah Serai, in order to move the police station into that building. As you know, government is now paying Rs. 70/- a month rent for the present police station. Moreover the owner of the building is petitioning for its return. Thus the removal of the police to the Serai, would effect a substantial economy, in addition to being more convenient.

The Police Inspector, Kufah, informs me that he has heard that a sum of Rs. 5,000/- has been allotted this year, for the erection of additional accommodation for the police in Kufah Serai. I would point out that the making or purchase of bricks during the winter months is both difficult and expensive, and that therefore any such construction work should be put in hand as early as possible.

Should no allotment have been made this year, ~~as~~ alternative proposal

قد طرق سمعه انه خصص مبلغا قدره خمسة الاف روبية في هذه السنة وذلك لتشييد ابنية اضافية للشرطة في صحن الكوفة . ولنا ان نبين ان صنع او شراء الطابوق في خلال اشهر الشتوية صعب وغال وبناء عليه يلزم المباشرة بهكذا اعمال بنائيه باسرع وقت ممكن .

كتاب دائرة المفتش الإداري للواء الديوانية الى ضابط التفتيش في لوائي كربلاء والدليم بخصوص مركز الشرطة في الكوفة عام ١٩٢٧م (١)

may be considered. About half the present Kufah Serai is occupied by the baladiya. The baladiya has funds at its disposal, and is ready to build itself separate offices either in a distinct building, or, better still on the first floor of the present Serai. Sufficient accommodation would thereby become available in the Kufah Serai, to take the police offices and barracks.

It would then only remain for the police to construct a stable, for, I believe, ~~from houses~~ from horses, a work which could be undertaken at a very trivial cost.

I should be glad of your remarks on the subject at an early date, in view of the near approach of the rainy season, when building work will become impossible.

كان يمكن النظر في مشروع غير نفسه
هذا اذا لم يعطى تخصيصات في السنة
الحالية • ان صح الكوفة الحالى
تقريبا يشغل الآن من قبل البلدية •
لدى البلدية دراهم تتصرف
بها وانها مستعدة للقيام بذاتها
بتشييد دوائر منفردة اما في
ابنية جديدة او باحسن صورة —
على الطابق الأول من الصح الحالى
وعلى اثر ذلك تصبح منازل وافية
في صح الكوفة لتسع دوائر
الشرطة والمخفر معًا • ويعتقد
ان امر تشييد الاسطبل يترك
للشرطة، العمل الذى يمكن القيام
به – حسب ما اعتقد – ~~مع مشاحة~~
~~بنفقة~~ زهيدة جدًا •
ويسرنا فيما لو ابديتم
ملاحظاتكم عن الموضوع بأسرع
باسرع وقت بالنظر لقدم
موسم المطر الوقت الذى لا يمكن
فيه القيام باشغال البناء •

Administrative Inspector,
Diwaniyah.

المفتش الاداري للواء الديوانية

Copy to:

The Mutasarrif, Kerbela.

The Adviser, Ministry of Interior, Baghdad.

صورة الى متصرفية لواء كربلا
" " مستشار وزارة الداخلية
بغداد

س

كتاب دائرة المفتش الإداري للواء الديوانية الى ضابط التفتيش في لوائي كربلاء والدليم بخصوص مركز الشرطة في الكوفة عام ١٩٢٧م (٢)

Copy of Ministry of Communications and Works Memo No.Cw/41/73/1247 dated 28th February, 1927, to the Ministry of the Interior.

****

Subject: Repairs to Husseiniyeh Hospital, Karbala.

Reference your memo No.M.I./16944/56/K dated the 11th December, 1926.

The estimate for Rs.526/- has been sanctioned and Mutasarrif, Karbala, has been asked by the Director of Public Works to carry out the work and debit Executive Engineer, Basrah, on completion.

****

No.M.I./56/K.

MINISTRY OF THE INTERIOR.

Baghdad, the 1st. March, 1927.

To

The Mutasarrif, Karbala.

The Director of Public Health, Baghdad.

MEMORANDUM.

Copy forwarded for information.

MINISTER OF THE INTERIOR.

صورة كتاب وزارة المواصلات والاشغال العامة الرقم ١٢٤٧/٧٣/٤١ والمؤرخ في ٢٨ شباط سنة ١٩٢٧ الموجه الى وزارة الداخلية

ترميم مستشفى الحسينية في كربلاء

اشارة الى كتابكم الرقم ١٦٩٤٤/٥٦/ك والمؤرخ في ١١ كانون الاول / ١٩٢٦ . تصدقت التخمينات البالغة ٥٢٦ ربية وطلب مدير الاشغال العمومية من متصرف كربلاء ان يباشر بالعمل ويقيد مصروفه على المهندس الاحرائي في البصرة بعد اكماله .

وزارة داخلية العراق

العدد ٢٤٧٣

التاريخ ٢ مارت / ١٩٢٧ .

صورة الى :-

متصرفية لواء كربلاء

مديرية الصحة العامة المحترمة

للاطلاع .

وزير الداخلية .

صورة كتاب وزارة المواصلات والشغال العامة الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص ترميم مستشفى الحسينية في كربلاء عام ١٩٢٧م

مستعجل ٨ شباط سنة ١٩٢٧

سعادة متصرف لواء كربلاء المحترم .

الموضوع – ترميمات في مستشفى النجف .

بعد التحية .

جوابا على كتابكم المرقم ٢٨٠ والمؤرخ في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ .
نرسل لكم في طيه صورة كتاب مدير الاشغال العمومية المرقم ٩٢٢ والمؤرخ في ٥ شباط سنة ١٩٢٧
حول ترميمات مستشفى النجف ونرجو انباءنا بما يتم حول هذه الترميمات . ولكم الاحترام ؛

وزير الداخلية

صورة مع صورة من
كتاب مدير الاشغال العمومية المنوه به اعلاه الى مديرية الصحة
العامة للمعلومات اشارة الى كتابها المرقم ١٧٦ والمؤرخ في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٧

٤ ر

كتاب مستعجل من وزير الداخلية العراقي الى متصرف لواء كربلاء بخصوص الترميمات في مستشفى النجف عام ١٩٢٧م

SGPS...7o1...1169...5,000...2 1-26.

PUBLIC WORKS DEPARTMENT,

'IRAQ.

Telephone—SERAI 22.

Telegrams—CIVWORKS, BAGHDAD.

URGENT

ستعجـــــل

ادارة الاشغال العمومية
العراق

تلفون سراي ٢٢

العنوان البرقي — مديرية الاشغال بغداد

To

The Ministry of Interior, Baghdad.

الى وزارة الداخليه الجليله ببغداد

No. P. W. 17/10/ 922

نمرة

Baghdad 5th February, 1927

بغداد ٥ شباط ١٩٢٧

MEMORANDUM.

Repairs to Nejaf Hospital.

ترميمات في مستشفى النجف

Reference your No. 1499 dated 27th January 1927.

تحية واحتراما — اشارة الى كتابكم عدد ١٤٩٩ بتاريخ ٢٧ الماضي

The estimate of Rs. 1634 for repairs to Nejaf Hospital is hereby sanctioned and the work may be put in hand forthwith.

نصادق بهذا على الـ ١٦٣٤ روبيه المقدّرة لترميم مستشفى النجف وعليه يمكن الشروع بهذا العمل حالا

The cost of this work when completed will be refunded by Executive Engineer, Basrah, on production of the vouchers in support of the expenditure incurred which should not exceed Rs. 1634/-. It is also essential that the work be completed, paid for and the vouchers submitted to Executive Engineer, Basrah, before the end of the present financial year.

واما كلفة هذا العمل فسيدفعها عند اكماله المهندس الاجرائي في البصره لدى تقديم المستندات التي تبرر المصروفات المنفقة بشرط ان لا تتعدى عن الـ ١٦٣٤ روبيه . ومن المتوجب ايضا اكمال العمل ودفع مصروفاته وتقديم المستندات الى المهندس الاجرائي في البصره قبل ختام السنة المالية الحالية . ولكم مزيد الاحترام ٤

DIRECTOR OF PUBLIC WORKS.

مدير الاشغال العموميه

نسخة منه الى ص ٨٨

Copy to:-

The Executive Engineer, PWD. Basrah.

with copy of memo under reference, reference my PW/17/10/133 dated 8th January 1927.

On receipt of vouchers please accept the debit against Vote 82, Article 4, Health Allotment, Basrah Division, to which a sum of Rs. 1634 is hereby re-appropriated from Headquarters Reserve.

حضرة المهندس الاجرائي للاشغال العموميه في البصره مع صورة من الكتاب المنوه عنه اعلاه اشارة الى كتابنا عدد ١٣٣ بتاريخ ٨ الماضي . عندما تصلكم المستندات المذكورة ارجو قبول مبلغها عليكم وقيدها على المادة ٤ من الفصل ٨٢ — مخصصات الصحة لمنطقة البصره التي نقلنا اليها بهذا ١٦٣٤ روبيه من المبالغ الاحتياطية العائدة للمديرية

* The Examiner of Irr. & PWD. A/cs., Baghdad.

ونسخة منه الى حضرة فاحص الحسابات المحترم

كتاب مديرية الأشغال العمومية في العراق الى وزارة الداخلية العراقية بخصوص ترميمات مستشفى النجف في لواء كربلاء عام ١٩٢٧م

٢٦ كانون الثاني ١٩٢٧

سعادة مدير الاشغال العمومية المحترم

الموضوع – ترميم مستشفى النجف

ص ٨٨

بعد التحية ٠

بالاشارة الى الفقرة الاخيرة من كتابكم المرقم ٣٣ المورخ في ٨ كانون الثاني/١٩٢٧ نرسل اليكم في طيه صورة كتاب متصرف لواء كربلاء المرقم ٢٨٠ المورخ في ٢٣ كانون الثاني / ١٩٢٧ ولسعادتكم الاحترام ؛

٨٧

عن وزير الداخلية ٠

كتاب من وزير الداخلية العراقي الى مدير الأشغال العمومية بخصوص ترميم مستشفى النجف عام ١٩٢٧م

ادارة متصرف لواء كـــــربلا

قلم التحرير

العـــــدد ٧٨٠

التاريخ ٢٣ كانون الثاني ٩٢٧ ٠

وزارة داخلية العراق
العدد ١٩٨١
التاريخ ٢٧/١/٢٥
مديرية الموازنة

لعالي وزير الداخلية الافخـــم

٩٦٥

تحيه وتعظيما ٠ بالاشاره الى امـــركم المرقم ١٠٩١ والمورخ ٢٠ كانون الثاني ٩٢٧ ٠

اذا صادقت مـــديرية الاشغال على صرف المبلغ فان قائمقام النجف نيابة عنا سيقوم باجراء التعميرات بواسطة المعمارين المحليين ومن ثم تقدم مستندات الصرف الى من تشاء المديرية المشار اليها هذا ولعاليكم مزيد التعظيم ٠

متصرف لواء كربلا

رش

كتاب متصرفية لواء كربلاء الى وزير الداخلية العراقي بخصوص بعض التعميرات في قضاء النجف عام ١٩٢٧م

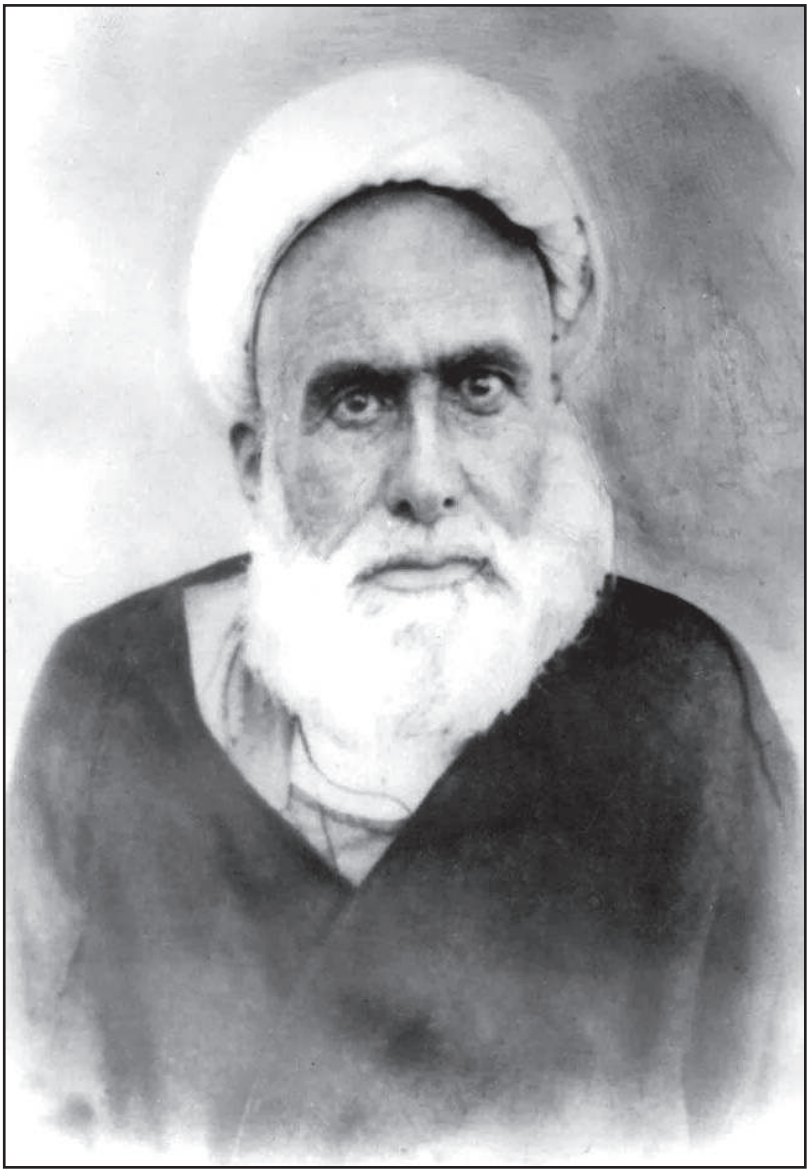

عن المرحوم سلطان الواعظين الشيرازي مؤلف كتاب (ليالي بيشاور) أنه قال: في بداية انتشار كتاب مفاتيح الجنان، كنت في سرداب الغيبة في سامراء وكان بيدي الكتاب أزور به، فرأيت شيخاً جالساً مشتغلاً بالذكر، وكان يلبس قِباءاً من الكرباس وعلى رأسه عمامة صغيرة، فسألني الشيخ: لمن هذا الكتاب؟ فأجبته: للمحدث القمّي سماحة الشيخ عباس، ثم أخذتُ بمدحه. فقال الشيخ: إنه لا يستحق ذلك، فلا تتعب نفسك بمدحه. فقلت: قم يا شيخ واخرج من هنا، ولا تتكلم بعد ذلك بمثل هذا الكلام. وكان بجنبه أحد الأشخاص فغمزني بيده في خاصرتي وقال: تأدّب، فإن هذا هو نفسه الشيخ القمّي. فقمتُ من مكاني وقبّلته من وجهه واعتذرت منه وأصررت أن أقبّل يده، ولكنه امتنع وأخذ يدي بقوة وقبّلها وقال: أنت سيّد. الصورة للشيخ عباس القمي رحمه الله

العلّامة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي من مواليد الكاظمية ١٨٧٣م، ذهب الى السعودية لغرض أداء فريضة الحج فأرسل إليه حاكم السعودية المتشدد وأراد أن يستهزء به وبالشيعة! فجاءه السيد شرف الدين وقدم له هدية عبارة عن كتاب الله مجلّد بجلد غزال، فأخذ ملك آل سعود القرآن وقبّله، فردّ عليه السيد شرف الدين قائلاً: لماذا تقبّل جلد الغزال أيها الملك إنه شرك بالله؟ فقال الملك: أنا لم أقصد الجلد بل قصدت ما بداخل الجلد، فردّ عليه السيد شرف الدين: ونحن كذلك أيها الملك، لا نقبل الأضرحة والمراقد والشبابيك بل نقصد ما وراء الشباك! فتعجّب الملك من قول السيد شرف الدين وذكاءه، فسمح للشيعة أن يصلوا جماعة في مكة المكرمة، وكانت تلك أول مرّة يصلي فيها الشيعة جماعة في بيت الله الحرام.

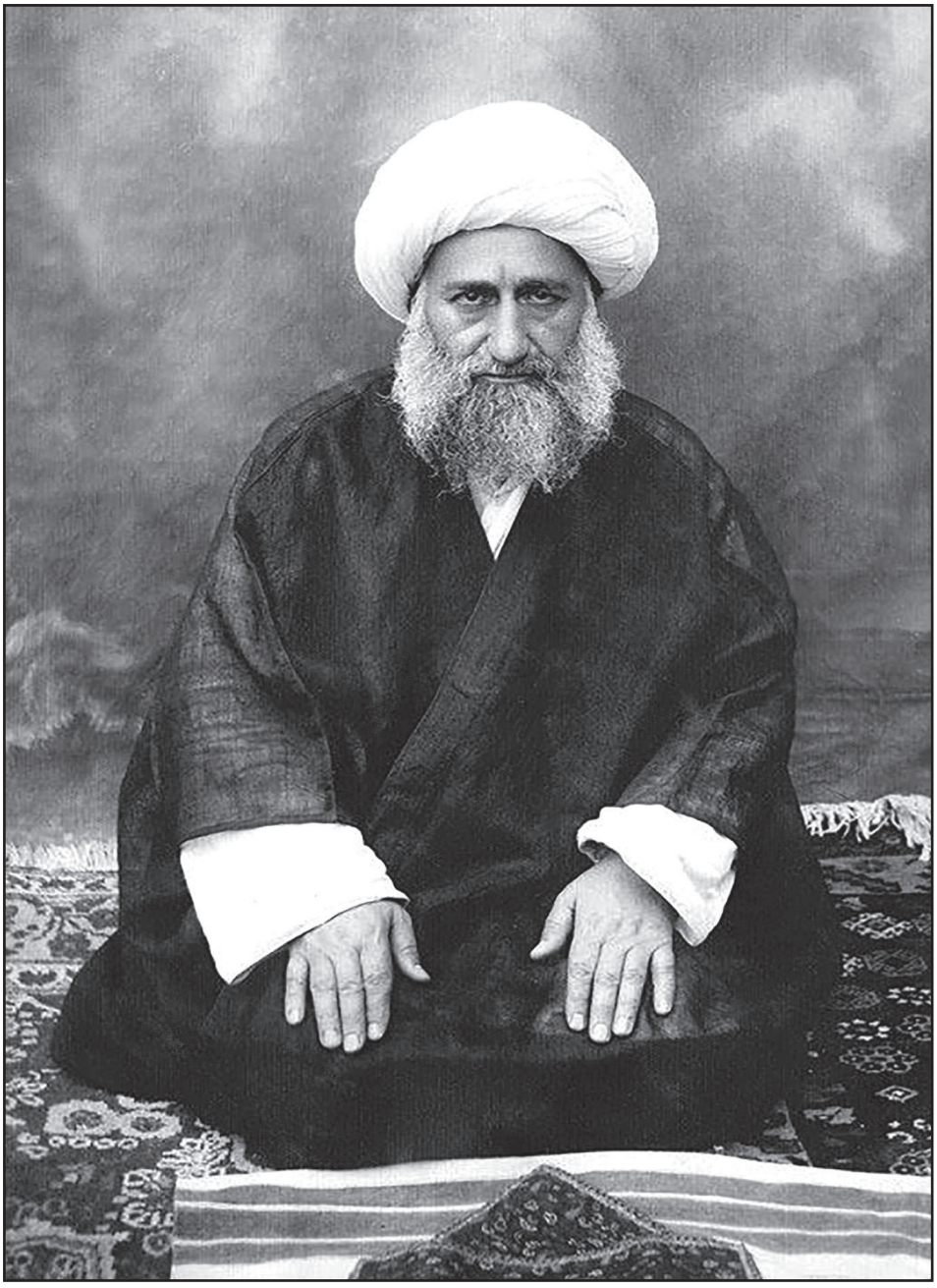

آية الله الشيخ محمّد علي الشاه آبادي، مُربّي الإمام الخميني في العرفان، وأستاذه الذي لا يذكره الإمام إلّا مع قوله: «روحي فداه». وقف في وجه رضا خان البهلوي – أبي الشاه المخلوع – الذي كان يسعى لأخذ إيران نحو العلمانيّة، أُسوةً بتجربة أتاتورك في تركيا. بلغ الشيخ مقام المرجعيّة، وله عدّة مؤلّفات فقهيّة وأخلاقيّة، وكان إمام جماعة في طهران، في ظروف سياسيّة عَصيبة.

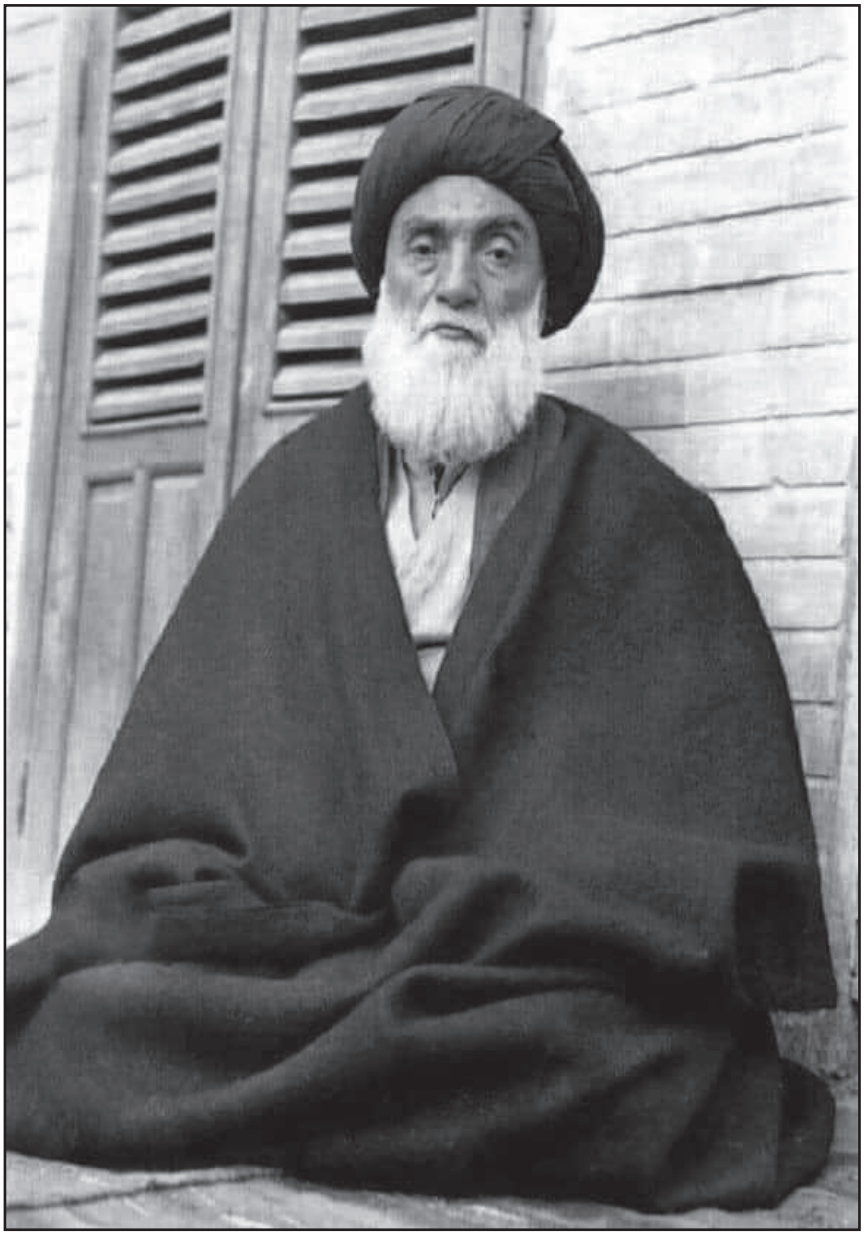

دخل رجل على المرجع الكبير آية الله العظمى السيد حسين البروجردي أواخر سنواته وهو يشرح لطلابه بعضاً من حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الرجل للسيد: الناس وصلوا إلى القمر، وأنت ما زلت تشرح كلمات علي بن ابي طالب عليه السلام؟! فقال السيد: وما العجب في هذا؟ مخلوق وصل إلى مخلوق وهو القمر، ونحن نريد أن نصل إلى الخالق بهذه الكلمات. لكن أتعلم أنك أنت المفلس الوحيد بيننا؟ فلا أنت وصلت القمر معهم، ولا فهمت كلمات أمير المؤمنين عليه السلام معنا.

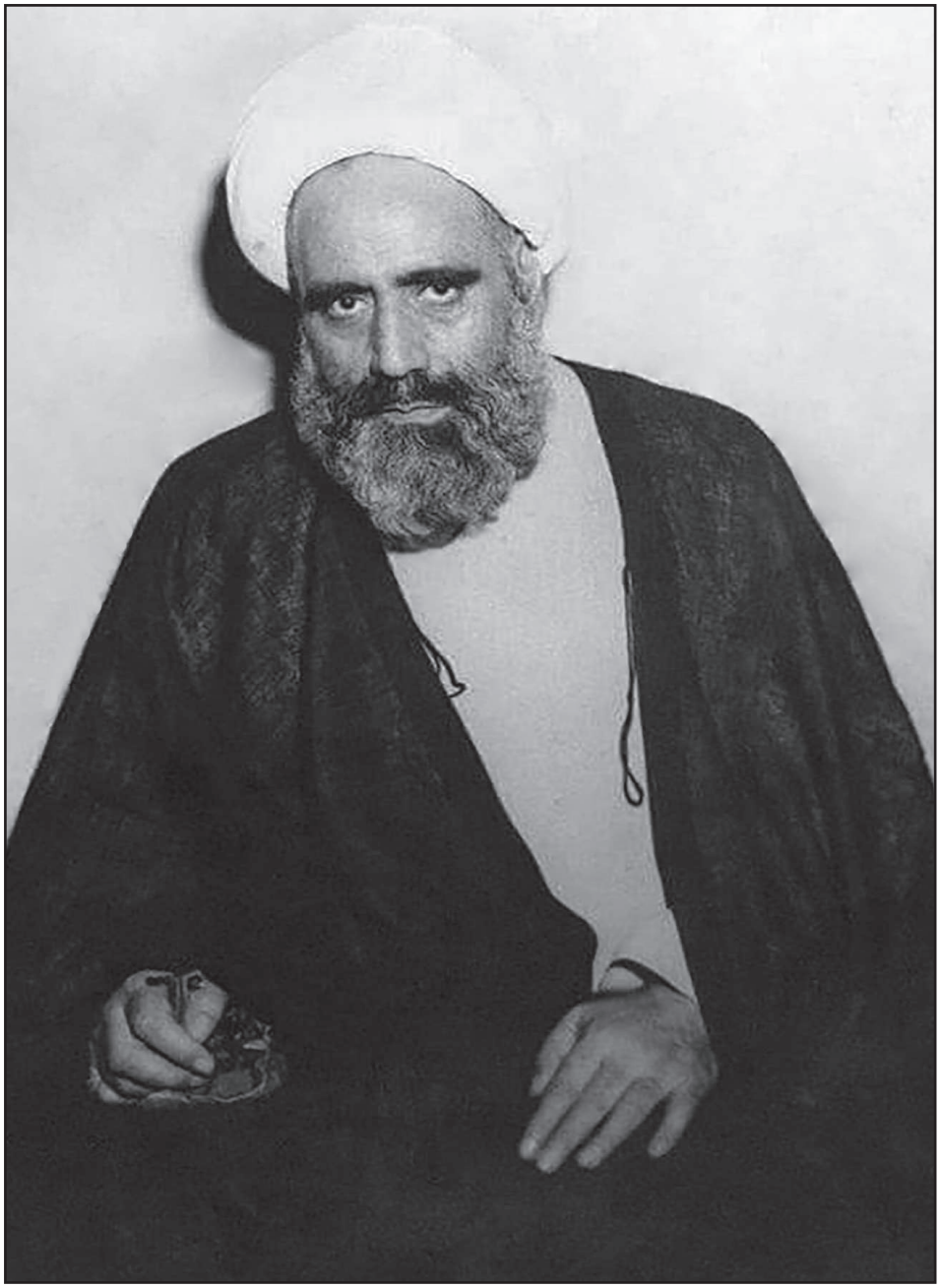

العلّامة المحقّق آية الله الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قدس سره، صاحب (موسوعة الغدير)

كان من عادته أن في ليلة العاشر من شهر محرم الحرام يُخرج صدقة باسم مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه
وكان يقول: إن في هذه الليالي يكون قلب الحجة معتصراً بالألم والحزن.

الشهيد السيد عباس الموسوي (١٩٥٢-١٩٩٢م) عالم دين شيعي من لبنان ولد في منطقة النبي شيت عليه السلام في البقاع، وهو الأمين العام الثاني لحزب الله، وهو من تلامذة السيد موسى الصدر والشهيد السيد محمد باقر الصدر، ويعتبر مؤسس حوزة الإمام المنتظر عجل الله فرجه في بعلبك، في ١٦/ ٢/ ١٩٩٢م كمنت للسيد مروحيات صهيونية واستهدفت موكبه بصواريخ موجّهة إلكترونياً عن بُعد، فاستشهد السيد وزوجته وابنه البالغ من العمر (٦) سنوات، وكان قصف المروحيات من الهمجية بحيث أن جسده احترق بالكامل ولم يبق من الجثمان إلّا بعض الأجزاء المتفحّمة، وقد شيّع في موكب مهيب قدّرته وكالة رويترز بطول (٢٠) كلم.

الصورة للسيد محمد حسن فضل الله في الستينات من القرن الماضي، وهو من مواليد جبل عامل حيث ولد وتوفي في لبنان (١٨٩٢-١٩٧٢م)، دفن في العتبة العلوية المقدسة، له مؤلفات عدّة في الفقه والشعر، ومن أساتذته: حسين الحمامي ومحمد كاظم الشيرازي وحسين النائيني وأحمد آل كاشف الغطاء وضياء الدين العراقي وأبو الحسن الأصفهاني ومحسن الحكيم ومحمد رضا آل ياسين ومحمد حسين آل كاشف الغطاء. أُجيز بالاجتهاد عن مشايخه آل ياسين والنائيني والأصفهاني وأحمد آل كاشف الغطاء سنة (١٣٥١هـ-١٩٣٣م)

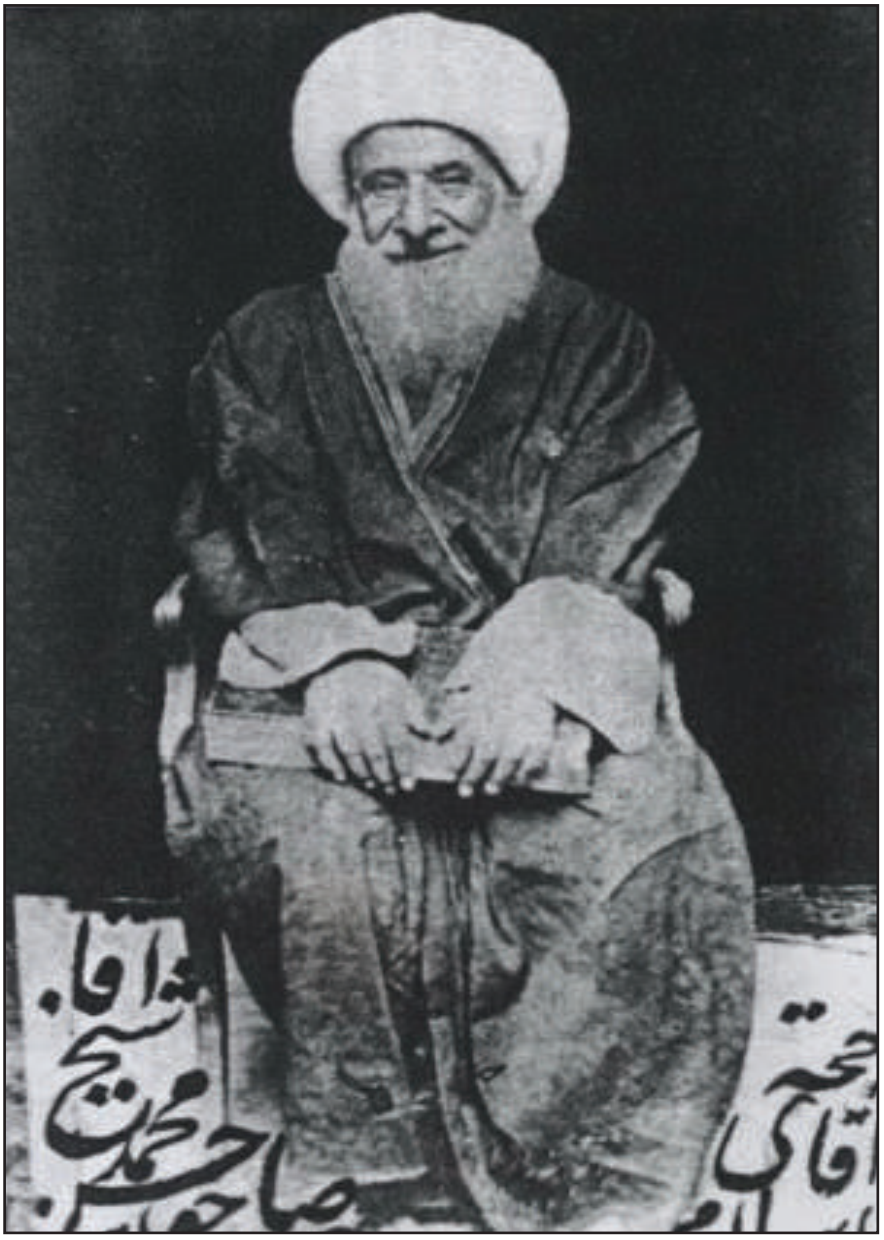

الشيخ محمد حسن النجفي الأصفهاني العاملي صاحب (جواهر الكلام) (١١٩٢-١٢٦٦هـ)، ولد وتوفي في النجف الأشرف ودُفِن في مقبرته المعروفة والمجاورة لمسجده المشهور، وعلى مرقده قبّة من الكاشي الأزرق. جدد الشيخ محمد حسن للناس عادة الذهاب إلى مسجد السهلة ليلة الأربعاء من كل أسبوع. وكان إذا خرج إلى السهلة في الليلة المعهودة يأمر بالخيام والبسط والأمتعة اللازمة لاستخدامها خلال فترة الاستراحة في طريقهم من النجف إلى المسجد، ويركب هو وتلامذته وحاشيته على الخيول المسرجة ويتبعهم خلق كثير من الناس.

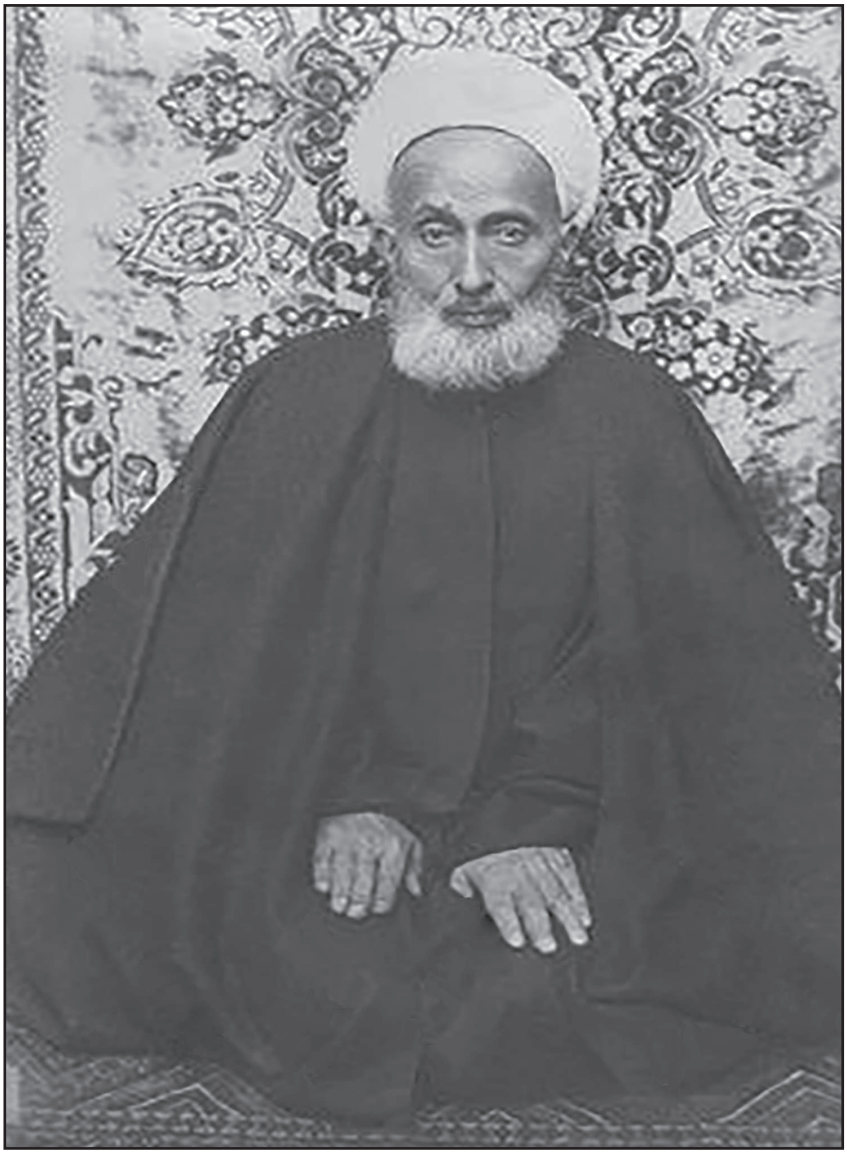

الشيخ عبد الكريم علي الجزائري، ولد وتوفي في النجف الأشرف (١٨٧٢-١٩٦٢م)، وحضر على محمد طه نجف وفتح الله الأصفهاني وأجيز منهم حتى استقل ببحث الخارج وصار من زعماء الحوزة العلمية لمدة أكثر من ثلاثين سنة. اشتهر خلال زعامته في النجف بمواقفه المعارضة للانتداب البريطاني على العراق. ذكره السيد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة وقال: «من مآثره مساهمته في دفع الاحتلال الإنكليزي للعراق. بعد أن كان العراق إحدى الجبهات الكبرى للحرب العالمية الأولى فكم أنقذ من هلكة، وحل من مشكلة، وكم ناضل وكافح في مواقفه المشهودة في الجبهات الدفاعية حول الحويزة وكوت الامارة....»، كان المستشار الأول لأبي الحسن الأصفهاني والعمادة لزعامته وكان ملك العراق فيصل الأول يحتفي برأيه ويبادله المشورة ويحترم رأيه.

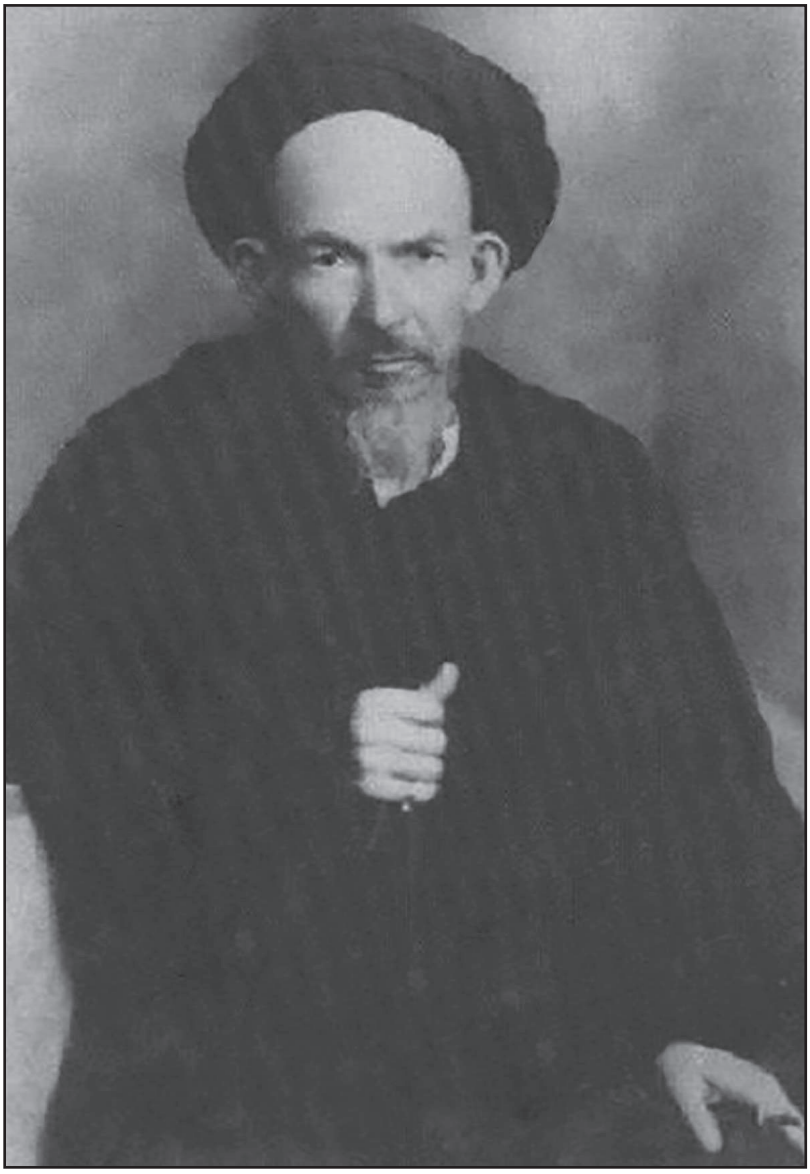

السيّد هادي بن سيد حسين بن سيد جواد بن سيد مهدي بن سيد حسين الحسيني البحراني (الصائغ) ، المولود في النجف الأشرف عام (١٣٠٢هـ) ، وهو والد السيد مهدي والسيد رضا الصائغ النسابة، أرسله السيد أبو الحسن الأصفهاني الى (المسيّب) وعيّنه مرجعاً للأمور هناك. توفى في المسيّب في يوم الثلاثاء ٢٣ من محرم الحرام سنة ١٣٧٧هـ وشيّع مع نيف ومائتي سيارة الى النجف الأشرف. ودفن في الصحن العلوي الشريف في إيوان الحجرة الثانية القبلية من طرف المشرق. وأقيمت له الفواتح الكثيرة، ودرج خبر وفاته في جريدة اليقظة وجريدة البلاد وغيرهما. ورثاه السيد محيي الدين بن السيد جواد البحراني والسيد أحمد العميدي الحلي وغيرهما.

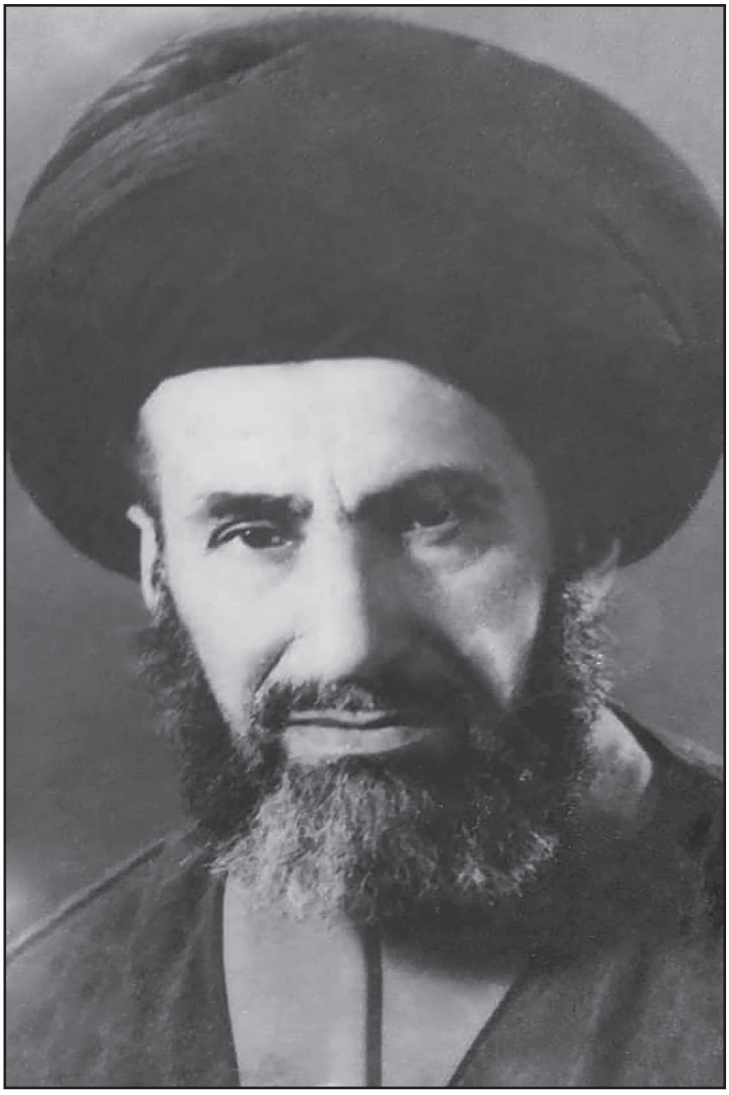

آية الله السيد عبد الكريم آل السيد علي خان المدني (١٣٢١-١٤١١هـ). نشأ في ظل أسرة علمية عريقة، حضر المقدّمات عند أخيه الأكبر السيّد عبد الحسين المدني. وحضر السطوح عند أساتذة أكفاء ثم حضر البحث الخارج عند: الميرزا علي الأيرواني، الميرزا محمّد حسين النائيني، الشيخ ضياء الدين العراقي، الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، السيّد أبو الحسن الأصفهاني، الشيخ محمّد علي الكاظمي الخراساني، الشيخ محمّد رضا آل ياسين، الميرزا فتاح الشهيدي التبريزي، السيّد عبد الهادي الشيرازي، الشيخ عبد الرسول الجواهري، السيّد محسن الحكيم، الشيخ حسين الحلي، السيّد محمّد هادي الميلاني. ومع حضوره دروس الأعلام زاول التدريس من المقدّمات إلى نهاية السطوح العالية سنين كثيرة. أجيز بالإجتهاد من قبل: الشيخ محمد رضا آل ياسين، السيد محسن الحكيم، السيد عبد الهادي الشيرازي، السيد محمود الشاهرودي. تُوفّي في مدينة بعقوبة وشيّع تشييعاً مهيباً ودفن بمقبرته الخاصة في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف.

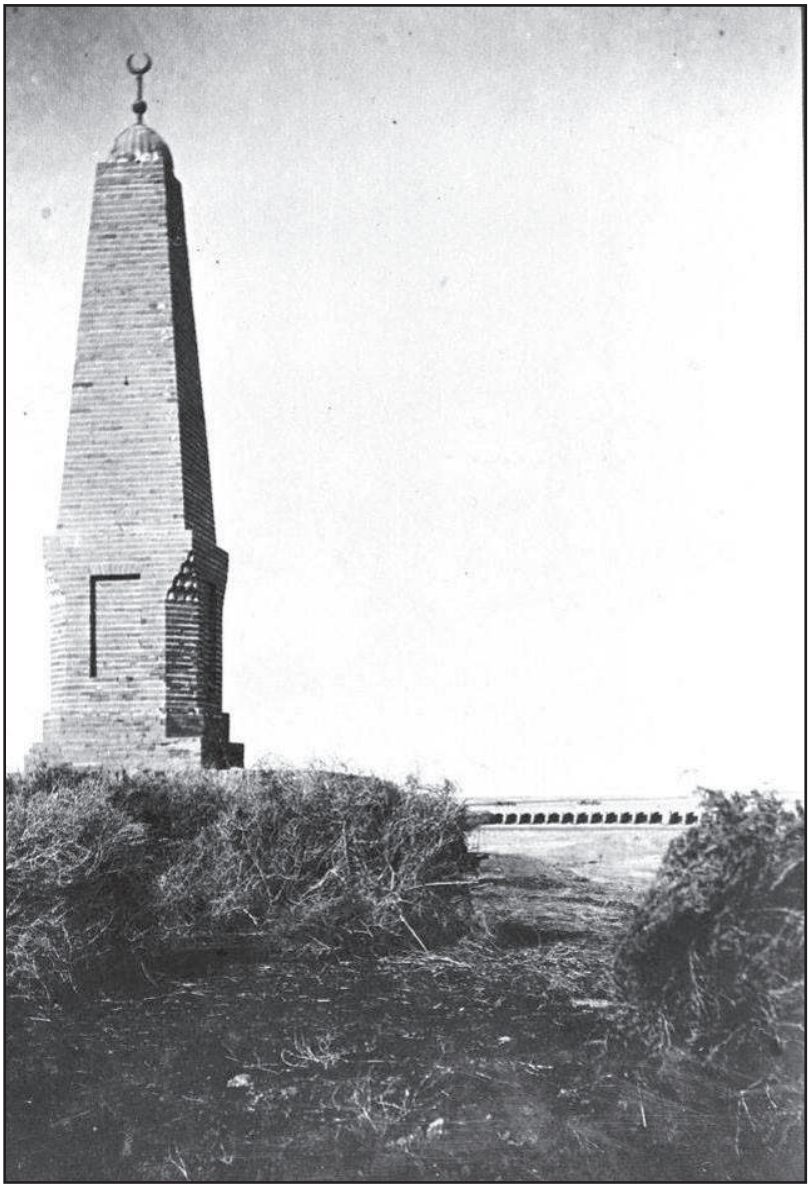

منارة وسدّة الهندية عام ١٩١٤م وفي الخلف تظهر بعض بوابات السدّة، الصورة من أرشيف غيرترود بيل (Gertrude Bell). في ٢٥ تشرين أول ١٨٩٠م جرى احتفال بافتتاح السدّة والتي بناها المهندس الفرنسي (شو نديرفر) عام ١٨٩٠م على نهر الفرات حضره الوالي (سري باشا) وعبد الرحمن الكيلاني ورفعت أفندي الجادرجي وغيرهما من أعيان بغداد والحلة وكربلاء، وإن الطابوق الذي بنيت فيه السدّة استخرج كله من خرائب بابل، واستخدم الديناميت من أجل ذلك، حيث كان يوضع في جدران قصور (بختنصر) لنسفها واستخلاص الطابوق منها، وقد تصدّعت السدّة هذه عام ١٩٠٣م وبقيت الحالة سيئة في شط الحلة إلى أن أكمل المهندس البريطاني (ويلكوكس) إنشاء سدّة الهندية في عام ١٩١٣م.

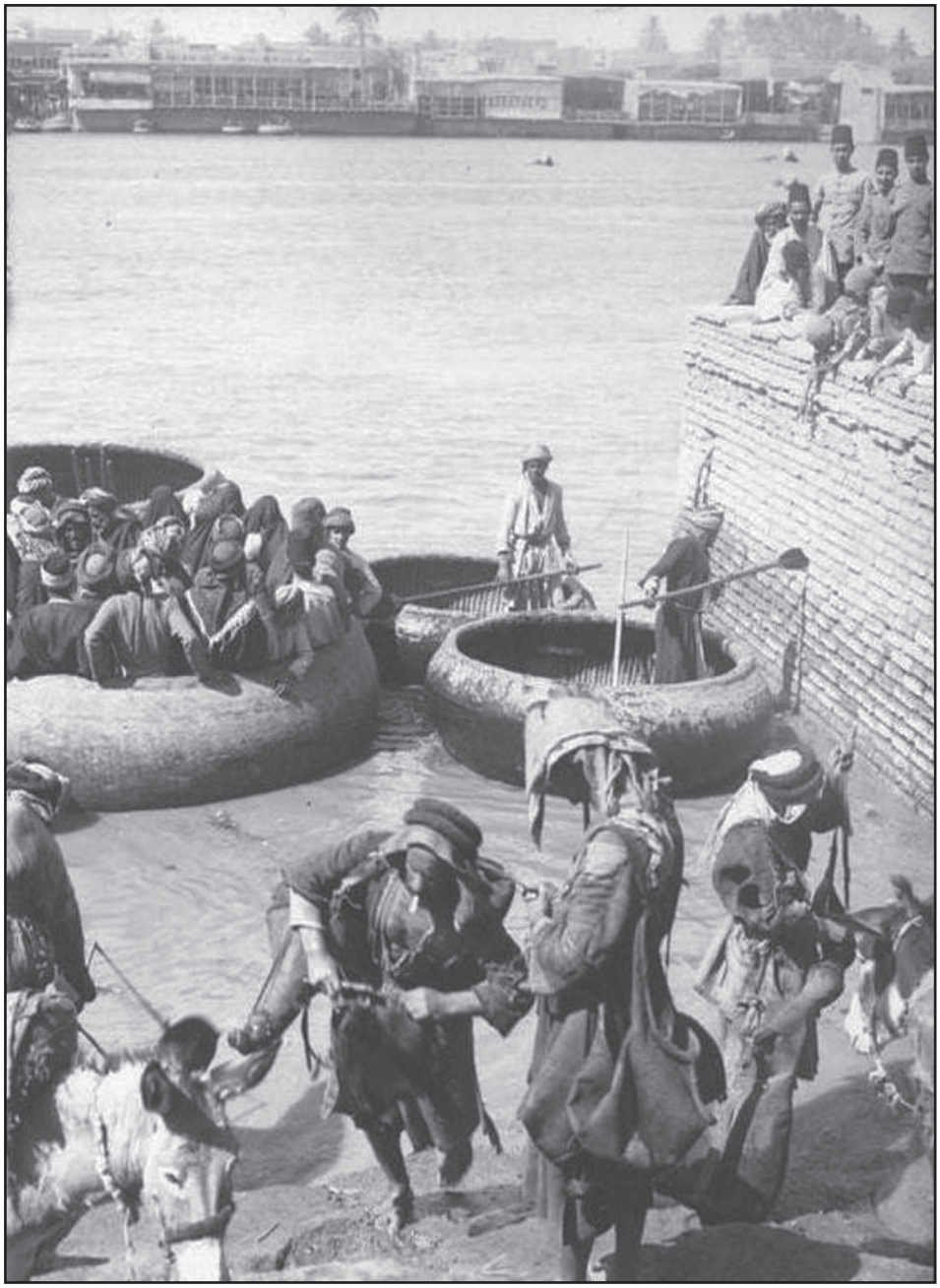

بغداد عام ١٩٠٢م ويلاحظ وسيلة النقل النهرية (القفة/ الكفة) كأهم الوسائل للعبور بين ضفتي نهر دجلة في تلك الفترة

صورة نادرة لبعض الشيوخ والأطفال من طائفة الصابئة في العراق- مدينة الناصرية. التقطت الصورة في عشرينيات القرن الماضي

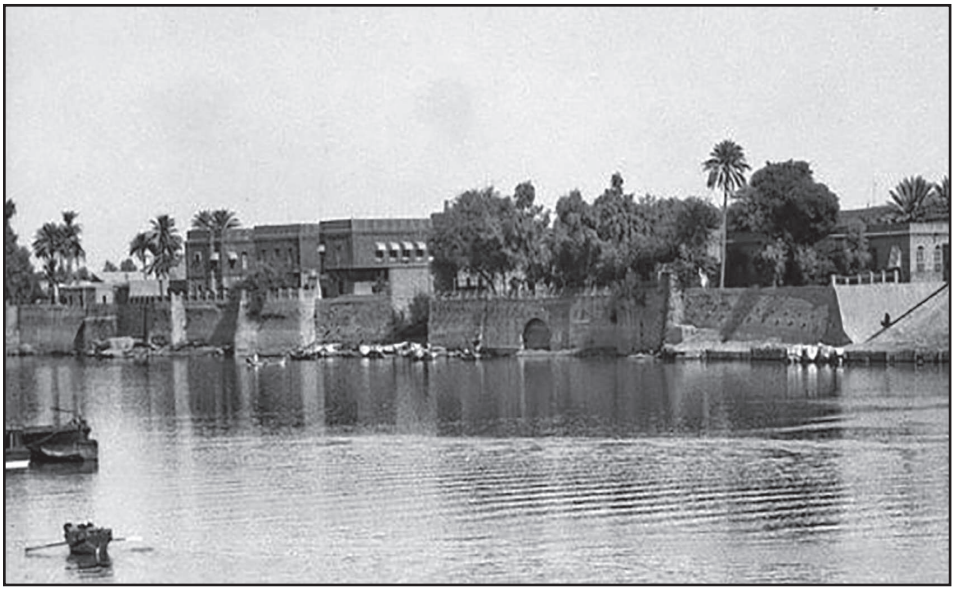

شاطئ نهر دجلة في بغداد عام ١٩٣٢م - الصورة من أرشيف مكتبة الكونغرس في واشنطن

هذه الصورة التقطت بعد مقتل العائلة الملكية في العراق يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م، يذكر أن قصر الرحاب وقصر الزهور قد تم حرقهما وسلبهما وتدميرهما من قبل البعض وهذه الصورة ترينا بعض ما حدث آنذاك، تلك الأحداث التي لا تخلو من العظة والعبرة كلما تم ذكرها. وتذكر بعض المصادر بأن حادث إطلاق النار جاء بطريق الخطأ من قبل الحرس الملكي الذي ردّ عليه المهاجمون وكانت العائلة الملكية في منتصف خط الرمي. تم نقل الجثامين إلى دائرة الطب العدلي في المستشفى المدني في الباب المعظم حيث ووريت جثث النساء في المقبرة المجاورة. وأحيل باقي الجرحى إلى مستشفى الرشيد العسكري عدا جثة الأمير عبد الإله التي تم سحلها ثم تعليقها على باب وزارة الدفاع في نفس المكان الذي أصدر أوامره بإعدام الضباط الأربعة الوزراء في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م.

صورة تذكارية تاريخية رائعة لمجموعة من سُراة الموصل ووجهاؤها وأعيانها عام ١٩٤٦م، وهي من أرشيف الأستاذ محمود مفتي الشافعية صاحب جريدة (نصير الحق) الموصلية حيث اجتمع نخبة من سراة ووجهاء وأعيان الموصل في دار الأستاذ أحمد ناظم العمري بعد الانتهاء من حفلة الشاي التي أقيمت على شرف الأستاذ إبراهيم الواعظ رئيس محكمة الاستئناف يوم الأحد ٢٠/ ١/ ١٩٤٦م. ويظهر في الصورة من اليمين: القاضي إبراهيم النقيب، مصطفى الصابونجي، إبراهيم الواعظ، الشيخ عبد الله النعمة، المتصرف (المحافظ) عبد الوهاب القصاب، عبد الله السنوي، أحمد ناظم العمري، سامي باشعالم، أحمد الجليلي، فهمي الجراح، طاهر الصابونجي، – محمود حسقيل رحماني، فاضل عبد القادر، محمد صدقي المحامي، الشيخ رشيد الخطيب، ناجي الزهاوي، شريف الدباغ، – عبد الباري توفيق، أحمد زكي المدرس، وديع جورجي، – صالح حديد، عبد القادر آل زكريا، أسعد العمري، محمد الجليلي، مظفر حافظ، إبراهيم مصطفى المدرس، عبد الباقي نوري، متي فتح الله سرسم، خالد نجيب.

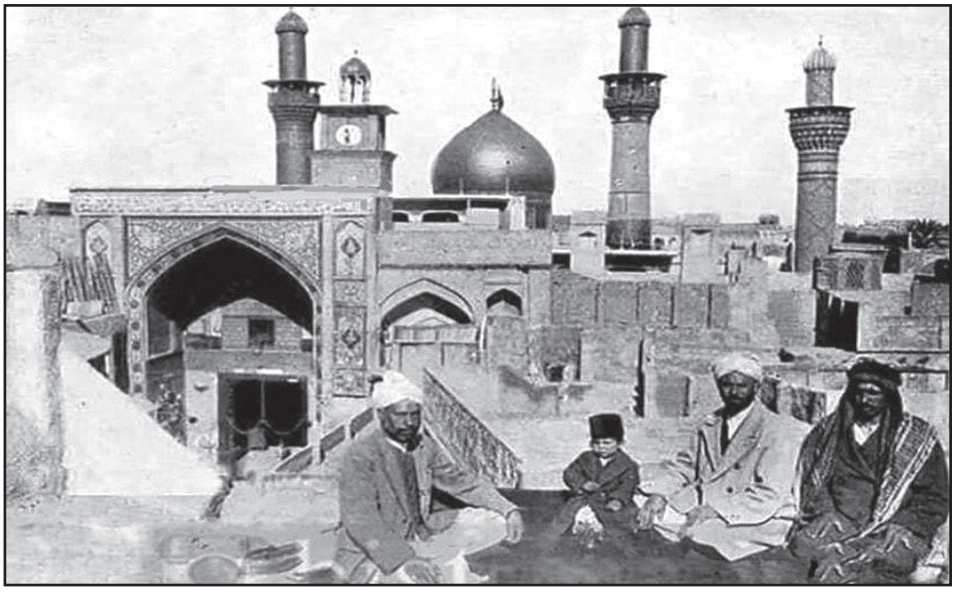

لقطة نادرة لمرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة من على سطح أحد الفنادق القريبة من الصحن الشريف عام ١٩٣١م

محلة الفضل في بغداد عند حلول شهر محرم الحرام عام ١٩٣٠م

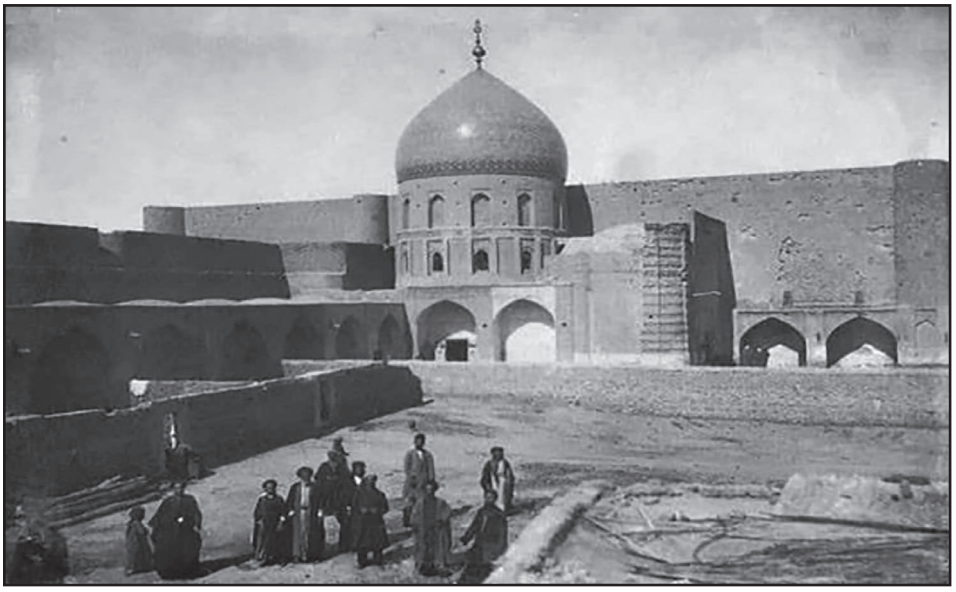

صورة تاريخية نادرة لمسجد الكوفة المعظم – مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام عام ١٩١٧م

صور عمرها أكثر من ١٠٠ سنة تقريباً لإحدى العوائل البغدادية العريقة من أعيان محلة قمبر علي القديمة، أبنائها كانوا أعلام في الأدب والدين والقضاء والسياسة وكان لديهم (مجلس آل جميل) الذي يعتبر من مجالس بغداد الثقافية والعلمية، وكان يحضره العلماء والفقهاء في مسجد آل جميل، يتداولون فيه أمور الفتوى في العلم والأدب والدين.

أول دينار عراقي صدر في عام ١٩٣٢م وكان يعادل (٤٨٦) دولار أمريكي، وكان غلافه من الذهب ما يساوي الغرام والنصف.

من صور الحرب العالمية الأولى، بغداد – بناية القشلة من الداخل، وتظهر المدافع التي تركها العثمانيون (الأتراك) بعد مغادرتهم بغداد قبل ساعات من دخول الجيش البريطاني عام ١٩١٧م. يذكر أن العثمانيون قد انسحبوا من مقرهم الرسمي في القشلة دون قتال وتركوا أسلحتهم مكدّسة على أرضها بقرار من القائد العثماني خليل باشا خلافاً لأوامر اسطنبول، فنجت بغداد من معارك الموت والتدمير.

في عام ١٩١٨م عندما دخل الأنكليز الى العراق لم يتحملوا درجات الحرارة العالية فتوجهوا الى رجل هندي ليقوم ببناء معمل للثلج بمنطقة الكسرة في بغداد فكان أول معمل لصنع الثلج في العراق. الهندي (محمد أصفر) جنى أرباح كبيرة من الثلج فبنى قصراً كبيراً على دجلة وامتلك سيارة روزرايس فخمة آنذاك.

الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله خلال زيارة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء عام ١٩٥٦م وبجانبه السيد صفاء الكليدار

صورة تذكارية لبناية متحف التاريخ الطبيعي العراقي بعد أيام من افتتاحه عام ١٩٤٦م وكانت البناية مستأجرة في منطقة باب المعظم ببغداد

صورة نادرة لشرطي فلسطيني وهو يفتش أحد اليهود في بوابة يافا عام ١٩٢٩م

دار الحكومة وجامع السراي في بغداد – القشلة عام ١٩٤٣م

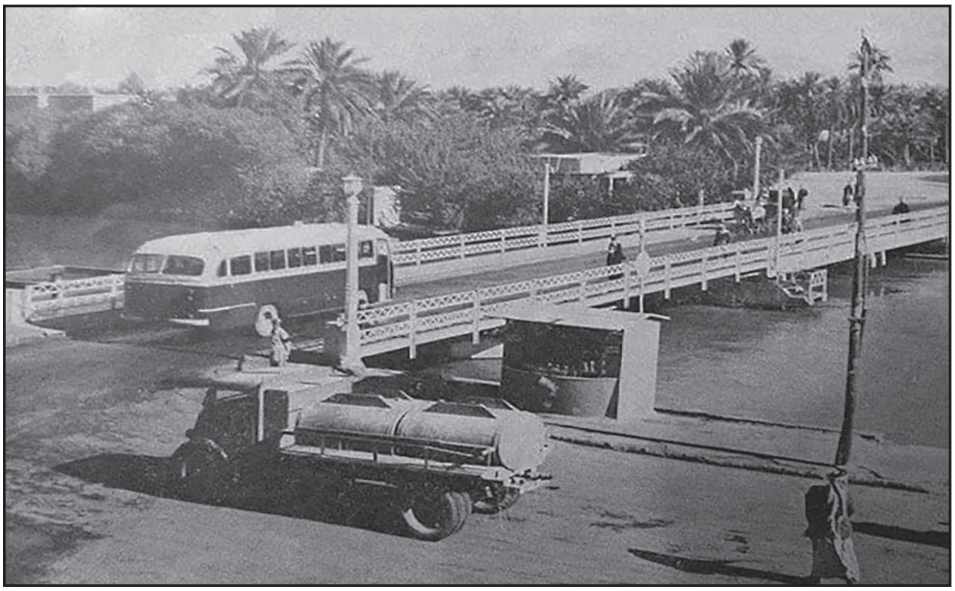

صورة تاريخية لجسر الحلة الحديدي على نهر الحلة عام ١٩٥٧م

المحتويات

أثر روابط النصوص في تحقيق المخطوطات ٣
م.م. مهدي محمد علي
م.د. مظفر حسين علي
أدوات كتابة المخطوطات وطرق حمايتها
دراسة في مقتنيات العتبتين الحسينية والعباسية المشرّفتين ٢٣
أ.م.د. غالب ياسين فرحان
م.م. إسراء نجم عبد الرضا
الأزياء التراثية بين الهويّة وتأثير الحداثة ٥٣
رانيين شعبان
البلاد العربية في الوثائق العثمانية مصدراً تاريخياً لدراسة
تاريخ البصرة منتصف القرن السادس عشر ٧٩
أ.د. أسامة عبد الرحمن الدوري
البيوتات العلمية والمدارس في الحلة
في القرن السادس حتّى القرن العاشر (دراسة تاريخية) ٩٣
أ.م.د. ثامر كاظم عبد
أ.م.د. محمود شاكر مشعان
التواريخ المعمية في المخطوطات العربية..... ١٤٣
محب الدين ياسين إبراهيم السامرائي

التوثيق التصنيفي للمخطوطات والوثائق الورقية العربية ١٦٥
م.م. محمد رياض حامد الحميري

الجرح والتعديل في تراجم النحاة
واللغويين (دراسة في توثيق رواية اللغة والنحو) ١٩٣
د. عبد الرزاق أحمد محمود الحربي

السجاد الإسلامي في تصاوير
المخطوطات الفارسية (خمسة نظامي أنموذجاً) ٢٠٩
مائدة طارق محمد

العتبات الدينية في النجف وكربلاء
في الوثائق العثمانية خلال القرن السادس عشر الميلادي ٢٤١
أ.م.د. ياسين شهاب شكري

المخطوط العربي: المفاهيم والمصطلحات وأثرها
في تحديد بداياته التاريخية وامتداد وجوده ٢٧١
د. عطا الله مدب حمادي الزوبعي

المخطوطات الإسلامية مصدراً مهماً
في دراسات المستشرقين للتاريخ الإسلامي ٣٠٣
أ.د. حاتم كريم اليعقوبي

المخطوطات التاريخية غير المحققة في مكتبة المسجد الأقصى ٣٢٥
أ.د. مازن صباح عبد الأمير

المخطوطات العربية في تركيا ٣٤٣
أ.د. صباح نوري المرزوك
المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية ٣٥٧
أ.م.د. رائد أمير عبد الله
أولوية العمل على النّظر ٣٩٥
حسن حنفي
المقتنيات الأثرية وطرق إخراجها من البلاد ٤٣٣
د. شاكر محمود عبد الله خضير
المكتبات في بغداد بين الماضي والحاضر مكتبات شارع المتنبيّ ٤٥١
د. وفاء أحمد سعيد
وثائق وصور من أرشيف العراق والموروث الشيعي ٤٨٩